

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ – ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الحادي عشر

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجي

رقم الإيداع ٢٤٣٦ / ٨٣

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحروف العاطفة

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الثمانمائة [1] :

٨٨٦ (أو جَونةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامُها)

على أنَّ الواو لا تدلُّ على ترتيب ، بل قد تدخل على متقدِّم على ما قبله كما هنا ، فإنَّ فضَّ الختام قبل القَدْح .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(أُغْلِي السِّباءَ بكُلِّ أدكنَ عاتقٍ)

يقال : أغليتُ الشيء : اشتريتُه غالياً . والسِّباء ، بكسر السين المهملة بعدها موحّدة : اشتراء الخمر ، ولا يقال فى غيرها . يقال سبأت الخمر بالهمز أسبؤها سِبَاءً بفتح عين الماضى والمضارع ، فيكون فى الأوّل تجريد ، أى أدفع الثمنَ الغالىَ فى اشتراء الخمر . والباء فى بكلّ ظرفية متعلقة بحالٍ محذوفة ، إذ المراد : أُغلى سِباء الخمر كائنةً فى أدكن ، بالدال المهملة ، وهو الزِّق .

قال الجوهريّ : الدُّكنة : لونٌ يضرب إلى السَّواد . وقد دَكِن الثَّوبُ من باب فرح ، والشيء أدكن . وأنشد البيت وقال : يعنى زِقًّا قد صلَح وجاد فى لونه ورائحته لِعتْقه . والزِّقُّ كما قال صاحب المصباح : هو بالكسر : الظَّرف ، وبعضهم يقول : ظرف زِفتٍ أو قِير . و (عاتق) بمعنى عتيق ، صفة أدكن . قال الدِّينَوَرىّ (فى كتاب النبات) عند إنشاده هذا البَيت : ذهب بعضُهم إلى أنَّ

---

(١) البيت من معلقة لبيد . وانظر ابن يعيش ٨ : ٩٢ ورصف المبانى ١٤١ والعينى ٤ : ١٢٥ .

العاتق الخمر التى لم تُفَضَّ بعدُ . ذهب إلى معنى الجارية العاتق ، وهى البِكر ، وليس كذلك ، بل هو من عِتْق القِدَم ، يقال فى كلِّ ما تقادَمَ : عتَق يَعْتِقُ ويعتُق ، أىْ من باب ضرب ونصر ، فهو عاتق . و (الأدكن) : الزِّق . وقد أخطأ العينى هنا فى قوله : وإنَّما منع أدكن الجرّ لامتناعه من الصَّرف ، للعلميّة ووزن الفعل .

وقوله : (أوجَونةٍ) بالجرّ عطف على أدكن ، وهى بفتح الجيم . قال أبو حنيفة : هى الخابية ، والباطيَة المقيَّرة . وكذا قال الجوهرى : الجونة : الخابية مطليّةً بالقار . وقُدِحت ، بالبناء للمفعول ، الجملة صفةٌ لجونة . و (قُدِحت) : غرفت . والمِقدحةُ :المِغرفة . قال أبو حنيفة : إذا استخمرت الخمرُ فَضُّوا عنها خِتامَها ثم استخرجوها من أعلى الوعاء اغترافا ، وهو القَدْح ، وقد قُدِحت فهى مقدوحة . انتهى . وقيل معنى قُدِحَتْ مُزجت ، وقيل معناه بُزلت . يقال بَزلتُ الشَّىء بزلاً ، إذا ثقبته واستخرجتَ ما فيه . والمِبْزل : المِثْقب . وفُضّ بضم الفاء ، أى كسِر . و (ختامها) : طِينها . والضمير للجَونة . قال أبو حنيفة : الفتق والفَكّ والفَضّ شىءٌ واحد . وقد فتق دنَّه وفضَّه ، فاقتدح ما فيه . فى المصباح : فضضت الخَتْمَ فضًّا ، من باب قتل : كسرته . وفضَضتِ البِكارة : أزلتُها ، على التشبيه بالخَتْم . قال الفرزدق :

فبِتـــنَ بجانبـــىَّ مُصرَّعـــاتٍ وبتُّ أُفضُّ أغلاقَ الخِتامِ [(١)]

مأخوذ من فضضت اللؤلؤة ، إذا خرقتَها . وفى الصحاح : الختام : الطِّين الذى يختم به . وقوله تعالى : ﴿ خِتامُهُ مِسْكٌ [(٢)]﴾ أى آخره ، لأنَّ آخر ما يجدونه رائحةُ المسك .

---

(١) ديوان الفرزدق ٨٣٦ .

(٢) الآية ٢٦ من المطففين .

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة لبيدٍ الصَّحابى ، قال شارحها أبو الحُسين الزَّوزنى : يقول : أشترى الخمر غالية السعر باشتراءِ كلِّ زقٍّ أدكنَ أو خابيةٍ سَوداءَ قَد فُضَّ خِتامُها ، وأغتُرِفَ منها . وتحرير المعنى اشتراءُ الخمرِ للنُّدماء عند غَلاء السِّعر ، واشتراءُ كلِّ زقٍّ مقيّر أو خابيةٍ مقيَّرة . وإنّما قيِّرَا لئلاّ يرشَحَا بما فيهما ، وليسرع صَلاحه وانتهاؤه ، وهو إدراكُه . وقوله « قُدِحت وفُضَّ ختامها » فيه تقديمٌ وتأخير ، تقديره : فُضّ ختامُها وقُدحت ، لأنَّه مالم يُكسَر خِتامُها لا يمكن اغترافُ ما فيها من الخمر . انتهى .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(يالهْفَ زَيَّابةَ للحارث الصَّا بِحِ فالغانِـــم فالآيبِ)

وتقدم شرحُه فى الشاهد الحادى والخمسين بعد الثلثمائة فى أول باب العطف [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٤٦ — ٢٥١ .

(٢) الخزانة ٥ : ١٠٧ — ١١٣ .

(٣) فى كتابه ٢ : ٢٩٨ . وانظر مجالس ثعلب ١٣٧ ومجالس الزجاجى ٢٧٣ والمنصف ١ : ٢٢٤ والمحتسب ٢ : ٤٩ ودلائل الإعجاز ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٩٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٩ والإنصاف ٦٥٦ وابن يعيش ٢ : ١٢٨/ ٤ : ١٥/ ٩ : ٣٣ ، ٧٨ ، ٨٩/١٠ : ٢١ وشرح شواهد الشافية ٢٤٢ ورصف المبانى ٣٥٣ والمغنى ١٦١ ، ١٦٢ ، ٣٥٦ والعينى ٤ : ٤١٤ والتصريح ٢ : ١٣٦ والهمع ٢ : ١٢٩ والأشمونى ٣ : ١٠٩ .

٨٨٧ (قِفا نَبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقراةِ لم يَعْفُ رَسمُهَا لِمَا نسجَتْهَا مِن جَنوبٍ وشَمْأَلِ)

على أنَّ (الفاء) الداخلة على الأماكن بمعنى إلى ، أى منازل بين الدخول إلى حومل إلى توضح إلى المقراة .

وهذا أحدُ جوابين أجاب بهما الشارح عن إشكاله (١) ، وهو أنّ الفاء تقتضى التفريق ، وهو منافٍ لما تُفهِمه بَيْنَ من الاجتماع ، لأن البينيَّة نسبَةٌ ، وأقلُّ ما تستدعيه منتسبان . وأنت إذَا قلت : المال بين زيدٍ وعمرو ، فقد أفدت احتواءَهما عليه ، واجتماعَهما على مِلْكه . ولهذا الإشكال أنكر الأصمعىُّ وَمن تبعه رواية الفاء ، وقال : إنمّا الرواية : « وحومل وتوضح والمقراة » .

قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : تكلَّم الناسُ فى قوله : بين الدخول فحومل ، قال أبو إسحاق الزِّيادى : الرواية « بين الدخول وحومل » ، ولا يكون « فحومل » . لأنَّك لا تقول : رأيتك بين زيد فعمرو . وهذا سمعه الزيادىُّ من الأصمعىّ ، فسألت ابن دُريد عن الرواية فحكى ما قال الأصمعى ولم يزِدْ عليه ، فسألت أبا بكر محمد بن على بن إسماعيل (٢) فقلت : قال الأصمعى : لا يجوز أن تقول رأيته بين زيد فعمرو . وكان ينكر بين الدخول فحومل . فأملى علىَّ الجواب فقال : إنّ لكلِّ حرفٍ من حروف العطف معنىً ، فالواوُ تَجمع بين الشيئين نحو قام زيد وعمرٌو ، فجائز أن يكونا كلاهما قاما فى حالةٍ واحدة ، وأن يكون قام الأوّل بعد الثانى ، وبالعكس . و (الفاء) إنمّا هى دالَّة على أنّ الثانىَ بعد الأوّل ولا مُهلة بَينهما . فقال الأصمعىُّ – وكان ضعيفاً فى

(١) ش : « عن إشكال » .

(٢) هو النحوى المعروف بمَبْرَمَان ، تلميذ المبّرد والزجاج ، وأستاذ الفارسىّ والسيرافى . توفى سنة ٣٤٥ .

النَّحو غير أنَّه كان ذا فطنة : أطبقت الرواة على بين الدخول وحومل ، ولا يجوز فحومل ، لأنّه ليس يقصد أن يكون بياناً لشيئين أحدهما بعد الآخر ثم يكون الشئ بينهما ، إنمّا يريد أنَّهما لا يجتمعان وهو بينهما ، كما تقول زيد بين الكوفة والبصرة ، ولا تقول فالبصرة . فقد أجاد فِطنةً . انتهى .

٣٩٨

وقد أجاب الشارح على تقدير صحة رواية الفاء بجوابين :

(أحدهما [١]) أنَّها بمعنى إلى ، لدخولها فى الأماكن ، فلا تدلُّ على الترتيب المقتضِى للتفريق . وهذا الجواب مركَّبٌ من قولين ، لأنَّ الذى يقول : إنّ الفاء بمعنى إلى لا يشترِط فى مدخولها أن يكون مكاناً . ومَنْ ذكر دخولَها على المكان لا يقول إنّها بمعنى إلى ، وإنمَّا هى عنده بمعنى الواو لمطلق الجمع ، ولا تفيد ترتيباً ، والأوّل قول بعض البغداديِّين . قال العسكرى : قال بعضُ البغداديِّين : أراد قفا نبك [ما [٢]] بين الدخول إلى حوملٍ إلى توضح إلى المِقراة . فالفاء فى موضع إلى ، فأضمر ما مع بينَ كقولك : هو أحسن الناسِ قرناً فقَدَمًا ، ولم يُضمر بين . فأراد فابكيا هذا إلى ذا . انتهى .

ونقله ابن هشام أيضا (فى المغنى) فقال : وقال بعض البغداديِّين : الأصل ما بين الدخول ، فحذف ما دُونَ بينَ كما عكس مَنْ قال :

* يا أحسنَ النَّاسِ ما قرناً إلى قَدَمٍ [٣] *

أصله ما بين قرنٍ ، فحذف بيناً وأقام قرناً مقامها . ومثله : ﴿ إنَّ الله

---

(١) سيأتى الجواب الثانى فى ص ١٥ مما سيأتى .

(٢) التكملة من ش .

(٣) صدر بيت مجهول القائل . وعجزه كما فى الدرر اللوامع ٢ : ١٧٠ :

* ولا حبال محب واصل تصل *

لا يَسْتَحْيِى أنْ يَضْرِبَ مثلاً ما بعوضَةً فما فوقَها ﴾ (١) قال : والفاء نائبة عن إلى . ويُحتاج على هذا القول إلى أن يقال : وصحَّت اضافة بين إلى الدَّخول لاشتماله على مواضع ، أو لأنّ التقدير بين مَواضع الدَّخول . انتهى .

و (الثانى) هو قول الجَرْمىّ ، قال أبو حيّان (فى الارتشاف) وابن هشام (فى المغنى) : وقال الجرمىُّ : لا تفيد الفاءُ الترتيبَ فى البقاع ولا فى الأمطار ، بدليل قوله : بين الدخول فحومل ، وقولهم : مُطِرْنا مكانَ كذا فمكانَ كذا ، وإن كان وقوعُ المطرِ فيهما فى وقتٍ واحد . انتهى .

وهذا أقرب من القولَين الآخَرين وأسهل . والقول الثانى يحتاج إلى مَعُونة ، وقد بيَّنها ابن هشام بقوله : ويُحتاج على هذا القول إلى أن يقال : وصحَّت إضافة بين إلى الدخول لاشتماله على المواضع إلخ . وذلك لأنَّ الدَّخول مفرد ، والفاء غاية ، وبين موضعٌ للتوسُّط إمَّا بين اثنين منفصِلين نحو : المال بين زيد وعمرو ، وإمَّا بين اثنين مجتمعين فى لفظة ، نحو : المال بين الرَّجلين ، وإمَّا بين جماعة مفرَّقة نحو : المال بين زيد وعمرٍو وبكر ، وإمّا بين (٢) جماعة مجتمعة فى لفظةٍ نحو : المال بين الرجال ، أو بين القوم ، فلا تضاف إلى مفردٍ لفظاً ومعنىً إلاَّ إنْ أُوِّل بما يدلُّ على التعدّد . وفيه أيضا تكلُّف ، وهو ادِّعاء حذف ما . وهذا لا يجوز عند البصريِّين ، سواء كانت ما موصولةً إذْ لا يحذف الموصول وتبقى صلته ، أم موصوفةً إذْ شرط حذفِ الموصوف بالجملة أو بالظرف (٣) أن يكون بعضاً من مجرورٍ بمِنْ أو فى . وإنمَّا احتاجَ إلى تقديرها لأنّ نبْكِ فعلٌ متعدٍّ بنفسهِ يطلُب مفعولا ، يقال :

---

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٢) كلمة « بين » هنا ساقطة من ش .

(٣) ش : « أو الظرف » .

بكيتُه ، ويتعدَّى بالحرف أيضا يقال : بكيت عليه وله . وأما بكَّيته بالتشديد فمعناه جَعلته باكياً ، كأبكيته بالهمزة .

وتقديرُ الشارح « أى منازل بين الدخول » خيرٌ منه . أشار به إلى أنَّ بين مفعول لنبك بتقدير مضاف ، أى قفا نبكِ منازل بين الدخول .

وفى القولين إشارةٌ إلى أنَّ (بين) ليس حالاً من سِقط اللوى ولا صفةً له .

قال ابن المُلاّ تبعاً للعينى : بسِقْط اللوى صفةُ منزل ، وبين الدخولَ صفة سقط اللوى ، أى من منزلٍ كائن بسقط اللوى الكائِن بين الدَّخول . وإنّما قدَّرنا متعلّق الصفة الثانية اسماً معرَّفا وإن كان المشهور تقديره فعلاً أو اسماً منكّرًا رعايةً لجانب المعنى . ولا يحسن جَعلُ الظرف حالا ، إذْ ليس القصد إلى التقييد . هذا كلامه . ٣٩٩

ولنا عنهما غُنيةٌ بجعله صفةً ثانية لمنزل ، أو بدلا مِن سقط اللوى ، مع أنَّ فى قوله مخالفةً لقولهم : « الجمل والظروف بعد المعارف أحوال ، وبعد النكرات صفات » . ولا يخفى أنَّه لا حاجة إلى ادِّعاء حذفِ ما ، أو حذفِ مضاف ، لأنَّ المبكيَّ من أجله مذكور ، وهو قوله : من ذكرى حبيب ومنزل ، ومِنْ فيه بمعنى اللام تعليليَّة ، والمبكيُّ من أجله والمبكيّ عليه مَآلهما واحد .

والأوْلَى حملُ تقدير الشارح هذا المضاف عليه ، بجعله ظرفاً لنبْكِ أو بدلاً من منزل ، فيقرأ بالجر [١] ، فيكون أشار به إلى أنَّ المبكيَّ من أجله منازلُ لا منزلٌ واحد ، لأنَّ المواضع أربعة وأقلُّ منازلها مثلها .

والقول الثالث ، وهو قول الشارح المركَّب منهما ، محتاجٌ إلى المَعونة التى ذكرناها ، إذ لا يصحّ إلاَّ بتقدير بين أماكن الدَّخول إلى حومل . وقد أشار إليها

---

(١) ش : « ويقرأ بالجر » .

ابن جنى (فى سر الصناعة) ، قال : إذا قُلْتَ : مُطَرنا بينَ زُبالة فالثَّعلبيَّة ، أردتَ أنَّ المطر انتظم الأماكنَ التى ما بين القريتين ، يَقْرُوها [١] شيئاً فشيئاً بلا فُرجة . فإذا قلت : مُطِرنا مَا بين زُبالة فالثَّعلبية [٢] أردت أنَّ المطر وقع بينهما ، ولم ترد أنَّه اتَّصَلَ فى هذه الأماكن من أوَّلها إلى آخرها . انتهى .

وإذَا آل الجواب إليه رجع إلى الجواب الثانى الآتى . وحينئذ لا فائدة لجعل [٣] الفاء بمعنى إلى .

وفى صنيع الشارح أمور :

(أحدها) : قوله : « وقد تجىء الفاء العاطفة للمفرد بمعنى إلى » أراد أنَّها كانت عاطفة قبل مجيئها بمعنى إلى وأمَّا بعدَه فهى متمحِّضة للغاية ، كما هو ظاهرٌ من كلامه على البيت . ولا ينافيه قوله : فحذْفُه ، أى حذف الواو مع فاء العطف إلخ ، لأنَّ المراد فاء العطف صورةً لا حقيقةً . وفيه أنّه لا ضرورة إلى تقدير واو العطف معها فإنَّها عاطفة . ولا يمنع من عطفها كونُها بمعنى إلى ، فإنّ أو العاطفة تأتى بمعنى إلى وبمعنَى إلاّ ، ولم يقلْ أحد إنَّها مجردة من العطف فيهما ، والعطف بها واقعٌ قطعا كما فى المثال والشعر ، وهى نائبة عن إلى ، لا أنَّها بمعناها .

(ثانيها) : قوله : « على ما حكى الزَّجَّاجى : مطرْنا ما بين زُبالة فالثَّعلبية » ، هذه الحكاية والتوجيه إنمّا هما للكسائىّ والفرّاء ، قال فى تفسير الآية : وأمَّا الوجه الثالث وهو أحبُّها إلىّ فأنْ تجعل المعنى على : إنَّ الله

---

(١) يقروها : يتتبعها ، قراها يقروها قروا ، كما يقال يقريها قريا . ط : « يعروها » صوابه ، فى ش وسر الصناعة ١ : ٢٥٣ .

(٢) ط : « والثعلبية » ، صوابه بالفاء كما فى ش وسر الصناعة ، وبحث ابن جنى هنا إنما هو فى الفاء .

(٣) ش : « فى جعل » .

لا يستحْيِي أن يضرِب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقَها . والعرب إذا ألقت بينَ من كلامٍ تصلُح إلى فى آخره ، نصبُوا الحرفين المخفوضين اللذين خُفِض أحدهما ببينَ والآخر بإلى ، فيقولون : مطِرْنا ما زبالةَ فالثَّعلبيةَ ، وله عشرون ما ناقةً فجملاً ، وهى أحسن النّاس ما قرناً فقدماً ، يراد به ما بين قرنها إلى قدمها . ويجوز أن تجعل القرن والقدم معرفةً فتقول : هى حسنةٌ ما قرنَها فقَدَمَها . فإذا لم تصلح إلى فى آخر الكلام لم يجزْ سقوط بين . من ذلك أن تقول : دارى ما بين الكوفة والمدينة ، فلا يجوز أن تقول : دارى ما بين الكُوفة فالمدينة ، لأنّ إلى إنمَّا تصلح إذا كان ما بين المدينة والكوفة كلُّه من دارِك ، كما كان المطر آخذاً ما بين زبالة إلى الثعلبية . قال الكسائى : سمعت أعرابيًّا يقولُ ورأى الهلال : الحمد لله ما إهلالَكَ إلى سِرارِك ، يريد : ما بين إهلالك إلى سِرارك . فجعلوا النصب الذى فى بين فيما بعدها إذا سقطَتْ ، ليُعلَم أنَّ معنى بينَ يراد . وحكى الكسائى عن بعض العرب: الشَّنَق ما خمساً إلى خمس وعشرين . والشَّنق ما لم تجبْ [1] فيه الفريضة من الإبل . ولا تصلح الفاءُ مكانَ الواو فيما لم تصلح فيه إلى ، كقولك [2] : دارُ فلان بين الحيرة فالكُوفة محال ، وجلست بين عبد الله فزيد مُحالٌ ، إلاّ أن يكون مقعدك آخذًا للفضاء الذى بينهما . وإنمّا امتنعت الفاء من الذى لا تصلح فيه إلى لأنّ الفعل فيه لا يأتى فيتَّصل ، وإلى يحتاج إلى اسمين يكون الفعل بينهما كطَرْفة عين . وصلحت الفاء فى إلى لأنّك تقول : أخَذَ المطرُ أوّلَه فكذا إلى آخرِه . فلمَّا كان الفعل كثيراً شيئاً بعد شئ فى المعنى ، كان فيه تأويلٌ من الجزاء . انتهى كلام الفراء .

٤٠٠

(١) فى النسختين : « لم تجد » وكتب الشنقيطى تعليقا عليه : « كذا بخط المؤلف ، وصوابه : لم تجبْ ، بالباء الموحدة . وكتبه محمد محمود » . وما أثبته الشنقيطى من الصواب يطابق ما فى معانى الفراء ١ : ٢٢ .

(٢) كذا فى النسختين : « كقولك » ، وهو المطابق لما فى معانى الفراء ١ : ٢٢ . والوجه : « فقولك » .

وفيه فوائدُ :منها قوله : « هى حَسنةٌ ما قرنَها فقدمَها » . وبه يُرَدّ على الدماميني فى قوله على ما قرناً إلى قدم : كونُ أصله ما بين قرنٍ دعوَى لا دليلَ عليها . ويجوز أن تكون ما زائدةً وقرناً تمييز أو منصوب على نزع الخافض . انتهى .

ويأتى فى كلام أبى حيَّان حقيقةُ ما . والقَرْن بفتح القاف وسكون الراء : الخُصْلة من الشعر ، بضم الخاء المعجمة .

ومنها ضابطُ سقوط بين ، وهو غير موجودٍ فى الشَّرح .

ثالثها : قوله : « ولا يجوز حذف ما لكونه موصولاً » ، فإنّه لم يشبع الكلام على ما الواقعة مع بين ، فإنّه يجوز حذفها فى غير هذين المثالين . ولم يشرَحْ وجه موصوليَّتها فيهما .

وقد تكفَّل ببيان ذلك جميعِه أبو حيان (فى تذكرته) قال : إذا أتيتَ ببينَ صلةً لما فقيل : أعجبنى ما بينكما ، فسقوط ما جائز ، وتقضى [١] على بين بالرَّفع ، ولفظها منصوب . ولك أن ترفع بينَ بالفعل وتُعطَى حقَّ الأسماء فتُضمر ما ولا تضمر الذى ، فإنّها تكون وقتاً ومحلاًّ . فالأوّل كقولهم : لا أكلِّمك ما دام للزَّيت عاصر ، فما موضوعةٌ فى موضع أبدًا ، وانتصابُها فيه كانتصاب : لا أكلّمُك القارظَ العَنَزِيَّ [٢] والثانى كقولهم : جلسَ ما بين الدَّارين ، واستوى ما بينَ المنزلتين ، وأقام ما بين المسجدين ، فلمَّا أتت ما محلاًّ ووقتاً ضارعت المحلّ الذى بعدها فكفَى منها . واختصَّت بين بالنيابة عن ما ، لأنّ ما تكون شرطاً ، وبين يُشرَط بها فى قولهم : بينا أنصفَنى ظلمنى ، وبينما اتَّصل بى قطعنى . وأمّا

---

(١) ش : « ويقضى » مع البناء للمجهول .

(٢) الدرة الفاخرة ٢٨١ وجمهرة العسكرى ١ : ١٢٣ وفصل المقال ٤٧٣ والميدانى فى أوائل (لا) والمستقصى ٢ : ٥٨ واللسان (قرظ) .

الذى فلا يُعَرف له ذلكَ ولا يُستعمل فيه . ولِمَا معنىً ثانٍ هو الجزاء فى أصل البِنْية وإقرارها على لفظ الذى ، وذلك قول العرب : مطِرْنا ما زُبالَة فالثّعلبيةَ فزرُودَ [١] . حكاه الكسائى عن العرب ، ومعناهُ مطِرنا ما بين زُبالة إلى الثعلبية ، فنابت زُبالة عن بينَ ، وجعل نصب بين فيها ، ونُسِقت الثّعلبية فزرود [١] عليها ، ونصبت ما بمطرنا على أنَّ لفظها الذى ، ولزمت الفاء مكان إلى ، ولم يصلحْ مكانَها واوٌ ولا ثمّ ولا أو ، ولا لا ، لأنّها تحفظ تأويل الجزاء ، وتجرى فى هذا الكلام مجراها فى : إنْ زرتَنى فأنت محسن ، ولا يجوز : وأنت ، لأنّه لا يُوصَل [٢] الشرط إلاّ بالفاء إذ [٣] كانت تفعل ذلك فى ضربته فبكى . وأصل الكلام : إن اتَّصل المطرُ إلى زُبالة فالثعلبية فهو مَطَرنا . فذلك الذى ينبغى . فتحوَّلت ما إلى لفظ الذى وأصلها الشرط ، ولزمت الفاء مراقبةً لذلك الأصل ونابت عن إلى ، ولولا الشرط الذى بنيت المسألة عليه لم يعطف واحدٌ بالفاء على مخفوض بين ، إذ لا يقال فيما تعرَّى من معنى الشرط : المال بين أبيك فأخيك .

وحكى الكسائىُّ والفراء عن العرب : هى أحسن الناس ما قرناً فقَدَماً ، معناه ما بين قرن إلى قدم ، فلزمت الفاء لأنّ ما شرطٌ فى الأصل ، ومحسِّنة ذلك ، حُسْنَ إلى فى موضع الفاء . وانتصب « ما » فى هذه المسألة على التفسير ، وانتصب القرن بنصب بين المُسْقَط ، وعُطفت القدمُ على القرن .

٤٠١

ثم نقل كلام الفراء وقال : وما فى ذا المعنى لا تسقط ، فخطأٌ أنْ يقال : مِطرنا زبالَةَ فالثّعلبية ، لأنّ ما وبين اسمٌ واحدٌ يدخل طَرَفاه فيه ، وما هى الحدُّ بين

---

(١) ط : « فزود » فى هذا الموضع وتاليه فى ش مع أثر تصحيح . وزرود : موضع بين ديار بنى عبس وديار بنى يربوع .

(٢) فى النسختين : « يواصل » .

(٣) ط : « إذا » ، وقد صححت بذلك فى ش .

الشيئين . دليلُ هذا : أن الذى يقول : له علىّ ما بين الألف إلى الألفين ، يدلُّ بمَا على استيفاء ما بين الألف والألفين . ولو قال (١) : جلستُ ما بين الدارين ، لم يكن (١) جامعاً لكلّ ما بينهما . فأتت الفاء لمذهب الشرط وإن لم يُذكَر حرف الشرط ، كما لزمت الفاء مع أمّا فقيل:أمَّا عبد الله فقائم ، لأنّ المعنى : مهما يكن من شئ فعبد الله قائم . والفرق بين جلستُ ما بين عبد الله فزيد ، وجلست بين عبد الله فزيد : أنَّ ما إذا حضرت كان الذى بين الطّرَفين مجلوساً فى جميعه ، وإذا لم تكنْ ما احتمل الكَلامُ جلوساً فى بعض الذى بين المكانين . فإذا قيلَ : عبد الله (٢) ما بين أخيك وأبيك ، فما منتصبة على انتصاب المحلّ وأصلها الشَّرط ، وما بين الأخ والأب كلُّه لعبد الله موضع . فإن قيل : عبد الله بين أخيك فأبيك ، فموضِع عبد الله بعض ما بين الموضعين ، ويجوز استغراق المكان كلِّه .

ولم يذكر الفراء زيد ما أخاك وأباك . قال أبو بكر : هو عندى خطأ ، لأنَّ ما موضوعة للعموم ، وبين لا تحذف إلاّ بعدها اعتماداً عليها مع خلافةِ الذى يليها لها . وبينَ من أسماء المواضع التى ليست ناساً فلا يخلُف بين بعدها إلاّ مالا يكون من أسماء الأناسىِّ مثل القرن والقدم ، والإهلالِ والسِّرار ، والناقة والجملِ وما يجرى مجرى ذلك . ومَن قال : دارى ما الكوفةَ فالحِيرة ، وهو يذهب إلى ما بين الكوفة إلى الحِيرة لم يصبْ ؛ لأنَّ هذا الكلام لا يستقيم إلاّ بأن تكون الدار مالئة كلَّ الموضِعِ الذى بين الكوفة والحيرة ، وما شُوهدت دارٌ كذا . فإن لم تذكر « ما » لَم يبطل أنْ يقال دارى بين الكوفة فالحِيرة على أنّ الدار آخذةٌ بعض ما بين الكوفة والحيرة . ولو قال : له علىَّ ما الألفَ والألفين ، يريد ما بين الألف إلى الألفين كان

---

(١) فى النسختين : « وقال جلست ما بين الدارين ولم يكن » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى النسختين : « زيد » ، ولا يستقيم مع بقية الكلام .

الكلام مستقيماً ، لوقوع ما وبين على جميع ما بين الطرَّفين ودخول الطرَّفين فيهما ، أعنى فى ما وبين .

هذا ما لخّصناه من (تذكرة أبى حيان) ، وفيها فوائد تتعلَّق ببينَ دون ما ، تركناها لعدم تعلُّق غرضنا بها .

وقول الشارح : « ومثل قوله قفا نبك » إلخ مثلُ مبتدأ مضاف . وقوله « الفاء فيه بمعنى إلى » هذه الجملة خبر المبتدأ . ويروى فى بعض النسخ : « ومثله قوله » ، بالضمير على أنّه مبتدأ وخبر . وهذه رواية فاسدة .

وقوله : « البيتان » مبتدأ محذوف الخبر أى مقروءانِ ، والمعهود فى مثله البيتين بالنصب ، بتقدير اقرأ . والجملة فيهما اعتراض . وإنمّا لم يكتبهما لشهرتهما .

وهذا هو الجواب الأول .

وأمّا (الجواب الثانى [1]) فهو قوله : ويجوز أن يكون المعنى قفا نبك بين منازل الدخول ، يريد أنّ المتعدِّد الذى تضاف إليه بينَ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبله ، وقُدِّر فى المواضع الأربع ، لأنَّ المعطوف شرطُه غالبا أن يحلَّ موضع المعطوف عليه . وقدَّره بعضُهم بين مواضع الدَّخول ، فتكون بين مضافة إلى متعدِّد محذوف . وأجاب بعضُهم بأنَّ كُلاًّ من الدَّخول وحومل وتوضح والمقراة موضع وَسِيعٌ يشتمل على منازَل [ومواضع [2]] ، فأُضيف بين إليها لاشتماله على متعدّد تقديراً ، فلا حذف . وعليهما تكون الفاء عاطفة ، وتفيد ترتيب البكاء بين منازل هذه المواضع . ٤٠٢

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٧ .

(٢) التكملة من ش .

ولم يقدِّر الشارح هنا مفعولاً لنبك فيحتمل أنّه جعل المفعول بين [١] ويحتمل أنَّ نبك لازم ، أى نُحدِثُ البكاءَ بين منازِل هذه المواضع ، فتَكون [٢] بين ظرفاً للبكاء . وهذا أَوْلَى ، لأنَّ المبكيَّ من أجله تقدَّم .

وهذا الجواب هو الجيِّد ، والجواب الأوَّل غير جيِّد كما بيَّنّاه .

وقول الشارح المحقق : « وكذا فى غير هذا الموضع » أشار به إلى ما تقدَّم من قولهم : مطِرْنا ما بين زُبالة فالثعلبية ، فإنَّ التقدير ما بين أماكن زُبالة فأماكِن الثعلبية . ومن قولهم : هى أحسن الناس ما بين قرنٍ إلى قَدَمٍ ، فإنّك تقدّر ما بين أجزاء قرن وما بين قرن فقَدَم ، أى ما بين أجزاء قرن فأجزاء قَدَم ، وما قرناً فقدَماً : ما بين أجزاء قرن فأجزاءِ قدم . وكذا تقدِّر فى قوله تعالى : ﴿ مَثلاً ما بعوضةً فما فوقَها [٣] ﴾ على قول الفراء : ما بين أمثالِ بعوضة فأمثالِ فوقِها . وكذا يقدَّر فى قولهم : الحمد لله ما إهلالَكَ إلى سِرارِك : ما بين أوقات إهلالك .

وسكت ابن هشام عن الآية وعن قولهم : ما قرناً إلى قَدَم ، لوضوح التقدير .

وقال الدَّمامينىّ : لم يتعرَّض إلى الاعتذار عن بعوضةٍ وقرن على هذا القول . فتأمَّلْه .

وقد تأمَّله بعضُهم فقال : وغاية ما يظهر أن تكون إلى التى الفاءُ بمعناها لِلمعيَّةِ على ما يقول الكوفيون ، ومعنى ما بينَ قرن مع قدم ، وما بين بعوضة مع ما فوقها : ما بينهما . وأمّا إن بقيت إلى على معناها فلا يظهر لصحَّة إضافة بين

---

(١) ش : « بينا » ، تحريف .

(٢) ط : « فيكون » .

(٣) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

إلى قرن وبَعوضةٍ وجهٌ ، إذْ لا يمكن اعتبار تعدُّد المضاف إليه ، ولا أن يقدَّر معه متعدِّد .

هذا كلامه ، وهو غنىٌّ عن الردّ لظهور خَلَله .

هذا وقد أوردَ سيبويه المصراع الأوَّل (فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد من أواخر كتابه) قال : أمَّا إذا ترنَّموا فإنّهم يُلحقون الألف والياء والواو ، ما ينوَّن وما لا ينوّن [١] ، لأنَّهم أرادوا مدَّ الصوت ، وذلك كقول امرىء القيس :

* قفا نبك من ذكرى حَبيبٍ ومنزلِي * ... البيت .

إلى آخر ما ذكره .

قال الأعلم : الشاهد فيه وصل اللام فى حال الكسر بالياء للترنم ، وهو مدُّ الصوت .

وقوله : (قفا نبك) فيه أربعة أقوال : أحدها لأكثر أهل اللغة أنّه خطابٌ لرفيق واحدٍ ، قالوا : لأنَّ العرب تخاطب الواحدَ بخطاب الاثنين ، قال الله تعالى مخاطباً لمالك : ﴿ أَلقِيَا فى جَهَنّم [٢] ﴾ ، وقال الشاعر [٣]:

فإنْ تزجرانى يا ابنَ عفّانَ أنزَجِرْ وإنْ تَدعانى أَحْمِ عِرضاً ممنَّعا

وقال آخر [٤] .

وقلتُ لصاحِبي لا تَحبسانا بِنَزْعِ أُصوله واجدَزَّ شِيحا

(١) ط : « وما ينون وما لا ينون » بإقحام الواو الأولى ، صوابه فى ش وسيبويه ٢ : ٢٩٨ .
(٢) الآية ٢٤ من سورة قٓ .
(٣) هو سويد بن كراع ، كما فى معجم الشواهد .
(٤) هو مضرس بن ربعى الفقعسى ، كما فى معجم الشواهد .

وحكى عن الحجَّاج أنّه قال : يا حرَسِىُّ اضربَا عنقه . والعلَّة فيه أنّ أقلَّ أعوانِ الرجل فى إبله ومالِهِ اثنان ، وأقَلَّ الرُّفقة ثلاثة ، فجرى كلامُ الرجل على ما قد أَلِفَ من خطابه لصاحبيه . قالوا : والدليل على أنّ امرأ القيس خاطبَ واحداً ، قولُه فى هذه القصيدة :

* أصاحِ ترى برقاً أُرِيكَ وميضَه * ... البيت .

وقال ابن النحّاس : هذا شىءٌ ينكِره حُذّاقُ البصريين ، لأنّه إذا خُوطب الواحد مُخاطبة الاثنين وقع الإشكال . وفيه نظر ، فإنَّ القرينة تدفع اللبس . ٤٠٣

ثانيها : للمبرِّد قال : التثنية لتأكيد الفعل ، والأصلُ : قِفْ قِفْ ، بالتكرير للتأكيد . فلما كان الفعل لا يثنَّى ثُنِّىَ ضميره . وكذا ألقيَا ، واضرِبا ، وتزجُرانى ، وتَدَعانى ، وتحبِسانا .

ثالثهَا : للزجّاج أنه مثنى حقيقة خطاباً لصاحبيه . وكذا ألقيا خطابٌ للمَلَكين . ويردُ عليه ما عداهما فإنّه لا يتصوَّر فيه ما زعمه .

رابعها : أنّ أصله قِفَنْ بنون التوكيد الخفيفة ، فأبدل النون ألفاً إجراءً للوصل مُجرَى الوقف . ونبك مجزومٌ فى جواب الشرط . وبه استشهد المرادى (فى شرح الألفية) .

و (السّقْط) مثلث الأوّل : ما تساقط من الرَّمل . و (اللِّوى) كإلَى : ما التوى من الرمل . وسقط اللِّوى : حيث يسترِقُّ الرمل فيخرج منه إلى الجَدَد . وإنمّا وصف المنزل به [١] لأنّهم كانوا لا ينزلون إلاّ فى صلابةٍ من الأرض ، لتكون أثْبتَ لأوتادِ الأبنية والخيام ، وأمكنَ لِحَفْرِ النُّؤى ، وإنمّا يكون ذلك حيث ينقطع الرملُ ويرِقّ .

---

(١) ط : « بهم » ، صوابه فى ش .

قال التبريزى (فى شرح المعلقات) : الباء من « بسقط » يجوز أن تتعلَّق بقفا ، وبنبْكِ ، وبمنزل . وقال الزوزنى : هى صفةٌ لمنزل أو لحبيب ، او متعلِّق بنبك . فتأمَّلها مع ما سبق .

و (الدَّخول) بفتح الدال وضم الخاء المعجمة ، قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : هو موضعٌ اختُلف فى تحديده ، فقال محمد بن حبيب : الدَّخول وحومل فى بلاد أبى بكر بن كلاب . وأنشد لكثيِّر :

أمِنَ آلِ قَتلة بالدَّخول رُسومُ ... وبحوملٍ طللٌ يلوحُ قديمُ (١)

وقال أبو الحسن : الدَّخول وحَوْمل : بلدان بالشام . وأنشد : قفَا نبك البيتين . وقال أبو الفرج : هذه كلّها مواضع ما بين أمَرَة إلى أسود العين ، إلاّ أنَّ أبا عبيدة يقول : إنّ المِقراة ليس موضعاً ، وإنمّا يريد الحوض الذى يجتمع فيه الماء .

وقال فى (أمَرة):بفتح الهمزة والميم والراء المهملة : هى بلدٌ كريم سَهلٌ فى حِمَي ضَرِيَّةَ من ناحية البصرة ، وبينه وبين السِّتّار الذى هو جبلٌ من حِمى ضَرِيَّةَ خمسة أميال . وأسود العين : جبلٌ على طريقِ الحاج البصرىّ للمُصعِد ، بينه وبين حمى ضريَّة سبعة وعشرون ميلا ، فيكون ما بين أمَرة وأسودَ اثنين وعشرين ميلا .

وقال فى (حومل) : هو اسم رملةٍ تركب القُفّ ، وهى بأطراف الشَّقيق وناحية الحَزْن ، لبنى يربوع وبنى أسد .

وقال فى (توضح) : بضم أوله وكسر الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة : موضعٌ ما بين رمل السُّبَخَةِ وأُود . وقال الحربىّ : توضح من حِمَى ضَرِيَّة .

---

(١) ديوان كثير ٢٠٥ برواية : « أمن آل قيلة » . ولم يرد اسمها فى الديوان إلا مرة واحدة ، وبالياء المثناة التحتية .

وقال فى (أُود) : هو بضم الهمزة وبالدال المهملة : موضعٌ ببلاد مازن . وقال ابن حبيب : أُود لبنى يربوع بالحزن . وقيل أُودٌ والمِقراة : حَدَّا اليمامة . وفى شعر جرير أُود لبنى يربوع [١] .

وضبط المقراة ، هى بكسر الميم وإسكان القاف .

وقال التبريزى : هذه المواضع التى ذكرها ما بين أَمَرة إلى أسود العين ، وهو جبل ، وهى منازلُ بنى كلاب . والمقراة فى غير هذا الموضع : الغديرُ الذى يجتمع فيه الماء ، من قولهم : قريتُ الماءَ فى الحوض ، إذا جمعتَه .

وزُبالة بضَمِّ الزاى المعجمة بعدها باءٌ موحدة ، قال البكرى : بلد ، ويدلُّك أنّها قريب من زَرود قولُ الشماخ يصف ناقته :

وراحت رَواحاً مِنْ زرُودَ فنازعَتْ ... زُبالة جِلباباً من اللَّيل أخضرا [٢]

قال محمد بن سَهل : زبالة من أعمال المدينة ، سمِّيت بضبطها الماء وأخذِها منه كثيراً ؛ من قولهم : إنّ فلاناً لشديد الزَّبْل للقِرَب . وقال ابن الكلبى عن أبيه : سمِّيت بزبالة بنت مسعود من العماليق ، نزلت موضعَها فسمِّيت بها .

٤٠٤

وقال أيضا فى (الثَّعلبية) : بفتح الثاء المثلثة وسكون العين المهملة ، هى بئر منسوبة إلى ثعلبة بن مالك بن دُودانَ بن أسد ، هو أوَّل من احتفرها ، وهى من أعمال المدينة ، وهى ماءٌ لبنى أسد . وزرود : حَبْلُ رمل [٣] .

---

(١) ومنه قوله فى ديوانه ١٦٩ ، وهو مطلع قصيدة :

أهَــوًى أراكَ بِرامَتَيْــنِ وَقُــودا ... أم بالجُنَينَـةِ من مَدافــع أُودا

(٢) ديوان الشماخ ٣١ .

(٣) ط ومعجم البكرى : « جبَل رمل » ، صوابه ما أثبت من ش . ولا يكون الجبل رملا . وحبل الرمل : ما استطال منه وامتد . وقال ياقوت : « والزرد : البلع ، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب ، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة » .

وقوله : (لم يعف رسمها) هو فى موضع التعليل للبكاء ، لأنّه لو عفت هذه المواضع أو عفا رسمُها لاستراح العاشق ، وفى بقائها أشدُّ حزنٍ له ، كقول ابن أحمر :

ألاَ ليتَ المنـازِلَ قد بَلِينـا   فلا يَرمِينَ عن شُزُنٍ حزينا (١)

أى فلا يرمين عن تحرُّف . يقال شَزَن فلانٌ ثم رمَى ، أى تحرَّف فى إحد شِقَّيه ، وذلك أشدُّ لرميه ، أى ليتها بليتْ حتّى لا تَرمِىَ قلوبَنا بالأحزان والأوجاع . وعفا الشئ يعفُو عَفْواً وعُفُوًّا وعَفَاء : درس وانمحَى. وعَفَاهُ غيرُه : درسَه . والرسم : ما لصِق بالأرض من آثار الديار ، مِثل البعَر والرَّمَاد .

وقوله : (لِمَا نسجَتْها) تعليلٌ لعدم العفَاء والامِّحاء . قال الأصمعى : إنّ الرِّيحين إذا اختلفتَا على الرسم لم يَعفُواه ، فلو دامت عليه واحدةٌ لعفَتْه ؛ لأنّ الريحَ الواحدة تَسفِي على الرسم فيدرُس ، وإذا اعتورته ريحان فسفَتْ عليه إحداهما فغطَّته ثم هبَّت الأخرى كشفت عن الرَّسم ما سفَت الأُخرى ، فيكون نسجُ الرِّيحين اختلافَهما بالتُّراب ، فواحدة تُغطِّى والأخرى تَكشف . وقيل : معناه لم يعفُ رسمها للرِّيح وحدَها ، إنمّا عفا للرِّيح والمطرِ وترادُفِ السِّنين . وقيل : معناه لم يعفُ رسمُ حبِّها من قلبى وإن نسجَتْها الرِّيحانِ فعفَتها مع الأمطار والسنين . والمعنى الجيِّدُ هو الأوّل . وفاعل نسجت ضمير ما ، و « ها » ضمير المواضع الأربعة . ومن بيانٌ لما ، فتكون ما عبارةً عن ريح الجنوب والشمال ، وهما ريحانِ متقابلان .

صاحب الشاهد

وهذانِ البيتان أوّل معلقة امرئ القيس ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب (٢) . وتقدَّم أيضا شرح غالب هذه القصيدة فى مواضعَ متعدِّدة مع بيان سبب نَظْمها .

---

(١) ديوان ابن أحمر ١٥٦ وأمالى المرتضى ٢ : ١٩٣ .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .

ومصراعُ البيت الأوّلِ مُدِحَ بحسن الابتداء ، وعجزُه غير ملائمٍ له .
والممدوحُ مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الذبيانيّ :

كِلِينى لهَمٍّ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطىءِ الكواكبِ

وتقدَّم بيانُ حسنهِ فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة [١] .

قال ابن أبى الإصبع (فى تحرير التحبير [٢]) : لعمرى لقد أحسن ابنُ المعتزّ فى اختياره بَيْتَ النابغة لحسن الابتداء ، فإنّى أظنّه نظَّر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرىء القيس ، فرأى ابتداءَ امرىءِ القيس على تقدُّمه وكثرة معانى ابتدائِه ، متفاوتُ القسمين جِدًّا ، لأنّ صدر البيت جَمعَ بين عذوبة اللفظ وسهولة السَّبك وكثرةِ المعانى بالنسبة إلى العَجُز ، وألفاظ العجُزِ غريبةٌ بالنسبة إلى ألفاظ الصدر ، بخلاف بيت النابغة ؛ فإنّه لا تفاوُت بين قسميه . فثبت أنَّ بيت امرىء القيس وإن كان أكثر معان [٣] من بيت النابغة فبيت النابغة أفضلُ من جهة ملايمة ألفاظه [٤] ، ومساواة قسميه . وإنمّا عظَّم ابتداء معلقة امرىء القيس فى النفوس الاقتصارُ على سماع صدر البيت ، فإنّه يشغل الفكر بحُسنه عن النظر فى ملايمة عجزه أو عدم ملايمته [٤] ، وهو الذى قيل عند سماعه للمنشِد : حسبُك فإنّ قائل هذا الكلام أشعر الناس ، لأنّه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيبَ والمنزل فى شطر بيت ، ولم يُستَنْشَد العجز شغلاً بحسن الصَّدر عنه . وإذا تأمل الناظرُ فى النَّقد البيتَ بكماله ظهرَ له تفاوتُ القسمين . انتهى .

٤٠٥

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٢٥ – ٣٢٨ .
(٢) تحرير التحبير ١٦٨ – ١٦٩ .
(٣) وكذا فى تحرير التحبير بحذف الفتحة من آخر الاسم المنصوب تشبيها له بالمرفوع والمجرور . وقال المبرد : هو من أحسن ضرورات الشعر . الأشمونى ١ : ١٠١ . وعقب عليه الصبان بقوله : « الأصح جوازه فى السعة ، بدليل قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم ، بسكون الياء » . الصبان ١ : ١٠١ .
(٤) كذا بالتسهيل فى النسختين . وفى تحرير التحبير : « ملاءمة » بالهمز .

ولعمرى لقد أحسن الإمام الباقِلاّنى (فى كتاب إعجاز القرآن) بإطالة لسانه بتزييف هذا المطلع حيث قال : الذين يتعصبون لامرئ القيس ويدّعون محاسن الشعر يقولون : هذا من البديع ، لأنّه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب ، وتوجَّع واستوجع ، كلّه فى بيتٍ ، ونحو ذلك . وإنمّا بيَّنّا هذا لئلاّ يقع لك ذهابُنا عن مواضع المحاسن إن كانت ، ولا غفلتُنا عن مواضع الصِّناعة إنْ وُجدت . تأمَّل ، أرشدَك الله ، تَعْلَمْ أنّه ليس فى البيتين شىءٌ قد سبق فى مَيْدانه شاعراً ، ولا تقدَّم به صانعا . وفى لفظه ومعناهُ خَلَلٌ ، فأوّلُ ذلك أنّه استوقفَ من يبكى لذكر الحبيب ، وذكراه لا يقتضى بكاء الخلىّ ، وإنَّما يصحُّ طلبُ الإسْعاد (١) فى مثل هذا على أن يبكىَ لبكائه ، ويرقّ لصديقه فى شدّةِ بُرَحائه . فأمّا أنْ يبكىَ على حبيب صديقِه ، وعشيقِ رفيقه ، فأمرٌ محال . فإنْ كان المطلوب وقوفَه وبكاءه أيضا عاشقا صحَّ الكلام وفسَد المعنى ، لأنّه من السُّخف أن لا يغار على حبيبه ، وأن يدعوَ غيرَه إلى التغازُل عليه ، والتواجُدِ معه فيه .

ثم فى البيتين مالا يفُيد ، من ذكر هذه المواضع ، وتسمية هذه الأماكن من الدَّخول وحومل ، وتوضح والمقراة ، وسِقط اللوَى ، وقد كان يكفيه أن يذكر فى التعريف بعضَ هذا ، وهذا التطويلُ إذا لم يُفِدْ كان ضرباً من العِىّ .

ثم إنّ قوله : « لم يعفُ رسمها » ذكر الأصمعىّ من محاسنه أنّه باقٍ فنحن نحزن على مشاهدته ، فلو عَفا لاسترحْنا .

وهذا بأن يكون من مساويه أولى ، لأنّه إن كان صادق الوُدّ فلا يزيده عفاءُ الرسوم إلاّ جدَّةَ عهد ، وشِدَّةَ وجد . وإنمّا فزِع الأصمَعىُّ إلى إفادة هذه الفائدة خشيةَ أن يُعاب عليه فيقال : أىُّ فائدةٍ لأنْ يعرِّفَنا أنّه لم يعف رسمُ منازل

(١) الإسعاد : المعونة ، أسعده : أعانه . وفى ط : « الإشعار » صوابه فى ش وإعجاز القرآن ٢٤٤ .

حبيبِه، وأىُّ معنىً لهذا الحشو ؟ فذكَر ما يمكن أن يُذكَر ، ولكنْ لم يخلّصه بانتصارِه [١] ، من الخلل .

ثم فى هذه الكلمة خللٌ آخر ؛ لأنّه عقَّب البيتَ بأن قال :

* فهل عند رسم دارسٍ من معوَّلِ *

فذكر أبو عبيدة أنَّه رجع فأكذَبَ نفسَه ، كما قال زهير :

قِفْ بالدِّيار التى لَم يَعْفُها القِدَمُ   نَعَمْ وغيَّرهـا الأرواحُ والدِّيَـمُ [٢]

وقال غيره : أراد بالبيت الأوّل أنّه لم ينطمس أثرُه كلُّه ، وبالثّانى أنّه ذهب بعضُه ، حتى لا يتناقض الكلامان .

وليس فى هذا انتصار ، لأنّ معنى عفا : درس .

واعتذارُ أبى عبيدة أقرب لوْ صَحَّ ، ولكن لم يَرد هذا القولُ مَورِدَ الاستدراك على ما قاله زهير [٣] ، فهو إلى الخلل أقرب .

وقوله : « لمَا نسجَتْها » كان ينبغى أن يقول : لِما نسَجَها ، ولكنه تعسَّفَ فجعل ما فى تأويل تأنيث ، لأنّها فى معنى الرِّيح ، والأوْلَى التذكير دون التأنيث ، وضرورة الشِّعر قد دلَّتْه على هذا التعسُّف .

وقوله : « لمْ يعف رسمُها » كان الأولَى أن يقول : لم يعف رسمه ، لأنّه ذَكَر المنزل . فإن كان ردَّ ذلك إلى هذهِ البقاع والأماكن التى المنزلُ واقعٌ بينَها ، فذلك خَللٌ ، لأنَّه إنمّا يريد صفة المنزل الذى نزلَه حبيبُه بعفائِه ، أو بأنّه لم يعفُ ٤٠٦

(١) نص الإعجاز : « بانتصاره له » .
(٢) ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ برواية : « بلى وغيرها » فيهما .
(٣) وكذا فى إعجاز القرآن ٢٤٦ ، « لم يرد » من الورود .

دون ما جاوره . وإن أراد بالمنزل الدارَ حتّى أنّثَ فذلك أيضاً خللٌ . ولو سَلِم من هذا كلِّه وممَّا نكرهُ ذِكرَه كراهيةَ التّطويل ، لم نشكَّ فى أنّ شعْرَ أهْلِ زماننا لا يقصُر عن البيتين ، بل يزيد عليهما ويَفضُلهما .

انتهى ما أوردهُ الباقِلاَّنىّ (١) ، ولا يخفى ما فى بعضه من التعسُّف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٨٨ (أيادار سَلمى بِالحَرُوريَّة اسلمي إلى جانب الصَّمَّـانِ فالمتثلَّمِ
أقامت به البَرْدَيْنِ ثم تذكَّرتْ منازلَهـا بين الدَّخـول فجُرثُـمِ
ومَسكنُها بين الفُرات إلى اللِّوَى إلى شُعَبٍ تَرْعَى بهنَّ فعيَهْمِ)

على أنّه يستعمل فى تحديد الأماكن (إلى) محذوفاً منها العاطفُ كما فى البيت الأخير ؛ فإنَّ واو العطف محذوفة من إلى الثانية على خلاف القياس .

وظاهر كلامه أنَّ الواو لا تستعمل مع إلى فى التحديد المذكور . ولم يقل به أحد ، وإن لم يكن هذا الظاهر مرادَه ، فكان ينبغى له أن يقول : « يجوز » بدل يستعمل . على أنَّ ذكر تحديد الأماكن لا فائدة فيه ، لأنَّ مثله من قبيل حذف الواو العاطفة ، وفيه قولان :

الجواز ، سمع أبو زيدٍ من العرب : أكلتُ خبزاً ، لحما ، تمرا . وهو مذهبُ الفارسىِّ ومن تبعه .

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ٢٤٤ - ٢٤٧ . ط : « ما أورد الباقلانى » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) الأغانى ٤ : ١٢٦ وابن الشجرى ١ : ١١٧ وديوان الجعدى ١٣٧ .

والمنع ، وهو قول ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) ومَن تبعه ، وتأوَّل ما ذُكر على أنّه من بدل البَدَاء .

وكان ينبغى الاكتفاءُ بالبيت الثالث لأنّه موضع الشاهد وحذفُ ما قبله .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الجَعدىّ الصَّحَابىّ ، كذا أوردها الأصبهانى (فى الأغانى) ، وزاد بعدها بيتا ، وهو :

(ليالىَ تصطاد الرِّجالَ بفاحمٍ وأبيضَ كالإغريضِ لم يتثلَّمِ)

ورواها ابن الشجرىّ (فى أماليه) كذا :

أبيات الشاهد

(أيا دارَ سَلْمَى بالحُزونِ ألا اسلَمِى نُحَيِّيكِ عن شَحط وإنْ لمْ تكلَّمِى[1]
عَفت بعد حىّ من سُليمٍ وعامر تفانَوْا ودقُّوا بينهمْ عِطرَ مَنشِمِ
ومسكنُها بين الفُرات إلى اللِّوى إلى شُعَبٍ تَرعى بهنَّ فَعَيهمِ[2]
أقامَتْ به البردَينِ ثم تذَكَّرتْ منازلَها بين الجِواء فجُرثُم
ليالىَ تصطاد الرِّجالَ بفاحمٍ وأبيضَ كالإغريض لم يتثلَّمِ)

ولنتكلَّمْ على الرواية الأولى أوّلاً فنقول : (أيا) حرف نداء . و (الدار) : المنزل ، مؤنّث سماعى . وسلمى:اسم امرأة . والباء من قوله (بالحَرُوريَّة) متعلقة بمحذوف حال من دار . وأراد : بالرَّملة الحروريَّة ، فإنّ حروراء بالمدّ ويقصر بالمهملات : اسم رملةٍ وَعْثة بناحية الدَّهناءِ[3] ، بفتح الدال وسكون الهاء بعدها نون ، يمدّ ويقصر . قال ابن حبيب : الدهناء : رمالٌ فى طريق اليمامة إلى مكّة ، وهى منازلُ بنى تميم لا يُعَرف طولُها ، وأمّا عرضُها فثلاث ليال . وهى على أربعة

٤٠٧

(١) بالحزون ، انفرد بها ابن الشجرى ، وهى جمع حزن بالفتح .

(٢) الديوان : « بينَ الغروب » ، وهو موضع لم يعينه ياقوت .

(٣) ط : « الدهنا » بالقصر ، فى هذا الموضع وسائر المواضع التالية .

ليال من هجَر . ويقال فى المثل : « أوسع من الدَّهْناء » . كذا فى معجم البكرى . والحَرُوراء أيضاً : قرية بظاهر الكوفة ينسب إليها الحَرُوريَّة ، وهى طائفةٌ من الخوارج كان أوّل اجتماعهم بها وتحكيمُهم ، حين خالفوا عليًّا رضى الله عنه . والنِّسبة إليه حَرُوريٌّ . كذا فى العباب للصاغانى . وهذه الكلمة لم يوردْها البكريُّ (فى معجمه) . وليس المراد قَريةَ الكوفة وإلاَّ لقال : بحروراء . وقوله : (اسلمى) دعاءٌ لدار سلمى بالسَّلامة لها . وقوله : (إلى جانب) حال من دار أيضا ، أى ممتدّة إلى جانب (الصَّمَّان) بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم . قال البكرى (فى معجمه) : هو جبل يَنْقاد ثلاث ليالٍ ، وليس له ارتفاعٌ سوى الصَّمَّان لصَلابته . وتخرجُ من البصرة على طريق المنكدِر لِمَنْ أراد مكّة ، فتسير إلى كاظمة ثلاثاً ، ثم إلى الدَّوِّ ثلاثا ، ثم إلى الصَّمَّان ثلاثا ، ثم إلى الدهناء ثلاثا . وقوله : (فالمتثلم) معطوف على جانب ، قال البكرى : هو بضم أوَّله وفتح ثانيه وفتح الثاء المثلثة وفتح اللام المشدَّدة [1] : موضعٌ بالعالية . انتهى . والعالية : ما فوق نجد إلى تهامة . ولم يذكرها البكريُّ (فى معجمه) .

وقوله : (أقامت به البَرَدَين) بفتح الموحدة : مثنّى برد ، وأراد به طرفَي الشِّتاء . والبَرْدان أيضا : الغداة والعشيّ . ويجب أن يكون هذا البيت بعد قوله : « ومسكنها » البيت ، ليعود ضمير به إلى المسكن ، كما فى رواية ابن الشجرى ، وإلاَّ كان ينبغى أن يقول : أقامت بها البردين ليعود ضمير بها إلى الدّار ، فإنَّها مؤنثة كما ذكرنا . وإن أرجعنا ضمير به إليها باعتبار المنزل فهو تعسُّف . وقوله : (بين الدَّخول فجُرثُم) أى بين مواضع الدخول فمواضع جرثم . والدَّخول تقدَّم

---

(١) وضبط فى معجم ياقوت بكسر اللام المشددة ، وهى رواية أهل الحجاز كما فى التاج واللسان (ثلم) . وفى التاج أيضا أن فتح اللام رواية أهل المدينة ، وهى اللغة التى اقتصر عليها صاحب القاموس . وانظر ديوان زهير ٤ .

شرحه فى الشاهد المتقدّم ، والرواية الصحيحة : « بين الجِواء فجُرثم » . قال البكرى (فى معجمه) : جُرثم بضم الجيم وسكون الراء وضم المثلثة ، قال أبو سعيد : هو ماءٌ من مياه بنى أسد ، ثم من بنى فقعس . وجُرثم تجاه الجِواء ، يدلُّ على ذلك قولُ الجعدىّ :

أقامت بهِ البردينِ ثم تذكَّرَتْ　　منازلَهَا بين الجِواءِ فجُرثُمِ

وقال فى (الجواء) : هو بكسر الجيم بعدها واو ، وبالمدّ : جبل يلى رَحرحان ، بينه وبين الرَّبَذة ثمانية فراسخ . وقد ذكرته فى رسم الربذة . وذَكر فيها : هى بفتح الراء والموحَّدة والذال المعجمة ، هى التى جعلها عُمر رضى الله عنه حِمىً لإبل الصَّدقة . وأوّل أجبُل حِمى الرَّبَذة فى غربيِّها : رَحْرَحان ، بينهما بريدان ، ويلى رحرحان من غربيِّه جبلٌ يقال له الجواء ، وهو على طريق الرَّبَذة إلى المدينة المنوَّرة ، بينه وبين الرَّبذة أحدٌ وعشرون ميلا[١] . وليس بالجواء ماءٌ ، وأقرب المياه إليه ماءٌ للسُّلطان يقال له العزَّافة ، بأبرق العَزَّاف [٢] بينه وبين الجواء ثلاثة أميال . انتهى .

ووجه العطف بالفاء فى البيتين قد شرحه الشارح فى البيت الآتى .

وقوله : (ومسكنُها بين الفرات [٣]) إلخ بعد أن خاطب الدار بالنّداء ودعا لها ، التفت إلى الإخبار عن مسكن حبيبته فقال : ومسكنها بين الفرات ، هو مبتدأ وخبر . والفرات : نهرُ الكوفة . وأراد بين مواضع الفرات . وفى الأغانى وبعض نسخ هذا الشرح : « العروب » بدل الفرات ، وهو تحريف منه . وقوله (إلى اللوى)

---

(١) وكذا وردت العبارة فى معجم البكرى ٦٣٤ . وفى اللسان (وحد ٤٦٠) : « وإحدى فى ابتداء العدد تجرى مجرى واحد فى قولك : أحد وعشرون ، كما يقال واحد وعشرون » .

(٢) فى النسختين : « يقال له العذافة بأبرق العذاف » بالذال فيهما ، وصوابه بالزاى كما فى معجم البكرى .

(٣) الكلام بعده إلى « الفرات » التالية ساقط من ش .

متعلّق بحال محذوفة ، وصاحب الحال الضمير المستقِرّ فى بين ، أى ممتدًّا إلى اللوى ، بكسر اللام والقصر ، وهو كما قال التَّوَّزىُّ : موضعٌ معروف من أرض بنى تميم . وقوله (إلى شُعَب) معطوف بواو محذوفة . والشُّعَب : جمع شُعبة ، وهو مَسِيلُ ماء من ارتفاعٍ إلى بطن الوادى ، أصغَر من التَّلعة . قاله ابن الشجرى . ٤٠٨

و (تَرعَى) فعل مضارع وفاعله مستتر ضمير سَلمى ، وهو من رعيت الماشية أرعاها رَعْياً ، إذا أخذتَها إلى المرعَى . ويقال أيضا رعت الماشية تَرعى رعياً فهى راعية ، إذا سَرَحَتْ بنفْسها ، يستعمل متعدّيا ولازما . كذا فى المصباح . وضمير (بهنَّ) للشُّعَب . ومفعول تَرعَى محذوف ، أى ترعى ماشيتَها فى الشُّعب لكونِ نبتِه أوفَر . فالباء فى بهنّ ظرفية متعلّقة بتَرْعَى ، وجملة تَرْعَى صفة لشُعب . ورأيت فى هامش بعض نُسخ هذا الشرح : تُرعَى بضم أوّله وفتح العين : اسم موضع ، منقول من الفعل ، ومثله تُوضِح . انتهى.وهو خطأ واضح ، على أنَّه غير موجودٍ هذا المكان فى معجم البكرى وغيره .

وقوله : (فعَيهم) أى فإلى عيهم ، بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء . قال البكرىُّ : هو جبلٌ بالغَور بين مكة والعِراق ، وقد ذكرتُه فى رسم (بِيشَة) . وقال فيها : هى بكسر الموحدة والشين المعجمة : وادٍ من أودية تهامة . ولم يُجْرِ لعَيْهم فيها ذكرًا البتّة . وأمّا رواية ابنِ الشجرى فنقول : قوله :

* أيا دارَ سلمى بالحُزون ألاَ اسلَمِى *

الحزون : جمع حَزْن ، بفتح الحاء المهملة وسكونْ الزاء المعجمة ، وهو ما غلظُ من الأرض ، وهو خلاف السَّهل . وكأنّه أراد حزْن بنى يربوع ، فجمَعَه بما حوله . وليس الحُزون اسمَ موضعٍ بعينه . قال البكرى : حزن بنى يربوع : قُفٌّ غليظ مسيرة ثَلاث ليال . وقال السُّكَّرىُّ (فى أشعار اللُّصوص) : الحزْن بلاد بنى

يربوع ، وهى أطيب البادية مَرعىً ، ثم الصَّمَّان . وقال حُنَيفُ الحناتِم [1] : « من قاظَ الشَّرَف ، وتربَّع الحَزْنَ ، وتشتَّى الصَّمَّانَ ، فقد أصاب المرعَى » . والشَّرَف : من بلاد بنى نُمير .

و (ألا) : حرف تنبيه . و (اسلمى) فعل أمرٍ مسند إلى ضمير الدار . دعا لها بالسَّلامة . وقوله :

* نُحَيِّيكِ عن شَحْطٍ وإنْ لم تَكَلَّمى *

نحيِّيك من التحية . قال صاحب المصباح : حَيَّاهُ تحيَّةً أصلُه الدُّعاء بالحياة ، ثم كثُر حتَّى استُعمل فى مطلق الدعاء ، ثم استعمله الشرع فى دعاءٍ مخصوص ، وهو : سلامٌ عليك . انتهى . والشَّحْط : البُعد ، وفعله من باب منع . وقوله : (وإنْ لم تَكلَّمى) أصله تتكلمى بتاءين . قال ابن الشّجرىّ : خاطب الدَّار بقوله : أيا دارَ سلمى ، وبقوله : اسلمى ، وبما بعده ، ثم انصرفَ عن خطابها إلى إضمار الغيبة فى قوله : عفت . انتهى. ولم يزدْ على هذا شيئا .

وقوله : (عفت) بمعنى درست وذهبَ آثارها . وقال ابن الشجرى : وسُليم وعامر اللذان ذكرهما : سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان ، وعامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة المذكور . وأراد بمَنْشِمِ امرأةً من خزاعة يقال لها مَنْشِمُ بنت الوَجيه ، كانت تبيع العِطر فى الجاهليَّة ، فلما وقعت الحربُ بين جُرهم وخزاعة كانت إذا حضر القتال

---

(١) حنيف الحناتم : أحد فصحاء الأعراب ، قال أبو فيد مؤرج السدوسى ٧٢ : « أحد بنى حَنْتم بن عدى بن الحارث بن تيم الله ، كان ظمء إبله غِبًّا بعد عِشْر ، وأظماء الناس غب وظاهرة . والظاهرَة : كل يوم مرة » . ويقال فى أمثالهم : « آبل من حُنَيف الحناتم » ، و « أبأى من حنيف الحناتم » ، وهذا للمتكبر المعجب بنفسه . و « أدل من حنيف الحناتم » أيضا ؛ إذْ كان دليلا ماهرا بالدلالة . وانظر جمهرة العسكرى ١ : ٢٠٠ ، ٢٤١ ، ٤٥٦ وأمثال الميدانى ١ : ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٥٠ .

تجيء بالطِّيب مدقوقاً ، فتطيَّبُ به فِتيانَ خُزاعة ، وكان مَن مَسَّ من ذلك الطِّيب شيئاً لم يرجع من يومِه إلاّ جريحا أو قتيلا . فضربت العربُ المثَلَ بعطرها فى الشؤم . انتهى .

وقد استقصينا الكلامَ فى (مَنْشِم) فى شرح أبياتٍ من معلقة زهير من باب الاشتغال [(١)] .

٤٠٩ وقوله : (أفاءت به) قد تقدَّم شرحه مع ما قبله . قال ابن الشجرىّ : أضمر المسكن بعد إضمار الشُّعب .

وقوله : (ليالىَ تصطاد) إلخ ظرف متعلّق بأقامَتْ . والفاحم : الشعر الأسود كالفحم . وقوله : (وأبيض) أى بثغرٍ واضح برّاق كالإغريض ، وهو طَلْع النخل ، شبَّه أسنانها به .

وتقدَّمت ترجمة النابغة الجعدى فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [(٢)] .

وفى قصيدةٍ لجابر بن حُنّي التَّغلَبىّ بيتان على نمط شِعر الجعدىّ ، فى خطاب الدار ، وهما :

فيَا دار سَلمى بالصَّرِيمةِ فاللِّوَى ... إلى مَدْفعِ القِيقاءِ فالمتثلَّـمِ [(٣)]
أقامت بها بالصَّيف ثم تذكَّرتْ ... مصايرَهـا بين الجِـواء فعَيهَـمِ

وهى مذكورة فى المفضَّليات . قال شارحها ابن الأنبارى : القِيقاء : جمع قِيقاءة ، وهو ما غلظ من الأرض فى ارتفاع . ومصايرهَا : مواضعها التى تصير إليها فى الشتاء . والجِواء وعَيْهَم : موضعان .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٧ — ٨ .
(٢) الخزانة ٣ : ١٦٧ — ١٧٢ .
(٣) المفضليات ٢٠٩ — ٢١٠ . والمتثلّم بتشديد اللام المفتوحة فى لغة أهل المدينة ، وبتشديد المكسورة فى لغة أهل الحجاز .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٨٨٩ (يادارَ مَيَّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ)

هذا صدر وعجزه :

(أقوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمَدِ)

على أنَّ (الفاء) فيه لإفادة الترتيب فى الذّكر ، فتكون عاطفة على معناها . ولم يمكن جعلها بمعنى إلى كما تقدَّم فى أول التخريجين فى بيت امرئ القيس ، لعدم ظهور الغاية .

وقصَد بهذا الرَّدَّ على الجرميِّ فى زعمه أنَّ الفاء فى الأماكن لمطلق الجمع كالواو ، فلا تدلُّ على ترتيب ، لأنَّ الحرف وغيره إذا أمكن بقاؤه على ما وُضع له فلا يُعدَل إلى خلافه . و (العَلياء) ، و (السَّند) كلٌّ منهما ليس اسم مَكانٍ بعينه ، قال صاحب الصحاح : العَلياء : كلُّ مكانٍ مشرف ، وهو بفتح العين والمدّ . وقال صاحب العباب : السَّند ، بالتحريك : ما قابلَك من الجبل وعَلا عَن السفح (٢) . وأنشد هذا البيت . ولهذا لم يذكر البكرى العَلياء (فى معجمه) ، لكن أورد السَّنَد فقال : هو بفتح أوله وثانيه : ماء بتِهامة معروف ، وهو الذى عنَى النابغةُ بقوله :

* يا دار ميَّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ *

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر مجالس ثعلب ٥٠٣ والجمل ٢٣٩ والمحتسب ١ : ٢٥١ ومختصر القوافى لابن جنى ٢٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٧٤/ ٢ : ٨٢ والعيون الغامزة للدمامينى ٢٤٤ والعينى ٤ : ٣١٥ والتصريح ١ : ١٤٠/٢ : ٢٤٣ والهمع ١ : ٨٥ ، ٢٤٣ والأشمونى ١ : ٢١٠ وديوان النابغة ١٥ .

(٢) ط : « من السّفح » ، وأثبت ما فى ش واللسان .

وقد حدَّده الأحوص فى قوله :

غَشِيتُ الـــدارَ بالسَّنَـــــد دُوَيـنَ الشِّعب من أُحُـدِ (١)

وقال أبو بكر : سَنَدٌ : ماء معروف لبنى سَعد . انتهى . وهذا غير ذاك .

قال أبو على (فى المسائل البصرية) : مسألة :

* يادارَ مَيَّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ *

و: * يا دار ميَّة بالعلياء غَيَّرَها (٢) *

الجارُّ متعلّق بأقوت وبغيَّرَها ، لأنَّ دار مية معرفة فلا يكون الفعل صفةً .
فأمّا قوله :

* أدارًا بحُزْوَى هجتِ للعَين عَبرةً (٣) *

فلا يكون بحزوى إلاّ متعلِّقا بمحذوف . ألا ترى أنّ داراً نكرة . ويجوز فى الأوّلين أن يكون الجار متعلِّقا بمحذوف فيكون فى موضع حال ، كقوله :

* يا بؤسَ للجهلِ ضَرّاراً لِأَقوامِ (٤) *

ولا يجوز عندى فى قوله :

* ألا يَابيت بالعَلياء بيتُ (٥) *

---

(١) ديوان الأحوص ٧٦ عن معجم البكرى .

(٢) لم أهتد إلى قائله ولا إلى تتمته .

(٣) صدر بيت لذى الرمة فى ديوانه ٣٨٩ ، وهو الشاهد ١١٣ . وعجزه :

* فماء الهوى يرفض أو يترقرق *

(٤) للنابغة فى ديوانه ٧١ ، وهو الشاهد ١٠٤ من الخزانة . وصدره :

* قالت بنو عامر خالوا بنى أسد *

(٥) صدر بيت لعمرو بن قنعاس فى كتاب سيبويه ١ : ٣١٢ . وعجزه :

* ولولا حب أهلك ما أتيت *

أن يكون متعلقا بمحذوف على أن يكون حالاً ، ولكن متعلق بمحذوف، [على] نحو : فى الدار رجل ، لأنّه خبر بيتُ الثانى ، ويكون أقوَتْ وغيَّرها منقطعين ممَّا قبلهما ، كأنّه لما نادى أقبل على غيرها فخاطَبه . والدليل على كون الظرف حالاً فى بيت ذى الرمة ، وأنّه يجوز أنْ لا يكون متعلّقا بالفعل الذى هو غيَّرها قولُه فى أخرى :

٤١٠

يا دار ميَّة بالخَلْصاءِ فالجَرَدِ سَقْياً وإنْ هِجْتِ أدنَى الشَّوقِ والكمَدِ[١]

فكما أنَّ هذا لا يكون إلاّ حالا كذلك قوله : « بالعَلْياء غيَّرها [٢] » يجوز أن يكون حالاً . فإن قلت : لم لا تجعل بالعلياء فى قولك :

* ألا يابيتُ بالعلياء بيت *

حالاً ، وتجعل بيت الثانى بدلاً من الأوّل ليخلُصَ الظرف حالا ؟ قلت : ذلك لا يجوز ، ألا ترى أنّه لا يستقيم أنْ تقول مبتدئاً : يا زيدُ ولولا عمراً أكرمت ، كما قال :

* ولولا حبُّ أهلِكَ ما أتيتُ *

وإن شئتَ أجَزْتَه كما قال :

يا ابنَ أمِّى ولو شَهِدتُك إذ تد عُو تميماً وأنتَ غير مُجابِ [٣]

ومنعه ابن جنى (فى المحتسب) فقال : وسألنى قديما بعضُ من كان يأخذ عنّى فقال : لم لا يكون « بيتُ » الثانى تكريراً على الأوّل ، كقولك : يا زيد زيد ، ويكون بالعلياء فى موضع الحال من البيت ، كما كان قول النابغة [٤] :

---

(١) ديوان ذى الرمة ١٤٣ برواية : « أدنى الشوق للكمد » .

(٢) قطعة من الشطر الماضى فى الصفحة السابقة . وفى ش : « بالخلصاء غير » ، تحريف .

(٣) مجهول القائل كما فى معجم الشواهد .

(٤) ط : « كما فى قول النابغة » ، وأثبت ما فى ش والمحتسب ١ : ٢٥١ .

* يادار ميَّة بالعلياء فالسَّنَدِ *

قولُه : بالعلياء ، فى موضع الحال ، أى يا دار ميَّةَ عاليةً مرتفعة ، فيكون كقوله :

* يا بؤسَ للجهلِ ضَرَّاراً لِأقوامِ *

هذا معنى ما أورده بعد أن سدَّدت السؤال ومكَّنته . فقلت : لا يجوز ذلك هنا ، وذلك أنّه لو كان البيت الثانى تكريراً على الأوّل لقال :

* لولا حبُّ أهلِكَ ما أتيتُ *

فيكون كقولك : يا زيد لولا مكانكُ ما فعلت كذا . وأنتَ لا تقولُ : يا زيد ولولا مكانك لم أفعل كذا . فإذا بطل هذا ثبت ما قاله صاحبُ الكتاب من كونه كلاماً بعد كلام ، وجُملةً تتلو جملة . وهذا واضح .

انتهى كلامه ، وكأنَّه لم يستحضر آخرَ كلام أبى علىّ .

وقد غفَل العينىُّ عن حكم وقوع الظرف بعد المعرفة بجعله حالاً منها ، فقال : بالعلياء محلُّها النصب على أنّها صفة لدارِ مَيَّة ، والتقدير الكائنة بالعلياء . وهذا تحريره ، والبعرة تدلُّ على البعير .

و (ميَّة) : اسم امرأة . و (أقوت) : خلت من السُّكَّانِ وأقفرت . وفيه التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة حيث لم يقل : أقويتِ . و (السالف) : الماضى . و (الأبَد) : الدهر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الذبيانى تقدَّم ذكرُ سببها مع شرح أبيات [1] من أوَّلها ، فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائتين [2] . وبعده :

---

(١) ش : « مع أبيات » بسقوط كلمة « شرح » .

(٢) الخزانة ٤ : ٥ — ٨ .

أبيات الشاهد

(وقفتُ فيها أُصَيـلالاً أُسائلُهـا أعيَتْ جواباً وما بالدَّارِ من أحدِ

إلاّ الأواريُّ لأياً مَا أُبيِّنُهـــــا والنُّؤْىُ كالحوضِ بالمظلومة الجَلَدِ)

وهذه الأبيات الثلاثة أنشدها سيبويه فى باب الاستثناء . والشاهد فى البيت الثالث وهو رفع الأُواريّ فى لغة تميم ، ونصبه فى لغة الحجاز .

قال الأعلم : الشاهد فى قوله : إلاّ الأواريَّ ، بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنّها من غير جنس الأحد ، والرفع جائز على البدل من الموضع ، والتقدير : وما بالربع أحدٌ إلاّ الأواريّ ، على أن تُجعل من جنس الأحد اتِّساعا ومجازاً . انتهى .

وقد تقدم شرح البيت مفصّلاً فى الشاهد الثانى والسبعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وإذا هلكتُ فعندَ ذلِكِ فاجزَعِى)

على أنّ إحدى الفاءين زائدة . ولم يعيِّن الزائد .

قال أبو على (فى التذكرة القصرية):الفاء الأولى زائدة ، والثانية فاء الجزاء . ثم قال : اجعلِ الزائدَ أيَّهما شئت .

٤١١ وعيَّن القاضى (فى تفسيره) الأولى ، فإنَّه أورده البيت نظيراً لقوله تعالى : ﴿ فبِذَلك فليَفْرَحُوا (٢) ﴾ ، قال : الفاء فى فبذلك زائدة ، مثلها الفاءُ الداخلة على عند فى البيت . وتقديم « عندَ » للتخفيف كتقديم « ذلك » . وسيبويه لا يُثبتُ

---

(١) الخزانة ٤ : ١٢١ — ١٣٠ .

(٢) الآية ٥٨ من سورة يونس .

زيادةَ الفاء ، وحَكَمَ بزيادتها هُنا للضَّرورة . ومَنْ تبعه وجَّه ما أوهمَ الزيادة ، فوجَّهها صاحبُ اللباب بأنَّها إنمّا كُرِّرت هنا لبعُد العهد بالفاء الأولى ، كما كُرِّر العامل فى قوله [١] :

لقد عَلِمَ الحىُّ اليمانُونَ أنَّنى إذا قلتُ أمَّا بعدُ أنِّى خطيبُها

أُعِيدَ (أنِّى) لبُعْد العهد بأنَّنِى . انتهى .

وهذا لا يَطَّرِد له فى الآية .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(لا تَجزعِى إنْ مُنْفِسٌ أهلكتُه)

والبيت آخر قصيدةٍ للنَّمر بن تولب الصَّحابى ، وتقدَّم الكلامُ عليه مع شرح القصيدة وترجمتِه ، فى الشاهد السادس والأربعين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الثمانمائة [٣] :

٨٩٠ (إنَّ مَنْ سادَ ثُمَّ ساد أبوه ثم قد سَادَ قبلَ ذلك جدُّهْ)

على أنّ (ثُمَّ) فيه لمجرد الترتيب فى الذكر ، إلى آخره .

وهذا أحدُ أجوبةٍ ثلاثة عن إشكال ، وهو أنّ ثُمَّ هنا قد عطفت المتقدِّم على المتأخّر ، وهو عكس وضعها . فأجاب الفرّاء وهو ما ذكره الشارح ، بأنَّ ثُمَّ

---

(١) البيت لسحبان بن وائل ، كما سبق فى ١٠ : ٣٦٩ . وانظر فصل المقال ٤٩٧ .

(٢) الخزانة ١ : ٣١٤ — ٣٢٢ .

(٣) ديوان أبى نواس ١٢٢ والهمع ٢ : ١٣١ والمغنى ١١٧ والأشمونى ٣ : ٩٤ .

فيه للترتيب الذكريّ ، ويقال له الترتيب الإخبارى وترتيبُ اللَّفظ أيضا . وذلك أنّ الفاء وثمّ يكونان لترتيب الأفعال والأقوال ، وثُمَّ هنا لترتيب القول بحسب الذكر والإخبار والتَّلفُّظ . قال الفراء : ومنه : بلغنى ما صنعتَ اليومَ ، ثُمَّ ما صنعتَ أمسِ أعجبُ .

وإليه ذهب ابن مالك (فى التسهيل) فقال : وقد تقع ثم فى عطف المتقدِّم بالزمان ، اكتفاءً بترتيب اللفظ . انتهى .

وفى هذا الجواب اعترافٌ بأنّ ثُمَّ هنا للترتيب بدون تراخٍ ومُهلة كما صرح به الشارح ، وهو خلاف وضعها .

وأجاب ابن عصفور (وهو الجواب الثانى) بأنّ ثُمَّ هنا على بابها ، بتقدير أنّ الممدوح سادَ أوّلاً ، ثم ساد أبوهُ بسيادته ثم جدُّه . قال (فى شرح الجمل) : وما ذكره الفراء من أنَّ المقصود بثمّ ترتيب الأخبار لا ترتيب الشئ فى نفسه ، فكأنّه قال : اسمع منِّى هذا الذى هو [(١)] : بلغنى ما صنعت اليومَ ، ثم اسمع منِّى هذا الخبر الآخر الذى هو : ما صنعتَ أمسِ أعجب – ليس بشئ ، لأنَّ ثم تقتضى [(٢)] تأخير الثانى عن الأوّل بمهلة ، ولا مُهلةَ بين الإخبارين . وأمَّا قول الشاعر : إنّ من ساد البيت ، فينبغى أن يُحمل على ظاهره ، ويكون الجدُّ قد أتاه السُّودد من قبل الأب ، وأتى الأبَ من قِبَل الابن . وذلك ممّا يمُدح به ، وإن كان الأكثر فى كلامهم توارثَ السُّودَد ، ويكون البيت إذ ذاك ، مثل قول ابن الرُّومى :

قالوا : أبو الصَّقر من شَيبانَ قلتُ لهم : كَلاَّ لعمرى ، ولكنْ منه شَيبانُ[(٣)]
فكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرَا حسَبٍ كما عَلَتْ برسولِ الله عدنانُ. انتهى.

---

(١) ش : « هذا هو » .
(٢) ط : « يقتضى » .
(٣) المغنى ١١٨ .

قال المراديُّ (فى الجنى الدَّانى) : ما ذكره ابن عصفور فى تأويل البيت لا يساعد عليه قوله : « قبل ذلكَ » . انتهى .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : وذلك لأنّ مضمون الكلام على ما أجاب به ابن عصفور أنّ سودَد الابنِ سابقٌ لسُودَد الأب ، وسودَد الأبِ سابقٌ لسودد الجدّ ، والسابق للسابق لشيء سابقٌ لذلك الشَّيء ، فتكون سيادة الابن سابقةً لكلٍّ من سيادة أبيه وسيادة جدِّه ، وسيادة الأب سابقة لسيادة الجدّ . وقول الشاعر:قبل ذلك،منافٍ لهذا بلا شك . انتهى .

٤١٢

وأجاب بعضهم عن ابن عصفور بتمحُّمل ، وردَّ عليه . ويُرَدُّ عليه أيضاً بأنّ ثمّ تدلُّ على التراخى ، فما معنى التَّراخى والمهلة هنا ؟

وأجاب الأخفش (وهو الجواب الثالث) بأنَّ ثُمَّ هنا بمعنى الواو ، لمطلق الجمع . وردَّ عليه بعضُهم بأنّه لو صح جَرَيانُها مجرى الواو لجاز وقوعها حيث ما يصلُح إلاَّ معنى الواو ، فكان يقاْل اختصم زيد ثم عمرو ، كما يقال : اختصم زيد وعمرو . ولكنّ ذلك غير مقولٍ باتِّفاق . قال الشاطبى (فى شرح الألفيَّة) : قال الماوردى : الدليل على أنّ ثم لا تكون بمعنى الواو إجماعُ الفقهاء على أنَّه لا يجوز أن يقال : هذا بيُمنِ الله ويُمنك ، بالواو ، ولكنْ أجازوا أن يقال : هذا بيمن الله ثم يُمنك . قال : ولو كانت بمعنى الواوِ ما فرُّوا إليها . قال : وفى الحديث أنَّ بعض اليهود قال لأصحاب النبى ﷺ : تزعمون أنّكم لا تشركون بالله وأنتم تقولون : ما شاء الله وشئت ! فذُكر ذلك للنبى ﷺ فقال : « لا تقوَلُوها وقولوا : ما شاء الله ثمَّ شئتُ [1] » . حدَّث به قاسم بن أصبغ . انتهى .

---

(١) ورد الحديث برواية أخرى فى كل من نهاية ابن الأثير ١ : ٥١٧ ولسان العرب (شيأ ٩٨) مع ذكر اليهودى فيه . وفى سنن ابن ماجه ١ : ٦٨٥ أن رجلا من المسلمين رأى فى النوم أنه لقى رجلا من أهل الكتاب =

وأقول : هذا لا يَرِدُ على الأخفش ، فإنّه لم يدَّعِ أنّ ثم بمعنى الواو دائماً ، وإنمّا يريد قد تكون بمعناها فى بعض الموادّ ، وذلك على سبيل المجاز . ولا يخفى أنَّ البيت إذا حمل على قوله لم يَرِدْ عليه شىء .

قال الدمامينى : لا خفاء فى كون القائل بأنّ ثم تُستعمَل بدون ترتيب كالواو ، يقول بأنّ ذلك استعمالٌ مجازىٌّ ، ولا يشترط فى آحاد المجاز أن تُنقَل بأعيانها عن أهل اللغة ، بل يُكتفى بالعلاقة على المذهب المختار . والعلاقةُ المصحِّحةُ هنا الاتصال الذى بين هذين الحرفين ، من جهةِ أنَّ الواو لمطلق الجمع ، وثمّ لجمعٍ مُقيَّدٍ ، والمطلقُ داخل فى المقيَّد . فثبت أنّ بينهما اتّصالاً معنويا ، فجاز استعمال ثم بمعنى الواو مجازاً لذلك . وحينئذ فالسَّعى فى تأويل تلك الأمثلة ممَّا يصحِّح الترتيب فيها ، نظرٌ فى أمر جزئيّ لا يقتضى بُطلان المدَّعَى من أصله . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من شعرٍ مولَّد لا يُوثق به ، وأوَّله مغيَّر اشتهر به ، وهو أول أبياتٍ سبعةٍ لأبى نواسٍ الحسنِ بن هانئ ، مدحَ بها العبَّاسَ بنَ عُبيدِ الله بن أبى جعفر ، وهى :

أبيات الشاهد

قُل لمَنْ سادَ ثمَّ سادَ أبوه ... قبلَــه ثم قبــلَ ذلكَ جدُّه
وأبـو جَدِّه ، فسَادَ إلى أن ... يتـــلاقى نِزارُه ومعــــدُّه
ثُمَّ آبـاؤه إلى المبتــدا مِنْــ ... ـهُ أبٌ لا أبٌ وأمٌّ تعُدُّه (١)
يا ابن بُحبوحة البِطاح عُبيدِ اللـ ... ـهِ ، غوثاً مِن مُستغيثٍ تودُّه

= فقال نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، تقولون ما شاء الله وشاء محمد . وذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : أما والله إن كنتُ لأعرفها لكم . قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد » . أما أبو داود فى السنن ٤ : ٢٩٥ فإنه لم يذكر للحديث قصة واقتصر على قوله ﷺ : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاءَ فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » .

(١) فى الديوان : « من آدم » بدل « منه » . وفى ش : « من أب » .

فاهتبْل عندِىَ الصَّنِيعة واذخَرْ نى لقـولٍ أُجيـدهُ وأُجِـدُّه
واستزِدْنى إلى مكـارمك الغُـ ـرِّ وفضلٍ إليكَ خيَّمَ مجدُهْ (١)
عَبْدرِيٍّ إذا انتمى أَبْطَحِىٍّ تالدٍ نَسجُه عتيقٍ فِرِنْدُهْ

والعباس هذا : عمّ هارون الرَّشيد (٢) . ولم يعرفه ابن المُلاَّ (فى شرح المغنى) فقال : لعلَّه العباس بن المأمون بن الرشيد . وأبو نُواسٍ مات قبل أن يصير ابنُ المأمون فى عداد من يُمدَح . ٤١٣

والمأمون اسمه عبدُ الله ، وأبو الممدوح اسمهُ عُبيد الله بالتصغير ، كما فى الشعر .

وقوله : « وأبو جده » معطوف على جدّه . وقوله:« فسَادَ » ، يريد : مَن بقى من جُدودِهِ واحداً بعد واحدٍ ، إلى أن يلاقيَهُ جدُّه نزارُ بنُ معدّ بن عدنان ، وهو عمود النَّسب المحمَّدى ﷺ .

وزعم ابنُ الملاّ أنّ قوله : « وأبو جدِّه فسادَ » مبتدأ وخبر ، والفاء زائدة .

وقوله : « ثم آباؤه » ، أى بعد معدّ . وقوله « إلى المبتدا منه أبٌ » هو آدمُ عليه السلام ، خلقه الله من ترابٍ لا من أبٍ وأمّ . وقوله : « لا أبٌ وأمّ تعدُّه » ، أى لا له أبٌ تعدُّه ولا له أمٌّ تعدُّها .

و « عبيدِ الله » بالجرّ بدل من بُحبوحة . وقوله : « غوثا » منصوب بتقدير أطلب ، وهو اسم الإغاثة بمعنى الإغاثة بالنصر . وقوله : « مِن مستغيثٍ » أى من أجل مستغيث . وتودُّه : تحبُّه .

---

(١) فى الديوان : « ومجد إليك خيم مجده » .

(٢) المفهوم من الديوان أنه يمدح إبراهيم بن عبيد الله الحَجَبى . والحجبى ، بفتح الحاء والجيم نسبة إلى حجابة البيت المعظَّم ، وهم جماعة من عبد الدار ، كانت إليهم حجابة الكعبة ومفتاحها . أنساب السمعانى الورقة ١٥٧ .

وقوله : « فاهتبل » الاهتبال : الاغتنام . والصَّنيعة : الفعل الجميل . واذْخَرنى : أمرٌ مِنْ ذخرته ذَخرا ، من باب نفع ، إذا أعددَته لوقت الحاجة إليه ، والاسم الذُّخر بالضم . و « أجيدهُ » من الإجادة ، أى أُحسِّنه . و « أُجِدُّه » أى أُحدِثه جديداً .

وقوله : « واستزدنى إلى مكارمك » أى اجعلنى زيادةً مضمومة إلى مكارمك ، أى اجعلنى بعضَ مكارِمك ، أى أفعالك التى تُمدَح بها . والغُرّ : جمع أغرَّ وغرَّاء . والأغرُّ : الواضحُ المشهور . وقوله : « وفضلٍ » ، بالجر معطوف على مكارمك . وخَيَّمَ : أقامَ . والمجد : الشرف والعِزّ .

وقوله : « عبدريّ » بالجر صفة لفضل ، منسوب إلى عبدِ الدار ، وهو أحدُ أولاد قُصَىّ بن كلاب . وانتمى : انتسَب . وأبطحىّ بالجر أيضاً ، يريد أنَّه من قُريش البِطاح ، وهم أشرفُ من قُريش الظَّواهر . وقوله : « تالدٍ نسجُه » بالجر صفةٌ سببيَّة لفضل . ونسجُه فاعلُ تالد . والتالد : القديم الأُصلىّ . والهاء فى نسجهِ ضمير « فَضلٍ » . وعتيقٍ بالجر أيضا . والفرند ، بكسرتين : الجوهر والحُسْن .

وترجمة أبى نواس تقدَّمت فى الشاهد الثالث والخمسين من أوائل الكتاب (٣) .

* * *

(١) ش : « من أب » كما سبق فى الشعر .

(٢) الكلام بعده إلى « اجعلنى » التالية ساقط من ش .

(٣) الخزانة ١ : ٣٤٧ – ٣٤٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثمانمائة [1] :

٨٩١ (فلمَّا أجزْنا سَاحَةَ الحىِّ)

هو قطعة من بيت من معلَّقة امرىء القيس ، وهو :

(فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحىِّ وانْتحَى بنا بطنُ خَبْتٍ ذى قِفَافٍ عَقَنْقَلِ)

على أنَّ (الواو) فى قوله : (وانتحى) قيل زائدة وانتحى جواب لمّا . وأوَّلَهُ البصريُّون .

وهذا الخلاف فى البيت مبنىٌّ على أنَّ ما بعده هذا :

(إذا قلتُ هاتى نوِّلينى تمايَلَتْ علىَّ هَضِيمَ الكَشْحِ ريَّا المُخَلْخَلِ)

فإنَّ « لمَّا » فى البيت السابق تقتضى جواباً ، ولا شىءَ فى البيتين صالح لأنْ يكون جواباً . فقال الكوفيُّون : انتحى هو الجواب ، والواو زائدة . وقال البصريون : الواو عاطفةٌ والجواب محذوف تقديره : فلمَّا أجَزْنا وانتحى بنا بطن خبتٍ أمِنَّا ، أوْنِلْتُ مأمولى ، ونحوُ ذلك . والمشهور فى الرواية أنَّ ما بعد فَلمَّا أجزنا ... البيت ، هو هذا :

(هَصَرْتُ بفودَىْ رأسِها فتمايلَتْ علىَّ هضيمَ الكَشحِ ريَّا المُخَلخَلِ) ٤١٤

وعليها يكون هَصْرت جوابَ لمَّا عند الفريقين ، فلا زيادة ولا نقص .

واعلم أنَّ الكوفيِّين وجماعةً من البصريِّين أجازوا زيادة الواو . قال الفراء (فى تفسير سورة يوسف) : قوله تعالى : ﴿ فلمَّا جهَّزَهُمْ بجَهَازِهِمْ ﴾ ، ﴿ جَعَلَ السِّقَاية [2] ﴾ جوابٌ ، ورُبمَّا أُدخلت فى مثلها الواو وهى جوابٌ على حالها ،

(١) معانى الفراء ٢ : ٥٠ ، ٢١١ والمنصف ٣ : ٤١ والإنصاف ٤٥٧ والاقتضاب ٣٧٨ والمعلقات .

(٢) الآية ٧٠ من سورة يوسف . ويريد أن « جعل السقاية » هى الجواب .

كقوله فى أول السورة : ﴿ فلمَّا ذَهَبُوا به وأجمَعُوا أن يَجْعَلُوه فى غَيَابة الجُبّ وأوحينا إليهِ [١] ﴾ ، والمعنى والله أعلم أوحينا إليهْ . وهى فى قراءة عَبدِ الله : ﴿ فلمَّا جهَّزَهم بجَهَازِهم وجَعَل السِّقاية ﴾ . ومثله فى الكلام : لمَّا أتانى وأثِبُ عليه ، كأنه قال وثَبْتُ عليه . وقد جاء الشِّعر فى ذلك ، قال امرؤ القيس :

فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحَىِّ [وانتحى [٢]] ... البيت .

وقال آخر [٣] :

حتّى إذا قَمِلَتْ بطونُكمُ ورأيتـمُ أبنـاءكم شَبُّـوا
وقَلبتـمُ ظَهـرَ المِجـنِّ لنـا إنَّ اللئيمَ العاجِزُ الـخَبُّ

أراد : قلبتم .

وقال أيضا فى آخر تفسير سورة الأنبياء : وقوله تعالى : ﴿ واقتربَ الوَعْد الحَقُّ [٤] ﴾ معناه والله أعلم : حتّى إذا فتحت اقترب . ودخولُ الواو فى الجواب فى حتّى إذا ، بمنزلة قوله [تعالى [٥]] : ﴿ حتَّى إذا جاءُوها وفتِحت ﴾ ، وفى قراءة عبد الله : ﴿ فلما جهَّزهم بجَهَازهم وجَعَل السِّقاية ﴾ وفى قراءتنا بغير واو . ومثله فى الصَّافَّات : ﴿ فلمَّا أسْلَمَا وتَلَّهُ للجَبِين ونادَيناه [٦] ﴾ معناها ناديناه . وقال امرؤ القيس :

---

(١) الآية ١٥ من سورة يوسف . وانظر معانى القرآن ٢ : ٥٠ . وزيادة الواو فقط فى قراءة عبد الله . كما نقل الزمخشرى وابن عطيّة . وظن أبو حيان أن قراءة عبد الله عند الزمخشرى : « وجعل السقاية فى رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن » . تفسير أبى حيان ٥ : ٣٢٩ . وهو وهم من أبى حيان ، وإنما « أمهلهم حتى انطلقوا » من عبارة التفسير عند الزمخشرى ، وليست تكملة للقراءة .

(٢) التكملة من ش .

(٣) القائل مجهول . وانظر معجم الشواهد .

(٤) الآية ٩٧ من سورة الأنبياء . وانظر معانى الفراء ٢ : ٢١١ .

(٥) التكملة من ش .

(٦) الآيتين ١٠٣ ، ١٠٤ من الصافات .

* فلمّا أجزنا ساحةَ الحيِّ وانتَحَى * ... البيت .

يريد : انتحى . انتهى كلامه .

وقد أورد ابن الأنباريّ (فى مسائل الخلاف) كلامَ الفريقين ، فلا بأس بنقلِه مختصَراً ، قال : ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يَجوز أن تقع زائدةً . وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش ، وأبو العباس المبرِّد ، وأبو القاسم بنُ بَرْهان من البصريِّين . وذهب البَصريُّون إلى أنَّه لا يجوز .

واحتج الكوفيّون بقوله تعالى : ﴿ حتَّى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أبوابُها [١] ﴾ قالوا : فتحت جواب إذا والواوُ زائدة ، كما قال تعالى فى صفة سَوْقِ أهل النار إليها : ﴿ حتّى إذا جاءُوها فُتِحت أبوابها [٢] ﴾ ، وبقوله تعالى : ﴿ حتّى إذا فُتِحَتْ يأجُوجُ ومأجوجُ وهُمْ من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون * واقتربَ الوَعْدُ الحق [٣] ﴾ اقترب جواب إذا ، والواو زائدة . وبقوله تعالى : ﴿ إذا السَّماء انشقَّت * وأذِنَتْ لربِّها وحُقَّت [٤] ﴾ التقدير : أَذِنَتْ . وبِقول الشاعر :

* فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحيِّ * ... البيت .

وبقول آخر :

* حَتّى إذا قَمِلَتْ بُطونكمُ * ... البيتين .

وأجاب البصريون عن الآية الأولى بأنَّ التقدير : حتّى إذا جاءُوها وفتحت أبوابها فازوا ونَعِمُوا . وعن الآية الثانية بأنَّ التقدير : وهم من كلِّ حَدبٍ يَنسِلونَ

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الزمر .

(٢) الآية ٧١ من سورة الزمر . وهذه مجردة من الواو .

(٣) الآية ٩٦ ، ٩٧ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية ١ ، ٢ من سورة الانشقاق .

قالوا ياويلنا . وقيل الجواب : فإذا هى شاخصةٌ . وعن الثالثة بأنَّ التقدير : وأذِنَتْ لربِّها وحُقَّت يَرَى الإنسان الثوابَ والعقاب . وكذا يقدَّر فى قول الشاعر : فلمَّا أجزْنا وانتحى بنا بطنُ خبتٍ خَلوْنا ، ونعِمْنا . وقلبتُم ظهر المجنِّ لنا بانَ غدرُكم ولؤمُكم . وإنمّا حذف الجواب فى هذه المواضع للعلم به ، توخِّياً للإيجاز . وقد جاء حذفُ الجواب [(١)] . قال تعالى : ﴿ ولَوْ أنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ به الجبالُ أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرضُ أو كُلِّم به الموتَى [(٢)] ﴾ التقدير : لكان هذا القرآنُ . وقال تعالى : ﴿ ولولا فَضْلُ اللهِ عليكمْ ورَحمتُه [(٣)] ﴾ . وتقديره : لفضحكم بما ترتكبون ، ولَعاجَلَكم بالعقوبة . وحذفُ الجواب أبلغُ ، لتذهبَ النفسُ إلى كلِّ مذهبٍ ممكن . انتهى كلامه .

٤١٥ قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : وكان بعض النحويِّين فيما حكى أبو إسحاقَ الزّجاجُ يذهبُ فيما كان من هذا النوع مذهباً يخالف فيه البصريِّين والكوفيِّين ، فكان يقول فى الآية :حتّى إذا جاءُوها جاءُوها وفتحت أبوابها . وكذلك بيت امرىء القيس : فلمَّا أجزنا ساحةَ الحيِّ أجزناها وانتحى . فالجواب على رأيه محذوف ، والواو واو الحال ، وفى الكلام قد مضمرة . انتهى .

وذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) إلى مذهب الكوفيِّين ، إلاّ أنّه خَصَّ زيادة الواو بالشعر . وهذا تحكُّمٌ منه من غير فارق . وأنشد تلك الأبيات وقولَ أبى خِراش :

---

(١) فى الإنصاف : « وقد جاء حذف الجواب فى كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيرا » .

(٢) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٣) الآية ١٠ ، ٢٠ من سورة النور . وختام الأولى : « وأن الله تواب حكيم » ، والثانية : « وأن الله رؤوف رحيم » . وفى ط : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته » صوابها فى ش والإنصاف . وهى الآية ٦٤ من سورة البقرة : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » . وليست موضع استشهاد هنا ، إذ أن جواب « لولا » هو « لكنتم » .

لعَمْر أبى الطَّيرِ المُربَّةِ بالضُّحىَ   على خالدٍ لقد وقعتِ على لَحْمِ[(١)]

ولحمِ امرئٍ لم تَطْعَمِ الطّيرُ مِثلَه   عشيَّةَ أمسى لا يُبين من البَكْمِ

قال : يريد لحم امرئ . وهو بدل من لحم المتقدّمِ ، إلاَّ أنّه اضُطّر فزادَ الواوَ بين البدل والمبدل منه . وأنشد أيضا :

فإنّ رشيداً وابنَ مَرْوانَ لم يكن   ليفعلَ حتّى يُصدِرَ الأمرَ مُصدَرا[(٢)]

قال : يريد رشيد بن مروان ، فزاد الواوَ بين الصفة والموصوف . وأنشدَ أيضا قولَ الآخر :

كنّا ولا تَعصِى الحليلَةُ بعلَها   فاليوم تضرُبه إذا ما هو عَصَى

قال : زاد فى الواو فى خبر كان .

هذا . والبيت الشاهد قبلَه :

أبيات الشاهد

(وبيضةِ خِدرٍ لا يُرام خباؤُها   تمتَّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ

تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً   علىَّ حِراسًا لو يُسِرُّون مَقتلى[(٣)]

إذا ما الثُّريا فى السَّماء تعرّضَتْ   تعرُّضَ أثناءِ الوِشاح المفصَّلِ

فجئتُ وقد نَضَتْ لنومٍ ثيابهَا   لدى السِّترِ إلاّ لِبسةَ المتفضِّلِ

فقالتْ : يمينُ اللهِ مالك حيلةٌ   وما إنْ أرى عنك الغَوايةَ تنجلي

فقمتُ بها أمشى تجُرُّ وراءَنا   على إثْرنا أذيالَ مِرْطٍ مُرحَّلِ

فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحىِّ   .... إلى آخر البيتين

مُهفهفَة بيضاءُ غير مُفَاضةٍ   ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجنجلِ[(٤)]

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ ومعجم الشواهد . وقد سبق فى ٢ : ٣١٦ / ٦ : ٢٠٨ .

(٢) معانى الفراء ٢ : ٣٤٥ والضرائر ٧١ . وقد أتى به الفراء شاهدا على أنّ العرب تنعت بالواو وبغير الواو .

(٣) ط : « حراسا » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « غير مضافة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقوله : « وبيضة خدر » إلخ أى ربَّ امرأة لزِمتْ خدِرَها تُشبه البيضة ، فى البياض والملاسَة ، تمتَّعت بها غير خائفٍ من أحد .

وقوله : « تجاوزتُ أحراساً » إلخ يُسِرُّون بالمهملة : يُخْفُون ، وبالمعجمة : يظهرون . ويأتى إن شاء الله شرح هذين البيتين فى حروف المصدر .

وقوله : « إذا ما الثريَّا فى السَّماء » ، إلخ إذا ظرفٌ لقوله تجاوزْت ، أى تخطَّيت أحراساً إليها وقتَ تعرُّض الثريا فى السَّماء ، وهو آخر الليل ، وذلك وقت غفلة رقبائها وحَرَسها . والوشاح : شئ ينسج من أديمٍ ويرصَّع ، شبه قلادةٍ ، تلبسه النساء ، وجمعه وُشحٌ مثل كتاب وكتب . وتوشَّح بثوبه ، وهو أن يُدخله تحت إبطه الأيمن ويُلقيَه على مَنكِبه الأيسر كما يفعل المُحْرم . قاله الأزهرى [(١)] . واتَّشح بثوبه كذلك ، كذا فى المصباح . وقال صاحب الصحاح : الوشاح يُنسَج عريضاً من أديم ويرصَّع بالجواهر ، وتشدُّه المرأة بين عاتقَيها وكشحَيها . والتعرُّض : الاستقبال . وأثناء الوشاح : أوساطه ، جمع ثَنىً كعصا ، وثِنًـى مثل إلًى ، وثنْى بكسر أوله وسكون ثانيه . وكذلك مفرد « الآلاء » بمعنى النعم ، ذكرهما ابن الأنباريّ . والمفصَّل : الذى قد فُصِّل بالأحجار ، كالزبرجد والشَّذْر . يقول : تجاوزت إليها فى وقت إبداء الثريا عُرضَها فى السَّماء كإبداء الوشاح الذى فُصِّل بين جواهرِه وخَرزه عُرْضَه . وأنكر قومٌ هذا وقالوا : الثريا لا تعرُّض لها . وقيل : يريد بالثريا الجوزاءَ ، وأنّ هذا مثل قولِ زهير :

فتُنتَجْ لكم غِلْمَانَ أَشأَمَ كلُّهمْ ... كأحمرِ عادٍ ثم تُرضِع فتَفْطِمِ

قالوا : يريد كأحمر ثمود ، فغَلِط . وقيل : إنّها إذا طلعت طلعَتْ على استقامة ، وإذا استقلَّتْ [(٢)] تعرَّضت . وهكذا الوشاح يَعترِض على الكشح .

٤١٦

(١) ش : « قال الأزهرى » ، صوابه فى ط والمصباح .

(٢) استقلت : تعالت وارتفعت . وفى النسختين : « استقبلت » ، صوابه ما أثبت .

وقال أبو عمرو : تأخذ الثريا وسَط السماء كما يأخذ الوشاح وسَط المرأة . شبّه اجتماع كواكب الثريا ودنوَّ بعضِها من بعض ، بالوشاحِ المنتظم بالودَع المفصَّل بينه . وقال الخطيب التبريزى : معناه أنَّ الثريا تستقبلُك بأنفها أوّلَ ما تطلُع ، فإذا أرادت أن تسقط تعرَّضت ، كما أنَّ الوشاح إذا طرح تلقَّاك بناحيتَيْه .

قال الإمام الباقلاَّنىُّ (فى كتاب إعجاز القرآن [١]) بعد نقل هذه الوجوه : الأشبه عندنا أنَّ البيت غير مَعيب من حيث عابوه ، وأنّه من محاسن القصيدة ، ولكنْ لم يأتِ فيه بما يفوت الشَّأْوَ ، ويستولى على الأمَد . أنت تعلم أنَّه ليس للمتقدِّمين ولا للمتأخِّرين فى وصف شيْءٍ من النجوم مثلُ ما فى وصف الثريا ، وكلٌّ قد أبدعَ فيه وأحسن ، فإمَّا أن يكون قد عارضَه أو زاد عليه . فمن ذلك قولُ ذى الرُّمَّة :

وردتُ اعتسافاً والثُّريَّا كأنَّه ... على قمة الرَّأسِ ابنُ ماءٍ محلِّقُ [٢]

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وترى الثريَّا فى السَّماءِ كأنَّها ... بَيْضاتُ أُدِحيٍّ يَلُحْنَ بفَدْفَدِ [٣]

وكقوله :

كأنَّ الثريَّا فى أواخِرِ ليلِها ... تفتُّح نَورٍ أو لجامٌ مفضَّضُ [٤]

وقوله :

فناوَلَنيها والثُّريا كأنَّها ... جَنى نَرجِسٍ حيَّا النَّدامَى به الساقِى [٥]

(١) إعجاز القرآن ٢٦٤ – ٢٦٧ .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٠١ . وضمير الثريا هنا أتى مذكراً بتأويلها بالنَّجم ، وكذا ورد فى بيت ابن الطثرية ص ٥٠ باتفاق النسختين معا . وإطلاق « النجم » على الثريا معروف مشهور ، وقالوا : إنه اسمٌ علم لها .

(٣) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٥ .

(٤) ديوان المعانى ١ : ٣٣٦ والتشبيهات ٥ وزهر الآداب ٣١٠ . وليس فى ديوان ابن المعتز .

(٥) ديوان ابن المعتز ٢ : ٥٥ والتشبيهات ٦ والمصون ٢٩ والمعانى ١ : ٣٣٥ .

وقول الأشهب بن رُمَيلة :

ولاحَتْ لِسَارِيها الثُّرَيَّا كأنَّها لدى الأُفُقِ الغربِىِّ قُرطٌ مُسلسَلُ[١]

ولابن المعتز :

وقد هَوى النَّجم والجوزاءُ تتبعُه كذات قُرطٍ أرادتْه وقد سَقَطا[٢]

أخذَه من ابن الرُّومىّ :

طيِّبٌ ريقُهُ إذا ذقتَ فاه والثُّريا بجانبِ الغَربِ قُرطُ[٣]

ولابن المعتز :

قد سَقانى المُدامَ والـ ـصُّبْحُ بالليل مُؤْتَزِرْ[٤]

والثُّرَيَّا كنَورِ غُصـ ـنٍ على الأرض قد نُثِرْ ٤١٧

ولابن الطَّثْرِيَّة :

إذا ما الثُّريا فى السَّماء كأنَّه جُمانٌ وَهَى من سِلكهِ فتبدَّدا[٥]

ولو نسجتُ لك كلَّ ما قالوا من البديع فى وصف الثريا لَطالَ ، وإنّما نريد أن نبيِّن لك أنّ الإبداع فى نحو هذا أمرٌ قريب ، وليس فيه شئٌ غريب . وفى جملة ما نقلناه ما يزيدُ على تشبيهه فى الحُسْن أو يساويه[٦] . وإذا كان هذا بيتَ

(١) التشبيهات ٦ والمصون ٢٨ وديوان المعانى ١ : ٣٣٥ .

(٢) تشبيهات ابن أبى عون ٩ وديوان المعانى ١ : ٣٣٧ . ولم أجده فى ديوانَيْه .

(٣) التشبيهات ٥ والمصون ٢٨ وديوان المعانى ١ : ٣٣٥ وديوان ابن الرومى ٤٣١ .

(٤) التشبيهات ١٠ والمصون ٣١ وإعجاز الباقلانى ٢٦٥ وديوان ابن المعتز ٢ : ٤٠ .

(٥) المصون ٢٧ وديوان المعانى ١ : ٣٣٤ والباقلانى ٢٦٥ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ والأزمنة ٢ : ٣٣٤ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٨ . وانظر ما أسلفت من تعليق على بيت ذى الرمة .

(٦) بعده فى الإعجاز : « فقد علمت أن ما حلّق فيه ، وقدّر المتعصب له أنه بلغ النهاية فيه ، أمر مشترك ، وشريعة مورودة ، وبابٌ واسع ، وطريق مسلوك » .

القصيدة ، ودُرَّةَ القِلادة [١] ، وهذا محلُّه ، فكيف بما تعدَّاهُ . ثم فيه ضربٌ من التكلُّف ، لأنّ قوله : « تعرّضت » من الكلام الذى يُستغنَى عنه ، لأنّه يشبِّه أثناء الوشاح بالثُّريا ، سواء كان فى وسط السماء ، أو عندَ الطلوع والمغيب . فالتهويل بالتعرُّض ، والتَّطْويلُ بهذه الألفاظ ، لا معنًى له . وفيه أنَّ الثريا كقطعةٍ من الوشاح المفصَّل ، فلا معنى لقوله تعرُّض أثناء الوشاح ، وإنّما أراد أن يقول : تعرُّض قطعةٍ من أثناء الوشاح ، فلم يستقم له اللَّفظ حتَّى شبَّه ما هو كالشئ الواحد بالجمع . انتهى كلامه .

وقوله : « أتيت وقد نَضَت [٢] » إلخ نضَتْ بالضاد المعجمة ، يقال نضا ثوبَه يَنضُوه نَضْواً ، إذا خَلَعه . واللِّبسة ، بالكسر : هيئة لُبس الثوب . والمتفضِّل : الذى يبقى فى ثوبٍ واحد لينام ، أو ليخفَّ فى عمله ، واسم الثَّوب المِفْضَل بكسر الميم ، وفُضُل أيضاً بضمتين . ويقال للرجل والمرأة فُضُلٌ أيضاً . يقول : أتيتها وقد خَلعَتْ ثيابَها للنَّوم غيرَ الثوْب الذى تنام فيه ، وقد وقفَتْ لى عند السِّتر منتظرةً ، وإنمَّا خلعَتْ ثيابَها لتُرِىَ أهلَها أنَّها تريد النوم . كذا قال الزوزنى . وبه يُرَدُّ على الباقلانىّ [٣] فى قوله : إنّ « لدى السِّتر » حشوٌ لا فائدة له .

وقوله : « فقالت يمينُ الله » إلخ يروى بالرفع على أنَّه مبتدأ خبره محذوف ، أى قسمى . ويروى بالنصب ، وتقديره : أحلف بيمين الله . وجملة « مالك حيلة » جواب القَسم ، أى مالك حيلةٌ فى التخلُّص أو فيما قصَدْتَ له . فالحيلة : الحُجّة والعذر . وقيل : لا أقدِر أنْ احتالَ فى دفعك عنى . وإنْ بعدَ ما زائدة . والغَوَاية ، بالفتح : الضلالة . وتنجلى : تنكشف .

---

(١) بعده فى الإعجاز : « وواسطة العقد » .

(٢) ويروى : « وقد نضت » بالتشديد ، كما فى المعلقات وشروحها . ومعناهما واحد .

(٣) إعجاز القرآن ٢٦٧ .

وقوله : « فقمت بها » إلخ أى معها . وروى : « خَرجت بها » أى أخرجتها . وجملة أمشى حالٌ من التاء ، وجملة تجرّ حال من ضميرها . والإثر بالكسر ، هو الأثَر بفتحتين . ويروى : « على أثرَيْنا ذيلَ مِرطٍ » ، المِرط بالكسر : كسَاء من خَزّ أو مِرعِزّى ، أو صُوف . وقد تسمَّى الملاءةُ مرطا . والمرحَّل ، بفتح الحاء المهملة المشدَّدة ، المنقَّش بنقوشٍ تشبه الرِّحال . وروى بالجيم . قال الصاغانى : وثوب مرجَّل أى مُعْلَم . وأنشد البيت . وقال : ويروى « مُرَحَّل » بالحاء ، أى موشًّى شبيهاً بالرِّحال . انتهى .

وإنَّما جَرَّت ذيلَها على الإثر ليُعَفِّىَ لئلا يُقتَفى أثرُهما فيعرفَ موضعُهما . قال الباقِلاَّنىّ : ذكر [1] مساعدتها إيَّاه حتَّى قامت معه ليَخْلُوَا [2] . وقوله : « وراءنَا » لا فائدة فيه ، لأنَّ الذيل إنّما يجرُّ وراءَ الماشى . وقولُ ابن المعتز أحسنُ منه :

فبتُّ أفرِش خدِّى فى الطريق له ذُلاًّ وأسحبُ أكمامى على الأثرِ [3]

وقوله : « فلما أجزنا ساحةَ الحى » إلخ يقال أجزنا [وجُزْنا [4]].وقال الأصمعى : أجزنا : قطعنا ، وجُزنا : سرنا فيه . والساحة والباحة والفَجْوَة [5] كلّها فِناء الدار . ويقال هى الرَّحَبة كالعَرْصة . والحىّ : القبيلة ، ويقال للقومِ النُّزولِ أيضا . وانتحى : اعترضَ . والبطن : المكان المنخفِض وحوله أماكنُ مرتفعة . والخَبْتُ ، بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : ما انخفض من الأرض .

٤١٨

---

(١) ط : « فى ذكر » ، وأثبت ما فى ش . وفى الإعجاز ٢٦٨ : « يذكر من محاسنه من مساعدتها إياه » .

(٢) فى النسختين : « ليخلو » بالإفراد ، صوابه فى إعجاز القرآن .

(٣) لم أجده فى ديوانه .

(٤) التكملة من ش .

(٥) شاهده ما أنشده ابن برى (اللسان فجا ٦) :

ألبَسْتَ قومَك مَخزاةً ومَنقَصةً حتى أُبِيحوا وحلُّوا فَجوةَ الدَّارِ

وروى : « بطن حِقْف » بكسر المهملة ، وهو رملٌ مشرف معوجّ ، والجمع أحقاف . والقِفاف : جمع قُفّ ، بضم القاف ، وهو ما غلُظ من الأرض وارتفع ولم يبلغْ أن يكون جبلا . ورُوىَ : « ذى رُكام » بالضم ، وهو المتراكم بعضُه على بعض . والعَقَنْقل : الرمل المتعقّد المتلبّد ، وأصله من العَقْل ، وهو الشدّ .

قال الباقِلاَّنيُّ (١) : قد أغرب بهذه اللفظة الوحشيَّة ، وليس فى ذكرها فائدة ، واللفظ الغريب قد يُحمَد إذا وقَعَ موقعَ الحاجة فى وصف ما يلائمه ، كقوله عزّ وجلَّ فى وصف يوم القيامة : ﴿ عَبوُساً قَمْطريراً (٢) ﴾ . وأمّا إذا وقع فى غير هذا الموضع فهو مذموم .

وقوله : « إذا قلتُ هاتى نوِّلينى تمايلت » ، التنويل والإنالة : الإعطاء . والنَّوال : العطيَّة . قال الخطيب : معنى التَّنويل التَّقبيل ، وهو من النَّوال : العطيَّة .

وقوله فى الرواية الثانية : « هصَرتُ بفَودَىْ رأسِها فتمايلتْ » الهصْر : جذْب الغصن ليُؤخَذَ من ثمره . والفَودان : جانبا الرأس ، شبَّهها بشجرةٍ وجعلَ ما يَنالُه منها كالثَّمر .

و « هَضِيم » : منصوبٌ على المدح ، وهو عند الكوفيين بمعنى مهضوم (٣) فلذلك كان بلا هاء . وعند سيبويه على النَّسب . والهضيم : الضامر ، وأصل الهضْم الكَسْر ، وإنمّا قيل للضامر من البطن هضيم الكشح لأنّه يدِقُّ ذلك الموضعُ من جَسَده ، فكأنّه هُضِم (٤) عن قرار الرِّدف والوركين والجنبين .

---

(١) الإعجاز ٢٦٩ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الإنسان .

(٣) ط : « مهضومة » ، ووجهه ما أثبت من ش .

(٤) ط : « هضيم » ، والوجه ما أثبت من ش .

والكَشْح : ما بين منُقطَع الأضلاع إلى الورِك . وأراد هضيم الكشحين ، كما تقول : كحَلت عَينِي تريد عينىّ . « وريًّا » فَعْلَى من الرِّىّ بالكسر ، وهو انتهاء شُرب العَطْشان ، فهو عند ذلك يمتلئ جوفُه ، فقيل لكلِّ ممتلئ من شحمٍ ولحم : ريَّان . والمُخلخَل ، بضم الميم : موضع الخَلخال . وصفَ دِقّة خصرها وعَبالة ساقِها .

وقوله : « مهفْهَفَة بيضاء » إلخ المهفهفة : الحَسَنة الخَلْق ، ولا تكون كذلك حتَّى تكون ضامرة الخاصرة . وقيل هى اللطيفة الخَصْر الضَّامرة البَطْن . والمُفاضة ، بضم الميم : المسترخية البَطْن ، وقيل البائنة الطُّول . و « الترائب » : جمع تَريبة ، وهو موضع القِلادة من الصَّدر . والصَّقْل : إزالة الصَّدأ والدَّنسِ وغيرِهما . و « السَّجنجل » : المرآة ، كلمة رُوميَّةٌ عرَّبتها العرب . وصَفَها بحداثة السِّنّ .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٩٢ (ولمّا رأَى الرَّحمنُ أن ليس فِيهِمُ   رَشيدٌ ولا ناهٍ أخاه عن الغَدْرِ
وصَبَّ عليهم تغلِبَ بنةَ وائلٍ   فكانوا عليهم مثلَ راغيةِ البَكْرِ)

على أنَّ صَبَّ ليس جواب (لمَّا) والواوُ زائدة كما يقول الكوفيُّون ، بل هى عاطفةٌ على الجواب المحذوف ، كما قدرَّه الشارح المحقّق .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٢) ضرائر ابن عصفور ٧٢ وديون الأخطل ٢٢١ .

وقال ابن عصفور : صَبَّ هو الجواب ، والواو زائدة لضرورة الشعر .

صاحب الشاهد

هذا . والبيتان من قصيدةٍ للأخطَل التَّغلَبى النَّصرانى ، والرواية فى ديوانه :

* أمالَ عليهم تغلبَ ابنة وائلٍ *

وكذا رواهما الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) وعلى هذا لايكون ممَّا نحن فيه وقبلهما :

أبيات الشاهد ٤١٩

(بَنِى عامرٍ لم تثأرُوا بأخِيكُمُ ولكنْ رضيتمْ باللِّقاح وبالجُزْرِ
إذا عُطِفَتْ وسطَ البيوت احتلبتمُ لها لبناً مَحْضاً أمَرَّ من الصَّبرِ
ولما رأى الرحمن أنْ ليس فيهمُ .... إلى آخر البيتين
فسيرُوا إلى أهل الحجاز فإنّنا نَفيناكُمُ عن مَنْبِتِ القَمحِ والتَّمرِ)

وقوله : « لم تثأروا بأخيكم » أى لم تأخذوا بثأره . يقول : رضيمت بأن تُغيروا على المال وتَدَعُوا القتال إذا أصبْتم [1] الغنائم . واللِّقاح : جمع لِقحْة بكسر اللام فيهما ، وهى الناقة ذات لبن . هذا قول ثعلب . وقال غيره : جمع لَقُوح ، مثل قلوص وقِلاص ، وهى الناقة تُنتجت إلى ثلاثةِ أشهر ، وتسمَّى بعدها لَبُوناً . والجُزْرُ ، بضم فسكون ، والأصل بضمتين : جمع جَزور ، والجزور من الإبل خاصَّة تقع على الذكر والأنثى ، وقيل الناقة التى تُنْحَر .

وقوله : « إذا عُطِفَتْ » بالبناء للمفعول ، أى أُميلت . والصَّبِر : الدَّواء المرُّ ، بكسر الباء فى الأشهر ، وسكون الباء للتخفيف لغةٌ قليلة . ومنهم من قال : لم يسمع تخفيفه فى السَّعة . وحكى ابن السِّيد (فى مثلَّث اللغة) جوازَ التخفيف كما فى نظائره ، بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها . وإنمّا جَعل اللَّبَنَ أمرَّ من الصَّبر لأنَّهم يشربونه مع الحزن على أخيهم ، ولا قدرةَ لهم بأخذ ثاره .

---

(١) ش : « إذا » .

وقوله : (ولمَّا رأى الرحمن) هو علمٌ على ذاتِ واجب الوجود ، كلفظة الله . ورأى عِلميَّة تطلبُ مفعولين ، وأنْ مخففة اسمها ضمير شأن . وجملة ليس فيهم رشيد خبرها . وجملة « أنْ ليس » إلخ سادَّة مسدّ مفعولَىْ علم . و (الرَّشيد) : من له رُشْد ، وهو خلاف الغَىِّ والضَّلال ، وهو إصابة الصَّواب . و (الغَدر) : نقْضُ العهد .

وقوله : (وصَبَّ عليهِمْ) أى سلَّط عليهم ، وكذا معنى (أمال عليهم) . وتَغلِبُ : قبيلة الأخطل ، بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة وكسر اللام ، والنسبة إليها تَغْلَبِىٌّ بفتح اللام . قال الجوهرى : وتغلب أبو قبيلة ، وهو تغلب بن وائل . وقولهم تغلبُ بنت وائلٍ إنمّا يذهبون بالتأنيث إلى معنى القبيلة ، كما قالوا تميمُ بنت مرّ . انتهى . فتارةً اعتبر تَغلب قبيلة فقال : « ابنةَ وائل » ، وتارةً اعتبره حيًّا فقال : فكانوا . وضمير عليهم لبنى عامر . و (البَكر) بفتح الموَحَّدة : الصغير من الإبل . قال أبو عُبيدة : البَكْر من الإبل بمنزلة الفتَى من الناس ، والبَكرة بمنزلة الفتاة . و (الرَّاغية) بالغين المعجمة : مصدرٌ بمعنى الرُّغاء وهو صوتُ البعير . ورغت الناقة أى صوَّتت . ويريد بالبكر ولَدَ ناقةِ صالحٍ عليه السلام . ولمَّا قَتل قُدارُ ثمودٍ النّاقَةَ رغا ولدُها ، فصاح برغائه كلُّ شئٍ له صَوْتٌ ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربْته العربُ مثلاً فى كلِّ هَلَكةٍ عامَّة .

قال الزمخشرىُّ (فى أمثاله [1]) : كان عليهم كراغية البكر ، الرَّاغية مصدرٌ بمعنى الرُّغاء ، كالعافية ، والبالية ، والفاضِلة [2] . والبكر : سَقب ناقة

---

(١) المستقصى ٢ : ٢١١ — ٢١٢ .

(٢) فى اللسان (عفا ٣٠٤) أن العافية مصدر كالعاقبة والخاتمة . ونحوه فى القاموس وفى اللسان (بلا ٩٣) : « ويقال ما أُباليه بالَةً وبالاً » . ثم قال : « وأصل بالَةً باليةً مثل عافاهُ عاقيةً فحذفوا الياء تخفيفا كما حذفوا من لم أُبَلْ » . وفيه وفى القاموس (فضل) أن الفضيلة : الدرجة الرفيعة فى الفضل ، والاسم من ذلك فاضلة . والذى فى المستقصى : « والقاضية » ، ولم أجد سندا لمصدَريَّتها .

صالح عليه السلام ، وذلك أنّه لما عُقِرت الناقة صَعِد جبلاً فَرغَا ، فأتاهم العذابُ . يُضرب فى الشّؤم . قال الأخطل :

لعَمرِى لقد لاقتْ سُليمٌ وعامرٌ   على جانب الثّرْثار راغيةَ البَكْرِ[1]

وقال أيضا :

وإنْ تذكُروهَا فى معدٍّ فإنّما   أصابك بالثّرْثار راغيةُ البكرِ[2]

الضمير فى « تذكُروها » للواقِعَة . وقال أيضا :

٤٢٠

* ولمَّا رأى الرحمن أنْ ليس فيهمُ * .... البيتين انتهى .

وقُدار ، بضم القاف ، هو أشقى ثمود ، وسمَّاه زهير فى معلَّقته أحمر عادٍ فقال :

فتُنتَجْ لكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم   كأحمرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فتَفْطِمِ

والثّرْثار بمثلثتين : اسم نهرٍ، سمِّى به لكثرة مائه .

وترجمة الأخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين من أوائل الكتاب [3] .

* * *

(١) ديوان الأخطل ١٣٣ .

(٢) ديوان الأخطل ٢١٦ برواية : « وإن يذكروها » . وفى النسختين : « فإنها » صوابه من الديوان .

(٣) الخزانة ١ : ٤٥٩ – ٤٦١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٩٣ (فإذا وذلِكِ يا كُبَيشةُ لم يَكُنْ إلاّ كَلَمَّةِ حالـمٍ بخَيـالِ)

على أنَّ (الواو) ليست زائدة كما يقول الكوفيُّون ، بل هي عاطفة على مبتدأ محذوف ، والتقدير : فإذا إلمامك وذلك الإلمام . كذا قدَّره الشارح ، فجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئاً واحداً لأجل قوله : لم يكن .

صاحب الشاهد

قال صاحب كتاب (تفسيح اللغة [٢]) : هذا البيت لتميم بن أُبَيّ بن مُقْبل ، وأراد : فإذا هذا وذلك . ولم يخصَّ واحداً لأنّ كلَّ شيء زائلٍ فهو كالأحلام [٣] . وكذا قول أبي كبير الهُذَلي :

فإذا وذلك ليس إلاَّ ذِكْــرُهُ وإذا مضى شيءٌ كأنْ لم يُفْعَلِ[٤]

إنمّا أراد [٥] : فإذا هذا وذلك . وقال : ليس إلاّ ذكْرُهُ أي ذكر الحاضر ، فأمَّا الماضي فمَعْدومٌ بالإياس منه . انتهى كلامه .

ولو كان التقدير كما زعم لقيل في الأوّل : لم يكونا ، وفي الثاني : ليسا إلاّ ذِكرهما ، مع أنَّ المشار إليه شيءٌ واحد . قال أبو كبيرٍ قبل ذلك البيت :

أبيات لأبي كبير الهذليّ

وجليلةِ الأنساب ليس كمثلِها ممّـن يمنّـعُ قد أتتْهـا أرسُلي
ساهرتُ عنها الكالِئِينَ فلم أنَمْ حتى التفتُّ إلى السِّماكِ الأعزَلِ

---

(١) ديوان تميم ٢٥٩ واللسان (لمم ٢٥) و (وا ٣٧٩) .
(٢) يعرف باسم « التفسح » . وانظر حواشي الخزانة ١ : ٢٦ .
(٣) ط : « كالأعدام » ، صوابه في ش .
(٤) مجالس ثعلب ١٢٦ والخصائص ٢ : ١٧١ والعمدة ٢ : ٦١ والضرائر ٧٢ والهذليين ٢ : ١٠٠ والسكري ١٠٨٠ .
(٥) ش : « وأراد » .

فأتيتُ بيتاً غيرَ بيتِ سَناخةٍ وازدرتُ مُزدارَ الكريمِ المُعْـوِلِ
وإذا وذلكَ ليس إلاّ حِينَـــه وإذا مضَى شيءٌ كأَنْ لم أَفعلِ

يقول : ربَّ امرأةٍ شريفة الأنسابِ ممنّعة بعثْتُ إليها رُسُلى وساهرت عنها الكالئين ، أى الحافظين ، فغلبتُهمْ فناموُا ولم أنم ، فأتيت بيتَها فزرتُها ، وهو بيتٌ طيِّبٌ لا مَطعنَ فيه .

والسَّناخة : الرائحة الكريهة . وازدرت : افتعلت من الزِّيارة . والمُعْوِل : الذى يُعْوِل بدلالٍ ومنزلة [١] . فاسم الإشارة راجعٌ إلى زيارة تلك المرأة الجليلة . ويريد أنّ لذة تلك الزيارة لم تكن إلاّ فى وقت الزيارة ، فإذا مضى مضت . وأما قول ربيعة بن مَقْرومٍ الضَّبِّى من قصيدة [٢] :

ولقد أصبتُ من المعيشة لِينَها وأصابنى منه الزَّمـانُ بكلكـلِ
فإذا وذاك كأنّـه مالم يكـن إلاّ تذكُّـرَه لمن لم يجْهَـــلِ

فالمشار إليه اثنان والإشارة واحدة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ عوانٌ بين ذلك [٣] ﴾ ، أى بين البكر والفارض . وتقديره عند الشارح : فإذا المذكور . قال السكرى (فى شرحه) : الواو زائدة ، أراد : وإذا ذلك ليس إلاّ حينَه . يقول : إذا كنتَ فيه فليس إلاّ قدر كينونتك ، فإذا أدبر ذهب .

وإليه ذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) وأورد البيت وقال:« زيدت الواو لضرورة الشعر » . وينبغى أن يقدِّر الشارح فى ذلك البيت : فإذا المذكور وذلك المذكور لم يكن إلاّ كإلمام خيالٍ بالحالم ، لئلاّ يتَّحد المشبّه والمشبّه به .

(١) فى اللسان ، عند إنشاد البيت ، أن المعْوِل مِن أعال وأعول ، إذا حَرَص . ثم ذكر التفسير الآخر الذى هنا عن ابن برى .
(٢) الأغانى ١٩ : ٩٣ . ومن قصيدته هذه أبيات فى الحماسة ٦١ – ٦٧ بشرح المرزوق .
(٣) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

ولم يحضرنى الآن ما قبل البيت ، ولهذا لم أعرف مرجعَ الإشارة [١] .

واللَّمَّة بفتح اللام ، قال صاحب الصّحاح : يقال أصابت فلاناً من الجِنَّة لَمَّة ، وهو المَسُّ والشيءُ القليل . قال :

فإذا وذلك يا كُبيشة لم يكن ... إلاّ كَلَمَّــة حالــمٍ بخيــالِ

قال ابن برّىّ (فى أماليه على الصحاح) البيت لابن مقبل ، وقوله : « فإذا وذلك » مبتدأ والواو زائدة ، كذا ذَكره الأخفش . و « لم يكن » خبره . انتهى .

و (كبيشة) من أسماء النِّساء ، مصغر كبشة بالشين المعجمة . و (الحالم) : اسم فاعل من حَلَم يحلُمُ من باب قتل ، حُلُما بضمتين وإسكان الثانى تخفيفا ، أى رأى فى منامه رُؤيا . وكذا احتلم . و (الخيال) : كل شيء تراه كالظّلّ . وخَيال الإنسان فى الماء والمرآة : صورة تمثاله . وربمّا مرَّ بك الشيءُ يُشبِهُ الظلَّ ، فهو خيال .

وتقدمت ترجمة تميم بن أُبيٍّ بن مقبل فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(أُرانى إذا ما بِتُّ بتُّ على هوًى ... فثُمَّ إذا أصبحتُ أصبْحتُ غاديا)

---

(١) هذا تسجيل أنه لم يكن لدى البغدادى حينئذ ديوان ابن مقبل . والشاعر يشير إلى ما كان يستمتع به من رحلاته ولقائه بالحبيبة فى ١١ بيتا من ديوانه ٢٥٦ – ٢٥٩ أولها :

أُكُبَيْشَ ما يدريكِ أن رُبَّ منهلٍ ... يَرمِى بعرمضِهِ على الأجوالِ

(٢) الخزانة ١ : ٢٣١ – ٢٣٣ .

على أنه قِيل : الفاء زائدة . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين بعد الستمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وقائلةٍ خَولانُ فانْكِحْ فَتاتَهُمْ وأُكرومةُ الحيَّينِ خِلوٌ كما هيا)

على أنَّ (الفاء) زائدة . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والسبعين من أوائل الكتاب (٢) .

وخصَّ ابن عصفور زيادة الفاء بالشعر ، قال (فى كتاب الضرائر (٣)) : من زيادة الفاء قولُه :

يموت أناسٌ أو يشيبُ فتاهمُ ويحدثُ ناسٌ والصَّغير فيكبرُ

يريد : الصغير يكبر . وقول أبى كبير :

فرأيتُ ما فيه فثُمَّ رزِئتُه فلبِثْتُ بعدكَ غير راضٍ معمرى (٤)

يريد : ثُمَّ رزئته . وقول الأسود بن يعفر :

فَلَنَهْشَلٌ قومِى ولى فى نهشَلٍ نسبٌ لعمر أبيكَ غير غِلابِ

زاد الفاء فى أول الكلام ، لأنَّ البيت أوّلُ القصيدة .

* * *

(١) الخزانة ٨ : ٤٩١ — ٤٩٨ .
(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ — ٤٥٧ .
(٣) ضرائر ابن عصفور ٧٣ . وانظر معجم الشواهد .
(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ والسكرى ١٠٨٢ .

وأنشد بعده :

(أبا خُرَاشة أمَّا أنتَ ذا نفرٍ   فإنّ قومىَ لم تأكلهمُ الضَّبُعُ)

على أنّ الفاء فيه زائدة عند البصريين ، غير زائدة عند الكوفيِّين .

وتقدَّم كلام الشارح المحقق عليه فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائتين فى باب خبر كان [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثمانمائة [(٢)] :

٨٩٤ (يادَهْر أمْ ما كان مَشْيِى رَقَصا   بل قد تكون مِشيتى توقُّصا)

على أنَّ أبا زيد أنشدَه [(٣)] وقال : أمْ فيه زائدة . كذا نقل عنه أبو على (فى التذكرة) وغيرُه . وليس ما نقل عنه موجوداً فى نوادره ، وإنَّما ذكره فى غيرها .

٤٢٢

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : استشهدوا على زيادة أَمْ بقول ساعدة بن جُؤيَّة :

ياليت شِعرِى ولا مَنْجَى من الهَرَمِ   أم هلْ على العيش بعدَ الشَّيب من نَدمِ

التقدير : ليت شعرى هل على العيش من ندم [(٤)] . وقال أبو زيد فى قوله تعالى : ﴿ أمْ أنَا خَيرٌ مِنْ هذا الذى هو مَهِين [(٥)] ﴾ : أم زائدة . قال : والتقدير : أفلا تبصرون أنا خيرٌ من هذا الذى هو مهين . وأنشدَ قول الراجز :

---

(١) الخزانة ٤ : ١٣ — ١٩ .

(٢) المقتضب ٣ : ٢٩٧ والمنصف ٣ : ١١٨ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٦ والضرائر ٧٤ .

(٣) لم يرد هذا الرجز فى نوادر أبى زيد كما ذكر البغدادى .

(٤) هذا التعليق ساقط من ش . وفى أمالى ابن الشجرى : « التقدير » .. الخ .

(٥) الآية ٥٢ من سورة الزخرف .

يا دَهرُ أمْ ما كان مَشْيِى رَقَصَا بلْ قد تكون مِشيَتِى توقُّصَا

وقول سيبويه فى الآية أنّ أمْ منقطِعة . قال (١) : كأنَّ فرعونَ قال : أفلا تبصرون أم أنتم بصراء . فقوله : أم أنا خير ، بمنزلة قوله : أم أنتم بصراء . لأنَّهم لو قالوا : أنت خير منه كان بمنزلة قولهم : نحن بصراء . فكذلك أم أنا خير بمنزلة قوله لو قال : أم أنتم بصراء (٢) . وهذا التأويل فى أَمْ أحسَن من الحكم بزيادتها . انتهى .

وخصَّ ابنُ عصفور زيادتَها بالشّعر ، وقال بعد إنشاد البيتين : وأجاز الفارسىُّ فى قول أبى ذؤيب :

فأجبتُها أَمَّا لجسمىَ أنّه أودَى بَنِىَّ من البلادِ فوَدَّعُوا

أن يكون الأصل : أم ما ، وتكون أم زائدة وما بمعنى الذى ، والتقدير : فأجبتها : الذى لجسمى أنّه أودى . وعلى زيادة أمْ حمَلَ أبو زيدٍ قولَه تعالى : ﴿ أفَلا تُبصِرُونَ . أمْ أنَا خَيرٌ ﴾ ووافقه على جواز ذلك أبو بكر بن طاهر من المتأخِّرين . والصَّحيح أنّها غير زائدة ، لأنَّ زيادتها قليلة ، فلا ينبغى أن تُحمل الآية عليها ، إذْ قد يمكن حملُها على ما هو أحسَنُ من ذلك . ألاَ ترى أنّه يمكن أن تكون منقطعةً على ما ذهب إليه سيبويه ، ومتَّصلة على ما ذهب إليه الأخفش . وقد بيَّن النحويُّون الوجهين فأغْنَى ذلك عن ذكره هنا . انتهى .

وقد ذكر الجوهرىُّ زيادتها (فى الصِّحاح) ، وأنشد البيت الأوَّل من الرجز كذا :

* يا هندُ أم ما كان مَشْيِى رَقصَا *

---

(١) سيبويه ٣ : ١٧٣ .

(٢) التعقيب التالى من كلام ابن الشجرى ، وليس من نص سيبويه .

وقال ابن بَرّىّ (فى أماليهِ عليه) : هذا مذهبُ أبى زيد . وغيرُه يذهب إلى أنّ « أم ما كان » معطوف على محذوف تقدَّم ، المعنى كأنّه قال : يا هندُ أكان مَشْيِى رَقَصاً أم ما كان كذلك ؟ انتهى .

وفيه نظرٌ . تأمَّلْ .

وقال الصاغانى (فى العباب) : وأم قد تكون زائدة . وأنشد الرَّجزَ ثم قال : وقال الليث : أم تكون بمعنى ألف الاستفهام ، كقولك : أم عندك غَدَاءٌ حاضر ؟ وأنت تريد أعندك ؟ وهى لغةٌ حسنة من لغات العرب . قال الأزهرىّ : هذا إذا سبقه كلامٌ ، وتكون أم مبتدأة للكلام فى الخبر ، وهى لغة يمانية ، يقول قائلهم : أم نحنُ خيارُ النّاس ، أم نُطعم الطَّعام ، أم نَضرِبُ الهام . وهو مخبر . انتهى .

وعلى هذا تكون غير زائدة ، كأنَّها حرف افتتاح للتنبيه بمنزلة ألاَ وأمَا ، كقوله :

* أمَا والذى لا يَعلم السِّرَّ غيرُه *

ولا يبعد أن تكون أمْ مخفّفة من أمَّا وسكِّنت . والله أعلم .

وقوله : (ما كان مَشْيِى رَقصا) ما نافية . والرَّقَص بفتحتى الراء والقاف ، قال ابن دريد : هو شبيه بالنَّقَزانِ من النَّشاط . قال ابن فارس : هو الخَبَب . والقولان متقاربان . وقوله : (توقُّصا) بالواو والقاف ، قال ابن الشجرى : هو تقاربُ الخَطْو ، وقيل شدَّة الوطء ، وكلاهما من فعل الهَرَم . وهذا شكايةٌ من دهره . يقول : أنا فى حداثتِى وشَبابى لم أمْشِ بعافية ، بل تكون مشيتى مُستمرَّة كمشى الشُّيوخ العاجزين .

٤٢٣

وقال ابن مكرَّم (فى لسان العرب [١]) : أراد ما كان مِشْيتِي [٢] رقصا ، أى كنت أتوقَّص [٣] فى مشيتى ، واليوم قد أسنَنْت حتّى صارت مِشيتى ترقُّصاً [٤] . والتوقُّص : مقاربة الخطو . انتهى .

وروى ابن الشجرى ، وصاحب العباب ، وصاحب لسان العرب أوَّله كذا : « يا دَهْنَ أم ما كان » وقال : دهن ترخيم دَهْناء . ولم يفسِّراه . وكأنّ دهناء من أسماء النِّساء ، كما أنّ هندا فى رواية الجوهرى من أسمائهنّ .

وكذا رواه الأزهريُّ عن أبى زيدٍ وقال : أراد يا دهناء ، فرخّم . وأم زائدة . أراد : ماكانَ مشيى رَقَصاً ، أى كنت أتوقَّصُ [٥] وأثِبُ فى مشيتى ، واليوم قد أسننت حتّى صارت [٦] مشيتى رَقَصا . انتهى .

ولم أقفْ على قائل هذا الرجز ، والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثمانمائة [٧] :

٨٩٥ (بدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فى رَوْنَقِ الضُّحيِ
وصورتِها ، أو أنتِ فى العَيْن أملحُ)

---

(١) لم أجد النص التالى فى لسان العرب بمادتيه (رقص) ، (وقص) ، ولكنى عثرت عليه فى مادة (أمم ٣١) .

(٢) ط : « مشيى » .

(٣) ط : « أترقص » ، صوابه بالواو فى ش واللسان . والترقص : ضرب من الخبب والإسراع .

(٤) فى النسختين : « توقصا » . وفى اللسان « رقصا » . والرَّقَص والترقُّص بالراء فيهما : الاضطراب فى السير .

(٥) ط : « أترقص » ، بالراء ، صوابه بالواو كما فى ش .

(٦) ش . « صار » .

(٧) معانى الفراء ١ : ٧٢ والمحتسب ١ : ٩٩ والخصائص ٢ : ٤٥٨ والأزهية ١٢٨ والإنصاف ٤٧٨ . وليس فى ديوان ذى الرمة ، كما قال البغدادى . وهو فى ملحقات الديوان ٦٦٤ عن اللسان والتاج والصحاح .

على أنَّ (أو) فيه حرف استئناف للإضراب ، ولا يحتمل أن تكون عاطفة ، إذ لا يصحُّ قيام الجملة بعدها مقام قوله « مثلَ قرن الشمس » كما هو حق المعطوف .

قال الفراء (فى تفسير سورة البقرة) : العربُ تجعل أوْ نسَقاً ، مفرِّقة لمعنَى ما صلحت فيه أحَد [١] ، كقولك : اضربْ أحدهما زيداً أو عمراً . فإذا وقعت فى كلامٍ لا يُراد به أحدٌ وإنْ صلَحتْ جعلوها على جهةِ بَلْ ، كقولك فى الكلام : اذهب إلى فلان ، أو دَعْ فلا تبرح اليوم . فقد دَلَّك [٢] هذا على أنَّ الرجلَ قد رجَع عن أمره الأوَّل ، وجعل أوْ فى معنى بل . ومنه قول الله : ﴿ وأرسلناهُ إلى مائةِ ألفٍ أوْ يَزِيدُون [٣] ﴾ . وأنشدنى بعض العرب :

بدَت مِثْل قرن الشمس ... البيت . انتهى .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : أو هذه التى بمعنى أم المنقطعة ، وكلتاهما بمعنى بل ، موجودةٌ فى الكلام كثيراً . وإلى نحو هذا ذهب الفرّاء فى قول ذى الرمة :

بَدَتْ مثلَ قَرْنِ الشمسِ ... البيت .

قال : معناه بل أنتِ فى العين أملَحُ . وكذلك قال فى قول الله : ﴿ وأرسَلْنَاهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزِيدُون [٤] ﴾ قال : معناه بلَ يَزيدون . وإن كان مذهبُنا نحن فى هذا غيرَ هذا ، فإنَّ هذا طريقٌ مذهوب فيه على هذا الوجه . انتهى .

---

(١) فى معانى الفراء : « أحد وإحدى » .

(٢) ش فقط : « فقد دل » .

(٣) الآية ١٤٧ من الصافات . وفى ط فقط : « فأرسلناه » بالفاء ، تحريف .

(٤) اتفقت النسختان على الصواب هنا . وانظر الحاشية السابقة .

وأشار بقوله : « فإنَّ هذا طريقٌ مذهوب فيه » إلخ ، إلى ما قاله الشارح المحقّق من أن أو فى البيت والآية متمحِّضة للإضراب ، لا يُتصوَّر معنى العطفِ فيها لِمَا ذكره . وفيه ردٌّ على ابن عصفور ، فى غفلته عن صحَّة العطف ، فزعَم أنّها للشَّكّ ، فقال : وزاد الكوفيُّون فى معانى أوْ أن تكون بمعنى بَلْ ، واستدلُّوا عليه بقوله :

بدت مثلَ قرنِ الشمس .... إلخ

قالوا : المعنى بل أنتِ . ولا مدخلَ للشّكِّ هنا . والصحيح أنَّها فيه للشكّ ، ويكون المعنى أبدع ، كأنّه قال : لإفراط شبهها بقَرن الشمس لا أدرى ، هل هى مثلُها أو أملح . وإذا خرج التشبيه مخرج الشكّ كان فيه الدلالة على إفراط الشَّبه ، فيكون كقول ذى الرمة :

أيَا ظَبيةَ الوَعْساءِ بين جُلاجلٍ وبين النَّقا آأنتِ أم أُمُّ سالمِ(١)

ألا ترى أنّ قوله : « آأنت أم أمّ سالم » أبلغ من أن يقول : هى كأُمِّ سالم ، لأنّ الشك يَقتضى إفراط الشَّبه حتّى يلتبس أحدُ الشّيئين بالآخَر . وكذلك أيضاً استدلُّوا بقوله تعالى : ﴿ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزيدُون ﴾ قالوا : معناه بل يزيدون . ولا يُتصوَّر أن تكون هنا للشَّكّ ، لأنّ الشكَّ من الله مستحيل . والجواب : أنّ الشَّكَّ قد يرد من الله بالنظر للمخاطبين ، لا أنَّه يشُكّ ، فكأنه قال : وأرسلناه إلى جمعٍ تشكُّون فى مَبلِغه ، فيكون من مُقتضى حالكم أن تقولوا : هم مائة ألف أو يزيدون . ويحتمل أيضاً أن تكون أوْ فى الآية للإبهام . هذا كلامه .

٤٢٤

وقول الشاعر : (بدَتْ) بمعنى ظهرت ، وفاعله ضمير الحبيبة ؛ ومثلَ حالٌ من الضمير ، ولا يستفيد من إضافته إلى المعرفة تعريفاً ، لتوغُّلِه فى الإبهام . و (قرن

(١) ديوان ذى الرمة ٦٢٢ وكتاب سيبويه ٢ : ١٦٨ . وانظر معجم الشواهد .

الشَّمس) بفتح القاف ، قال الجوهرى : هو أعلاها وأوَّل ما يبدو منها فى الطُّلوع . ولا يصحّ هنا المعنى الثانى ، لقوله (فى رونق الضحى) . وقولُه : (وصُورتها) بالجرّ عطف على قرن . و (أملحُ) من مَلُح الشئ بالضم مَلاحَةً ، أى بَهُجَ وحَسُن منظره ، فهو مليح ، والأنثى مليحة .

والبيت نسبه ابن جنى إلى ذى الرمة . ولم أجدْه فى ديوانه . والله أعلم .

* * *

صاحب الشاهد

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٩٦ (وهَلْ أنا إلاّ مِن رَبيعةَ أو مُضَرْ)

على أن (أوْ) فيه للإبهام على السامع . وقصَد به الردَّ على الكوفيِّين فى زعْمهم أنَّ أوْ فيه بمعنى الواو .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : كون أوْ بمعنى الواو من أقوال الكوفيِّين ، ولهم فيه احتجاجاتٌ من القرآنِ ومن الشّعر القديم . فممَّا احتجُّوا به من القرآن قولُه تعالى : ﴿ لعلَّه يتذكَّرُ أو يخشى [٢] ﴾ ، و ﴿ لعلّهم يتَّقوْن أو يُحدِثُ لَهُمْ [٣] ﴾ ، ومن الشعر قول تَوبة بن الحُميِّر :

وقد زعمَتْ ليلى بأنِّىَ فاجـرٌ لنفسى تُقاها أوْ عليها فجورُها[٤]

---

(١) الأزهية ١٢٢ وابن الشجرى ٢ : ٣١٧ وابن يعيش ٨ : ٩٩ وشواهد التوضيح لابن مالك ٨٨ والمغنى ٥٦٩ ، ٦٧٠ والشذور ١٧٠ وديوان لبيد ٢١٣ .

(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

(٣) الآية ١١٣ من سورة طه .

(٤) أمالى القالى ١ : ٨٨ والمغنى ٦٢ والهمع ٢ : ١٣٤ .

وقولُ جرير :

أثَعلبةَ الفوارسَ أو رِياحاً عَدلْتَ بهم طُهَيَّةَ والخِشَابا[١]

أى عدَلْتَ هاتين القبيلتين بهاتين القبيلتين . وقولُ جرير :

نالَ الخِلافةَ أو كانت له قدَراً كما أتى ربَّهُ مُوسَى على قَدَرِ[٢]

وقولُ لبيد :

تمَنَّى ابنتَاىَ أنْ يعيش أبوهُما وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضَرْ

قالوا : أوْ هنا بمعنى الواو ، لأنّه لا يشُكّ فى نسبهِ حتّى لا يدرىَ أمن ربيعة هو أم من مضر ؟ ولكنّه أراد بربيعة أباه الذى ولده ، لأنّه لبيد بن ربيعة . ثم قال : أو مضر ، يريد : ومضر ، يعنى مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

واختلفوا فى قوله تعالى : ﴿ وأرسَلْناه إلى مائةِ ألفٍ أو يَزيدون [٣] ﴾ فقال بعض الكوفيين : بمعنى الواو ، وقال آخرون منهم : المعنى بل يزيدون . وهذا القول ليس بشئ عند البَصريِّين .

وللبصريِّين فى أوْ هذه ثلاثة أقوال :

أحدها قول سيبويه أنَّها للتخيير . والمعنى إذا رآهم الرائى يُخَيَّر[٤] فى أن يقول : هم مائة ألف وأن يقول: أو يزيدون .

والقول الثانى عن البصريين : أنّها لأحد الأَمرَين على الإبهام .

(١) ديوان جرير ٦٦ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٥٢ ، ٤٨٩ والمقتضب ١ : ٧٥/ ٢ : ١٢١ .

(٢) ديوان جرير ٢٧٥ والمغنى ٦٢ والتصريح ١ : ٢٨٣ والهمع ٢ : ١٣٤ والأشمونى ٢ : ٥٨ .

(٣) الآية ١٤٧ من الصافات .

(٤) ط : « بخير » ، صوابه فى ش وابن الشجرى .

والثالث لابن جنى ، وهو أنّها للشك . والمعنى : أنَّ الرائىَ إذا رآهم شَكَّ

٤٢٥ فى عِدّتهم لكثرتهم . ومن زعم أنّ المعنى بل يزيدون ، قال مثلَ ذلك فى قوله تعالى : ﴿ فهى كالحِجارة أو أشدُّ قسْوَةً (١) ﴾ ، وفى قوله : ﴿ ومَا أمْرُ السَّاعةِ إلاّ كلَمْحِ البصر أو هُو أقرب (٢) ﴾ ، وقولِه : ﴿ فكان قاب قَوْسينِ أو أدنى (٣) ﴾. ومَن قال : إن المعنى ويزيدون قال مثل ذلك فى هذه الآى . والوجه أن تكون أوْ فيهنَّ للتخيير . ويجوز أن تكون أوْ فيهن للإبهام . انتهى كلامه باختصار .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد أولُ أبياتٍ للبيدِ بن ربيعة الصحابى ، تقدَّم شرحُها فى الشاهد الخامس بعد الثلثمائة (٤) .

* * *

وأنشد بعده :

(وكانَ سِيّانِ أن لا يُسْرِحوا نَعَماً أو يُسرِحوُه بها واغبرَّت السُّوحُ)

على أنَّ (أوْ) فيه بمعنى الواو .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الخامس والخمسين بعد الثلثمائة من باب العطفّ (٥) .

* * *

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٧٧ من سورة النحل .
(٣) الآية ٩ من سورة النجم .
(٤) الخزانة ٤ : ٣٣٧ – ٣٤٢ .
(٥) الخزانة ٥ : ١٣٤ – ١٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٩٧ (سِيَّـــانِ كَسْرُ رغيفِـــهِ أو كَسْرُ عظمٍ مِن عِظامِه)

على أنّ (أو) فيه بمعنى الواو .

قال أبو على (فى كتاب الشعر) : كان القياس أن يكون العطفُ فيه بالواو دون أوْ ، لأنّ العطف بأوْ فى هذا الموضع فى المعنى: سِيَّانِ أحدُهما ، وهو كلام مستحيل ، كما أنّ سواءٌ زيد أو عمرو كذلك ، لأنَّ سواءً وسِيّانِ واحدٌ فى المعنى ، وإنمّا سِىٌّ من سواء كقِىّ من قَواء . فكما لا يستقيم سواء زيدٌ أو عمرٌو لأنّ المعنى سواء أحدُهما ، والتسوية إنَّما تكون بين شيئين فصاعداً ، كذلك ينبغى أن لا يستقيم . والذى حسَّن ذلك للشاعر أنّه يرى : جالس الحسنَ أو ابنَ سيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعاً ، وكُلِ الخُبز أو التمر ، فيجوز أن يجمعَهما فى الأكل . فلمَّا صارت تجرى مجرى الواو فى هذه المواضع استجاز أن يستعملَها بَعْدَ سِىّ . ولم نعلم أنَّه جاء ذلك فى سواء ، وقياسهُ قياس سِيّان . وقد قال بعض المحدَثين :

سِيَّـــــانِ كَسْرُ رَغيفِـــــهِ أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِـهْ

فهذا فى القياس كما جاء فى الشعر القديم . فأمَّا قوله :

ألاَ فالبثا شهرينِ أو نصفَ ثالثٍ إلى ذاكُما ما غيَّبَتْنى غَيَابيا [٢]

---

(١) العقد ٦ : ١٩١ وغرر الخصائص للوطواط ٢٠٥ والوفيات ٢ : ٢٣٢ .

(٢) لابن أحمر فى ديوانه ١٧١ . وانظر المحتسب ٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ والخصائص ٢ : ٤٦٠ وابن الشجرى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ٤٨٣ . وفى النسختين : « إلى ذاك ما قد غيبتنى » صوابه من الديوان والمراجع السابقة . وفى اللسان : « غيّبه غَيابُه : أى دفن فى قبره » .

فهو من باب جالِس الحسن أو ابن سيرين . ألا ترى أنّه إن لبث شهرين فقط ، أو شهرين وبعضَ ثالث ، فقد ائتمر . وليس الموضعُ مقتضياً لوقوع الواو كما يقتضى الواوَ بعدسيّ وسواءٍ . انتهى كلامه .

وبعض المحْدَثين الذى ذكره أبو على ، هو أبو محمّدٍ يحيى اليزيدى .

صاحب الشاهد

والبيت من جملة أبياتٍ هجا بها أبا المُقاتل ، وهى :

أبيات الشاهد

(استبْقِ وُدَّ أبى المُقا تِل حينَ تدنُو مِنْ طعامِه
سِيّــانِ كسرُ رغيفِــهِ أو كسرُ عظمٍ من عظامِه
ويَصُوم كَرهاً ضيفُــه لم يَنْوِ أجراً مِنْ صيامِه)

كذا نسبها إليهِ صاحب الأغانى [١] ، وابن خلكان فى ترجمته [٢] .

٤٢٦

ورواها ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) كذا :

اكفُفْ يمينَك عن طعامِه إن كنت ترغَبُ فى كلامِه
سِيَّــانِ كسر رغيفــه .... البيت

وأورد الوطواط إبراهيمُ الكُتبىّ (فى كتابهِ غُرر الخصائص الواضحة ، وعُرَر النقائص الفاضحة) بعدَهما بيتين آخرَين ، وهما :

(فالموتُ أهـوَنُ عنـده مِن مَضغِ ضيفٍ والتقامِه
وإذا مررتَ ببابــــهِ فاحفَظْ رغيفَك من غُلامه)

---

(١) لم أجده فى الأغانى . فهو مما لم تورده النسخ المطبوعة .

(٢) ابن خلكان ٢ : ٢٣٢ .

أبو محمد اليزيدىّ

وأبو محمد [هذا [١]] هو يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أحد بنى عدِىٍّ بن عبد شمس بن زيدِ مَنَاةَ [٢] بن تميم . ويعرف أبو محمّد باليزيدىّ ، نسبةً إلى يزيد بن منصور الحميرىِّ خالِ المهدىّ لأنّه كان يؤدبِّ أولاده فنُسِب إليه .

قال صاحب الأغانى [٣] : قيل له اليزيدىّ لأنّه كان فيمن خرج مع إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتَّى استتر أمرهُ ، ثمَّ اتصل بعد ذلك بيزيدَ بنِ منصورٍ خالِ المهدىّ ، فوصله بالرّشيد فلم يَزلْ معه . وأدَّب المأمونَ خاصّةً .

وهو مقرئٌ نحوىٌّ لغوىّ ، صاحبُ أبى عمرو بْن العلاء ، وهو الذى خَلفَه فى القيام بالقراءة بعده . سكنَ بغدادَ وحدَّث بها عن أبى عمرو بن العلاء ، وابنِ جُريج وغيرهما . وروى عنه ابنُه محمّد ، وأبو عُبيدٍ القاسم بنُ سَلاّم ، وإسحاق بنُ إبراهيم الموصلىّ ، وجماعةٌ من أولادِه وحَفَدته ، وأبو عَمرٍو الدُّورىّ ، وأبو شُعيب السُّوسى وغيرُهم . وخالف أبا عَمْرٍو فى حروفٍ كثيرة من القراءةِ اختارَها لنفسه . وأخذَ عِلم العربيَّة عن أبى عمرو ، والخليل بن أحمد [٤] .

قال ابن المبارك : أكثَرتُ السُّؤال عن أبى محمد ومحلِّه من الصّدق ، ومنزِلته من الثّقة ، فقالوا : هو ثقةٌ صدوقٌ ، لا يُدفَع عن سماع ، ولا يُرغبَ عنه فى شئ ، غيرَ ما يُتوهَّم عليه من الميل إلى المعتزلة . وقد روى عنه الغرائبَ أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سَلاَّم ، وكفى به . وما ذاك إلاّ عن معرفةٍ منه به . وكان مؤدِّبَ المأمون ابنِ هارون الرشيد .

(١) التكملة من ش .
(٢) فى النسختين : « زيد بن مناة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٣) الأغانى ١٨ : ٧٢ - ٨٧ .
(٤) انظر معجم الأدباء ٢٠ : ٣١ ووفيات الأعيان .

قال الأثرم : دخل اليزيديُّ يوماً على الخليل بن أحمد ، وهو جالسٌ على وِسادة ، فأوسعَ لهُ وأجلسه معه ، فقال له اليزيدى : أحسَبُنى ضيَّقت عليك . فقال الخليل : ما ضاق موضعٌ على اثنينِ متحابَّين ، والدُّنيا لا تسعُ متباغضَين [١] .

ومن هنا أخذ ابنُ عبدِ ربِّهِ قولَه :

صِلْ مَن هَوِيتَ وإنْ أبدى مُعاتبةً فأطيبُ العيش وصلٌ بين اِثْنينِ [٢]
واقطَعْ حبائلَ خِدْنٍ لا تلائمُه فقلَّما تسَعُ الدُّنيا بَغِيضَينِ [٣]

وقال أبو محمَّدٍ غانمُ بن الوليد المالَقىّ :

صَيِّرْ فؤادَك للمحبوبِ منزلةً سَمُّ الخِياطِ مَجالٌ للمحبَّينِ
ولا تُسامحْ بغيضاً فى مُخاصمةٍ فقلّما تسَعُ الدُّنيا بغيضينِ

وقال ابن الزّقّاق [٤] :

يَضيق الفضَا عن صاحبينِ تباغَضَا وسَمُّ الخياط بالحبيبَيْنِ واسعُ

وقال التِّهامى :

بيْن المحبِّينَ مجلسٌ واسِعْ والوُدُّ حالٌ يقرِّب الشاسِعْ
والبيتُ إن ضاقَ عن ثمانيةٍ متَّسِعٌ بالوُدِّ للتاسِعْ

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٣٠ فى ترجمته والعقد ٢ : ٣١٦ .

(٢) فى العقد : « بين إلفين » .

(٣) فى العقد : « فربما ضاقت الدنيا بإثنين » .

(٤) فى النسختين : « ابن الرقاق » ، صوابه ما أثبت . وهو الشاعر الأندلسى البلنسى على بن عطية ابن مطرف ، المتوفى سنة ٥٢٨ . فوات الوفيات ٢ : ١٢٥ — ١٢٨ .

وروى الأصبهانى (فى الأغانى) أن قتيبة الخُراسانىّ صاحب عيسى بن عمر ، كان يأتى اليزيدىَّ فيسأله عن مسائل كالمتعنِّت ، فإذا أجابه عنها انصرف منكسراً ، فقال فيه :

إذا عافَى مليكُ النّاسِ عبداً فلا عافاك ربُّك يا قُتيبَهْ[١]
طلبتَ النَّحوَ مذْ أن كنتَ طِفلاً إلى أن جلَّلَتْكَ قُبِحْتَ شَيبهْ[٢]
فما تزدادُ إلاّ النَّقصَ فيه فأنت لدَى الإياب بِشَرٍّ أوبهْ[٣]
وكنتَ كغائبٍ قد غاب حيناً فطال مُقامه وأتى بخَيبهْ

وروى عنه أنّه قال : كان عيسى بن عمر أعلَم النّاسِ بالغريب ، فأتانى قُتيبة الخُراسانىُّ فقال : أفِدنى شيئاً من الغريب أُعايى به عيسى بنَ عمر [٤] . فقلت له : أجودُ المساويكِ عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتمئرًّا عُجارِمًا جيّدا . وقد قال الشاعر :

إذا استَكتَ يوماً بالأراكِ فلا يكُنْ سِواكُك إلاّ المتمئرَّ العُجارِما

يعنى الأير . يقال : اتْمأرَّ الشىء ، إذا اشتَّد . والعُجارِم : الأيْر الغليظ [٥] .

---

(١) الأغانى ١٨ : ٧٥ مع شعر آخر لليزيدىّ فى هجائه .

(٢) قُبِحتَ ، من قولهم : قبحه الله ، أى أبعده عن كل خير . وفى التنزيل العزيز : « ويوم القيامة هم من المقبوحين » .

(٣) فأنت ، كذا وردت بخط البغدادى كما أثبته الناسخ . وفى الأغانى أيضا : « وأنت » ، والوجه فيهما : « وأبت » ، من الإياب والأوبة ، أى الرجوع .

(٤) أعايى من المعاياة ، وهى أن يأتى المتكلم بكلامٍ لا يُهتَدى له . والأُعيَّة : ما عاييت به . وفى الأغانى : « أعانى » ، وما هنا صوابه .

(٥) أو المتمئر : الغليظ المستقيم . والعجارم ، كعلابط : الشديد .

قال : فكتب قتيبة ما قلتُ له وكتبَ البيت ، ثم أتى عيسى بنَ عُمرَ فى مجلسِه ، فقال يا أبا عمر ، ما أجود المساويكِ عند العرب ؟ فقال : الأراك . فقال له قتيبة : أفلا أُهدى إليك منه شيئاً متمئرًا عُجارِما ؟ فقال : أهدِهِ إلى نفسك . وغَضِبَ وضحِك كلُّ مَن كان فى مجلسه ، وبَقى قتيبةُ متحيِّراً ، فعلم عيسى أنَّه قد وقع عليه بلاء . فقال له : ويلَك مَن فضحك وسَخِر منك بهذه المسألة !

قال أبو محمد اليزيدىّ : فضحك عيسى حتَّى فَحصَ برجله ، فقال : هذه واللّه من مَزَحاته ، أراه عنك منحرفاً فقد فضَحك ! فقال قتيبة : لا أعاود مسألته عن شئ .

وقد أطنب الأصفهانىُّ فى أخباره ونوادره وأشعارِه ، وأخبار أولاده وحَفَدته .

ومات اليزيدىُّ فى سنة اثنتين ومائتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثمانمائة [1] :

٨٩٨ (تُلِمُّ بدارٍ قد تقادَم عَهْدُها وإمَّا بأمواتٍ ألَمَّ خيالُها)

على أنّ (إمّا) قد تجئ بالشعر غير مسبوقة بمثلها فتقدَّر كما فى هذا البيت الذى أنشده الفراء ، والتقدير : تلمّ إمّا بدارٍ وإمّا بأموات .

كذا قال أبو على (فى كتاب الشعر) .

---

(١) معانى الفراء ١ : ٣٩٠ والمنصف ٣ : ١١٥ والأزهية ١٤١ وابن الشجرى ٢ : ٣٤٥ وابن يعيش ٨ : ١٠٢ والمقرب ١ : ١٣٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٦١ والعينى ٤ : ١٥٠ والهمع ٢ : ١٣٥ والأشمونى ٣ : ١١٠ وديوان الفرزدق ٦١٨ .

ولم ينشده الفرّاء لهذا ، بل جعل إمّا نائبة عن أوْ ، ولا حذف فى الكلام ، وهذا نصُّه نقلناه برُمّته لكثرة فوائده ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إمّا أنْ تُلقِىَ وإمّا أنْ نَكونَ نحنُ المُلْقِين (١) ﴾ : أدخَل أنْ فى إمّا لأنّها فى موضع أمرٍ بالاختيار ، فهى فى موضع نصب كقول القائل : اختر ذا أو ذا (٢) . فإنْ قلت : أنْ فى المعنى بمنزلة إمّا فهل يجوز أن تقول : يا زيد أن تقوم أو تقعد ، تريد اختر أنْ تقوم أو تقعد ؟ قلت : لا يجوز ذلك ، لأنَّ أوّل الاسمين فى أوْ يكون خبراً يجوز السكوتُ عليه ، ثم تستدرك الشكَّ فى الاسم الآخر فتُمضى الكلاَم على الخبر . ألا ترى أنّك تقول : قام أخوك ، وتسكت . وإن بدا لك قلت : أو أبوك . فأدخلت الشكَّ والاسم الأوّل مكتفٍ يَصلُح السكوتُ عليه . وليس يجوز أن تقول : ضربت إمّا عبدَ الله ، وتسكت . فلما آذنَتْ إمّا بالتخيير من أوّل الكلام أحدَثتَ لها أنْ . ولو وقعت إمّا وإمّا مع فعلين قد وُصِلا باسم معرفة أو نكرة ، ولم يصلحُ الأمر بالتخيير فى موضع إمّا ، لم يحدُث فيها أنْ ، كقوله تعالى : ﴿ و آخرُون مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللهِ إمّا يُعذِّبُهم وإمّا يَتُوبُ عليهم (٣) ﴾ . ولو جَعلْتَ أنْ فى مذهبِ كَىْ وصيَّرتها صلةً لمرجَوْن ، تريد : أُرجِئوا لأَنْ يعذَّبوا أو يُتابَ عليهم ، صلح ذلك فى كلِّ فعل تام ، ولا يصلح فى كان وأخواتها ، ولا فى ظَننت وأخواتها . من ذلك أن تقول : آتيك ، إمّا أن تُعطِىَ وإمّا أنْ تمنع . وخطأٌ أن تقول : أظنُّك إمَّا أن تعطىَ وإمّا أن تمنع ، ولا أُصبحتَ إمّا أن تُعطِىَ وإمّا أن تمنع .

٤٢٨

ولا تدخل أوْ على إمّا ، ولا إمَّا على أوْ . وربمَّا فعلت العربُ ذلك لتآخيهما

(١) الآية ١١٥ من الأعراف .

(٢) بعده فى معانى القرآن : « ألا ترى أن الأمر بالاختيار قد صلح فى موضع إما » . والنص فى المعانى مغاير لما هنا مع أن المؤدى واحد .

(٣) الآية ١٠٦ من سورة التوبة .

فى المعنى ، على التوهُّم ، فيقولون : عبد الله إمّا جالسٌ أو ناهض . ويقولون : عبد الله يقوم وإمَّا يقعد . وفى قراءة أُبَيّ : ﴿ وإنّا وإيّاكم لإمَّا على هُدًى أو فى ضلالٍ [1] ﴾ ، فوضع أو فى موضع إمّا . وقال الشاعر :

فقلت لهنَّ آمشِينَ إمّا نُلاقِهِ كما قال أو نَشْفِ النُّفوسَ فنُعذَرا

وقال آخَر :

فكيف بنفسٍ كلَّما قلتُ أشرفَتْ على البُرء من دَهماءَ هِيضَ اندمالُها
تُهاضُ بدارٍ قد تقادَم عهدها وإمّا بأمواتٍ ألَمّ خيالُها

فوضع إمّا فى موضع أوْ . وهو على التوهُّم ، إذا طالت الكلمةُ بعضَ الطُّول أو فرَقتَ بينهما بشيءٍ هنالك يجوز التوهُّم ، كما تقول : أنت ضاربُ زيدٍ ظالماً وأخاه ، حين فرَقت بينهما بظالم جاز نصبُ الأخِ وما قبلَه مخفوض . انتهى كلام الفراء .

فجعل إمّا نائبةً عن أوْ ، لا أنَّ مثلَها محذوفٌ من أوَّل الكلام .

وما قاله غيره أجود ، لأنَّه حملٌ على الكثير الشائع .

صاحب الشاهد

وخصَّ ابن عصفورٍ حذْفَها بالشعر كأبى عليّ والشارح المحقّق . ونسبهما أبو عليّ إلى الفرزدق ، وهو الصحيح .

وقال المرادى (فى شرح التسهيل) ، والعينى : هما لذى الرمة . ولم أرَهُما فى ديوانه .

وقوله : « فكيف بنفسٍ » أى كيف نأمل بصحَّة نفسٍ هذه صفتُها . وقيل الباء زائدة ونفس مبتدأ وكيف خبره . وأشرفت : أقبلَتْ . والبُرء ، بالضم :

---

(١) الآية ٥٤ من سورة سبأ . وانظر القراءات الشاذة ١٢٣ .

الخَلاصُ من المرض . وقوله : « من دهماء » أى من مرضِ حُبِّها ، ففيه حذف مضافين ، أو مِنْ تعليليَّةٌ فلا حذف . ودَهْماء : اسم امرأة . وروى العينى بدله : « حَوْصاء » بالحاء والصَّاد المهملتين ، وقال : هو فَعْلاء من الحَوَص بالتحريك ، وهو ضيقٌ فى مُؤْخِر العين . وهِيضَ : مجهولُ هاض العظمَ يَهيضه هَيْضاً إذا كسره بعد الجَبْر . وقوله : « اندمالها » أى اندمال جُرحها ، والضَّمير للنفس . والاندمال : تراجُع الجرح إلى البرء . يريد : كلَّما قارب الجرح إلى الالتحام أُصيب بشئ فدَمِىَ فصار جُرحا كالأوّل أو أشدَّ .

وقوله : (تُهاض) بالمثناة الفوقية ، والضمير لتلك النفس . أى يتجدَّدُ جُرحها . والباء فى قوله (بِدار) و (بأمواتٍ) سببيَّة . وجعلها العينى ظرفيَّة وقدَّر لمجرورها صفة وقال : أى فى دارٍ تَخْرَب . وهذا لا حاجةَ إليه . وجملة (قد تقادم) صفة دار . قال الجوهرى : وقَدُم الشئ قِدَما ، أى بكسر ففتح ، فهو قديم . وتقادَم مثلُه . انتهى . وفى المصباح : قدُم الشئ قِدَماً كعنب : خلاف حَدُث ، فهو قديم . وعيبٌ قديم ، أى سابقٌ زمانَه متقدِّم الوقوع على وقتِه . و (العَهْد) قال صاحب المصباح:يقال هو قريب العهد بكذا ، أى قريب العلم والحالِ . والأمرُ كما عهدت ، أى كما عَرفت .

٤٢٩

وقوله : (وإمّا بأمواتٍ) قال العينى : أى بموت أموات . وليس المعنى عليه كما لا يخفى . و (ألَمَّ) قال صاحب المصباح : ألَمَّ الشئُ إلماماً أى قرُب . وفى الصحاح : الإلمام : النزول ، وقد ألَمَّ به أى نزَل به . وغلام مُلمٌّ : قارَبَ البلوغ . وفى الحديث : « وإنَّ ممَّا يُنبتُ الرَّبيعُ ما يَقتُل حَبَطاً أو يُلِمُّ » ، أى يقرُب من ذلك . انتهى . فيكون التقدير : ألَمَّ خيالُها بنا . والجملة صفة أموات . و (الخيال) بالفتح : صورة الشَّئ فى الذهن . وروى أيضا : « تُلِمُّ بدار » كما فى الشرح وغيره ، وهو من الإلمام ، وقد ذكَرناه ، وفاعله ضمير النفس .

وهذا البيت بيانٌ لسبب عدم بُرء النّفس .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٩٩ (فإمّا أنْ تكونَ أخى بِحَقٍّ فأعرِفَ منكَ غَثّى أو سَمينِي
وإلاّ فاطَّرِحْنـــى واتَّخِـــذنى عَدُوًّا أتَّقيكَ وتتَّقينِـــى (٣))

على أنّه قد تخلف (إمّا الثانية) إلاّ ، وهى إن الشرطيَّةُ المدغَمة بلا النافية ، أى وإلاّ تكن أخى بحّقٍ فاطَّرِحْنى . وقد تخلفها (أوْ) أيضاً كما قال الشارح وغيرُه ، كقوله :

فقلت لهنَّ آمشِينَ إمّا نُلاقِـه كما قال أو نَشْفِ النُّفوس فنعذَرا

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدةٍ طويلة للمثقِّب العبدىّ ، أوردها المفضَّل (فى المفضَّليات) : وبعدهما :

(وما أدرِى إذا يمَّمْتُ أمراً أُريدُ الخيرَ أيُّهمَـــا يَلينِـــى
أألخيرُ الـذى أنـــا أبتغيـــهِ أم الشَّرُّ الذى هُو يبتغينِى)

وهذا آخر القصيدة ، ولم يذكر فيها المخاطب بهما مَن هو ، وكأنّه محذوف منها (٤) .

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .

(٢) معانى القرآن ١ : ٢٣١ /٢ : ٣٧٢ والأزهية ١٥٠ وابن الشجري ٢ : ٣٤٤ والمقرب ١ : ٢٣٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٦١ والعينى ٤ : ١٤٩ والهمع ٢ : ١٣٥ والأشمونى ٣ : ١١٠ والمفضليات ٢٩٢ وديوان المثقب ٢١١ – ٢١٣ .

(٣) قيل إنه يخاطب عمرو بنَ هند ، لقوله قبل ذلك :

إلى عمرو ومِنْ عمرو أتتنى أخى النجَدات والحِلْم الرصينِ

وقال الأصمعي : « أراه غير الملك لأنه لم يكن ليخاطبه بمثل هذا الكلام » .

(٤) انظر الشاهد ٩٠٢ ص ١٠٩ .

وقوله : (فإمّا أن تكون) بتأويل مصدرٍ منصوب على أنّه مفعول لفعل محذوف ، والتقدير : بيِّنْ إمّا كونَكَ أخا وإمّا كوَنك عدوًّا . و (إمَّا) لأحد الشيئين . وجعل بعضُهم ذلك المصدرَ مبتدأً محذوف الخبر تقديره : فإمّا أُخوَّتُك الصَّادقة حاصلةٌ . هذا كلامه . والجيِّد أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : إمّا شأنك كونُك أخاً صادقا ، كما قال سيبويه فى قوله :

* فإنْ جزعٌ وإنْ إجمالُ صَبْرِ *

كما يأتى [1] .

وجعل مثلَه أبو على (فى البغداديات) مبتدأً محذوف الخبر ، قال فى قوله تعالى : ﴿ ياذا القَرنَينِ إمَّا أنْ تُعذِّبَ [2] ﴾ ينبغى أن يكون رفعاً ، وارتفاعه على الابتداء ، أى إمّا العذابُ شأنك أو أمْرك ، أو اتِّخاذُ الحُسْن . انتهى .

قال العينى : قوله : (بحقٍّ) فى محل نصب صفة لأخى .

ولا يخفى أنَّ الظرف بعد المعرفة حال وبعد النكرة صفة بحسب الاقتضاء ، وهنا وقع بعد معرفة فكيف يكون صفة ؟ على أنّه لا اقتضاء هنا بحسب المعنى ، وإنمّا هو نائب عن المفعول المطلق ، والتقدير : تكون أخى كوناً ملتبسا بحقّ .

وقوله : (فأعرفَ) بالنصب معطوف على تكون . وقوله:(غثى أو سمينى) كذا هو بِأوْ ، فى المفضليات وغيرها . قال ابن الأنبارى : أى فأعرف نُصحك من غِشّك . وهى نسخةٌ قديمة مضبوطةٌ صحيحة جدًّا .

٤٣٠ ورُوِى (فى الشرح) ، و (مغنى اللبيب) ، و (شروح الألفيّة) : « غثِّى مِنْ سمينى » فمِن الأُولى ابتدائية فى الرِّوايتين ، ومن الثانية للبدل ، كقوله تعالى :

---

(١) انظر الشاهد ٩٠٢ ص ١٠٩ .

(٢) الآية ٨٦ من سورة الكهف .

﴿ أرضِيتم بالحياةِ الدُّنيا من الآخِرة [١] ﴾ . وأنكره قومٌ فقالوا : التقدير : أرضيتم بالحياة الدُّنيا بدلاً من الآخرة ، فالمفيدُ للبدليّة [٢] متعلّقها المحذوف . وأمّا هى فللابتداء .

وقال ابن مالك : من الداخلة على ثانى المتضادَّين معناها الفصل ، نحو : ﴿ والله يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِن المُصْلِح [٣] ﴾ . قال ابن هشام : فيه نظرٌ ؛ لأنَّ الفصل مستفاد من العامل ، والظاهر أنّ مِنْ للابتداء أو بمعنى عَنْ . انتهى .

قال العينى : قوله : « غَثِّى » بفتح الغين المعجمة وتشديد الثاء المثلثة ، مِن غَثَّ اللحمُ يَغِثُّ ويَغَثّ بكسر الغين وفتحها ، غَثاثة وغثُوثة ، فهو غثٌّ وغثيث ، إذا كان مهزولاً . وكذلك غثَّ حديثُ القوم وأغَثّ ، أى رَدُؤ وفَسَد . والمعنى ههنا : أعرف مِنك ما يَفسُد مِمّا يَصلُح [٤] . انتهى .

وقال الدمامينى : الغثُّ : الردىء . والسَّمين : الجيّد . أى فأعرفَ منك مساوِىً من محاسنى ، فإنّ المؤمنَ مرآةُ أخيه . أو فأعرفَ ما يضرُّنى منك ممَّا ينفعنى وأميِّزَ بينهما . انتهى .

وقوله : (وإلاّ فاطَّرِحْنى) أى اتركْنِى . وهو بتشديد الطاء افتعال من الطَّرح .

وقوله : « وما أدرى إذا يمّمتُ » إلخ ما نافية ، وأدرى : أعلم ، وجملة أيُّهما يلينى فى محلِّ المفعولين لأدرى ، لأنَّه معلَّق عن العمل باسم الاستفهام . وإذا ظرفٌ لأدرى . ويمَّمت : قصدت . و « أمرا » كذا فى المفضليات ، وفى غيرها : « وَجهاً » . وروى أيضا : « أرضاً » . وجملة أريد حال من فاعل يمّمت .

---

(١) الآية ٣٨ من سورة التوبة .

(٢) ط : « من البدلية » ، صوابه فى ش .

(٣) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٤) فى النسختين : « عما يصلح » ، صوابه من العينى ٤ : ١٥٠ .

وأورده الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ليْسُوا سواءً مِنْ أهلِ الكتابِ أُمّةٌ قائمةٌ (١) ﴾ قال : ذكَرَ أمّةً ولم يذكر بعدها أخرى ، والكلام مبنيٌّ على أخرى ، لأنّ سواء لابدَّ لها من اثنين فما زاد ، كأنّك قلت : لا تستوى أمّةٌ صالحة وأخرى كافرة . وقد تستجيز العرب إضمار أحدِ الشيئين إذا كان فى الكلام دليلٌ عليه .

ثم أنشدَ هذين البيتين وغيرَهما .

وكذا أنشدهما عند قوله تعالى : ﴿ إنّا جَعلْنَا فى أعناقِهِم أغلالاً فهى إلى الأذْقانِ (٢) ﴾ ، قال : كنَى عن هى ، وهى للأيمان ولم تُذكر . وذلك أنَّ الغُلّ لا يكون إلاّ فى اليمين والعُنقِ ، جامعاً لليمين والعنق ، فيكفِى ذكرُ أحدِهما من صاحبه . ثم أنشدهما فقال : كنى عن الشَّرِّ ، وإنمّا ذكر الخير وحدَه . وذلك أنّ الشَّرَّ يذكُر مع الخير . انتهى .

وكأنّه يريد أنّ التقدير : أريد الخير لا الشرّ . ولا يجوز أن يكون التقدير : أريد الخير والشر ، لأنّه غير مرادٍ له ، بدليل ما بعده ، فيكون من حذف المعطوف بلا النافية ، وهو غريب .

وقوله : « أألخيرُ الذى » إلخ هذا بدلٌ من أىّ ، ولهذا قرن بحرف الاستفهام . والهمزةُ الثانية من أألخير همزة وصل دخلَتْ عليها همزة الاستفهام ، وكان القياس أن يُستغنَى عنها ، لكنَّها لم تحذف وخفّفت بتسهيلها بينَ بين ، إذ لولا ذلك لم يتَّزن البيت . ولا سبيلَ إلى دعوى تحقيقها ، لأنّه لا قائل به .

وهمزة بينَ بينَ عند البصريّين متحركة بحركة ضعيفة يُنحَى بها نحوَ

---

(١) الآية ١١٣ من آل عمران .

(٢) الآية ٨ من سورة يّس .

السُّكون ، ولذلك لا تقع إلاّ حيث يقع الساكن غالباً ، ولا تقع فى أوَّل الكلام بحال .

وفيه ردٌّ على الكوفيين فى دعوى سكونها لأنَّها فى مقابلة ثانى حروفِ وتدٍ مجموع ، وهو لا يكون ساكنا . ولأنّها لو كانت ساكنة لزم التقاء الساكنين على غير حَدِّه . ورُوىَ :

* أم الشَّرُّ الذى لا يَأْتلينى *

٤٣١ قال ابن الأنبارى : أى لا يألو فى طلبى ، أى لا يقصِّر فى طلبى .

المثقِّب العَبْدىّ

والمثقِّب العبدىُّ : شاعر جاهلىٌّ قديم ، كان فى زمن عَمرو بن هند . قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [1]) ، وقال : اسمه مِحْصَن بن ثعلبة ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة ، سمِّى المثقِّب لقوله فى هذه القصيدة :

رَدَدْنَ تحيّةً وكنَنَّ أخرى وثقَّبنَ الوَصَاوِصَ للعُيونِ

وكان أبو عمرِو بنُ العلاء يقول : لو كان الشعر كلُّه على هذه القصيدة لوجبَ على الناس أنْ يتعلَّموه . انتهى .

وقال ابن الأنبارى : اسمه : عائذ بن مِحصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدى ابن عَوف بن دُهن بن عُذرة بن منبِّه بن نُكرة بن لُكيز بن أفْصَى بن عبد القيس ابن أفصى بن دُعْمِىٍّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعدِّ بن عدنان . انتهى .

والمثقِّب : اسم فاعل من ثَقّب بالثاء المثلثة وتشديد القاف . وصحَّفه الدَّمامينى بالنون . وهو لقبٌ له ، لقوله ذاك البيت .

والعَبدىُّ : نسبة إلى عبد القيس ، ويقال فى النسبة إليه : عَبْقَسِىٌّ أيضا .

---

(١) الشعراء ٣٩٥ – ٣٩٨ .

وقوله : « ردَدْنَ تحيَّة » إلخ قال ابن الأنبارىّ : أى أظهرن السَّلام وردَدنه . وكتمن ، أى سترن ، وهو ما يُردُّ من السلام بعينٍ أو بيد . وروى :

* ظهرنَ بِكِلّةٍ وسَدلْنَ أخرى *

والكِلَّة : ما يُرى على الهَودج ، وهو شبيهٌ بالستور . والوصاوص : البراقع الصِّغار . أراد أنَّهن حديثاتُ الأسنان فبراقعهنَّ صغار .

ومن شِعر المثقِّبِ من أول قصيدة أخرى :

لا تَقُولَنَّ إذا مالم تُرِدْ أن تُتمَّ الوعدَ فى شىءٍ نَعَمْ[1]

حَسنٌ قولُ نَعَمْ من بعدِ لا وقبيحٌ قولُ لا بعدَ نعمْ

إنَّ لا بَعدَ نعَمْ فاحشةٌ فبلا فابدأْ إذا خفتَ النَّدَمْ

فإذا قلتَ نعمْ فاصبِرْ لها بنَجاح القَولِ إنَّ الخُلفَ ذَمّْ

واعلَمَ أنَّ الذّمَّ نقصٌ للفتى ومَتى لا يتَّقى الذَّمَّ يُذمّْ

أُكرِمُ الجارَ وأرعى حَقَّه إنَّ عرفانَ الفتى الحقَّ كرمْ

لا تَرانى رَاتعاً فى مجلس فى لُحوم النَّاسِ كالسَّبْعِ الضَّرِمْ

إنّ شرَّ الناسِ مَن يَكشِرُ لى حِينَ يلقانى وإنْ غبتُ شتمْ

وكلامٍ سَيِّىءٍ قد وُقِرَتْ أذُنى عنه وما بى مِنْ صَمَمْ

فتصبَّرتُ امتعاضاً أنْ يَرى جاهلٌ أنِّى كما كانَ زعمْ

ولَبعضُ الصَّفحِ والإعراضِ عَنْ ذى الخنا أبقَى وإن كان ظَلَمْ

والضَّرِم : الشديد النَّهَم ، أخذاً من ضَرَم النار ، وهو التهابها . والسَّبع ، بضم الموحَّدة ، لكن سكّنه للضرورة . ويَكشِر : يضحك . ووُقِرت أذنه بالبناء للمفعول تُوقَر وَقْرًا ، فهى موُقَرة من الصَّمم .

* * *

(١) انظر الأبيات وتخريجها وتفسيرها فى المفضليات طبع دار المعارف ٢٩٣ — ٢٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للتسعمائة [(١)] :

٩٠٠ (يا ليتَما أُمَّنا شالَتْ نَعامتُها   أمّا إلى جنّةٍ أمّـا إلى نارِ)

على أنّ (أمّا) الثانية تلزم الواو ، وربّما ترد بلا واو ، كهذا البيت ، وهو غير الغالب .

٤٣٢ قال ابن هشام (فى حواشى التسهيل) : لا أحفظ حذفَ الواو إلاّ مع تخفيف إمّا بالبدَل ، كقوله :

لا تُفسِدُوا آبالَكُـــــمْ   إيمَا لَنا إيمَـا لكُـمْ [(٢)]

قال الشارح : « ويروى أَيْمَا إلى جنة » وهى لغةٌ فى إمّا . هذا هو المشهور فى رواية البيت .

وكذا أنشده أبو تمام (فى الحماسة) وهو بفتح الهمزة وسكون الياء .

قال ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) : قوله أَيْما إلى جنّة ، يدلُّ على أنّ إبدال الراء والنون ياءين فى قيراط ودينار ، ليس للكسرة ، إنّما هو للإدغام . ألاَ ترى أنّ أيْمَا قد أبدل فيها من ميم أمّا ولا كسرة قبلها . انتهى .

وكذا ذكره ابن هشام (فى المغنى) قال : وفى البيت شاهدٌ ثان ، وهو فتح الهمزة ، وثالث وهو الإبدال . انتهى . فيكون الإبدال من أمّا بفتح الهمزة .

قال الدمامينىُّ (فى المزج) عند قول ابن هشام : وقد تبدل ميمُها الأولى

---

(١) ش : « التسعمائة » . وانظر المحتسب ١ : ٤١ ، ٢٨٤ وابن يعيش ٦ : ٧٥ والمغنى ٥٩ والعينى ٤ : ١٥٣ والتصريح ٢ : ١٤٦ والهمع ٢ : ١٣٥ والأشمونى ٣ : ١٠٩ .

(٢) المحتسب ١ : ٢٨٤ والهمع ٢ : ١٣٥ .

ياء ، أى مع فتح الهمزة وكسرها كما نصَّ عليه غير واحد ، لكنَّهم فيما رأيتُ لم يستشهدُوا على الإبدال إلاّ مع فتح الهمزة . انتهى .

وقال المراديُّ (فى شرح التسهيل) : حُكىَ الإبدالُ مع كسر الهمزة وفتحها . فمثالُه مع الكسر قوله :

* يا ليتما أمَّنا شالت نعامتها * ... البيت .

ومع الفتح قولُ أبى القَمْقام :

تنفِّحُها أيْماً شَمالٌ عريّةٌ وأيْما صَباً جُنْحَ الظَّلامِ هَبوبُ[1]

رواه الفراء بالياء وفتح الهمزة .

هذا كلامه ، وفيه نظر ، فإنَّ البيت الشاهد نصُّوا على فتح همزته مع الإبدال ، ولو كان الكسر فيه روايةً أيضا لكان اللائق عَزْوَه إلى ناقلِه .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل أبيات أربعة أوردها أبو تمام (فى أواخر الحماسة) قال : وقالت أمُّ النُّحَيف[2] وهو سَعْد بن قُرط ، أحد بنى جَذيمة ، وكان تزوَّجَ امرأةً نَهتْهُ أمُّه عنها :

أبيات الشاهد

لعَمرِى لقد أخلَفْتَ ظَنِّى وسُؤتَنِى فحُزْتَ بعِصيانى النَّدامةَ فاصبرِ
ولاتَكُ مِطْلاقاً مَلولاً وسامِحِ الـ ـقرينةَ وافعَلْ فِعْلَ حُرٍّ مشهَّرِ
فقد حُزْتَ بالورهاء أخبَثَ خِبْثةٍ فدَعْ عنك ما قد قلتُ يا سعدُ واحذَرِ

---

(١) المقرب ١ : ٢٣١ والهمع ٢ : ١٣٥ . وفى ط : « تنفخها » بالخاء المعجمة ، صوابه فى ش والدرر اللوامع ٢ : ١٨٢ . ويروى : « تلقحها » .

(٢) فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٨٦٢ : « النحيف » بفتح النون فى مخطوطاتها . لكن ضبطه التبريزى فى شرح الحماسة ٤ : ٣٥٢ بالتصغير وقال : « يجوز أن يكون النحيف تحقير ترخيم النحيف » . وقد اقتبس التبريزى هذا من المبهج لابن جنى ٦٨ دون أن ينبه على ذلك .

تربَّصْ بها الأيّامَ عَلَّ صروفَها ... سَترمِى بها فى جاحِمٍ متسعِّرِ
فكم من كريمٍ قَدْ مَنَاهُ إلَهُهُ ... بمذمومةِ الأخلاق واسعةِ الحِرِ
فطاوَلَها حتَّى أتتْها منيَّةٌ ... فصارت سَفاةً جُثوةً بين أقبُرِ
فأُعقِبَ لمّا كان بالصَّبر مُعْصِماً ... فتاةً تَمَشَّى بين إتْبٍ ومئزرِ
مُهفهفةَ الكشحين مَحطوطةَ المَطَا ... كهمِّ الفتى فى كلِّ مَبدًى ومَحضَرِ (١)
لها كَفَلٌ كالدِّعص لبَّدهُ النّدَى ... وثَغْرٌ نقىٌّ كالأُقَاحِ المنوِّرِ

فاجابها ابُنها (٢) :

يا ليتما أُمّنا شالت نعامتُها ... أيْما إلى جنّةٍ أيما إلى نارِ
تلتهمُ الوَسْقَ مشدوداً أشِظَّتُه ... كأنّما وجهُها قد سُفْعَ بالقارِ (٣)
ليست بِشَبْعَى ولو أوردْتَها هَجَراً ... ولا برِيًّا ولو صافَتْ بذى قارِ (٤)
خرقاءُ بالخير لا تَهدِى لِوجهتهِ ... وهْىَ صَنَاعُ الأذَى فى الأهلِ والجارِ (٥)

٤٣٣ قال الخطيب التبريزى : الورهاء : الحمقاء . وأخبث خِبْثة نعتُ كلِّ فاسد (٦) . « فدع عنك ما قد قلت » كأنّه كانَ همَّ بمباينتها فأنكرَتْ ذلك

---

(١) وكذا عند التبريزى . وفى المرزوقى : « مخطوطة الحشا » .

(٢) لم ترد هذه المقطوعة عند المرزوقى . ووردت عند التبريزى مسبوقة بقوله : « وقال سعد ، وليس من الكتاب » . وسعد هذا هو النحيف ، وهو سعد بن قرط . والمقطوعة رواها السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٦٧ عن ثعلب فى أماليه . وقد أثبتُّها فى ملحقات المجالس ٨٠٨ .

(٣) عند التبريزى : « قد طُلِىَ بالنار » . وإسكان عين الثلاثى المبنى للمجهول لغة لبكر بن وائل وناس كثير من بنى تميم . انظر سيبويه ٤ : ١١٣ — ١١٤ .

(٤) عند التبريزى : « ولو قاظت » .

(٥) هذا البيت لم يرد فى شرح التبريزى .

(٦) بعده عند التبريزى ٤ : ٣٥٣ : « وكذلك الخابث . وقد استعمل الخبثة فى العجوز أيضا » .

وقالت : تربَّص بها . والجاحم ، بتقديم الجيم على المهملة : النار الشديدة التأجُّج . والسَّفاة ، بفتح المهملة : الكُبَّة من التراب . وأعصَمَ من الشر واعتصَم واستعصم : التجأ وامتنع . ومَحْطوطة المطا ، أى كأنَّها قد صُقلت بالمِحَطّ بالكسر ، وهو ما يُصقَل به السيفُ والجلْد . والمهفهفة : الخميصة البطن . وكهَمٍّ الفتى : كما يهواه ويَهُمُّه حيثما تصرَّف . والنُّحيف : تصغير مرخّم نحيف . انتهى كلامه .

وبقى فيه كلماتٌ تحتاج إلى الشرح فنقول : القرينة : زوجة الرجل . ومَناه : ابتلاه ، ومضارِعُه يَمْنُوه ويَمِنيه . والحِرُ بكسر المهملة : الفَرْج . وفى السَّفَا : التُّراب ، والسَّفاة أخصّ منه . والجثْوة ، مثلثة الجيم : الحجارة المجموعة . وأقبُر : جمع قَبْر . وأُعقِب بالبناء للمفعول . ومُعصِم : اسم فاعل : ملتجىء . وفتاةً مفعول ثان لأُعقب . والإِتْب ، بكسر الهمزة وسكون المثناة الفوقيَّة : ثوبٌ أو بُردٌ يُشَقُّ فى وسَطه ، فتلقيه المرأة فى عنقها من غير كُمٍّ ولا جَيب . والكَشْح : الخاصرة . والدِّعص ، بالكسر : الكثيب من الرَّمل .

وقول سعد : (يا ليتما أمَّنا) البيت ، يا : حرف تنبيه ، وأمَّنا بالنصب اسم ليت ، وجملة شالت نعامتُها خبرها . و (شالت) : ارتفعت . و (النَّعامة) قيل باطنُ القدم ، وقيل عَظْم السَّاق . وقولهم : شالت نعامتُه : كنايةٌ عن الموت والهَلاك ، فإنَّ من مات ارتفعتْ رجلاه وانتكسَ رأسُه وظهرت نعامةُ قدمِه شائلة . وقيل معناه ارتفعت جِنازته . وفى الصحاح : النَّعامة : الخشَبة المعترِضة على الزُّرنوقين . ويقال للقوم إذا ارتحلوا عن مَنْهَلهم أو تفرَّقوا : شالت نعامتُهم .

وقال ابن برى (فى أماليه عليه) : وشاهدُه قول أميَّة بن أبى الصَّلت :

اشرب هنيئاً فقد شَالَتْ نعامتُهُمْ وأسبِلِ اليومَ فى بُرديكَ إسبالاَ[١]

وقال آخر :

إنّى قضيتُ قضاءً غيرَ ذى جَنَفٍ لمَّا سمِعتُ ولمَّا جاءنى الخبرُ[٢]
أنّ الفرزدق قد شالت نعامتُه وعَضّه حيّةٌ من قومه ذَكَرُ انتهى

والزُّرنوقان : مَنارتان تُبنيَان على رأس البئر[٣] فتوضع عليهما النَّعامة . وقال بعضهم : العرب تريد بقولها « شالت نعامته » الدعاءَ عليه ، تعنى هَزَمه الله وراعَه حتَّى يذهبَ على وجهه ، كما نَفَرَ النعام . ولشدَّةِ هَرب النَّعام وذُعرِه ضُرب به المثلُ للمهزوم .

وقوله : (أيما إلى جَنّة) إلخ أورده صاحب الصحاح فى مادّة (أمو) فقال : وإمّا بالكسر والتشديد حرف عطف بمنزله أوْ . إلى أن قال : وقولهم : أيما وأيما ، يريدون : إمّا وإمّا فيبدلون من إحدى الميمين ياء . قال الأحوص :

* أَيْمَا إلى جنّةٍ أيْمَا إلى نارِ *

وقد يكسر . انتهى .

وفيه نظر من وجوه :

الأوّل : أنها ليست من هذه المادّة .

---

(١) وكذا فى اللسان (نعم ٦٣) . ونحوه فى مستقصى الزمخشرى ٢ : ١٢٦ . لكن فى ديوان أمية بن أبى الصلت ٥٢ نجد البيت ملفقا من بيتين هما :

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا فى رأس غُمدانَ دارا منك محلالا
واطْلِ بالمسك إذ شالت نعامتهم وأسبِلِ اليومَ فى برديك إسبالا

(٢) للأخطل فى النقائض ٤٩٤ وابن سلام ٣٨٧ . وهما فى اللسان (نعم ٦٣) بدون نسبة . ولم يردا فى ديوانه ولا فى تكملته .

(٣) ط : « البعير » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

الثانى : ليست حرف عطف .

الثالث : فى نسبة الشعر للأحوص ، وإنمّا هو للنُّحيف المذكور .

ولم يتنبّه لهذا ابنُ برّيٍّ ولا الصفَديّ .

وفى قوله : « وقد يكسر » ردٌّ على الدمامينى فى قوله : لم يستشهدوا على الإبدال إلاّ مع فتح الهمزة .

فتلخَّص لنا فى هذه الكلمة أن أيما بالفتح أصلها أمَّا المفتوحة وهى لغة فى المكسورة ، وأنّ إيما بالكسر أصلها إمّا بالكسر ، لكن كثُر استعمال أَيْمَا بالفتح . ٤٣٤

وقد خفِىَ على ابن برىٍّ مجىء الفتح فى إمَّا المكسورة ، فاعترض على صاحب الصحاح فى تجويزه الوجهين فى أيما فى هذا الشعر وغيرِه ، فقال : صوابه إيما بالكسر ، لأنَّ الأصل إمّا . فأمَّا أيما فالأصل فيها أمّا . وذلك فى مثل قولك : أمَّا زيد فمنطلق ، بخلاف إمّا التى فى العطف فإنّها مكسورة لا غير . انتهى .

وقوله : « تلتهم الوَسْق » إلخ الالتهام : الابتلاع . والوَسْق : حِمْلُ البعير . والأشظَّة : جمع شِظاظ بالمعجمات وكسر أوّله ، وهو العود الذى يُدخلَ فى عُروة الجُوالق . وقوله : « قد سُفْع » بضم السين وسكون الفاء مخفّفُ مكسورِها ، وهو ماضٍ مجهول ، من السَّفْع بالفتح ، والاسم السُّفْعة بالضم ، وهو سوادٌ مُشربٌ حمرة . والقار : الزِّفت .

وقوله : « ليست بشَبْعَى » هو مؤنث شَبْعان . وهَجَر بفتحتين ، قال السيوطى : قريةٌ بالحجاز معروفة بكثرة التمر . وريًّا : مؤنّث ريّان . وصَافت : فعلٌ ماضٍ من الصَّيف . وروى : « قاظت » مِن القَيْظ ، وهو مُدّة شدّة الحرّ . وذو قار : موضع .

وقوله . « خرقاءُ بالخير » هو مؤنث أخرق ، وهو الذى لا يُحسِن أن يصنع شيئاً . والصَّناع ، بالفتح : المرأة الحاذقة بعمل اليدين وتُحسِن كلَّ شئ .

التُّحيف

والنُّحَيف ، بضم النون وفتح الحاء المهملة وسكون الياء بعدها فاء : مصغّر نَحِيف تصغير ترخيم ، وإلاّ لقيل نُحَيِّف بتشديد الياء المكسورة . وهو لقب سعد بن قُرط ، بضم القاف وسكون الراء بعدها الراء بعدها طاء مهملة . وهو من عبد القيس ، والنِّسبة إليه عَبْدىٌّ وعَبْقَسِىٌّ كما تقدَّم .

وقال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : قال ثعلب فى (أماليه) : قال أبو رِزْمَةَ الفزارىّ : كانت امرأةٌ من عبد القيس لها ابنٌ يقال له سَعد بن قُرط بن سيَّار ، يلقَّب النُّحيف،يعقُّها ، وكان شِرِّيراً ، فقال يهجوها :

* ياليتما أمَّنا شالت نعامتُها *

الأبياتَ الأربعة . وساق حكايةً مع أبيات . ولم أر شيئاً مما نقله (فى أمالى ثَعلب) مع أن نسختى منها كانت نسختَه وعليها خطُّه .

واستمدَّ ابن المُلاّ مما نقله ، فصَّحف نسبة الشاعر فقال : سعد بن قَرَظ بفتحتين ومعجمتين بينهما مهملة ، ابن سيَّار الملقب بالتُّحيت . هكذا بخطه ونقلته منه ، وهو تصحيفٌ فى الاسمين لا شَّك فيه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد التسعمائة ، [وهو من شواهد س [1]] :

٩٠١ (سَقَتهُ الرَّواعـد مِن صَيِّـفٍ   وإنْ مِنْ ربيعٍ فلن يَعْدَمـا)

على أنَّ الأصلَ فيه : سقتهُ الرَّواعِدُ إمَّا من صَيِّفٍ وإمَّا مِن خريف . فحذف لضرورة الشعر (إمَّا) الأولى ، و (ما) من إمَّا الثانية . وكان أصلُ إمَّا : إنْ ما ، فلمَّا حذفت (ما) رجعت النون المنقلبة ميماً للإدغام إلى أصلها .

قال سيبويه (فى باب ما يُضمَر فيه الفعلُ المستعملُ إظهارُه بعد حرف) : وأمَّا قول الشاعر :

لقد كَذَبْتكَ نفسُكَ فاكذِبَنْها   فإنْ جزَعاً وإنْ إجمال صبرٍ [2]

فهذا على إمَّا ، وليس على إنِ الجزاءِ كقولك : إنْ حَقًّا وإن كذباً . فهذا على إمَّا محمولٌ . ألاَ ترى أنّكَ تُدخِل الفاء . ولو كانت على إنِ الجزاءِ وقد استقبلت الكلامَ لاحتجتَ إلى الجواب [3] . فليس قوله : فإن جزعاً كقوله : إن حَقًّا وإنْ كذبا ، ولكن على قوله : ﴿ فإمَّا مَنًّا بعدُ وإمَّا فداءً [4] ﴾ .

٤٣٥ وإن قلت : فإنْ جزعٌ وإن إجمالُ صبرٍ ،كان جائزاً ، كأنّك قلت : فإمّا أمرى جزعٌ وإما إجمالُ صبر ؛ لأنَّك لو صحَّحتها فقلتَ : إمّا ، جاز ذلك فيها . ولا يجوز طرحُ (ما) من إمّا إلاّ فى الشعر . قال النمر بن تَوْلب :

---

(١) فى كتابه ١ : ١٣٥ ، ٤٧١ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٤١ والمنصف ٣ : ١١٥ ومختارات ابن الشجرى ٢٠ وابن يعيش ٨ : ١٠٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ : ١٥١ والأشباه ١ : ٩٤ وديوان النمر ١٠٤ .

(٢) هو الشاهد التالى برقم ٩٠٢ . وانظر سيبويه ١ : ١٣٤ ، ٤٧١ بولاق .

(٣) قطعة من بيت منسوب للنعمان بن المنذر علقت عليه فى حواشى سيبويه ١ : ٢٦٠ :

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا   فما اعتذارك من شئ إذا قيلا

(٤) الآية ٤ من سورة محمد .

سَقتهُ الرَّواعـدُ من صيّـفٍ وإنْ من خريف فلن يَعْدَما

وإنّما يريد : وإمّا من خريف . ومَن أجاز ذلك فى الكلام دخل عليه أن يقول : مررت برجل إنْ صالح وإنْ طالح،يريد إمَّا . وإن أراد إن الجزاءِ فهو جائز لأنّه يضمر فيها الفعل . انتهى كلامه .

قال ابن خلف : يعنى سيبويه أنّ إنْ فى هذا البيت محذوف منها ما ، وأصل إمّا عنده إنْ ما ، فجُعِل الحرفان حرفاً واحدا . وإذا اضطُرَّ شاعر حذف ما من إمّا . واستدلّ على أنّها ليست بإن التى للشرط بأنّ الفاء دخلت على إنْ فى : « فإنْ جزعا » . فلو كانت للشرط لاحتاجت إلى جواب . وذلك أنّ جواب إنْ فيما بعدها ، وقد يكون ما قبلَها مغنياً عن الجواب إذا لم يدخلُ عليه شئٌ من حروف العطف ، كقولك : أُكرمُك إن جئتنى . فإن أدخلتَ عليها فاءً أو ثمّ بطل أن يكون ما قبلها مُغنيا عن الجواب . لا يجوز : أكرمُك فإن جئتنى ، ولا أكرمُك ثم إنْ جئتنى ، حتّى تأتى بالجواب فتقول : أكرمك فإن جئتنى زدتُ فى الإكرام . فلذلك بطل أن يكون فإنْ جزعاً على معنى المجازاة وصارت بمعنى إمّا لأنّها تحسُن فى هذا الموضع ، وحذف ما للضَّرورة .

وقال فى البيت الثانى [١] : يريد : وإمّا من خريف ، كأنَّه قال : إمّا من صَيِّفٍ وإمَّا من خريف فلن يَعدَم السَّقْى .

واعترض عليه محمد بن يزيد المبرِّد فقال : « ما » لا يجوز إلقاؤها من إنْ إلاّ فى غاية الضرورة [٢]، وإمّا يلزمها أن تكون مكرّرة ، وإنمّا جاءت هنا مرّة واحدة .

---

(١) يعنى سيبويه .

(٢) ط : « إلقاء ما من إما » ، والوجه ما أثبت من ش . على أن نص المبرد هو : « ما لا يجوز إلقاؤها من إن إلا فى غاية الضرورة » كما سبق .

ولا ينبغى أن تَحمِلَ الكلامَ على الضرورة وأنتَ تجد إلى غيرها سبيلا ، ولكنَّ الوجهَ فى ذلك ما قال الأصمعىّ ، قال : هى إن الجزاء ، وإنما أراد : وإن سقته من خريف فلن يعدم الرّىّ . ولم يحتجْ إلى ذكر سقَتْه لقوله : سقته الرّواعد من صيِّف .

قال أحمد بن محمد بن ولاّد : هذا الوجه الذى حكاه المبرّد عن الأصمعىّ مِنْ جعلِ إنْ فى البيت للجزاء قد أجازه سيبويه بعقب البيت ، وذلك فى قوله فى إثره : وإن أراد إن الجزاءِ فهو جائزٌ لأنّه يُضمر فيها الفعل . إلاّ أنّه أخّره لأنّه لم يكن الوجهَ عنده ، ولا مرادُ الشاعر عليه . ألا تراه قال فى تفسير البيت : « وإنمّا يريد : وإمّا من خريف » . فحمل معنى البيت على إرادة أنّ الشاعَر ذكر وَعِلاً يرِدُ هذا الماءَ متى شاء ، فقال :

إذا شاء طالـع مَسجـورةً   يرى حولها النَّبعَ والسَّاسَما
سقته الرواعـدُ من صيِّـفٍ   .... البيت

فقال : مسجورة أى مملوءة ، من صيِّفٍ أو من خريفٍ ، فلن يَعدَم الوعلُ ريًّا على كلِّ حال . فأعلمَ أنّ ذلك ثابتٌ له . وليس للجزاء فى هذا البيت معنىً يحسُن فى الشعر ، ويليقُ بمراد الشاعر ، لأنّه إذا حملَها على الجزاء فإنمّا يريد إنْ سقته لم يَعدَم الرَىّ ، وإن لم تسقه عَدِمَ . فلا فائدة فى هذا يحسُن معها الشعر ، ولا يشبه قوله : « إذا شاء طالع مسجورة » . فقد جعلَ ذلك له متى شاء ، وجعلها مملوءة . فلهذا أخّر سيبويه معنى الجزاء ولم يُرد أن الجزاء مرادُ الشاعر ، وإنمّا أراد أنَّ مثل هذا لو وقع فى كلامٍ غير هذا البيت لجاز فيه هذا التأويل ، لأنَّه مراد الشاعر .

٤٣٦

وأمَّا قوله : « لا يجوز إلقاؤها من إمَّا إلاّ فى غاية الضرورة » فكذا قال سيبويه ، أنه لا يجوز إلاّ فى الشّعر للضرورة . وقد وافقه على ذلك ، وليس بين

القولين فرق غير زيادته غاية [١] . ومع هذا فالعرب تحذف من نفس الكلمة للضرورة مع زوال اللَّبس ، فما بالُها لا تحذف الزوائد للضرورة مع زواله . وما هنا زائدة فى إمّا ، وقد دلّ على صحّة ذلك وجوازه فى الشّعر بالبيت الذى قبله ، وهو :

* فإنْ جزعاً وإن إجمالَ صبر *

وأما قوله : « إنّ التكريرَ يلزمُها » فليس الأمر على ذلك ، لأنَّ الأُولى إنَّما هى زائدة ليبادر المخاطب إلى أنّ الكلامَ مبنىٌّ على الشك أو التخيير ، والعمل على الثانية ، والأُولى زائدة وليست توجبُ فى الكلام معنىً غيرَ معنى الثانية ، وسبيلُها فى ذلك سبيل لا إذا قلت ما قام لا زيد ولا عمرو . فإن شئتَ أكّدت النفى وزدت لا ، وإن شئتَ حذفَتها ، إلاّ أنَّ الحذف فى لا الأولى أكثر فى كلامهم منه فى إمّا . ولا أعلمُ أحداً من النحويِّين المتقدمين يمنع من إجازة حذفها فى قولك : خذ الدراهم وإمّا الدينار ؛ وجالسْ زيداً وإمّا عمراً . فقياسها ما ذكرت لك فى لا ، والكلامُ لا يلتبس بطرحها ، ومعناهُ بنقصانها كمعناه بزيادتها ، فما الذى منعَ مع هذا كلِّه من تجويز طرحها . وقد يُطرح من الكلام ما هو أولى بالاثبات منها . انتهى .

ولا يخفى أنّ حذفها خاصٌّ بالشعر ، وجواز حذفها فى الكلام لا قائل به .

وأمّا قوله : « ولا أعلم أحداً من النحويين المتقدّمين » إلخ فالمنقولُ عنهم خلافُ ما نقله . فالأَوْلَى تعليل حذفِها بالضرورة أيضاً .

وقال النحاس بعد نَقل كلام المبّرد : ولم يحتجَّ أبو الحسن لسيبويه فى هذا بشىء ، وكان القول عنده ما قال الأصمعىّ ، وكان شديدَ الميل إلى ما قاله

---

(١) ط : « على زيادته غاية » ، صوابه فى ش . والمراد غير زيادة المبرد كلمة « غاية » فى قوله : « فى غاية الضرورة » . فهذا هذا .

الأصمعى فى اللُّغة . ألاَ ترى أنّ أبا زيد قد حكم للأصمعيِّ على سيبويه فى اللغة ، وقال : « هذا أعلمُ باللغة وهذا أعلم بالنحو » يعنى سيبويه . وأنّ أستاذ سيبويه الخليلَ قد أخذ عن الأصمعيِّ شيئا من اللغة ، ولم يكن أبو إسحاق الزجّاج يميل إلى شىءٍ من هذا ، وقال : من نظر إلى كتاب سيبويه وما ذُكر فيه من الأبنية وقَفَ على تقدُّمه على الجماعة فى اللغة . قال : والقول ما قاله سيبويه ، لأنّه وصَفَها بالخِصب وأنّها لا تَعدَم الريَّ ما سقتها الرواعدُ إمّا من صيِّف وإمّا من خريف ، فلن تعدَم الريّ . وعلى مذهب الأصمعى والمبرد أنّه إنْ لم يسقها الخريف عَدِمَتْه ، لأنّه قال : وإن سقَتْها لن تعدَمَ الريّ . وإن أراد أنّها لا تعدم الريَّ البتّة فهذا قول سيبويه . ألا ترى أنّ قبْله :

* إذا شاء طالع مسجورة *... البيت انتهى .

وأمّا قول الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا نسلِّم أنّ المقصود وصفُ هذا الوعل بالريّ على كلّ حال ، وإنمّا الغرضُ وصفُ حالهِ بحسب الواقع ، فأَخبَرَ أوّلاً بما وقع من سَقى سحائبِ الصَّيِفِ له ، وذلك مقتضٍ لريِّه منها . ثم أخبرَ بأنّ سحائب الخريف إن سقته بعد ذلك حَصَل له الريُّ المستمر . ولو سُلّم أنّ المقصود ما ذَكر من وصفه بالريّ دائما فمع الإتْيانِ بإمّا التى هى لأحد الشيئين لا يلزم ذلك . انتهى .

فقد ردَّ عليه ابن المُلاّ بوجوه :

أحدها : كيف لا يكون الغرضُ ذلك ، وهو بصدد بيانِ نجاته من الحتْف ، إذ المراد أنّه لو نجا حيوانٌ من الموت لنجا هذا الوَعِل الذى تكفّل له ربُّه برزقه ، وأسكنَه أخصبَ أرضِه ، فهو فى ريٍّ لا ينقطع ، وطِيبِ عيشٍ مستمرّ ، من غير حيلةٍ منه . ولو كان المرادُ وصفَ حاله بحسَب الواقع لم يكن فى تخصيصه بالذكر فائدة ، إذْ كلُّ مخلوق شأنُه من اللُّطف الالهى مثلُ ذلك . ٤٣٧

ثانيها : أنّه لا يلزم من إخباره بأنّ سحائب الخريف سقتَه بعد ذلك ، حصولُ الرى المستمرِّ له ، وإنمّا يلزم حصولُ الرى المستمرّ أنْ لو أخبره أنّ سحائبَ الخريفِ إذا سقته بعد ذلك يَروَى .

ثالثها : أنّ دعواه أنّ الإتيان بإمّا التى لأحدِ الشيئين لا يتأتّى معه الوصفُ بالريّ على الدوام ، محصَّلها دَعْوَى المنافاة بين دوام الريّ والسَّقى من أحد الشيئين ، وهى ممنوعة ، لصحّة قولنا دائما : الريُّ حاصل إمّا من سقى سحائب الصيف ، وإمَّا من سقى سحائب الخريف . فالقضيّةُ وإن كان حمليَّة لكنّها شبيهةٌ بمنفصلةٍ مانعة الخلوّ ، فهى فى حكمها . وقيد الدَّوام عندهم سور الإيجاب الكلّى فى باب المنفصلات . وأمَّا الجواب بمنع أنّها لمجرد أحد الشيئين بل هى لتفصيل المسقىِّ منه ، وحينئذٍ مع الإتيان بها يلزم الريّ دائماً . ففيه أنّ المختار فيها وفى أوْ أنَّهما لأحد الشيئين أو الأشياء .

هذا كلامه ، ومن خطّه نقلت . والوجه الثانى لا معنَى له . وكأنَّ الدمامينى فهم من قولهم : المراد وصف الوعل بالريّ على كلّ حال ، أنّ ريَّه إنَّما يكون بمجموع المطرين لا بأحدهما ، فقال : ولو سلّم أنَّ المقصود ريُّه دائما ، فمعَ الإتيان بإمّا إلخ . وليس مرادهم ما فهموا . وإنمَّا أرادوا أنّ الرى يحصُل بكلٍّ واحدٍ منهما ، سواء كان مطر الصيف فقط أو مطر الخريف فقط ، فهو على كلِّ حالٍ منهما مرتو . فلو كان المعنى على الشَّرطِ فلا يتحقق الريُّ له على كلِّ حال ، بل إن حصل مطر الخريف ارتوى ، وإنْ لم يحصل فلم يرتو ، فإنَّ الشرط قد يتخلَّف كما هو ظاهر . وبقى احتمالٌ آخرُ فى البيت على مذهب سيبويه . وهو أن يكون تقديره : إن من صيِّفٍ وإن من خريف ، فحذِفت إن الأولى لدلالة الثانية عليها ، وأصلهما إمّا ، فحذفت منهما ما ، كما فى قوله :

* فإنْ جزعا وإن إجمالَ صبر *

بقىَ قولٌ آخر أورده أبو على (فى كتاب الشعر) ، ونقله ابنُ هشام (فى المغنى) قال : وزعم أبو عبيدة أنّ إن زائدة وجاءت زيادتها هنا كما جاءت زيادتُها فى نحو : ما إن فعلت . وهذا كقولك : ضرب القومُ زيداً من داخل ومن خارج . انتهى .

ولا يخفى أنّ زيادتها بعد العاطف غير موجود .

هذا وقد قال أبو على (فى البغداديات) : أقول إنّ الشاعر قال هذا البيت فى أبيات يصف فيها وعلاً ، وقبله :

إذا شاء طالعَ مسجورةٍ يرى حَولها النَّبعَ والسَّاسَما
تكون لأعدائه مَجهلاً مَضِلاً وكانت له مَعلَما
سَقتها الرواعد .... البيت

قوله : « مسجورة » يريد : عيناً كثيرة الماء ، إذا شاء هذا الوعل طالع مسجورة . فقوله « تكون » صفةٌ لمسجورة ، وكذلك « سقتها » تكون [1] صفة لمسجورة .

وكذلك رواه ثعلبٌ عن سعدانَ عن الأصمعىّ . وفى كتابنا كتاب سيبويه : « سقته » فيجوز أن يكون رجع إلى الوعلِ أو حَمَله على المعنى . والوجه أن يكون للعَين فيكون المعنى : سقت الرواعد من السَّحاب هذه المسجورةَ إمّا من صيِّف وإمَّا من خريف ، أى فهى [2] على كلِّ حالٍ لا تعدم السقى إمّا صيِّفا وإمّا خريفا . وذلك فى صفة هذه العينِ أرخى لبال هذا الوعِل . وفاعل يَعدم على هذا العين . انتهى .

٤٣٨

(١) ط : « يكون » .
(٢) ش : « فهى » باسقاط « أى » .

أقول : إذا كان فاعل يعدم العينَ المسجورة ، يجب أن يكون « تعدم » بالمثناة الفوقية ، والمشهور إنَّما هو بالمثَّناة التحتية .

ثم جوَّز أن تكون إن شرطية والألف فى « يَعْدَما » ضمير مثنًّى فقال : ويحتمل أن يكون المعنى : سقت الرواعد من السحاب هذه العينَ أو هذا الوعلَ ، وإن سقت العينَ أو الوعلَ من الخريف فلن تعدم العَينُ السَّقىَ والوعلُ الرِّىَّ . ودفع بعضُهم هذا وقال : لا معنى له . وليس كذلك لأنّه غير ممتنِع ، إلاّ أنّ التأويل الأوَّل أسهلُ فى المعنَى ، وأدخَلُ فيما يعترضه الشاعر ، وإن اعترض فى لفظه حذف إمّا الأولَى لأنّ الثانية تدلُّ عليها . والفاءُ فى فلن على هذا التأويل جوابُ الجزاء ، وفى التأويل الأوّل عاطفة جملةً على جملة . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للنّمر بن تولبٍ [1] الصّحابى ، فيها عدّة أبياتٍ شواهد ، فلا بأس بإيرادها وشرحها . وهى هذه :

أبيات الشاهد

(سَلاَ عن تذكُّرِهِ تُكتَما ... وكان رهينـــاً بها مُغرَمـــا
وأقصرَ عنها وآياتُهـــــا ... يذكِّرنَـــهُ داءَه الأقدمـــا [2]
فأُوصِى الفَتَى بابتناء العَلاءِ ... وأن لا يخون ولا يأثَما [3]
ويلبسَ للدَّهـــر أجلالَـــه ... فلن يبتَنىَ الناسُ ما هدّما [4]
وإن أنتَ لاقيتَ فى نجدةٍ ... فلا تتهيَّبْك أن تُقدِمـــا [5]

---

(١) فى اللسان (تلب) : « وحكى عن سيبويه أنه مصروف لأنه فوعل » . والمعاجم تذكر التولب فى (تلب) . ولو كانت مادته (ولب) لمنع الصرف .

(٢) فى الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٥ : « تذكره » .

(٣) ش والديوان : « العلى » .

(٤) فى الأغانى ١٩ : ١٦١ : « تلبس لدهرك أثوابه ».وفى الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطى : « فلن يبنى الناس » .

(٥) الديوان : « فلا يتهيبك » .

فإنّ المنيَّـــةَ من يخشَهــا فسوف تُصادفُــه أينَمــا
وإنْ تتخطــاكَ أسبـــابها فإنَّ قُصاراك أن تَهرَمــا[١]
فأحبِبْ حبيبَكَ حُبّاً رويداً فليس يَعُولكَ أن تصرِمـا[٢]
فتصرِمَ بالـودِّ مَنْ وصلُــه رقيـقٌ فتسفَـه أو تندمـا[٣]
وأبغض بغيضَكَ بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكُما
ولو أنّ مِنْ حَتفِه ناجيـاً لألفَيتَه الصدَّعَ الأعصمَا[٤]
بإسبِيـلَ ألـقت به أمُّــه على رأسِ ذى حُبُكٍ أيهما
إذا شاء طالـعَ مسجـورةً تَرى حولها النَّبعَ والسَّاسَما
تكـون لأعدائـه مَجْهَـــلاً مَضِلاً وكانت له مَعلَمــا
سَقتها رواعـدُ من صيِّـف وإنْ من خريفٍ فلن يَعدَما
أتـاح له الدهـر ذا وَفْضةٍ يقلِّبُ فى كفِّـه أسهُمـا[٥]
فأرسلَ سهمـــاً على غرَّةٍ وما كان يرهب أن يُكْلَما[٦]
فأَخـرج سَهمـاً له أهْزَعـاً فشكَّ نَواهِقَـــه والفَمـــا
فظـلّ يَشِبُّ كأنَّ الوَلـو ع كان بصُحبتهِ مُغرَمــا
فأدركَـــه ما أتى تُبّعـــاً وأبرهـةَ الملكَ الأعظَمـــا[٧]

(١) فى جميع المراجع : « وإن تتخطاك » ، وكذا فى الشرح . والوجه أن يكون بالهمز يقال أخطأه وتخطأه ، أى لم يصبه .

(٢) ابن الشجرى : « لئلا يعولك » . الأغانى : « فليس يهولك » . شرح الشواهد : « فقد لا يعولك » .

(٣) السيوطى : « فتظلم بالود من وصله » .

(٤) السيوطى : « فلو أن » و « لكان هو الصدع » .

(٥) ابن الشجرى : « فساق له الدهر » .

(٦) الديوان : « فراقبه وهو فى فترة » ، وكذا فى مختارات ابن الشجرى وشرح شواهد المغنى .

(٧) فى المختارات : « وأدركه » وفى الديوان : « أتى حصنه ما أتى تبعا » ، وكذا شرح شواهد المغنى .

٤٣٩
لقيمُ بن لُقمان من أُخته فكان ابنَ أختٍ له وابنَمَا
ليالِيَ حُمِّق فاستحصَنَتْ إليه فغُرَّ بها مُظلِما
فأحبلَها رجُلٌ نابِهٌ فجاءت به رجلاً مُحكَما)

هذه القصيدة بتمامها من رواية محمد بن حبيب ، ولم يكتب على البيتين الأوّلين شيئًا سوى قوله : « الآيات : الآثار والعلامات » .

وقال السيوطى : سلا : أمرٌ من السؤال للاثنين . وشرحه شارحُ ديوانه على أنه ماضٍ من السلوّ . قال ابن الملا : وما عليه هذا الشارح هو الظاهر لمُلايَمته لقوله فى البيت الثانى : « وأقصر عنها » . وأيضاً تذكيره بالداء الأقدَم إنَّما يناسب أن يكون خالياً عنه الآن . على أنّه لو كان من السؤال لكان حقُّ العبارة : فقد كان رهيفا بالفاء ، كما لا يخفى . انتهى .

وفاعل سلا على هذا ضمير العاشق ، وإليه تعودُ الهاء فى تذكُّره ، وعن متعلِّقة بلا . والتذكُّر مصدرٌ مضاف إلى الفاعل ، وتكتم بمثنَّاتين فوقيتَّين ، أولاهما مضمومة : علَم امرأة ، ونصبه بالمصدر المضافِ إلى فاعله . والرهين : المرتهَن . والمُغْرَم : اسمٌ مفعولٍ من أُغرِمَ بالشيء ، أى أولع به . كذا فى الصحاح .

وأقصرَ عن الشيء : كفّ عنه ونزعَ مع القُدرة عليه . فإن عَجَز عنه قيل قصَّر عنه . كذا فيه أيضا . والداء الأقدم ، أى القديم ، هو الحبُّ ، أو هو أقدم من كلِّ داء .

وقوله : « فأوصى الفتى » إلخ أوصى : فعلٌ مضارع من الوصيّة . والعلاء بالفتح والمد : الشَّرف والرِّفعة . وأن لا يخون ، معطوف على ابتناء .

وقوله : « ويلبس للدَّهر أجلاله » ، هو كقول بَيْهسٍ الفَزارىّ :

البَسْ لكلِّ حالةٍ لبوسَها إمَّا نعيمَها وإمَّا بُوسَها [١]

وقوله : « فلن يبتنى الناسُ ما هدَّما » يقول : إذا ضيَّع الفتى مجدَه لم يبنِه له النّاس .

٤٤٠

وقوله : « وإنْ أنتَ لاقيتَ فى نجدةٍ » إلخ قال محمد بن حبيب : النَّجدة : القتال . وقوله « لا تتهَّيْبك » معناه لا تتهيَّبْها . يريد أنّ فيه قَلْبا . وبه استشهد (فى آخر المغنى) .

وقوله : « فإنّ المنية مَنْ يخشَها » إلخ هو من أبيات الجمل الزجّاجية . وأورده ابن جرير (فى تفسيره) على أنّ فى أينما اكتفاءً ، وأينما ظرفٌ مضمَّن لمعنى الشرط ، وحذف شرطُه ، وجوابه : أينما توَّجَه تصادفْه . وسَوف للتأكيد ، وقيل إنمّا أُتى به لإخراج الكلام على مقتضى طَبْع النفس فى إذعانها للموت [٢] مع أملَ طول الحياة . قال اللَّخمى (فى شرح أبيات الجُمل) : إن قيل : كيف قال من يخشها ، والمنية تصادف مَنْ خشِيَهَا ومن لم يخشَها ، فأىُّ معنىً للشرط ؟ قلت : هو خطابٌ لمن ظنّ أنّ خشيتَه تُنجيه من الموت ، على جهةِ الردِّ عليهِ ، وإبطالِ ظنِّه ومُعتقَده . انتهى .

وقال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب [٣]) : النَّجدة : الشجاعة والبأس والقُوّة ، وحذف مفعول لاقيت ، يريد إذا لاقيتَ قوماً ذوِى نجدةٍ فى حرب ونحوِها فلا تتهيَّب الإقدامَ عليهم ، فإنّ الذى يخشى المنيّة تلقاه أين ذهب من الأرض . فهو من المقلوب .

---

(١) شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ : ٣٩٣ وجمهرة العسكرى ١ : ١٩٧ والمستقصى ١ : ٣٠٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٦٥٩ واللسان (لبس) .

(٢) ش : « ادعائها للموت » ، صوابه فى ط .

(٣) شرح الجواليقى ٢٥٩ .

وقوله : « وإنْ تتخطَّاك أسبابُها » إلخ التخطّى : التجاوز [١] . وأسباب المنيَّة : ما يؤدِّى إليها من مرضٍ وغيره . وقُصاراك بضم القاف : غايتك . والهَرَم : انحطاط القَوى من طول العمر . يقول : إن تتجاوزْك أسبابُ المنيَّة فإنّ غايتك الهرَمُ ، وتبديل وجودك بالعدمِ .

٤٤٠

وقوله : « فليس يَعُولك أن تصرما » قال محمد بن حبيب : يعُولك : يشقُّ عليك . وعالنى الأمر : شق علىَّ . والعَوْل المصدر . قالت الخنساء :

* يحمِّله القومُ ما عالَهْم [٢] *

قال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : هذا مأخوذ من قوله ﷺ : « أحببْ حبيبَك هونًا ما عسى أن يكون بَغيضَك يومًا ما ، وأبغِضْ بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً » ، ما أخرجه الترمِذىُّ من حديث أبى هريرة ، والطبرانىُّ من حديث ابن عَمرو ، وابن عدىٍّ من حديث على بن أبى طالب . وكأنَّ النَّمِرَ سمعه من النبى ﷺ فعقده فى نظمه . وتَسْفَه : تَجهَل . وتَظْلِم : تضع وُدَّك فى غير موضعه [٣] . وتَحكُم ، أى تكون حكيمًا . انتهى .

وقوله : « ولو أنَّ مِن حتفِهِ ناجياً » إلخ ناجياً : اسم أنّ ، والمجرور قبله متعلّق به ، وخبرها محذوف ، أى ولو أنَّ شخصاً ناجيا من موته موجوداً لكان

---

(١) الوجه عندى أن تكون الرواية « تتخطَّاك » بالهمز ، ليستقيم إعراب الجزم ، وإلا لكانت « تتخطَّك » مع كسر الوزن . يقال تخطَّأه ، أى أخطأه ، كما فى اللسان . وأنشد لأوفى بن مطر المازنى :

تخطَّـأت النبـلُ أحشاءه وأخَّر يومى فلم يَعْجَـلِ

(٢) فى ديوان الخنساء ٣٠ .

يكلفـه القـوم ما عالهم وإن كان أصغرَهُم مَولِدا

وفى اللسان (عول ٥١١) : « ويكفى العشيرة ما عالها » .

(٣) هذا مبنى على رواية السيوطى للبيت : « فتظلم بالود من وصله رقيق » .

ذلك الناجى هو الصَّدَع . وهو : ضمير فصل [١] . والحتف : الهَلاَك . وألفيته : وجدته . والصَّدَع ، بفتح الصاد المهملة والدال بعدها عين مهملة ، قال ابن حبيب : هو الوعِل بين الجَسِيم والضئيل ، وهو الوسَطُ من كلِّ شئ . يقال رجلٌ صَدَعٌ وفرسٌ صدع . والعُصْمة ، بالضم : بياضٌ فى يده . انتهى .

والوعل : تيس الجبَل .

وقوله : « بإسبيلَ ألقَتْ به أمُّه » إلخ إسبِيل ، كقنديل ، قال ابن حبيب : هو بلد . وأنشدَ لبعض اليمانين :

لا أرضَ إلا إسبيـــــلْ وكـــلُّ أرضٍ تضليـــل [٢]

والأيهم : أعمى الطَّريق لا يُهتدَى طريقُه ولا يعرفه أحد . انتهى . والحُبُك ، بضمتين : الطرائق . يريد أنّ أمه ولدَتْه فى جبلٍ ذى طرائق لا يُهتدَى إليها من أرض إسبيل . وذى حبك صفةٌ لموصوف محذوف ، وهو جبلٍ . وأيْهَمُ كذلك .

وقوله : « إذا شاء طالعَ مَسجورةً » إلخ فى الصحاح : طالعت الشئ أى اطّلعت عليه . والاطِّلاع على الشئ : الإشراف عليه . وقال السيوطى : طالَعَ : أتى ، يقال فلان يطالع قرينَه أى يأتيه . ومَسجورة ، بالسين المهملة والجيم ، قال ابن حبيب : أى مملُوَّة ، يريد أنَّها صفة العين ، كما قال الدينورى (فى كتاب النبات) وأنشد هذا البيت : « المسجورة : العَيْن المملوءة » . ويَرَى بالتحتية فاعله ضمير الصَّدَع ، ويروى بالمثنَّاة الفوقية ، أى أنْتَ . والنَّبع ، بفتح النون وسكون الموحَّدة : شجرٌ يتّخذ منه القَوْسُ . والسَّاسَمُ ، بسينين مهملتين ، قال ابن حبيب : يقال إنّه الآبِنوس . قال الدينورى : زعموا أنّ القوسَ يتخذ من

---

(١) هذا مبنى على رواية السيوطى : « لكان هو الصدع الأعصما » كما سبق فى الحواشى .

(٢) الرجز لخلف الأحمر ، كما فى اللسان (سبل ٣١٣) .

الساسَم (١) ، ومنابته الشَّواهق حيثُ منابتُ النبع . وقد وصفَه حميدٌ فى شعره باللِّين . وزعم قومٌ أنّ السَّاسَم الشِّيز . ولا أعلم فى الشِّيز ما يدعو إلى اتخاذ القسىِّ منه . انتهى . والشِّيز : الآبِنُوس .

وقوله : « تكون لأعدائه » أى تكون تلك العين المسجورة لأعداء الصَّدَع ؛ وأعداؤه النَّاس . ومَجْهَل بفتح الميم والهاء : أرضٌ يَجهَل سالكُها الطَّريقَ ، ويَضيع فيها . ومَضِلّ بفتح الميم وكسر الضاد : أرض يضلُّ فيها سالكها لعدم معرفتِه طُرُقَها . ومَعْلَم بفتح الميم واللام : أرضٌ يهتدِى فيها سالكُها بعلاماتها .

٤٤١ وقوله : (سقَتْه الرَّواعد) الهاء ضمير مسجورة . كذا رواية محمد بن حبيب وغيره ، كما مرَّ عن أبى علىّ . و (الرَّواعد) : جمع راعدة ، وهى السحابة الماطرة وفيها صوتُ الرعد غالباً . و (الصَّيِّف) بتشديد الياء المكسورة : المطر الذى يجىء فى الصَّيف . و(الخريف) : الفصلُ المشهور ، إلاّ أنّه أُطلِق وأريد به مطره ، كما أُطلق الربيعُ وأُريد به مطرُه مع الصيِّف أيضاً فى قوله :

* سقى الله نجداً من ربيعٍ وصيِّفٍ (٢) *

وقوله : « أتاح له الدهر » إلخ قال ابن حبيب : أتاح : قَدَّر . والوَفْضة : الكنانة (٣) التى تكون فيها السِّهام . انتهى .

والدهر فاعل أتاحَ ، ومفعوله ذا وَفْضة ، وأراد به الصَّيَّاد .

---

(١) كذا وردت : « يتخذ » بالياء فى النسختين ، وهى صحيحة ، إذْ أن القوس يذكر ويؤنث .

(٢) نسبه ياقوت فى معجم البلدان (نجد) إلى بعض الأعراب . وعجزه :

* وماذا ترجّى من ربيع سقى نجدا *

(٣) فى النسختين : « والكنانة » مع حذف الواو تصحيحا فى ش .

وقوله : « فأرسل سهماً » إلخ أي رَماه ذو الوفْضة بسهمٍ ، « على غِرّة » بكسر الغين المعجمة ، وهى الغفلة . وفاعل يرهب ضمير الصَّدَع . ويُكْلَم بالبناء للمفعول ، أى يجرح . وقوله : « وأخرج سهماً له أهزعا » ، قال ابن حبيب : الأهزَع : آخِر سهمٍ يبقَي فى الكِنانة . يقال ما فى كِنانته أهزعُ ، أى سهمٌ واحد . قال ابن السِّكِّيت : هذا ممّا لا يُتكلّم به إلاّ مع الجحد . وقد أتى النَّمر به من غير جَحد . انتهى .

والنواهق ، قال السيوطى : العظمان فى الوجه فى مجرى الدمع .

وقوله : « فظل يَشِبُّ » بكسر الشين ، قال ابن حبيب : يَشِبُّ : يرفع يديه حينَ أصابه السهم . والوَلوع بفتح الواو : القَدَر والحَيْن . انتهى .

وقوله : « فأدركَه ما أتَى تبَّعا » أى أدرك الصَّدَعَ ما أتى تُبَّعا ، وهو الموت . وتُبَّعٌ : ملك اليَمن . وأبرهةُ الأشرمُ : ملك الحبشة .

وقوله : « لقيم بن لقمانَ من أخته » . إلخ ، ترك ما كان فيه وسلكَ طريقاً أخرى بلا مناسبة ، وهو المسمَّى فى البديع بالاقتضاب . وهو من أبيات ابن الناظم . قال ابن حبيب : ذكروا أنّ أخت لقمان كانت عند رجلٍ ، فكانت تلد له أولاداً ضِعافا ، فقالت لامرأة لقمان : هل لكِ أن أجعلَ لك جُعْلاً وتأذنى أنْ آتيَ لقُمانَ الليلة ؟ فأسكرَتْه واندسَّت له أختُه ، فوقع عليها لقمان ، فلمَّا كانت الليلةُ القابلة أتته امرأته فوقَعَ عليها فقال : هذا حِرٌ معروف . وكأنَّه استنكره . انتهى .

ومثله للجاحظ (فى البيان والتبيين [١]) قال : كانت العرب تعظِّم شأنَ لقمانَ بنِ عادٍ الأكبر ، والأصغرِ لقيمِ بن لقمان ، فى النباهة والقَدْر ، وفى العلم

(١) البيان ١ : ١٨٤ .

وفى الحُكْم ، وفى اللسان وفى الحِلم . وهذانِ غير لقمانَ المذكورِ فى القرآن على ما يقول المفسِّرون . ولارتفاع قدِره وعِظَمْ شأنه قال النَّمر بن تولب . وأنشدَ هذه الأبياتَ الثلاثة ، وقال : وذلك أنّ أخت لقمان قالت لامرأة لقمان : إنِّى امرأةٌ مُحْمِقة ، ولقمان رجلٌ مُحكَمٌ مُنْجِب ، وأنا فى ليلة طُهْرى فهَبِى لى ليلتَك . ففعلَتْ فباتت فى بيت امرأة لقمان ، فوقعَ عليها فأحبَلَها بلقيم ، فلذل قال النمر ابن تولب ما قال . والمرأة إذا ولدتِ الحَمقَى فهى مُحْمقة ، ولا يُعلم ذلك حتّى يُرى ولدُ زوجها من غيرها أكياساً . انتهى .

قال العينى : ويروى أنّ لقمان كان لا يُولد له ، فقالت امرأته لاخته : أمَا ترين لقمان فى قوتّه وعِظَمِ خَلقه لا يولد له ؟ قالت : فما الحيلة ؟ قالت امرأته لأخته : تلبسين ثيابى حتَّى يقع عليك فى الظُّلمة ، ففعلت فواقَعها فولدتْ منه ، وسُمِّىَ لقَيماً ، بضم اللام وفتح القاف . وكان من أحزم الناس .

ولقيم مبتدأ ، وقوله من أخته خبره ، وفى قوله : « فكان ابن أختٍ له وابْنما » دليلٌ على جواز تعاطف الخبرين المستقِّل [كلٌّ [1]] منهما بنفسه . وابنُمٌ هو ابن زِيدت عليه الميم . ٤٤٢

وقوله : « ليالى حُمِّق » إلخ بضم الحاء وتشديد الميم ، قال ابن حبيب : أى أُسكِر حتَّى ذهب عقلُه . انتهى . ويرويه المفضَّل : « حَمَّقَ » بفتحتين ، وزعم أنّه يقال حَمَّق ، إذا شرب الخمر ، والخمر يقال لها الحُمْق [2] .

وقوله : « استحصَنَتْ » بالبناء للفاعل ، قال ابن حبيب : أى أتته وكأنَّها حَصَانٌ ، كما تأتى المرأة زوجَها . وقوله:« فغُرَّ بها » غُرّ بضم الغين ، من الغِرّة ، وهى الغفلة . وقوله : « مُظلِما » بكسر اللام ، أى فى ظُلمة .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) فى اللسان (حمق) : « وأنكر أبو القاسم ذلك ، قال : ولم يذكر أحد أن الحمق من أسماء الخمر » .

وقوله : « فأحبَلَها رجلٌ نابه » من النَّباهة ، وهو ارتفاع الذِّكر ، وهو لقمان . « فجاءت » أى أخته . به ، أى بلقيم . مُحْكَما بفتح الكاف [١] أى حكيما .

وترجمة النمر بن تولب تقدمت فى الشاهد السادس والأربعين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٩٠٢ (لَقد كذَبَتْكَ نفسُك فاكْذِبَنْها فإنْ جزعاً وإنْ إجمالَ صَبْرِ)

على أن سيبويه قال : الأصل فإمّا جزعا وإمّا إجمالَ صبر ، فحذف (ما) منهما وبقىَ إنْ .

قاله سيبويه فى موضعين من كتابه :

الأوّل (فى باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل) ، وتقدّم نقله فيما قبلَ هذا [١] ، وهو قوله بعد إنشاد البيت : هذا على إمَّا وليس على إن الجزاءِ ،

---

(١) الحق أنه يقال بفتح الكاف وكسرها أيضا ، كما أن الرجل « المجرب » بتشديد الراء يقال بفتح الراء وكسرها . ووجه الفتح أنه يقال أحكمته التجارب وجعلته حكيما ، ووجه الكسر أنه صار حكيما محكما لأموره . وكذلك المجرب بفتح الراء الذى جربه الناس ، وبكسرها : الذى جرب الأمور واختبرها . عن حواشى اللسان (حكم ٣٢) .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٣) فى كتابه ١ : ١٣٤ ، ٢/٤٧١ : ٦٧ وشرح أبياته لابن السيرافى ١ : ٢٠٩ والكامل ١٦٤ والمقتضب ٣ : ٢٨ وابن يعيش ٨ : ١٠١ ، ١٠٤ ورصف المبانى ١٠٢ والعينى ٤ : ١٤٨ .

(٤) انظر ما مضى فى ص ٩٣ .

كقولك : إنْ حقًّا وإن كذبا . فهذا على إمّا محمول . ألاَ ترى أنّك تدخل الفاء ولو كانت على إن الجزاء وقد استقبلت الكلامَ لاحتجت إلى الجواب . فإن قلت : فإن جزعٌ وإن إجمالُ صبر كان جائزا ، كأنّك قلت : فإمّا أمرى جَزعٌ وإمّا إجمالُ صبر . إلى آخر ما نقلْناه هناك .

والثانى (فى باب الحكاية لا يُغيَّر فيها الأسماءُ عن حالها فى الكلام) وقال فيه : والدَّليل على أنَّ ما مضمومةٌ إلى إنْ ، قولُ الشّاعر :

لقد كذَبَتْك نفسُك ... البيت .

فإنمّا يريد إمَّا ، وهى بمنزلة ما مع أَنْ فى قولك : أمَّا أنتَ منطلقاً انطلقتُ . انتهى .

قال أبو على (فى كتاب الشعر) تقديره : فإمّا جزعتَ جزعاً وإمّا أجملت صبراً . يدلُّ على ذلك أنّه لا يخلو من أن تكون إن الجزاءِ أو غيرَها ، فلو كانت للجزاء وألحقتَ الفاء فى قولك : فإمَّا جزعت جزعاً للزمك أن تذكر الجواب . ألا ترى أنّك لو قلت : أنت ظالم إن فعلتَ ، لسدَّ ما تقدَّم مسَدِّ الجواب . ولو ألحقتَ الفاء فقلت : أنت ظالم فإن فعلتَ ، لزمك أن تذكر للشَّرط جوابا ، ولا يجزىء ما تقدَّم عما يقتضيه الشَّرط من الجزاء . فكما أنّ إنْ فى قوله فإنْ جزعاً ، فى معنى إمّا ، كذلك فى :

* وإنْ من خريفٍ فلن يَعْدَما * انتهى .

وقال أيضا (فى البغداديات) : لا يصلح أن تكون إن فى قوله فإنْ جزعاً للجزاء ، لدخول الفاء عليها ، وأنَّها لو كانت للجزاء للزمها الجواب . فلمَّا لم تصلُحْ أن تكون للجزاء حُمِلتْ على أنَّها المحذوفة من إمَّا . فهذا وجهُ استدلالِ سيبويه بدخول الفاء . وذهب بعضُهم إلى أنّ مذهب سيبويه فى إمّا هو أنّها إن

التى للجزاء ضُمَّت إليها ما . وهذا عندى غلطٌ عليه ، وقد قال مالا يجوز معَه ظَنُّ هذا به . ألا تَراه قال : ولو قلت إن جزعٌ وإن إجمالُ صبر كان جائزاً ، كأنك قلت : فإمَّا أمرى جزع وإمّا إجمال صبر . لأنَّك لو صحَّحتها فقلت إمّا ، جاز ذلك فيها . وقال أيضاً : إمّا يجرى ما بعدها على الابتداء . ففيما قالَه فى هذين الموضعين إجازةُ وقوعِ المبتدإِ بعد إمَّا . ومن مذهبه الذى لا يُدفع أنّ لا يقع الابتداء بعدها ، فكيف يكون عنده أنّ إمّا إنمّا هى إن الجزاء ؟ وذلك لا يسوغ . ألا ترى أنّك تقول : ضربت إمّا زيداً وإمَّا عمراً ، وتقول : ذهَبَ إمّا زيد وإمّا عمرو ، فلو كانت إن الجزاءِ لما عملَ ما قبلها فيما بعدها ، ولكان ذهبَ فعلاً فارغا لا فاعل له .

٤٤٣

فإن قال : يكون انتصابُ الاسم بعده بفعلٍ مضمر ، كأنّه قيل : ضربتُ إن ضربت زيدا . فليس هذا الغرضَ الموضوعَ لهذا المعنى ، ولا المفهومَ من هذا اللفظ . ألا ترى أنَّ المراد إنّما هو ضربت أحدهما . على أنّ ذلك فاسد ، لأنَّ ذهب يبقى بلا فاعل ، ولا يجوز أن يضمر . ويدلُّ أيضاً على فساده قولك : إمّا أن تقوم وإمّا أن لا تقوم ، وقوله : ﴿ ياذا القَرْنَين إمَّا أن تُعذِّبَ وإمَّا أنْ تتَّخِذَ فيهمْ حُسْنا [1] ﴾ . ألا ترى أنَّ هذا لو كان إنْ فيه [2] للجزاء لم يجز وقوع المبتدأ بعده ، وللزم أن يجازَى بما يجازى به إن ، ولم يتقدَّم ما يغنى عن الجواب . فهذا التوهُّم على سيبويه فاسد .

فإنْ قال : ما أنكرت أن يكونَ ما ذهبتُ إليه ، من أنّ إنْ فى إمَّا للشرط ، مذهَب سيبويه ، لأنّه قد ذكر أنّ إنْ على أربعة أوجه : المخفَّفة وليس هذا من مواضعها ، والنافية ولا نَفْىَ هنا ، وزائدة بعد ما النافية ، فلمَّا لم يجز أن تكون

---

(١) الآية ٨٦ من سورة الكهف .

(٢) ط : « فيه إن » ، وأثبت ما فى ش .

واحدةً من الثلاث وجَبَ أن تكون الشرطيَّة ، لأنَّك فى إمّا لا تبُتُّ على الشئ كما لا تبُتُّ فى الجزاء ، فلمَّا شابَهَتْها فى هذا الموضع ولم تكن واحدةً من الثلاث لزم أن تكون إيّاها .

فالجواب : ليس فى قوله إنّ إنْ تكون على أربعة أوجه ما يوجبِ أن تكون إن هذه إن الجزاءِ ، لمَا قدَّمنا من الدليل فى امتناع ذلك أنْ تكون إيّاها ؛ وإنَّما لم يذكر إن هذه فيجعلَه قسماً خامسا ، لأنّه لا يستعمل فى الكلام إلاَّ فى الشعر .

فإن قلت : فما جهة الفائدة فى إعلامه أنّ إنْ من إمّا ؟

قلت : يُعلم منه أنَّ الحرف المدغم نون وليس بميم ، لأنّ الشاعر لما اضطُرَّ فحذف (ما) وأظهر النون عُلم به أنّ ذلك أصلهُ وأنّها مركبة ، وأنْ أرادَ أنَّ إمّا أصلُها إنْ ثم ضمّ إليها ما ، كما ضمت إلى لو فى لوْمَا . فذلك لا يمتنع ، ولا دلالة على أنّها الجزاء . انتهى .

وقد أطال من غير أن يُعيِّن نوعها ، وما المانع من كونها فى الأُصل للشرط ثمَّ لما ركِّبت مع ما انسلخَتْ عن الشَّرْط وصارت مع ما لمعنىً آخر . وإليه أشار الشارح المحقّق بقوله : « ولا منع من تغيُّر معنى الكلمة وحالِها بالتركيب [1] » إلخ .

وقول الشارح : « وقال غيره – أى غير سيبويه : هو مفرد غير مركب [2] وتأوَّل البيتين بإن الشرطية ، وشرطُها كانَ المحذوفة ، أى فإن كان جزعاً »،أقول : البيت الأوّل :

* وإن من خريف فلن يَعْدَمَا *

(١) الرضى ٢ : ٣٤٦ .

(٢) بعده فى الرضى : « إذ الإفراد أصل فى الحروف » .

قال الأصمعى وتبعه المبرد : إنّ إنْ فيه شرطية والشرط محذوف ، أى وإنْ سقته من خريف ، فحذَفَ لدلالة ما قبله عليه ، وجملة فلن يَعْدَما هو الجزاءُ ، كما تقدَّم . فالمحذوف فعلٌ مدلولٌ عليه ، لا كان .

وأما البيت الثانى فقد قال بعضهم : يحتمل أن تكون إن فيه شرطية حُذف جوابها لفهم المعنى ، والتقدير : فإن كنت ذا جزع فلا تجزَعْ ، وإنْ كنتَ مُجمِلَ صَبرٍ فأجمِلِ الصبر . حكاه المرادى (فى الجنى الدانى ، وشرح التسهيل) . فكان المناسب لتقدير الشارح أوّلا : إمّا تجزعُ جزعا ، أنْ يقدّره هنا بالخطاب ، كما حكاه المرادى .

ونقْلُه عن سيبويه أنَّ التقدير عنده [1] : إمَّا تجزع جزعا ، خلافُ الواقع ، كما يعلم من نقلنا كلامه فى الموضعين . وإنمَّا قدَّر سيبويه إنْ بإمَّا ، فأراد الشارح أن يُدرجَ فى نقل هذا أنَّ جزعاً منصوب بفعل مقدَّر ، فقدَّر تجزع بالخطاب ، بناءً منه على أنّ المصراع الأوّل خطابٌ لمذكّر ، بدليل فاكذِبَنْها بنون التوكيد الخفيفة

٤٤٤

وهذا تحريفٌ من النُّسَّاخ ، وإنمّا الرواية (فاكذِبِها) بالياء ، والكافان مكسورتان ، لأنّه خطابٌ مع امرأته . والمصراعُ الثانى فيه التفاتٌ من خطابها إلى التكلُّم ، ولهذا قدَّره سيبويه فى وجه الرفع بالتكلُّم قال : وإنْ قلت : فإن جزعٌ وإنْ إجمالُ صبر كان جائزاً ، كأنّك قلت : فإمَّا أمرى جزعٌ وإمَّا إجمالُ صبر ، كما تقدَّم . فكان الواجب أن يقدَّر على مذهب سيبويه : فإمّا أجزعُ جزعا وإمّا

(١) فى النسختين : « فإن التقدير عنده » صوابه ما أثبت . يريد البغدادى أن ما نقله الرضى من تقدير سيبويه إما تجزع جزعا ، موضع اعتراض ، لخلافه للواقع .

أُجمِلُ الصَّبرَ إجمالا . وأنْ يقدَّرَ على مذهب غيره : فإنْ أجزع جزعاً فأنا معذور ، وإنْ أُجملِ الصبرَ إجمالاً فأنا ممدوح .

والرفعُ فى هذا روايةٌ رواها صاحبُ الأغانى [١] ، والأسود بن محمّد الأعرابىّ .

صاحب الشاهد

وينبغى أن نورد الأبياتَ التى رَوَيَاها ليتضَّح ما ذكرناه ، قالا : قال دريد بن الصِّمَّة يرثى معاوية أخا الخنساء . وقتلته بنو مُرّة :

أبيات الشاهد

(ألاَ بكرَتْ تَلومُ بغير قَدْرِ ... فقد أحفَيتِني ودَخلْتِ سترى [٢]

فإن لم تتركى عَذْلى سَفَاهـاً ... تَلُمْكِ علىّ نفسُك أىَّ عصرِ

أسرَّكِ أن يكون الدهرُ سَدَّى ... علـىَّ بشرِّهِ يَغـدُو ويَسرِى

وإلاّ تُرزَئِى نَفْساً ومـالاً ... يضرُّك هُلكُه فى طول عُمرِى

فقد كذَبتْكِ نفسُكِ فاكذِبيها ... فإنْ جزعٌ وإنْ إجمالُ صبْرِ

فإنَّ الـرزْءَ يوم وقـفتُ أدعـو ... فلم يَسمَعْ معاويةُ بنُ عمرِو

رأيتَ مكانـه فعطـفتَ زَوْراً ... وأىُّ مكانِ زَوْرٍ يا ابنَ بكرِ

على إرَمٍ وأحجـارٍ وصِيـرٍ ... وأغصانٍ من السَّلَمَاتِ سُمْرِ

وبنيـانُ القبـورِ أتى عليها ... طَوَالُ الدّهرِ من سنةٍ وشهرِ

ولـو أسمعتَـه لأتـاك ركضاً ... سريعَ السَّعى أو لأتاك يجرِى

بشِكّـة حازِمٍ لا عَيبَ فيـه ... إذا لبسَ الكُماةُ جُلودَ نُمْرِ

فإمّا تُمسِ فى جَدثٍ مُقيما ... بِمَسْهَكَةٍ من الأرواح قَفْـرِ

فعزَّ علىَّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرو ... ومالى عنكَ من عَزْمٍ وصبر)

---

(١) روى أبو الفرج أبياتا من القصيدة فى ٩ : ١٣ و ١٣ : ١٣٨ ، ولم يرد من بينها البيت الذى أوله : « فقد كذبتك نفسك » ، فلعله فى نسخة البغدادى من الأغانى .

(٢) فى الأغانى ٩ : ١٣ : « وقد أحفظتنى » ، وفى ١٣ : ١٣٨ : « فقد أخفيتنى » .

قوله : « ألاَ بكَرْت » إلخ فاعله ضمير امرأته . وبَكَر : أسرعَ أىَّ وقتٍ كان . والقَدْر ، بسكون الدال : المَبْلغ والمقدار . وقوله « فقد أحفَيتنى » إلخ التفاتٌ من الغيبة إلى خطابها . والإحفاء ، بالحاء المهملة : الاستقصاء فى الكلام والمنازعةِ . وروى بدله : « فقد أحفظتِنى » ،يُقالُ : أحفظَهُ بمعنى أغضبَه . وقوله : « ودخلتِ سِترى » أى هجمتِ علىَّ فى خلوتى وبالغتِ فى اللَّوم .

وسَفاهاً : مصدر سَافَهه [١] ، والمراد سَفَها ، وهو نقصٌ فى العقل . وقوله : « تلُمْكِ علىَّ » جواب إنّ ، من اللَّوْمِ . ونفسُك فاعله ، أى تلمك نفسُكِ بسببى عصراً طويلا أىَّ عصرٍ ، وهو الدَّهر . وروى بدله « غير عَصر » . يعنى دعينى أبكى عليه [٢] ليخفَّ ما بى الوجد ، وإنْ تمنعينى أمُتْ وجداً عليه ، فتلمكِ نفسُك بسبب ما حلَّ بى . ٤٤٥

وقوله : « أسَرَّكِ استفهامٌ إنكارّى . وسَدَّى بمعنى أسدَى ، من السَّدَى بالفتح ، وهو ما يُمدُّ فى النسج .

وقوله : « وإلاَّ تُرزئِى » ، إلخ أى وإن لم تتركى عَذْلى ترزئى . والرُّزء : المصيبة والنَّقص ، وفعله من باب منع ، يتعدَّى إلى مفعولين : أحدهما هنا نائب الفاعل . يقال : ما رزأته ماله ، أى ما نقصته . وجملة يضرُّك هلكُه صفة لمال .

وقوله : (وقد كذَبتْك نفسك) إلخ فى النهاية لابن الأثير عن الزمخشرى : وقول العرب : كذَبتْه نفسُه أى منَّته الأمانىَّ وخيَّلَتْ إليه من الآمال ما لا يكاد يكون ، وذلك مما يرغِّب الرجلَ فى الأمور ، ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون فى

---

(١) مقتضى هذا التفسير أن يضبط « السفاه » بكسر السين ، والمعاجم مجمعة على أن السفاه بفتح السين والسفاهة كذلك والسفه ، كلها بمعنى واحد .

(٢) ط : « أبك عليه » .

عكسه : صدقَتْه نفسُه ، [إذا ثَبَّطتْه [1]] وخيَّلتْ [2] إليه العَجز [3] والنَّكَد فى الطلب [4] . ومن ثَمَّ قالوا للنفس الكَذوب . انتهى .

وكذَب بفتح الذال ، وفى فاكذِبيها بكسرها .

فَظهر بهذه الأبيات أنّ الخطاب لمؤنّث . ولم يتنبَّه له من شُرّاح أبياتِ سيبويه غير ابن السِّيرافى ، وأنشد البيتين قبله كذا :

(أسرَّكِ أن يكون الدّهر وجهاً	عليكِ بسَيْبه يَغدُو ويسرِى
وإلاّ تُرزَئى أهلاً ومالاً	يضرُّكِ هُلكُه ويطولُ عمرى
فقد كذبتكِ نفسُكِ فاكذبيها	.... البيت

وقال : يُخاطب امرأته .

ولمّا لم يقف الأعلمُ على الأبيات وسببِها ظنَّ أنّه خطابٌ لمذكر ، فقال – وتبعه ابن خلف – قاله دريدٌ معزِّياً لنفسه عن أخيه عبدِ الله بن الصِّمَّة ، وكان قد قُتِل : لقد كذبتكَ نفسُكَ فيما منَّتْك به من الاستمتاع بحياة أخيك فاكذبَنْهَا [5] فى كل ما تمنِّيك به بعد ، فإمَّا أن تجزَع [6] لفقد أخيك وذلك لا يجدى عليكَ شيئًا ، وإمّا أن تُجمِل الصَّبر [7] فذلك أجدى عليك . هذا كلامه . والرواية إنمّا هى « فقد » إلى آخر ما ذكرنا .

---

(١) التكملة من الفائق للزمخشرى ٢ : ٤٠٢ .

(٢) وكذا بالواو فى النهاية (كذب) ، وهو ما يؤيِّد ضرورة التكملة .

(٣) فى الفائق : « المعجزة » .

(٤) كذا فى ش والفائق . وفى ط : « والنكد والطلب » ، محرفة . وفى النهاية : « والكد فى الطلب » ولهذه وجه ، لكن المراد النكد ، بالتحريك أو بالفتح أو بالضم ، وهو قلة العطاء ، ومنه قراءة أهل المدينة : « لا يخرجُ إلاّ نَكَدا » بفتح الكاف .

(٥) هذا الصواب من ش . وعند الشنتمرى : « فاكذبها » وفى ط : « فاكذبيها » ، وهذه محرفة .

(٦) ط : « تجزعى » صوابه فى ش والشنتمرى .

(٧) ط : « أن تجملى الصبر » ، صوابه فى ش والشنتمرى .

وأنشد العينى البيت بالتذكير ، وروى أوله : « وقد كذبْتُكَ » وقال : الواو للعطف إنْ تقدَّمه شئ . وعلى هذا النمط شرح البيت .

وإنمَّا قلنا إنّ المصراعَ الثانىَ التفاتٌ إلى التكلم ، لقول سيبويه فى رفعه : أمرى جَزعٌ . وإلاّ فالظاهر أنّه من بقية الخطاب ، وأنّ تقديره فإمّا تجزعين جزعاً وذلك لا فائدة فيه ، وإمّا تجمِلين الصَّبر إجمالا ، وهو أجْدَى .

وقوله : « فلم يسمع معاوية » فعل وفاعل ، وروى : « فلم أُسمِع » من الإسماع ، ومعاوية مفعوله .

وقوله : « رأيت مكانه فعطفتُ زَوراً » أى لأجل الزيارة . وقوله : « وأىُّ مكان زَوْر » أستفهام أراد به النفى . و« يا ابنَ بكر » خطابٌ لنفسه . وبكرٌ جدُّه كما يأتى .

وقوله : « على إرَمٍ » متعلق بزور الثانى . وإرَم بكسر الهمزة وفتح الراء ، وهى حجارةٌ تنصَب علماً فى المفاوز . شبَّهَ أحجار قبرِه بها . وصِير : جمع صِيرَة بكسر الصاد المهملة ، وهى حظيرةُ الغنم ، شبَّه ما حولَ قبرِه بها . وروى بدله : « وأحجار ثقال » . والسَّلَمات : جمع سَلَمة ، وهى شجر من أشجار البادية ، تُقطع أغصانُها وتوضع على القبر ، ووصفها بالسُّمر ليبسها .

وقوله : « وبنيانُ القبور » مبتدأ وجملة أتى إلخ خبره . وطَوَال بالفتح بمعنى طول فاعل أتى .

وقوله : « بشكّة حازم » متعلق بأتاك . والشِّكَّة بالكسر : السِّلاح . والحازم : المتيقّظ . وقوله : « لا عيبَ فيه » روى بدله « لا غمز فيه [1] » أى

---

(١) ط : « لا غمر فيه » ، صوابه فى ش .

لا مطعن فيه . والكُماة : الشُّجعان ، جمع كميٍّ بوزن فعيل . قال صاحب الأغانى : أى كأنّ ألوانَهم ألوان النُّمر : سوادٌ وبياض ، من السلاح . ٤٤٦

والجَدَث بفتح الجيم والدال : القبر . والمَسْهَكة ، بفتح الميم والهاء وسكون السين المهملة بينهما : ممَرُّ الرِّيح .

وإنما رثاه بهذه القصيدة مع أنّه لم يكنْ من قومه ، لمَا رواه صاحب الأغانى قال : تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو وتواثَقا [1] : إن هلك أحدُهما أن يَرثِيَه الباقى ، وإن قُتل أن يُطلَب بثأره ، فقُتِل معاويةُ بن عمرٍو ، وقَتَلَه هاشمُ بن حَرمَلة المُرِّى . فرثاه دريدٌ بهذه القصيدة .

دُريد بن الصِّمّة

ودُريد : مصغَّر أدرد ، يقال رجل أدردُ وامرأةٌ درداء ، وهو الذى كبِر حتَّى سقطت أسنانه فصار يَعضُّ على دُردُرِه . ومنه أبو الدَّرداء . والصِّمَّة ، بكسر الصاد وتشديد الميم ، معناه الشجاع . قال أبو حاتم السجستانى (فى كتاب المعمَّرين) : عاش دريد بن الصمة الجُشَمىُّ نحواً من مائتى سنة ، حتَّى سقط حاجباه على عينيه ، وأدرك الإسلام ولم يُسلِمْ ، وقُتل يوم حُنينٍ كافراً .

وقال صاحب الأغانى : دريد بن الصمة اسمُه معاوية بن الحارث بن بكر ابن عَلقمة بن جُداعة بن غَزِيّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . ودريد بن الصمة شجاعٌ شاعرٌ فحل . وجعله محمد بن سلام أوّلَ شعراء الفُرسان ، أطولَ الفُرسان الشُّعراء غزواً ، وأكثرَهم ظفراً ، وأيمنهَم نقيبةً عند العرب وأشعرَهم . وقال أبو عبيدة : كان دُريدٌ سيِّد بنى جُشَمَ وفارسَهم وقائدَهم ، وكان مظفّراً ميمون النقيبة ، غزا نحو مائة غزاة وما أخفقَ فى واحدةٍ منها ، وأدرك الإسلام ولم يُسلِم ، وخرجَ مع قومه يوم حُنين مظاهراً للمشركين ولا فضْلَ فيه للحرب ، وإنمَّا أخرجوه

(١) ط : « توافقا » صوابه من الأغانى و ش مع أثر تصحيح .

تيمُّنا به ، وليقتبسوا من رأيه ، فقُتل على شِركه . وكان لدريد إخوة وهم : عبد الله الذى قتلته غطفان ، وعبد يغوث وقتله بنو مُرّة ، وقيسٌ وقتلَه بنو أبى بكر بن كلاب ، وخالدٌ وقتله بنو الحارث بن كعب . وأُمُّهمْ جميعاً : ريحانةُ بنت مَعديكربَ الزُّبيدى ، أخت عمرو بن معديكرِب ، كان الصِّمَّة سباها ثم تزوَّجها ، فأولدها بنيه . وإيّاها عنى عمروٌ أخوها :

أمن ريحانـةَ الداعـى السَّميـعُ يؤرِّقنـى وأصحـابى هجـــوعُ
إذا لم تستطـع شيئـاً فَدَعْـهُ وجـــاوزْه إلى ما تستطيـــع

ولما افتتح رسول الله ﷺ مكّة لعشر ليالٍ بقين من رمضان سَمِعت به هوازن (١) ، فجمعها مالك بن عمرٍو النَّصْرى ، فاجتمعت إليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيسٍ إلاّ هوازنُ وناسٌ قليل من بنى هلال ، وغابت عنها كعبٌ وكلاب ، فجمعت نصرٌ وجُشم وسعدٌ : بنو بكر ، وثقيفٌ ، واحتشدت ، وفى بنى جُشم دُريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شئ إلاّ التيمُّنُ برأيه ، ومعرفتُه بالحرب ، وكان شجاعاً مجرّبا ، وجِماعُ أمرِ الناسِ إلى مالك بن عوف ، فلما أجمع مالكٌ المسير حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم ، فلمَّا نزلوا بأوطاسٍ اجتمع إليه الناسُ وفيهم دريد بن الصمة ، فى شِجارٍ له يُقاد (٢) ، فقال لهم دريد : بأىِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعمَ مجالُ الخيل ، مالى أسمع رُغاءَ البعير ، ونُهاقَ الحمير ، وبكاء الصَّغير ، وثُغاء الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . فقال : أينَ مالك ؟ فدُعِىَ له ، فقال : إنَّك قد أصبحتَ رئيسَ قومِك ، وإنَّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بَعدَه من الأيّام ، مالى أسمع رُغاء البعير ونَهيقَ الحمير وبكاء الصبيان وثُغاء الشاء ؟ قال : ٤٤٧

(١) الأغانى ٩ : ١٤ .
(٢) الشجار ، بالكسر : مركب أصغر من الهودج مكشوف الرأس .

سقتُ مع الناس نساءَهم وأبناءهم وأموالهم : قال : ولمَ ؟ قال : أردت أنْ أجعلَ خلفَ كلِّ رجل أهلَه ومالَه ، ليقاتل عنهم . فوبَّخه ولامه ثم قال : راعى ضأنٍ والله – أىْ أحمق – وهل يردُّ المنهزمَ شىء ؟ إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفهِ ورُمحه ، وإنْ كانت عليك فُضحتَ فى أهلك ومالِك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يشهد منهم أحد . قال : غاب الجَدُّ والحَدّ ، لو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم يَغيبوا عنك ، ولوَدِدتُ أنّكم فعلتم مثلَ ما فعلوا ، فمَن شَهِد منهم ؟ قال : بنو عمرو بن عامر ، وبنو عوف بن عامر . قال : ذانِك الجَذَعانِ من عامر ، لا يضُرَّان ولا ينفعان . ثم قال : يا مالكُ لم تصنع شيئاً بتقديم بيضةِ هوازنَ إلى نحور الخيل ، ارفعْهَا [إلى [1]] أعلَى بلادها وعَلياء قومها [2] ، ثم القَ القومَ بالرِّجال على مُتون الخَيل ، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءَك ، وإن كانت عليك كنتَ أحرزت مالَكَ وأهلك ، ولم تُفضَح فى حريمك . فقال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ، قد خَرِفتَ ، وخَرِف رأيُك ، والله لتطيعُنَّنى يا معاشر هوازن ، أو لأتّكئنَّ على هذا السَّيف حتّى يخرجَ من ظهرى . وحَسَد دريداً أن يكون له فى ذلك اليومِ ذكرٌ ورأى . فقالوا : أطعناكَ وخالفْنا دريداً . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشهَدْه ولم أغِبْ عنه :

يااليتنى فيها جَذَع [3] أخُبُّ فيها وأضَعْ
أقُودُ وطفاء الزَّمَع كأنّها شاةٌ صدَعْ

فلما لقيَهم رسولُ الله ﷺ انهزم المشركون ، فأتوا الطائفَ ومعهم مالك ابن عوف النَّصرى ، وعسكر بعضُهم بأوطاس ، وتوجَّه بعضُهم نحو نَخلة ،

---

(١) التكملة من ش والأغانى .

(٢) الأغانى : « إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم .

(٣) ط : « جزع » ، صوابه فى ش والأغانى والسيرة ٤٨١ والمحتسب ١ : ٢٩٣ والعمدة ١ : ١٢٢.

وتبعت خيلُ رسول الله ﷺ مَنْ سَلك نخلة ، فأدرك ربيعة بن رُفَيع السُّلَمى (١) دريدَ بنَ الصِّمّة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنُّ أنّه امرأة ، وذلك فى شِجَارٍ له ، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخٍ كبير ، ولم يعرفْه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلُك . قال : ومن أنت ؟ قال : ربيعة بن رُفَيع السُّلَمى . فأنشأ دريدٌ يقول :

ويحَ ابن شَكْمَةَ ماذا يريدُ ... من المُرعَشِ الذّاهبِ الأدْرَدِ (٢)

فأقسمُ لو أنَّ بى قوّة ... لظلّت فَرائصُهُ تُرعَدُ (٣)

ويالهفَ نفسىَ أن لا تكو ... ن معى قُوَّةُ الشامخ الأمردِ (٤)

ثم ضربه السُّلَمىُّ بسيفِه فلم يُغْنِ شيئاً ، فقال : بئسما سَلَحتك أمُّك ، خذْ سيفى من مُؤخِّرة رحلى فاضرْب به ، وارفَعْ عن العظام واخفِضْ عن الدِّماغ ، فإنِّى كذلك كنتُ أضرِب الرجال ، ثمَّ إذا أتيت أمَّك فأخبرْها أنَّك قتلت دُريدَ ابن الصِّمَّة ، فربَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءَكَ . فلمَّا ضرَبُه سقط ، فإذا عجانُه وبطنُ فخِذَيه مثلُ القراطيس ، من ركوب الخيل . فلمَّا رجع ربيعة أخبر أمَّه بقتْلِه إيَّاه ، فقالت : قد أعتق قتيلُكَ ثلاثاً من أمَّهاتك !

* * *

(١) رفيع ، بالتصغير ، كما فى ترجمة ربيعة بن رفيع فى الإصابة ٢٥٩٤ .

(٢) ط : « ابن مشكمة ما يريد » ، صوابه فى ش . وفى الأغانى : « ويح ابن أكمة ماذا يريد » .

(٣) فى الأغانى : « لولت فرائصه » . وفى البيت إقواء .

(٤) ط : « أن لا يكون مع » ، صوابه فى ش والأغانى . والشامخ : الرافع رأسه عزة وتكبرا ، ولعلها « الشارخ » ، بمعنى الشابّ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد التسعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩٠٣ (لَعمرِىَ ما أدْرِى وإنْ كنتُ دارياً بسبعٍ رَمَيْن الجمرَ أمْ بثَمانِ)

على أنَّ الهمزة قد تُحذف فى الشِّعر قبل أم المتَّصلة ، فإنَّ التقدير : أبسبعٍ رَمَينَ الجمر أم بثمانٍ . ولم يرد المنقطعة ، لأنَّ المعنى على : ما أدرى أيُّهما كان .

قال سيبويه (فى باب المنقطعة) : زعم الخليلُ أنّ قولَ الأخطل :

* كذبتكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ * ... البيت .

كقولك : إنّها لإبلٌ أم شاءٌ . ويجوز فى الشِّعر أن تريد بكذبَتْكَ الاستفهام وتحذف الألف . قال الأسودُ بن يَعفُر :

لعمُركَ ما أدرِى وإنْ كنتُ دارياً شُعيثُ ابنُ سهم أم شُعيثُ ابنُ مِنقَرِ

وقال أبو الحسن ، لعمر بن أبى ربيعة [٢] :

لعمركَ ما أدرِى وإن كنت دارياً بسبع رمينَ الجمـرَ أمْ بثمانِ [٣] انتهى

٤٤٨

قال الأعلم : الشاهد فى الأخيرين حذف ألف الاستفهام ضرورة ، لدلالة أم عليها . ولا يكون هذا إلاَّ على تقدير الألف ، لأنَّ قوله « ما أدرى » يقتضى وقوع الألف ، وأم مساوية لها . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٥ وانظر شرح الأبيات لابن السِّيرافى ٢ : ١٥١ والمقتضب ٣ : ٣٩٤ والمحتسب ١ : ٥٠ والأزهية ١٣٥ وابن الشجرى ١ : ٢/٢٦٦ : ٣٣٥ وابن يعيش ٨ : ١٥٤ والضرائر ١٥٨ والمغنى ١٤ والعينى ٤ : ١٤٢ والهمع ٢ : ١٣٢ وديوان عمر بن أبى ربيعة ٢٥٨ .

(٢) الاستشهاد هنا لأبى الحسن الأخفش ، من تعليقه على الكتاب . انظر حواشى سيبويه ٣ : ١٧٥ هارون .

(٣) الرواية فى ديوان عمر :

فوالله ما أدرى وإنى لحاسب بسبع رميتُ الجمر أم بثمانِ

وكذا جعله ابن عصفور ضرورةً ، وعمَّم سواء كانت مع أم أم لا . قال : ومنه حذف همزة الاستفهام إذا أُمِن اللَّبْسِ للضَّرورة ، كقول الكُميت :

طَرِبتُ وما شوقاً إلى البِيض أطربُ ولا لعباً منِّى وذو الشَّيبِ يلعبُ

يريد : أَوَ ذو الشيب يلعب . ثم أنشد البيتين وقال : وقد حذفت مع أم فى الشاذّ فى قراءة ابن مُحَيْصِن : ﴿ سواءٌ عليهِمْ أنذَرْتهم أم لم تُنذِرْهم [١] ﴾ بهمزة واحدة من غير مَدّ . وكأنَّ الذى سهَّل حذفَهَا كراهيةُ اجتماعِ همزتين مع قُوّة الدَّلالة عليها . ألا ترى أنّ سواء تدلُّ عليها بما فيها من معنى التسوية ، إذ التسوية لا تكون إلاّ بين اثنين ، ويدلُّ عليها مجىء أمْ بعد ذلك . انتهى .

وذهب جماعةٌ إلى أنَّ الهمزة يجوز حذفها إن كانت مع أم ، وإلاّ فلا .

وذهب الأخفشُ وتبعه طائفةٌ إلى جواز حذفِها مطلقاً . وهو ظاهرُ كلام ابن مالك (فى التوضيح) قال : قد كثُر حذف الهمزةِ إذا كان معنى ما حُذِفت منه لا يستقيم إلاَّ بتقديرها ، كقوله تعالى : ﴿ وتلكَ نِعمةٌ [٢] ﴾ . قال أبو الفتح وغيره : أراد :أَوَ تلك نعمةٌ . ومن ذلك قراءة ابن مُحيصِنٍ : ﴿ سواءٌ عليهم أنذرتهم ﴾ بهمزة واحدة . ومن ذلك قراءة أبى جعفر : ﴿ سواءٌ عليهم استغفرتَ لهم [٣] ﴾ بهمزة وصل . ومِنْ حَذِفها فى الكلام الفصيح قولُه ﷺ : « يا أبا ذَرٍّ عيَّرتَه بأمِّه [٤] » أراد : أعيَّرته ؟ ومنه قوله ﷺ : « أتانى جبريلُ فبشَّرنى أنَّه مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخَلَ الجنة . قلت : وإنْ سرَقَ وزنى ؟ قال : وإن سَرَق

(١) الآية ٦ من البقرة .

(٢) الآية ٢٢ من الشعراء .

(٣) الآية : ٦ من سورة المنافقون .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ١ : ١١ . وانظر شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ٨٩ .

وزنى [١] » . أراد رسولُ الله ﷺ : أَوَ إنْ سَرَق وزنى . ومنه حديث ابن عباس أنَّ رجلا قال : « إن أُمِّى ماتت وعليها صومُ شهرٍ أفَأَقضيه [٢] » وفى بعض النسخ : « فأقضِيهِ ؟ » . ومنه أنَّ الحسنَ أو الحُسين أخذ تمرةً من تمر الصَّدقة فجعلها فى فيه ، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ فأخرجَها من فيه وقال : أمَا علمت [٣] ؟ » وفى بعض النسخ : « ما علمت ؟ » . انتهى .

٤٤٩

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لعمر بن أبى ربيعةَ المخزوميِّ قالها فى عائشة بنتِ طلحة ابن عُبيد الله التَّيْمىّ الصَّحابى . وقبله :

أبيات الشاهد

(لقد عرضَتْ لى بالمحصَّبِ من مِنًى ... مع الحجِّ شَمْسٌ سُيِّرتْ بيَمانِ[٤]

فلما التقَينا بالثَّنِيَّةِ سَلَّمت ... ونازَعنى البغلُ اللَّعِينُ عِنانى[٥]

بدا لىَ منها مِعصمٌ حيثُ جَمَّرتْ ... وكفٌّ خضيبٌ زُيِّنت ببَنانِ

فوالله ما أدرى وإنْ كنت داريا ... . البيت[٦]

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ٢ : ٧١

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الصوم ٣ : ٣٥

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ . وتمام الحديث : « أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة » .

(٤) فى ديوان عمر ٢٥٧ : « لحينىَ شمس » . لحينى ، أى لهلاكى . وأراد بالشمس صاحبته عائشة . وفى الديوان : « ستِّرت » من الستر ، يعنى ثيابها اليمنية ، ومن اليمن كانت تجلب أجود الثياب . وانظر ما سيأتى فى الشرح .

(٥) الثنية : موضع بمكة عند بئر الأسود بن سفيان المخزومى ، وهى ثنية أم قردان .

(٦) كذا ورد برفع الاسمين بعد « كان » . وقد جوز الجمهور رفع الاسمين بعد كان بتقدير ضمير الشأن ، وأنكره الفراء ، ورد بالسماع فى قول العُجَير :

إذا مِتُّ كان الناس صنفان شامتٌ ... وآخر مُثْنٍ بالذى كنتُ أصنعُ

وقول هشام أخى ذى الرمة :

هى الشفاء لدائى لو ظفرت بها ... وليس منها شفاء الداء مبذول

وانظر همع الهوامع ١ : ١١١ وسيبويه ١ : ٧١ هارون .

فقلتُ لها عُوجِى فقد كان منزلى خصيبٌ لكم ناءٍ عن الحدثـانِ
فعُجْنا فعاجت ساعةً فتكلّـمت فظـلّت لها العينـانِ تبتـدرانِ (١)

عَرَضَتْ : ظهرَتْ . والمُحصَّب ، بالحاء وتشديد الصاد المفتوحة المهملتين : موضعُ رَمِي الجمار بمنىً . والحَجّ : قصْدُ مكّة للنُّسك ، على حذف مضاف ، أى ذووه . وشمسٌ ، أى امرأة كالشَّمس سُيِّرت فى طرَفِ يمان ، بخلاف الشمس الحقيقيّة فإنّها تسير نحو المغرب . وحرَّفه ابن المُلاّ فكتبه « شُبِّهت بيمان » ، وقال : هو صفةُ محذوفٍ ، أى بسيفٍ يمان ، شبَّهها به فى البريق واللَّمَعان . هذا كلامه .

والثنيَّة عند جَمْرة العقبة . ولا يبعد أن يكون سُيِّرت بثمان ، أى مع نسوةٍ ثمان ، وبه يظهر وجه قوله : بسبع رمينَ الجمر بالنون ، إلاّ أنّه يكون فى ثمانٍ الآتى إيطاء . وقوله : « ونازعنى » أى جاذَبنى . والنَّزع : الجَذب .

وبدا : ظهر . والمعصم ، بكسر الميم : موضع السِّوار من الساعد . وجَمَّرت بالجيم وتشديد الميم : رمت جمار المَنْسِك ، وهى ثلاث جَمَرات : الجمرة الأُولى ، والوسطى ، وجمرة العقبة . وخضيب : [مخضوبة (٢)] بالحِنّاء أو بغَيرها . والبنان : أطراف الاصابع ، وقيل الأصابع . فإن قيل : ما معنى تَزَيُّنِ الكفّ بالبنان ، وهى من تمام الخلقة ، والزِّينة إنمّا تكون بما زاد عليها ؟ فالجواب : أنّ تلك الكفَّ زيِّنت بلطافة البنان وحُسْنها ، أو بمغايرة خِضابِها فى اللّونِ خضابَ الكفّ . على أنّا نقول : لو أريد أنَّ الزينة حصلت بذات البنان لاستقام ،

(١) فى الديوان : « فظلت بها » .
(٢) التكملة من ش .

ويكون إشارةً إلى ما خَصّ الله به النوع الإنسانيَّ من الأعضاء المتناسبة ، بالنسبة إلى سائر الحيوان . كذا (فى شرح المغنى لابن المُلاّ) .

وروى ابن المستوفِي المصراعَ هكذا :

* وكفّ لها مخضوبة بنانِ *

فلا يَرِدُ السؤال والجواب .

وقوله : (لعمرىَ ما أدرى) روى كذا بالياء وبالكاف . وروى أيضا (فوالله ما أدرى) . والدراية : علمٌ يُتخيَّل . وجملة ما أدرى جواب القسم . وأدرى يتعدَّى لمفعولين ، وهو هنا معلَّق بالاستفهام المقدَّر فى بسبع ، وجملة (وإنْ كنت دارياً) اعتراضٌ بين أدرى وبين معموله ، وإن وَصْليَّة .

فإن قلت : كيف ينفى الدراية عنه ثم يُثبتُها له ؟ قلت : اختلافُ زمانِهما نَفَى التناقض . وقال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : قوله وإن كنت يحتمل أن تكون إن نافية ، أى وما كنت داريا ، تأكيداً للجملة قبلها . ويحتمل أن تكون مخفَّفة من الثقيلة ، أى وإنّى كنت قبلَ ذلك من أهل الدِّراية والمعرفة حتَّى بدا لى ما ذُكر ، فسُلِبت الدراية . وهذا الاحتمال عندى أظهر . انتهى . ٤٥٠

قلت : أمّا الأوّل فبعيد مع أنّ الحمْلَ على التأسيس خيرٌ من التأكيد . وأمَّا الثانى فكان يلزمه أن يقول : لَداريًا ، باللام الفارقة .

وقوله : (رمين) بنون النسوة ، وهو واضح مع ما قدَّمنا . وقال ابن الملا : فإن قلت : كان الظاهر رمَتْ ، فلمَ أتى بضمير الجمع ؟ قلت : للتعظيم الذى يليق بأهل الودِّ السليم . انتهى .

أقول : تعظيم الغائب الواحدِ بضمير الجمع غير موجودٍ فى لغة العرب .

وقال الدماميني : الضمير عائد إلى البنان أو إلى المرأة وصواحبها .

قال السيوطى : هذا البيت أنشده الزُّبير بن بكّار بلفظ :

فوالله ما أدرى وإنّى لحاسبٌ بسبعٍ رميتُ الجمرَ أم بثمانِ

بتاء المتكلم فى رميتُ . وهذا الوجه أوجَهُ بلا شكّ ، فإنّ الأخبار بذهوله عن فعله لشُغل قلبِه بما رأى ، أبلغُ من الإخبار بذهوله عن فعل الغير . وفيه سلامةٌ من التأويل المذكور .

قال ابن الملا : ولقائل أن يقول : هذا الكلام فى حيِّز المنع ، إذ ليس فى ذهول الإنسان عن فعل نفسه وإن كان ذا خطرٍ كبيرُ أمر ، سيَّما والشاغلُ ما ذكر ، كيف وإنّ وقوعه أكثر من أن يُحصَى ، بخلاف ذُهول الإنسان عن فعل الغير المتصدِّى لمراقبته شهوداً وغَيبة ، فإنّ العادة تقتضى ، والمذهبَ الغرامىَّ يوجِب أنّ من تصدى لمراقبة فِعل الأحباب ، كان أبعدَ من أن يُذهَل عنه ، فإذا ذُهل عنه كان فى حَيِّز التعجُّب . وأما دعواه السَّلامةَ من التأويل فظاهر المنع ، لأنَّ معنى البيت على روايته : فوالله ما أدرى الحسابَ وإنِّى لحاسب ، لأنَّ نفيه لِدرايةِ جوابِ أبسبعٍ رمين أم بثمان ، إنمّا هو لانتفاء كونِه داريا إذ ذاك بالحساب ، كما يشهد به التخيُّل الصحيح . ويعود الإشكال فيُحتاج إلى التأويل ، اللهمَّ إلاّ أن يكون أراد التأويل فى رَمَين . انتهى كلامه .

وقال ابن المستوفِي : أراد أنّه شُغِل بهنَّ فلم يدرِ عددَ ما رمينه من الجمرات . وهذا معنىً مبتذل إلاّ أنه عكسُ ما ذكره غيره . وذلك أنَّ الشعراء ذكروا أنّهم شُغِلوا وبُهِتوا بما جرى عليهم ، فلم يعلموا ما فعَلوا بأنفسهم ، كقول جران العَوْد :

ثم ارتحلتُ برحلى قبلَ بَرْذَعتى والعقل مُتَّلِهٌ والقلبُ مشغولُ[١]

ويمكن أن يُعتذر لعمر فيقال إنّه شُغل بهنَّ عن نفسه ، فلم ينظر إلاّ إليهنّ لا إلى ما يفعلن . انتهى .

وقوله : « فقلت لها عوجى » عاج بالمكانَ يعُوج عَوْجا من باب قال ، أى أقام به . وعجت غيرى بالمكان أُعُوجه ، يتعدَّى ولا يتعدَّى . وعجت البعيرَ ، إذا عطفتَ رأسَه بالزمام . كذا فى الصحاح .

وتقدمت ترجمة عمر بن أبى ربيعة فى الشاهد السابع والثمانين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٩٠٤ (لعمرك ما أدرى وإنْ كنتُ دارياً
شُعيثُ ابنُ سهمٍ أم شعيثُ ابنُ مِنْقرِ)

لما تقدَّم قبله ، وتقدم فيه نصّ سيبويه وإعرابه .

---

(١) ديوان جران العود ٣٥ من قصيدة تروى أيضا لابن مقبل ، ولقحيف العقيلى ، ولحكيم الخضرى . ويروى : « والقلب مستوهل » .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٢ – ٣٤ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٨٥ . وانظر البيان ٤ : ٤١ المقتضب ٣ : ٢٩٤ والكامل ٣٨٠ ، ٣٥٧ والتصحيف ٤٩٤ والمحتسب ١ : ٥٠ والضرائر ١٥٩ والمغنى ٤٢ والعينى ٤ : ١٣٨ والتصريح ٢ : ١٤٣ والهمع ٢ : ١٣٢ والأشمونى ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

وأورده ابن هشام (فى بحث أمْ من المغنى) وقال : الأصل أشعيث ، بالهمزة فى أوله والتنوين فى آخره ، فحذَفهما للضرورة . والمعنى : ما أدرى أىُّ النَّسَبين هو الصحيح . ٤٥١

أقول : حكمه هنا بأنّ حذف الهمزة ضرورةٌ ينافيه ما تقدَّم منه فى بحث الألف من إطلاق جواز حذفها ، تقدَّمَتْ على أمْ أم لم تتقدَّم . وإنمَّا اعتبره منوَّنا حُذِف تنوينُه للضَّرورة لأنّه أخبر عنه بابن ، والعلم المنوّن إنمّا يحذف تنوينه إذا وصف بابن لا إذا أُخبر عنه ، ومن ثَمّ يكتب ألف ابن أيضاً وإنْ كان واقعاً بين علمين .

قال ابن المُلاّ : ويجوز أن يكون ممنوعاً من الصرف ولا ضرورة ، باعتبار القبيلة ، والإخبار عنه بابن لا يمنع ذلك ، لجواز رعاية التذكير والتأنيث باعتبارين .

قال السيرافى : يهجو هذه القبيلة ، يقول : إنَّها لم تستقرَّ على أبٍ لأنَّ بعضاً يعزُوها إلى منقر ، [وبعضاً إلى سهم . وسيأتى أنه اسمُ رجل لا قبيلة . وقال الأعلم : المعنى ما أدرِى : أشعيث من بنى سهمٍ أم هم من بنى مِنقر . وشعيث : حىٌّ من تميم ، من بنى منقر [1]] ، فجعلهم أدْعياء ، وشكَّ فى كونهم منهم أو من بنى سهم . وسهمٌ هنا : حىٌّ من قيس . انتهى .

وصحَّف ابن الملا سَهْما بغَنْم فقال : قال الأعلم : شعيث : حىٌّ من غَنْم . انتهى .

وشعيث فى الموضعين بضم الشين المعجمة وفتح العين المهملة وآخرهُ ثاء مثلثة ، قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) والأعلم : وروايته بالباء الموحَّدة تصحيف .

---

(١) التكملة من ش .

ومِنْقَر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ، هو منقر بن عُبَيد ، بالتصغير، ابن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سَعد بن زيدِ مناة بن تميم . كذا فى الجمهرة .

وقوله : وسَهم : حىٌّ من قيس ، أى من قيس عيلان . وهو سهم بن عمرو ابن ثعلبة بن غَنْم بن قتيبة بن باهلة . وينتهى نسبه إلى غطفانَ بنِ سعد بن قَيس ابن عيلان بن مُضَر . وفى قريش أيضاً : سَهم أبو حىّ ، وهو سهم بن عمرو بن هُصَيص بالتصغير ، ابن عمرو بن جُمَح ، بضم الجيم ففتح الميم ، ابن كعب بن لؤى . ومنهم قيس بن عدىّ بن سَعد بن سهم .

وزعم ابن الحنبلى (فيما كتبه على المغنى) أنَّ قول الأعلم حىٌّ من قيس هو قيسٌ السَّهمى . وهذا غلطٌ منه لا يصحّ . وشعيث المذكور لم أر له ذكراً فى جمهرة الأنساب ، ولا فى الصِّحاح ولا فى العباب . وذكره صاحب القاموس ، وقال : شعيث كزبير : ابن مُحرز .

والبيت أنشده سيبويه للأسود بن يعفر . وتقدمت ترجمته فى الشاهد الرابع والستين من أول الكتاب [1] .

وأنشده المبرِّدُ فى موضعين (من الكامل) للَّعين المنقرى . والله أعلم .

ونقل أبو الوليد الوَقْشى (عن البيان للجاحظ) فيما كتبه على كامل المبرد ، أنّه قال : ذكروا أنّ شعيث بن سهم بن مُحرز [2] بن حَزْن أُغِير على إبله ، فأتى أوسَ ابن حَجَر يستنجدُه ، فقال أوس : أوَ خيرٌ من ذلك أحضِّضُ لك قيسَ ابن عاصم ؟ وكان يقال إنّ حزن بن الحارث هو حَزْن بن مِنقر ، فقال أوس :

---

(١) الخزانة ١ : ٤٠٥ — ٤٠٦ .

(٢) فى البيان ٤ : ٤٠ : « بن محجن » .

سائل بها مولاك قيسَ بنَ عاصمٍ فمَولاك مولى السَّوء إنْ لم يُغَيِّرِ [١]
لعمرك ما أدرى أمن حَزْن مُحرزٍ شعيثُ بن سهم أم لحزن بن مِنْقرِ [٢]

وكتب الوَقْشى على الموضع الثانى من الكامل بعد إنشاد البيت الثانى : قال الجاحظ : كان يقال أن حزن بن الحارث يكون أبا جدِّ شُعيث بن سهم بن محرز [٣] بن حزن بن الحارث ، أحد بلعنبر بن عَمرو بن تميم ، وهو حزن بن منقر . ولشُعيث بن سهمٍ وقولِ أوسٍ هذا فيه خبرٌ أثبته الجاحظ فى البيان . انتهى .

فظهر ممّا ذكرنا أنّ شعيثاً ليس بأبى قبيلة ، [وثبتَ [٤]] قول ابن هشام إنَّ تنوينه حذف للضَّرورة . ولا يتأتّى دعوى منع صرفِه للعلمية والتأنيث باعتبار القبيلة ، والله أعلم .

٤٥٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد التسعمائة وهو من شواهد س [٥] :

٩٠٥ (كذَبتكَ عَيْنُكَ أم رأيتَ بواسطٍ غَلَسَ الظَّلامِ مِن الرَّباب خَيالاَ)

لما تقدَم من أنّ الهمزة المعادِلة لأمْ محذوفةٌ منه للضَّرورة ، والتقدير : أكذبتك عينك أم رأيت .

---

(١) البيتان مما لم يرو فى ديوان أوس (فينا ١٨٩٢) ، وإن ورد فى ديوانه نسخة يوسف نجم عن البيان والتبيين ، ونسبا إلى الأسود بن يعفر أو اللعين المنقرى فى معجم الشواهد . وفى ط : « إن لم يعير » ، بالعين المهملة . صوابه فى ش . والمراد بالتغيير التعويض عن تلك الإبل المسلوبة . وفى اللسان (غير ٣٤٦) : « غيّره ، إذا أعطاه الدية ، وأصلها من المغايرة ، وهى المبادلة لأنها بدل من القتل » .

(٢) كذا فى النسختين . والذى فى البيان : « أمن حزن محجن » .

(٣) فى البيان : « محجن » .

(٤) التكملة من ش .

(٥) فى كتابه ١ : ٤٨٤ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ٦٧ والمقتضب ٣ : ٢٩٥ والمغنى ٤٥ والتصريح ٢ : ١٤٤ وديوان الأخطل ٤١ .

ونقل سيبويه عن الخليل أنّ أم فيه منقطعة ، وجوّز أن تكون متّصلة بتقدير الهمزة كما تقدم .

قال الأعلم : الشاهد فيه إتيانه بأمْ منقطعة بعد الخبر ، حملاً على قولهم : إنّها لإبلٌ أم شاء . ويجوز أن تُحذف ألفُ الاستفهام ضرورةً لدلالة أمْ عليها ، والتقدير : أكذبتك عينك أم رأيت ؟ ونظير إضرابه عن الخبر الأوّلِ وتكذيبِه لنفسه بقوله : « أم رأيت بواسط » قولُ زهير :

قِفْ بالدِّيار التى لم يَعفُها القِدَمُ بلى وغيَّرها الأرواحُ والدِّيَـمُ (١)

فقال : لم يعفُها القدم بلى وغيَّرها الأرواح . فكذلك قال : كذبتكَ عينُك فيما تخيَّلُ له ، ثم قال : أمْ رأيتَ بواسطٍ خيالا . والمعنى بل هل رأيتَه ولم تشكَّ فيه . انتهى .

وذكَرَ الوجهين المبرِّد (فى الكامل) قال : فيه قولان : أحدهما كذبتك عينُك ، كما قيل فى :

* بسبعٍ رمينَ الجمرَ أم بثمانِ (٢) *

وليس هذا بالأجود ، ولكنَّه ابتدأ متيقِّنا ، ثم شكَّ فأدخلَ أمْ كقولك : إنّها لإبلٌ ، ثم تشُكّ فتقول : أم شاءٌ يا قومِ . انتهى .

قال ابن الحنبلى : إن جعل الخليلُ التقديرَ فى المثال : أهى شاء ، كان مرادُ الأخطل : كذبتك عينُك فى رؤيَة الرَّباب نفسِها ، بل لم تر خيالاً منها فضلاً عن أنْ تراها نفسَها ، على أنّ أم بمعنى بل وهمزة الإنكار . وإنْ جعلَه : بل هى شاء ، كان مرادُه كذبتك عينُك فلم تكن رأيتَها ، بل رأيتَ خيالاً منها . انتهى .

---

(١) ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ .

(٢) انظر الشاهد ٩٠٣ ص ١٢٢ .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) عن أبى عبيدة أنّه زعم أنّ أم تأتى بمعنى الاستفهام المجرَّد من الإضراب ، فقال فى قول الأخطل :

* كذبتك عينُك أم رأيت بواسطٍ *

إنّ المعْنَى : هل رأيت .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للأخطل النَّصرانىّ ، هجا بها جريراً . وبعده :

أبيات الشاهد

وتَغَـوَّلت لِتَرُوعَنَـا جِنِّيَّـةٌ ... والغانيـات يُرِينَكَ الأهـوالا

يَمدُدن من هَفَواتهنَّ إلى الصِّبا ... سببًا يَصِدنَ به الغُواةَ طُوَالا

ما إنْ رأيتُ كمكرهِنَّ إذا جَرى ... فينا ، ولا كحبالهنَّ حِبالا

المُهديـاتُ لمن هَوِيـن مَسَبَّةً ... والمحسناتُ لمن قَلَين مَقالا

يرعَينَ عهدَك ما رأينَك شاهداً ... وإذا مَذِلتَ يَصِرْن عنك مِذالا

وإذا وعـدنَك نائـلاً أخلفْنَـه ... ووجدتَ عند عِدَاتهنَّ مِطالا

فإذا دعـونَكَ عمَّهـنَّ فإنّـه ... نسبٌ يزيدُك عندهـنَّ خَبالا

وإذا وزَنْتَ حلومهنَّ إلى الصِّبا ... رَجَح الصِّبا بحلومهـنِّ فمالا

ومنها :

فانْعِقْ بضأنك يا جريرُ فإنمّا ... مَنّتكَ نفسُك فى الخلاءِ ضَلالا

منَّتكَ نفسُك أن تُساميَ دارماً ... أو أنْ تُوازِنَ حاجباً وعِقالا

٤٥٣

دارم : قبيلةُ الفرزدق . وحاجبٌ وعِقال من أشراف قومه .

ورُوى عن جرير أنّه قال : ما غلبنى الأخطلُ إلاّ فى هذه القصيدة ، ولقد قلت بيتاً فى القصيدة التى عارضتُ قصيدته بها ، لو أنَّ أحدَهم نهشَتْهُ أفْعًى فى استه ما حَكَّها ، وهو :

والتغلبىُّ إذا تنحنحَ للقِرَى حَكَّ آستَه وتمثَّلَ الأمثالا (١)

كذا فى نوادر ابن الأعرابىّ .

وقوله : « فانعَقْ بضأنك » ، استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ومَثَل الذين كَفَروا كمثَلِ الذى يَنعِقُ (٢) ﴾ على أنّ النعيق التصويت ، يقال نَعَق المؤذِّن والراعى بغنمه يَنْعِق بالكسر (٣) نعيقا ونُعاقاً : صاحَ بها وزجَرها . والمعنى : إنّك من رعاة الغنم لا من الأشراف ، وما منَّتك نفسُك به فى الخلاء أنّك من العظماء فضَلالٌ باطل ، لأنّك لا تقدِر على إظهارِه فى الملأ (٤) .

وقوله : (كذبَتْكَ نفسُك أم رأيتَ بواسطٍ) هذا خطابٌ لنفسه على طريق التجريد . قال ابن الأثير فى النهاية : قد استعملت العربُ الكذبَ فى موضع الخطأ . قال الأخطل : « كذبَتْكَ نفسُك » ومنه حديث عُروة ، قيل له أنّ ابن عبّاسٍ يقول : إنّ النبى ﷺ لبث بمكّة بضعَ عشرةَ سنة . فقال : كذبَ ، أى أخطأ . ومنه قول عمر [لسَمُرَةَ (٥)] حينَ قال : المُغمَى عليه يصلّى مع كلِّ صلاةٍ صلاةً حتّى يقضيَها . فقال : كذبْتَ ولكنّه يصلِّيهنّ معاً . أى أخطأت . وقد تكرَّر فى الحديث . انتهى .

---

(١) ديوان جرير ٤٥١ .

(٢) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

(٣) فى القاموس أن (نعق) من بابى منع وضرب .

(٤) الملأ ، بالهمز : الجماعة والعِلْية والأشراف . وبالقصر : الصحراء والمتسع من الأرض ، والمقصود هنا هو الأول وإن ورد فى النسختين مرسوما بالقصر .

(٥) التكملة من نهاية ابن الأثير ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وفى اللسان : « ومنه قول عمران لسمرة » ، وفيه تحريف .

وقد أبعد السيوطى فى قوله : واسط : بلد بالعراق اختطَّها الحجاج . وتبعه ابن المُلاّ . وقال ياقوت (فى معجم البلدان) قال أبو حاتم : واسط التى بنجدٍ والتى بالجزيرة يُصرَف ولا يصرف . وأما واسطٌ البلد المعروف فمُذكّر ، لأنَّهم أرادوا بلداً واسطاً أو مكانا واسطا ، فهو منصرفٌ على كلٍّ حال . والدليل على ذلك قولهم : واسط بالتذكير ، ولو ذهب به إلى التأنيث لقالوا واسطة . قالوا : وقد يُذهَب به مذهب البُقعة والمدينة فيترك صرفه . وأنشد سيبويه فى ترك الصرف :

٤٥٤ منهنَّ أيامُ صدقٍ قد عُرِفتُ بها أيّامُ واسط والأيامُ مِنْ هَجَرا [١]

ولقائل أن يقول : إنّه لم يرد واسطَ هذه . فيرجع إلى ما قاله أبو حاتم : وسمِّيت مدينة الحَجَّاج واسطاً لأنّها متوسِّطة بين البصرة والكوفة ، لأنّ منها إلى كل واحدٍ منهما خمسين فرسخاً ، لا قولَ فيه غيرُ ذلك إلاّ ما ذهب إليه بعضُ أهل اللُّغة حكايةً عن ابن الكلبى ، أنّه كان قبل عمارة واسط هنا موضعٌ يسمىّ واسطَ قَصَب [٢] فلمَّا عمَّر الحجَّاج مدينتَه سمَّاها باسمها . والله أعلم .

وشرع الحَجَّاج فى عمارة واسط سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها فى سنة ست وثمانين ، فكان عمارتُها فى عامين ، فى العام الذى مات فيه عبد الملك بن مروان ، ولمَّا فرغ منها كتب إلى عبد الملك : إنِّى اتّخذتُ مدينةً فى كِرْش من الأرض [٣] ، بين الجبَل والمصرين ، وسمَّيتها واسط . فلذلك سمِّىَ أهلُ واسط الكِرْشِيِّين . وفى الأمثال : « تغافُلُ واسِطِيّ [٤] » ، قال المبرِّد : سألت عنه التَّوَّزى فقال : الحجّاج لمَّا بناها قال : بنيتُ المدينةَ فى كِرْشٍ من الأرض . فسمِّىَ

(١) للفرزدق فى ديوانه ٢٩١ وسيبويه ٢ : ٢٣ .

(٢) فى معجم البلدان ٨ : ٣٨٦ : « واسط القصيب » .

(٣) الكرش ، بالكسر : التَّلعة من الأرض ، كما فى القاموس .

(٤) انظر أمثال الميدانى فى باب التاء برقم ٧٣٩ .

أهلها الكِرْشِيِّين ، فكان إذا مرّ أحدهم بالبصرة نادَوْا : يا كِرشىّ ! فتغافَلَ[١] ويُرِى أنّه يَسْمع ، وأنَّ الخطابَ ليس معه[٢] . ولقد جاءنى بخوارزم أحدُ أعيانِ أدبائها وسألنى عن هذا المَثَل ، وقال لى : قد أطلتُ السؤال عنه فلم أظفَرْ به ، ولم يكن لى فى ذلك الوقت علمٌ به حتَّى وجدتُه بعد ذلك فأثبتُّه[٣] .

وأنشد التنوخىُّ لفضلٍ الرَّقاشى :

تركتَ عيادتى ونَسِيتَ بِرِّى ... وقدماً كنتَ بى بَرًّا حفيًّا
فما هذا التغافلُ يا ابنَ عيسى ... أظنُّك صرتَ بعدى واسطيّا

انتهى

وقال ابن الملا : المثل : « تغافَلْ كأنّك واسطىّ » ، لأنّه كان يتسخَّرهم فى البناء فيهرُبون وينامون بين الغُرباءِ فى المسجد ، فيجىء الشُّرطى ويقول : يا واسطىُّ . فمن رفَعَ رأسَه أخذه ، فلذلك كانوا يتغافلون . هذا كلامه . وهو بَعيد .

ثم قال ياقوت : واسط أيضا قريةٌ متوسِّطة بين بطن مَرٍّ ووادى نَخْلة .

وواسِط أيضا : قرية مشهورة ببلخ .

وواسط أيضا : قريةٌ بحلب قربُ بزاعة[٤] مشهورةً عندهم ، بالقُرب منها قريةٌ يقال لها الكوفة .

وواسط أيضا : قرية بالخابور قرب قَرقِيساءُ ، وإيّاها عنى الأخطلُ فيما أحسب ، لأنَّ الجزيرةَ مَنازلُ تغلب :

---

(١) الكلام بعده لياقوت نفسه ، بعد حكايته لقول المبرد .

(٢) كذا فى النسختين ومعجم البلدان ، والأَوْلَى « فيتغافل » .

(٣) عبارة ياقوت : « حتى وجدته بعد ذلك فأخبرته ثم وضعته أنا ههنا » .

(٤) بزاعة ، بضم الباء : بلدة من أعمال حلب .

* عفا واسطٌ من أرض رَضْوى فنبتلُ *

وواسط أيضا : قريةٌ بدُجَيل ، على ثلاث فراسخ من بغداد .

وواسطٌ أيضا : موضع بين العُذيب والصَّفراء .

وواسط أيضا من منازل بنى قُشَير لبنى أُسَيْدة (١) .

وواسط أيضا بمكة ، قال الفاكهى (٢) : واسط : قرن كان أسفلَ من جمرة العقبة بين المأزِمين ، فضُرِب حتّى ذهب . ويقال إنّ واسطاً هو الجبلان اللذان دون العَقَبة .

وواسط أيضا : بُلَيدة بالأندلس من أعمال قَبْرة .

وواسط أيضا : قرية كانت قَبْلَ واسط فى موضعها ، كانت تسمَّى واسطَ القصب ، أخربَها الحجّاج وبنى مدينته واسطاً .

وواسط أيضا : قرب حِلّة بنى مَزْيد ، يقال لها واسط مرزاباد .

وواسط أيضا : قرية باليمن بسواحل زَبيد ، قربَ العَنْبَرة (٣) .

وواسط أيضا : مواضع فى بلاد بنى تميم .

وقوله : « وتغوَّلت » أى تهوَّلت . والغانية : التى استغنت بحُسنها عن الزِّينة . والهَفْوة : الجهل . والسَّبَب : الحبل . والطُّوال بالضم : الطويل .

---

(١) فى معجم البلدان ٨ : ٣٨٦ : « وهم بنو مالك بن سلمة بن قشير . وأُسيدة ووحيدة من بنى سعد بن زيد مناة » .

(٢) عند ياقوت : « وذكر محمد بن إسحاق الفاكهى فى كتاب مكة » .

(٣) ش : « العنيزة » ، تحريف صوابه فى ط ومعجم البلدان . وقد رسم ياقوت للعَنْبرة وقال : قرية بسواحل زبيد ، منها خرج على بن مهدى الحميرى .

ومَذِلْتُ من كلامه : قَلِقت وضَجِرت . والمَذِيل : المريض الذى لا يَتَقارُّ وهو ضعيف . ومذلَ بسِرِّه ، أى أفشاه [١] . ومِذال : جمع مَذْلَى كعطاش جمع عطشَى . ٤٥٥

وترجمة الأخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين من أوائل الكتاب [٢] .

ومن هذه القصيدة قوله :

أَبَنِى كُلَيبٍ إنَّ عمَّىَّ اللذا قَتلا الملوكَ وفكَّكا الأغلالا

وتقدم شرحه فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الأربعمائة من باب اسم الفاعل [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد التسعمائة [٤] :

٩٠٦ (أم كَيف يَنفَعُ ما تُعْطِي العَلوقُ به رِئمانَ أُنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبنِ)

على أنّ (أم) فيه بمعنى بل وحدَها ، بدون همزة الاستفهام ، إذ الاستفهام موجودٌ ، فلا وجه لجمع استفهامين إلاّ على وجه التأكيد ، ولا يُضطرّ إليه مع إمكان التأسيس .

---

(١) يقال مذل يمذل مذلا ، ومذل يمذل مذلا ، من بابى فرح ونصر .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٩ — ٤٦١ .

(٣) الخزانة ٦ : ٦ — ١٣ .

(٤) الكامل ٦٢ ومجالس العلماء ٤٢ وأمالى الزجاجى ٥١ والقالى ٢ : ٥١ والخصائص ٢ : ١٨٤ والمستقصى ٢ : ٢٤٢ وابن الشجرى ١ : ٣٧ وابن يعيش ٤ : ١٨ والمغنى ٤٥ . والهمع ٢ : ١٣٣ والأشباه والنظائر ١ : ٢٠٣ ٣٢١ / ٣ : ٢٢٤ / ٤ : ٧ والمفضليات ٢٦٣ .

وفيما ذهب إليه مخالفةٌ للبصريِّين وميلٌ لقول الكوفيِّين لقوَّته .

وإليه ذهب ابن هشام أيضاً (فى المغنى) قال : نقل ابنُ الشجرىِّ عن جميع البصريين أنّها أبداً بمعنى بل والهمزةِ جميعا ، وأنّ الكوفيِّين خالفوُهم فى ذلك . والذى يظهر قولُهم ، إذ المعنى فى : ﴿ أم جَعَلوا لله شركاءَ [١] ﴾ ليس على الاستفهام ، ولأنّه يلزم البصريِّين دعوى التأكيد فى نحو : ﴿ أم هل تستوى الظلمات [٢] ﴾ ونحو : ﴿ أمْ ماذا كنتم تَعْمَلون [٣] ﴾ ، ﴿ أمْ مَنْ هذا الذى هو جُندٌ لكم [٤] ﴾ . انتهى .

وسبقهما إلى هذا أبو على ، قال (فى المسائل المنثورة) بعد إنشاد هذا البيت : هذه المسألة فيها إشكال ، وهو أنّ أمْ للاستفهام ، دخلت على كيف . فوجه ذلك أنّ أمْ هنا عاطفة ، وكيف للاستفهام . كما أنّك إذا قلت : ما جاءنى زيدٌ ولكن عمرو ، فالواوُ فيه عاطفة ، وخرجت لكنْ من معنى العطف لدخول الواو . فكذلك إذا قيل أم هل ، تخرج هل مِن معنى الاستفهام لدخول أمْ ، فكذلك تخرج أمْ من معنى الاستفهام إلى العطف . انتهى .

وتبعه ابن جنى (فى الخصائص) فقال : فإن قلت : فما تقول فى قوله : « أم كيف ينفع » البيت ، وجمعِهِ بين أم وكيف ؟ فالقول أنّهما ليسا لمعنىً واحد . وذلك أنَّ أمْ هنا جُرِّدتْ لمعنى الترك والتحوُّل ، وجرِّدت من معنى الاستفهام ، وأفيد ذلك من كيف لا منْها . فإنْ قيل : فهلاَّ وكِّدت إحداهما بالأخرى توكيداً ، كتوكيد اللام لمعنى الإضافة ، وياءى النّسبِ لمعنى الصفة ؟ قيل : يمنع من ذلك

---

(١) الآية ١٦ من سورة الرعد .

(٢) الآية ١٦ من سورة الرعد .

(٣) الآية ٨٤ من سورة النمل .

(٤) الآية ٢٠ من سورة الملك .

أنّ كيف لما بُنيت واقتُصر بها على الاستفهام البتّة جرت مجرى الحرف البتة . وليس في الكلام اجتماع حرفين لمعنىً واحد ، لأنَّ في ذلك نَقضاً لما اعتُزم عليه من الاختصار في استعمال الحروف . وليس كذلك يا بؤس للحرب [١] ، وأحمريّ . وذلك أنّ هنا إنَّما انضمَّ الحرفُ إلى اسم ، فهما مختلفان ، فجاز أن يترادَفا في موضعِهما لاختلافِ جنسِهما . فإن قلت : فقد قال :

* وما إنْ طبُّنا جُبْنٌ [٢] *

فجمع بين ما وإن ، [و [٣]] كلاهما بمعنى النفي ، وهما كما ترى حرفان . قيل : ليس إن حرفَ نفي ، وإنمّا هي حرفٌ يؤكَّد به ، بمنزلة ما ولا والباء ومن ، وغير ذلك . وأمَّا قوله :

طعامهم لَئِنْ أكَلُوا مُعَـدٌّ وما إن لا تُحاكُ لهم ثِيابُ [٤]

فإنّ ما وحْدَها للنفي ، وإنْ ولا جميعاً للتوكيد . ولا يُنكر اجتماعُ حرفينِ للتوكيد لجملة الكلام . انتهى كلامُه باختصار .

٤٥٦

فعلم ممّا نقلنا إنّ ما ادَّعاه ابن الشجرى من اجماع البصريِّين ليس بصحيح . ودعوى ابن جِنّى عدمَ اجتماع حرفين لمعنىً واحدٍ يبطلها قولُ الشاعر :

* ولا لِلِما بهم أبدا دواءُ *

---

(١) من قول سعد بن مالك في الحماسة ٥٠٠ بشرح المرزوقي وسيبويه ١ : ٣١٥ :

يا بؤس للحـرب التـى وضعت أراهط فاستراحوا

(٢) قطعة من بيت لفروة بن مسيك أو الكميت ، كما في معجم الشواهد . وهو بتمامه :

وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولـة آخرينــا

(٣) تكملة من الخصائص ٣ : ١٠٨ .

(٤) نسب إلى أمية بن أبي الصلت في معجم الشواهد . وليس في ديوانه .

وقوله :

* فأصبحْنَ لا يسألنَه عن بما به *

وقد تقدّم شرحهما فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة وفى غيره .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ تسعة لأُفنونٍ التَّغلبى ، أوردها له أبو عمرٍو الشَّيبانى (فى أشعار تغلب) ، والمفضل (فى المفضَّليات) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أبلغْ حُبَيّبًا وخَلِّلْ فى سَرَاتِهِمُ ... أَنَّ الفؤادَ انطوى منهمْ على حَزَنِ
قد كنت أسبِقُ من جارَوْا على مَهَلٍ ... من وُلد آدمَ مالم يَخلعُوا رَسَنِي
فَالَوا علىَّ ولم أمِلكْ فِيالتَهُمْ ... حتّى انتحيتُ على الأرساغِ والثُّنَنِ
لو أنّنى كنتُ من عادٍ ومن إرمٍ ... رَبيتُ فيهم ولُقمانٍ ومن جَدَنِ
لَمَا فدَوْا بأخيهمْ من مهوّلة ... أخا السَّكون ولا جازَوْا على السُّنَنِ
سألتُ قومى وقد سَدّت أباعرُهمْ ... ما بين رَحْبَةَ ذاتِ العِيص والعَدَنِ[1]
إذْ قرَّبوا لابن سَوّارٍ أباعِرَهم ... لله دَرُّ عطاءٍ كان ذا غَبَنِ
أنّى جزَوْا عامراً سُوءَى بفعلِهِم ... أم كيف يَجزُوننى السُّوءَى من الحَسَنِ
أم كيف ينفع ما تعطى .... البيت

قوله : « أبلغْ حُبَيبا » بضم المهملة وفتح الموحَّدة الأولى ، وهو قبيلةُ أُفنون . وقوله : « وخلِّل » إلخ قال ابن الأنبارى (فى شرحه) : سَرَاتهم : خيارهم ، جمع سَرِىّ . وخَلِّلْ ، أى خُصَّهم بالبلاغ ، أى اجعل بلاغَك يتخلَّلهم . وقوله : « أنَّ الفؤادَ » إلخ ، هذا هو المبلَّغ . يريد أنّه قد تألّم منهم لمَّا طلب منهم أباعِرَ فخيَّبوا أملَه منهم ، ولم يتحمَّلوا عنه دياتِ مَنْ قتلهم .

---

(١) ضبطت « رحبة » هنا طبقا لما سيأتى فى تفسير البغدادى . وانظر ما سيأتى من تعليق على هذا التفسير .

وقوله : « قد كنتُ أسبِقُ » إلخ على متعلِّقة بأسبِق ، ومِنْ بيانٌ لمَنْ ، وما مصدريّة ظرفية . قال ابن الأنبارى : أى كنتُ أناضل عنهم ، وأدفع ، وأسبِق مَن جاراهم . وقوله : « من وُلد آدم » أى من الناس كلِّهم . وقوله : « مالم يَخلعوا » إلخ ، أى كنت أسبِق من فاخَرهم وطَلَبَ مغالبتهم [1] مالم يهملونى ويتخَلَّوْا عَنّى . وجعلَ خلعَ الرَّسَنِ مثَلاً ، كأنهّم تبرءوا منه لكثرة جرائره .

وقوله : « فالُوا علىّ » إلخ بالفاء ، من الفيلولة ، وهى ضَعْف الرأى . والفَيَالة بالفتح الاسم . قال ابن الأنبارى : أى اخطئُوا علىَّ فى رأيهم ، يقال : فال الرّجلُ فى رأيه ، وهو فِيلُ الرأى بالكسر . وقوله : « انتحيت » : اعتمدت . والأرساغ : جمع رُسغ ، وهو من الدوابِّ الموضعُ المستدِقّ بين الحافر ، ومَوصلِ الوظيف من اليد أو الرجل . والثُّنَن : جمع ثُنَّة ، بضم المثلثة وتشديد النون ، وهو الشَّعر فى مؤخّر الرُّسغ . وحتّى بمعنى إلى متعلِّقة بِفالُوا . وضربهما مثلاً لأسافل الناس . يريد : لمّا اخطئوا فى أمرى وأَصرُّوا قصدتُ أراذلَ الناس .

وقوله : « لو أنّنى كنت » إلخ من عادٍ : خبر كنت ، ورَبيت حال من الضمير المستقرّ فى الخبر . قال صاحب الصحاح : وربوت فى بنى فلان ورَبيت ، أى نشأتُ فيهم . وإرم بكسر ففتح : قبيلة مشهورةٌ بالقوَّة وعِظَم الأبدان . وعاد : اسم أبيهم . ولقمان ، أى ومن نسل لقمانَ صاحبِ النُّسور ، وهو منسوبٌ إلى عاد ، كما قال الشاعر [2] :

تراهُ يطـــوِّف الآفاقَ حِرصاً ليأكلَ رأسَ لقمـانَ بنِ عادِ ٤٥٧

(١) ش : « وأطلب مغالبتهم » ، صوابه فى ط وشرح المفضليات .

(٢) هو أبو مهوِّش الفقعسى ، أو يزيد بن الصَّعِق . كما فى الخزانة ٣ : ١٤٢ وحواشى الحيوان ٣ : ٦٦ .

وجَدَن بفتح الجيم ، قال ابن الأنبارى : قبيلة باليمن . انتهى . وقيل هو قَيْلٌ من أقيال اليمن ، والمشهور فيه ذو جدن ، فيكون التقدير أيضا : ومن نسل ذِى جدن .

وقوله : « لمَا فَدَوْا » اللام فى جواب لو ، ودخولها على حرف النفى نادر . والسَّكون ، بفتح السين : قبيلة من كِندةَ فى اليمن . وأخا السَّكون مفعول فدَوْا ، وهو رجلٌ من السَّكون ، كان أسيراً عند قومٍ أُفنون . وأراد بأخيهم نفسَه ، والباء للبدل . ومن مهوِّلة : من أجل مصيبة هائلة . و « لا جازَوْا » من المجازاة . والسَّنَن : جمع سُنّة ، وهى النسيرة . بالَغَ فى ذكر تبرُّئهم منه ، وجفائهم له .

وقوله : « سألتُ قومى » السؤال هنا الاستعطاء . وجملة « وقد سَدّت » إلخ حاليّة . والرَّحْبة : الفضاء [1] .

وقوله : « إذْ قَربوا » متعلق بسألت . وقوله : « لله درُّ » إلخ تهكّمٌ فى صورة المدح . والغَبَن بفتحتين : ضعف الرأى ، يتهكَّم بهم فى رأيهم الضعيف حيثُ منعوه الإعطَاء مع السُّؤالِ وهو منهم ، وأعطَوا الأجنبىَّ ولم يسألهم .

وقوله : « أنَّى جَزَوْا عامرًا » إلخ استفهامٌ تعجُّبىٌّ وأنَّى بمعنى كيف ، والواو فى جَزَوْا ضمير عشيرتِه . وعامر هو عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة ، والمراد هنا القبيلة ، وصرفَه باعتبار الحىّ ، ولو منعه الصرف لكان باعتبار القبيلة . والباء للمقابلة ، والهاء والميم ضمير عامر . والسُّوءى : فُعلَى ، نقيض الحُسنَى ، وهما مؤنث الأسوأ والأحسن . ولأجل القافية قابل السُّوءى بالحَسَن ، ولولاها لكان

---

(١) كذا ورد فى ضبط البغدادى وتفسيره . والحق أنها « رُحبة » بضم الراء وهى ماء بصنعاء . وأن العيص هو الشجر الملتف النابت بعضه فى أصول بعض ، كالسدر والسَّلَم والعوسج . والعدن أراد مدينة عدن ، أدخل عليها الألف واللام كما نص ياقوت عليه ، عند إنشاده هذا البيت فى عدن .

يقول الحُسْنى . ورُوِىَ فى الأوّل السَّوء [١] وهو اسمٌ من ساءه يسوءه سَوْءاً ومساءة [٢] : نقيض سَرّه . يقول : العجبُ لقومى [٣] كيف عاملوا بنى عامرٍ بالسُّوء فى مقابلة فعلهم الجميل . وقوله : « أم كيف يَجْزُوننى » أمْ للإضراب عن الأوّل . و « من الحسَن » قال ابن الشجرىّ : متعلق بحالٍ محذوفة ، والتقدير : كيف يجزوننى السُّوءى بدلاً من الحَسَن . مثلُه فى التنزيل : ﴿ أرضِيتُمْ بالحياةِ الدُّنيا مِنَ الآخرة [٤] ﴾ أى بدلاً من الآخرة . يقول : بل أتعجَّب من قومى كيف يعاملوننى بالسُّوء حالَ كونه بدلاً من الفعل الحسَن والصُّنع الجميل . وأضْرَبَ عن الأوّل للإشارة إلى أنَّ إساءتهم لبنى عامر سهلٌ بالنسبة إلى إساءتهم به ، بادِّعاء أنّه ربما كان لهم عذرٌ فى الإساءة لأولئك ، وأمّا فى الاساءة إليه فلا عُذرَ لهم أصلاً . ولمّا تَخَيَّل أنّهم ربّما غالَطُوا فاعتذروا ، ترقَّى بقوله : أم كيف يَنفَع .. البيت ، كأنَّه يقول : هو ظاهرٌ لا يُساعِده باطن ، وقالٌ لا يُصَدِّقُه حال .

وقوله : (أم كَيْفَ يَنفَع) إلخ أم هذه أيضا للإضراب . و (العَلوق) بفتح العين المهملة ، قال ابن الأنبارى (فى شرحه) : العَلوق من الإبل : التى لا ترأم ولدَها ولا تدِرُّ عليه . جعله ههنا مثلاً . و (رئمانها) هنا : عطفُها ومحبَّتها . وقال القالى (فى أماليه) : هى الناقة التى ترأم بأنفها وتمنع دَرَّها . يقول : فأنتم تحسنون القَول ولا تعطون شيئاً فكيف ينفعُنى ذلك . انتهى .

---

(١) يعنى « سَوءًا » ، رواية فى : « سُوءى بفعلهم » .

(٢) يقال ساءه يسوءه سَوءا بالفتح وسواء وسواءة وسَوَاية وسَوَائية ومَسَاء ومساءة ومسائيَةً ومسائيَّة ومَسَاية ، والاسم السوء بالضم .

(٣) ط : « أتعجب لقومى » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) الآية ٢٨ من سورة التوبة .

وقال الزجاجى (فى أماليه الصغرى) : هذا البيت مثلٌ يضرب لكلِّ من يَعِدُ بلسانه كلَّ جميل ولا يفعل منه [١] ؛ لأنّ قلبَه منطوٍ على ضِدِّه . كأنّه قيل : كيف ينفعنى قولُك الجميلُ إذا كنتَ لا تفى به . وأصله أنّ العَلوقَ هى الناقةُ التى تَفقِد ولدَها بنحرٍ أو موت ، فيُسلخ جلدُه ويُحشَى تبناً أو حشيشا ، ويُقدَّم إليها لترأمه ، أى تعطفَ عليه ويدرَّ لبنُها فينتفع به . فهى تشَمُّه بأنفها ويُنكره قلبُها فتعطفُ عليه ولا تُرسل اللَّبن . فشبَّه ذاك بهذا . انتهى .

٤٥٨

وقال المبرِّد (فى الكامل) : الناقة إذا ألقت سَقْبها أو نُحرِ فخيف انقطاعُ لبنها أخذُوا جلد حُوارٍ فحشَوه تبناً ولَطَخوه بشىءٍ من سَلاها ثم حَشَوا أنفها ، فتجد لذلك كَرْبا . ويقال للخِرقة التى تُجعل فى أنفها غِمَامة ، ثم تسلُّ تلك الخِرقة من أنفها فتجد رَوْحاً ، وترى ذلك البوَّ تحتها ، وهو جلد الحُوَار المحشوّ فترأمه ، فإنْ درَّت عليه قيل ناقَةٌ دَرُور . وترأمه : تشَمّه . ويقال فى هذا المعنى : ناقة ظَئُورٌ ، فيُنتفع بلبنها . ويقال ناقة رائم ورءومٌ ، إذا كانت ترأم ولدها أو بَوَّها . فإنْ رئِمَتْه [٢] ولم تدرَّ عليه فتلك العَلُوق ، ولا خيرَ عندها . انتهى .

وقال أبو الحسن الأخفش : يقال للناقة إذا مات ولدُها أو ذُبح : سَلوب ، فإنْ عُطِفت على غير ولدِها فرئمته فهى رائم ، وإن لم ترأمْه ولم تَدِرَّ عليه فهى عَلوق . ويقال العَلوق : التى قد عَلِقت فذهب لبنُها .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : العَلوق من النوق : التى تأبى أنْ ترأم ولدها أوبَوَّها . والبَوُّ : جلدُ الحُوار يُحشى ثُماماً أو حشيشا ، ويقدَّم إليها لترأمه فتدرّ عليه فتُحلب . فهى ترأمه بأنفها ويُنكره قلبُها . فرأمُها : أنْ تشمَّه فقط ولا تُرسِلَ لبنها . وهذا يُضرب مثلاً لمن يَعِدُ بكلِّ جميل ولا يفعل منه شيئاً .

---

(١) فى أمالى الزجاجى : « لمن يعدك بلسانه كل جميل ، ولم يفعل منه شيئا » .

(٢) فى النسختين : « رأمته » ، صوابه فى الكامل ٦٢ .

و (الرئمان) بكسر الراء والهمزة: مصدر رئمت الناقةُ ولدَها من باب فرح ، إذا أحبَّته وعطفَتْ عليه . وفى الأمثال : « لا أحِبُّ رئمان أنف وأُمنَعَ الضَّرْع » ، يضرب لمن يُظهر الشَّفقة ويمنع خيره . كذا فى أمثال الزمخشرى [1] .

وقوله : (إذا ما ضُنّ) بضم الضاد المعجمة ، أى حصل الضَّنّ ، وهو الشُّحّ والبخل . قال ابن جنى (فى المحتسب) : ألحَقَ الباء فى به لِمَا كان تُعطِى فى معنى تسمح به . ألا تراه قال فى آخر البيت : إذا ما ضُنّ باللبن . فالضنّ : نقيض السَّماحة والبذل . انتهى .

والهاء فى « به » راجعة إلى ما ، ولولا التضمين لقيل تعطيه . وما وإن كانت فى اللفظ فاعل ينفع فهى فى المعنى مفعول ، وهى الشئ المعطَى ، وهى اسم موصول بمعنى الذى ، واقع على الرئمان كما يأتى بيانه . وزعم ابن الشجرى أنَّه واقع على البوّ ، وهو غير جيِّد كما سيتّضح . وقد أجاز الكسائيُّ فى « رئمان أنف » الرفع والنصب والجر ، قال الزجاجى (فى أماليه) : أخبرنا أحمد بن الحسين المعروف بابن شُقير النحويّ ، وعليُّ بن سليمان ، قالا : أخبرنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : اجتمع الكسائيُّ والأصمعيُّ بحضرة الرشيد ، وكانا ملازمين له ، يقيمان بإقامته ويَظْعَنانِ بظَعْنه . فأنشد الكسائى :

* أنّى جَزَوْا عامراً سُوءاً بفعلهم * البيتين

فقال الأصمعى : إنمّا هو رئمانَ أنفٍ بالنصب . فقال له الكسائى : اسكت ما أنت وهذا ، يجوز بالرفع ، والنصب ، والخفض . أمّا الرفع فعلى الردّ على ما ، لأنّها فى موضع رفع بينفع ، فيصير التقدير : أم كيف ينفع رئمان أنف . والنصب بتعطى ، والخفض على الردِّ على الهاء التى فى به . قال : فسكت

(١) المستقصى ٢ : ٢٤٢ .

الأصمعىُّ ولم يكن له علمٌ بالعربية ، كان صاحب لغة ولم يكن صاحب إعراب . انتهى ما أورده الزجاجى .

وقوله : « أمّا الرفع فعلى الردِّ على ما » ، يريد به الإبدال ، وهى عبارة الكوفيِّين ، وهو بدلُ كلّ من كلّ . ويجوز رفعه أيضاً على أنّه خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو رئمان . وقد جوَّز هذين الوجهين أبو على الفارسىُّ (فى البغداديات) قال فيها : حُكِىَ لنا أنّ أبا العباس محمداً ، وأبا العباس أحمدَ ، كان يُلقِيان هذا البيتَ ويسألان عن وجه الإعراب فيه . ورئمان بالرفع والنصب والجر . والمعنى : ما ينفع عطفُها عليه إذا لم يدرَّ لبنُها . وأقول : إنّ الرفع فى رئمان يجوز فيه من وجهين : فأحدهما : أنْ تبدل رئمان من الموصول فتجعله إيَّاه فى المعنى . ألا ترى أنَّ رئمان أنف هو ما تُعطيه العلوق . والآخر : أنْ تجعله خبر مبتدإ محذوف ، كأنّه لمّا قال : أم كيف ينفع ما تعطى العلوق ؟ قيل له : وما تعطى العلوق ؟ فقال : رئمان أنف ، أى هو . كقوله تعالى : ﴿ بِشَرٍّ من ذَلِكُمُ النَّارُ [1] ﴾ أى هى . انتهى .

٤٥٩

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : ما بمعنى الذى واقعة على البوّ ، وانتصاب الرئمان هو الوجه الذى يصحُّ به المَعْنَى والإعراب ، وإنكار الأصمعىّ لرفعِه إنكارٌ فى موضعه ، لأنَّ رئمان العلَوق [2] للبوِّ بأنفها ، هو عطيَّتها ، ليس لها عطيّةٌ غيره . فإذا أنت رفعتَه لم يبق لها عطيّة فى البيت لفظاً ولا تقديرا . ورفعه على البدل من ما ، لأنها فاعل ينفع ، وهو بدل الاشتمال . ويُحتاج إلى تقدير ضمير يعود منه على المبدل منه ، كأنّك قلت : رئمان أنِفها إياه . وتقديرُ مثلِ هذا الضميرِ قد ورد فى كلام العرب ، ولكن فى رفعه ما ذكرتُ لك من إخلاء تعطِى من مفعولٍ فى اللفظ والتقدير . وجرُّ (رئمان) على البدل أقربُ إلى الصحيح قليلاً .

---

(١) الآية ٧٢ من سورة الحج .

(٢) ط : « الرئمان العلوق » ، صوابه فى ش وابن الشجرى ١ : ٣٨ .

وإعطاء الكلام حقَّه من المعنى والإعرابِ إنمّا هو بنصب الرئمان . ولنحاة الكوفيِّين فى أكثر كلامهم تهاويلُ فارغة من حقيقة (١) . هذا كلامه .

وقد نقله ابن هشام (فى المغنى) وأقرَّه . ومنشؤه حَمْلُ ما على البوّ . ولو حمله على الرئمان لم يَرِدْ شئٌ من هذا .

ولقد أجاد الدمامينى فى الاعتراض على ابن الشجرى بقوله : ولقائل أن يقول : لم لا يجوز أن يكون الضمير من به عائداً على ما ، لا على البوّ ، وبه يتعلَّق بتُعطى على أنّه مضمن معنى تجود ، فلا يكون مُخْلًى (٢) من مفعول مع [رفع (٣)] رئمان . انتهى . ويكون نصب رئمان على أحد ثلاثة أوجه غير ما ذكره .

قال أبو على بعد ذاك . وأمّا نصب رئمان فعلى ثلاث جهات : أحدها : على معنى أم كيف ينفع ما تعطيه من رئمان ، فحذفَ الحرفَ وأوصل الفعل .

ثانيها : أن يكون من باب صُنْعَ الله ، ووَعْدَ الله ؛ كأنّه لما قيل تعطى العَلوق دلّ على ترأم ، لأنَّ إعطاءها رئمانٌ ، فنصَبَه على هذا الحدّ لمَا دلَّ عليه تعطى .

ثالثها : أن ينتصب على الحال ، مثل جاء رَكْضاً ، على قياس إجازة أبى العباس فى هذا الباب ، ويجعل تعطى بمنزلة تعطف ، كأنّه قيل : أم كيف ينفع ما تعطف به العلوق رئمانا ، أى كيف (٤) ينفع تعطُّفها رائمةً مع مَنْعها لبنها . فهذه ثلاثة أجوبة فى النَّصب . انتهى .

---

(١) فى أمالى ابن الشجرى : « من الحقيقة » .

(٢) مخلى ، أى خاليا . ورسمت فى النسختين : « مخلا » .

(٣) التكملة من ش .

(٤) ش : « أم كيف » صوابه فى ط .

وأشار فى الوجه الثالث إلى أنّ ما مصدرية ، وعليه يكون ضمير به عائداً إلى البوّ المفهوم من المقام .

وقد اعترض الدّمامينى على مستند ابن الشجرىّ فى إنكار الرفع بأنّه قد يُلتزَم ولا محذور فيه ، لأنّ الفعل المتعدِّى قد يكون الغرض إثباتَه لفاعله أو نفيَه عنه فقط ، فينزَّل منزلة اللازم ، ولا يقدَّرُ له مفعول ، تقول : فلان يعطى ، أى يفعل الإعطاء ، فلا تذكر للفعل مفعولاً ولا تقدّره ، لأنّ ذلك يُخلّ بالغرض . واعتبارُ هذا المعنى فى البيت ممكن .

واعترض عليه ابن الحنبلىّ بأنّ اعتبار هذا المعنى ممكنٌ فى نفسه ، وأمَّا فى البيت فلا ، لأنّه مخلٌّ بالغرض ، إذ الغرض إثبات عطيّةٍ لها لا وصفُها بالإعطاء فقط . على أنّا نقول : المتعدِّى وإنْ نزِّل منزلةَ اللازم لا يتحقق مضمونُه إلاّ بمفعولٍ فى نفس الأمر ، فإذا لم يكن لها عطيّةٌ إلاّ الرئمان ، وقد صار مُعطًى به لإبداله من ما أو ضميرها ، لم يتحقَّق الإعطاء فضلاً عن أن يُنزَّلَ فعلُه منزلةَ اللازم . إلاّ أن يقال هو ممكنٌ إذا فرض مفعولُ تعطى اللبن ، لتحقُّق سبب إعطائها إيَّاه . وإنْ لم تعتبر هى ذلك السببَ حتّى ضنَّت به ، كمن توفَّرت لديه دواعِى الكرم فلم يلتفت إليها وبقىَ على بُخله . فلمَّا ضنّت به ظهر إنّ عطيَّتها لم تكن فى الحقيقة إلاّ الرئمان . انتهى .

٤٦٠

وقد منع هو الإخلاء المذكور بتقدير مفعول لتعطى ، وهو رئمان آخر . والتقدير : أم كيف يَنفع بَوٌّ تعطى العَلوقُ بسببه الرئمانَ رئمانَهُ . ولا يخفى أنّ هذا تكلُّف . ودعوى تضمين تعطى بتجود ، كما صنع ابن جنى ، صحيح المَحمِل قليل المئُونة .

وقول ابن الشجرى : وهو بدل الاشتمال ويحتاج إلى تقدير ضمير . أقول : إذا جُرّ على البدلية من الهاء يكون أيضاً محتاجا إلى الضمير .

وقول الدماميني : لا يتعيَّن بدل الاشتمال بل هو بدل كلّ فلا يحتاج إلى ضمير ، لا يصحّ ؛ لأنَّ ما عند ابن الشجرى عبارة عن البوّ ، وإنمّا يصحُّ على جعل ما واقعة على الرئمان .

ووجه كونِ الجرّ أقربَ إلى الصواب عند ابن الشجريّ : أنّه يصير معمولاً لتعطى بالبدلية ، وقيل لكونه غيرَ محتاج إلى الضمير الرابط . وفيه أنّه لا بدَّ منه كما ذكرنا ، فلا يصحُّ هذا التوجيه .

أفنون التغلبيّ

وأُفْنُونٌ شاعر جاهلى ، يروى بضم الهمزة وفتحها وسكون الفاء ونونين . قال أبو عمرو الشّيبانى : أفنون لقبٌ له ، لقوله من قطعة :

مَنَّيتِنا الوُدَّ يامضنونُ مضنونا أيّامَنا إنّ للشُّبّانِ أُفنونا[1]

واسمه كما قال أبو عمرو، وابنُ الأنبارى[2] ، وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [3]) : صريم بن معشر بن ذُهْل بن تَيم بن مالك بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، وقالوا :

كان من خبره أنّه لقىَ كاهناً فسأله عن مَوته ؛ فقال : تموتُ بمكانٍ يقال له إلاه بكسر الهمزة . فمكثَ ما شاء الله ثم سار إلى الشام فى تجارَة ، ثم رَجع فى ركبٍ من بنى تغلب فضلُّوا الطريق ، فلَقُوا إنساناً فاستخبروه ، فنَعَتَ لهم ، فقال فى نعته : إذا رأيتم إلاهة حَيَّ [4] لكم الطَّريق – وإلاهة : قارَةٌ بالسَّماوة – فلَّما أتَوْها نزل أصحابُه وقالَوا له : انزِلْ . فقال أفنون : والله لا أنزل . فجعلت ناقته

(١) وكذا فى سمط اللآلى ٦٨٥ والمزهر ٢ : ٤٣٥. وفى المؤتلف ١٥١ : « يا مضمون مضمونا » .

(٢) ط : « أبو عمرو بن الأنبارى » ، صوابه فى ش .

(٣) الشعراء ٤١٩ .

(٤) حيّ يَحَيّ ويحيا ، أى ظهر واستبان هنا . وفى ط : « حبا » صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

ترتعى عَرْفجاً ، فلدغتها أفعى فى مِشفرها ، فاحتكَّت بساقه والحيَّة متعلقة بمشفرها ، فلدغته فى ساقه ، فقال لأخٍ معه : احفِر لى قبراً فإنِّى ميِّت . ثم رفع صوتَه بأبياتٍ منها (١) :

لعمرك ما يدرى امرؤٌ كيف يتَّقى ... إذا هو لم يجعلْ له اللهُ واقيا
كفى حَزَنًا أن يَرحَلَ الحىُّ غُدْوةً ... وأُصبحَ فى أعلى الإهـةَ ثاويـا

* * *

وأنشد بعده :

(لو بِغَيرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارِى)

على أنَّ الجملة الاسمية وهى (حلقى شرق بِغَير الماء) واقعةٌ موضع الجملة الفعلية ، وهى شرِقَ حَلْقى ، لأنّ لو مختصة بالفعل .

وقد تقدَّم الكلامُ عليه مفصَّلا فى الشاهد التاسع والخمسين بعد الستمائة (٢) .

* * *

٤٦١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد التسعمائة (٣) :

٩٠٧ (سواءٌ عليكَ اليومَ أَنصاعَتِ النَّوى
بخرقاءَ أم أَنْحَى لك السَّيفَ ذابحُ (٤))

---

(١) الشعراء والمفضليات ٢٦١ والمؤتلف ١٥١ .

(٢) الخزانة ٨ : ٥٠٨ — ٥١٣ .

(٣) المقتضب ٣ : ٢٩٨ وديوان ذى الرمة ٩٩ .

(٤) كتب الشنقيطى بقلمه تعليقا : « قلت صوابه بصيداء ، لا بخرقاء » . وانظر ما سيأتى من تعليق البغدادى . على أن الذى فى الديوان هو « بصيداء » التى تكرر اسمها فى هذه القصيدة أكثر من خمس مرات .

على أنَّ الفعل بعد همزة التسوية وأمْ ، يُستهجن أن لا يكون ماضيا ، كما فى البيت . ومن المستهجن وقوع الجملة الاسميَّة كقول الشاعر .

وقد أنشد الفراء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ سَواءٌ عليكُمْ أَدَعَوْتُموهمْ أم أنتم صامتون [١] ﴾ :

سواءٌ إذا ما أصلح الله أمرَهم   علينا أدَثْرٌ مالُهمْ أم أَصارمُ [٢]

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمَّة مطلعها :

أبيات الشاهد

(أمِن دِمنةٍ جَرّتْ بها ذيلَها الصَّبا   لصَيداءَ ، مهلاً ، ماءُ عينيكَ سافحُ)

قال شارح ديوانه : يريد أماء عينيك سافح ، أى سائلٌ من أجل دمنةٍ لصيداء . ثم قال : مَهْلاً ، أى لا تبك . وذَيل الرِّيح : أواخرها . إلى أنْ قال :

(أصَيداءُ هَل قَيْظُ الرَّمادةِ راجعٌ   لياليهِ أوْ أيَّامُهنَّ الصَّوالحُ)

يقول : هل ذاك القيظ الذى قِظْناه بالرَّمادة راجعٌ ، لأنّه رأى فيه ما يسرُّه .

(عَدا النَّأىُ عَنْ صَيداءَ حِيناً وقُرْبُها   لدينا ، ولكن لا إلى ذاك ، رابحُ)

وقوله:« عدا النَّأىُ » ، أى صرَفَ وجوهَنا عن صيداء . ومنه : عدانى عنه كذا وكذا ، أى صرفنى . ثم قال : وقُرْبها لدينا رابحٌ ، أى ذو ربح ، ولكنْ لا إلى ذلك سَبيلٌ .

(سَواءٌ عَلَيْكَ ايوْمَ أنصاعَت النَّوى   بصَيداءَ أم أنحى لَكَ السَّيفَ ذابحُ)

---

(١) الآية ١٩٣ من سورة الأعراف . وانظر معانى الفراء ١ : ٤٠١ .

(٢) الأصارم : جمع أصرام ، وأصله أصاريم فحذف الياء للشعر . والأصرام : جمع صرم بالكسر وهى القطعة من الإبل القليلة . وأما الدثر ، بالفتح ، فهو المال الكثير .

قال شارحه : أنصاعت النَّوى ، أى انشقت وذهبت بها النِّيَّة (١) إلى مكان بعيد ، أم أنحى لك السَّيفَ ذابحٌ ، يريد : أم قصد لكَ بالسَّيف ذابحٌ . فهو سواءٌ عليك . انتهى . وعليك متعلِّق بسواء . وفى الصحاح : وانصاعَ ، أى انفتل راجعاً ومرَّ مُسرِعا . وقوله « أنصاعت » بفتح الهمزة ، وهى همزة الاستفهام ، وأصله أاِنصاعت ، فحذفت الثانية لكونها همزةَ وصل . والنَّوى والنِّيَّة : الوجه الذى يَنوِيه المسافر من قُربٍ أو بُعْد . وهى مؤنَّثة لا غير . وقوله : « بصيداء » متعلَّق بانصاعت .

وصَيداء : اسم امرأةٍ شبَّب بها ذو الرمة فى هذه القصيدة ، وصرَّح باسمها فى عدَّة أبيات . وكذا رأيته فى نسختين من ديوانه . وذكرهَا الصَّاغانى (فى العباب) وأورد البيت . وقد وقع فى نسخ الشرح : « بخَرقاء » بدلَها . وخرقاء : لقب مَيَّة التى غالِبُ شعرِه فيها . وكأنَّ الشارح نقله من (كتاب الشعر لأبى على) فإنّه أنشده فيه كما هنا .

و (أنحى لكَ) ، أى قصد نحوَك وجانِبَك . و (ذابح) : اسم فاعل من الذَّبح ، وهو قطع الحلقوم .

وترجمة ذى الرُّمّة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أوّل الكتاب (٢) .

* * *

(١) ط : « المنية » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ويؤيده الشرح التالى .

(٢) الخزانة ١ : ١٠٦ — ١١٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد التسعمائة وهو من شواهد س [(١)] :

٩٠٨ (ما أُبالِي أَنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لَحَانى بظَهْر غَيبٍ لئيمُ)

لما تقدَّم قبله . وأنشده (فى باب أو) ، على أنَّ أم فى البيت واقعة فى موقعها ، ولا يجوز أوْ .

وقال : وتقول أتضرب زيداً أو تشتمُ عَمراً ؟ إذا أردت : هل يكون شئٌ من هذه الأفعال . وإنْ شئتَ قلت : أتضرب عمراً أم تشتم زيدا ؟ على معنى أيُّهما . قال حسَّان : ٤٦٢

* ما أبالى أنبَّ بالحزن تيس * ... البيت .

كأنه قال: أىُّ الفعلين كان . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى دخول أم عديلةً للألف . ولا يجوز أن تدخل أوْ هنا ، لأنّ قوله « ما أبالى » يقتضى التسوية بين شيئين . والمعنى : قد استوى عندى نبيبُ التَّيسِ بالحَزْن ونَيْلُ اللئيم من عِرضى بظَهر الغَيب . ونَبِيبُ التيس : صوتُه عند هِياجه . والحزنُ : مَا غلُظ من الأرض . وخصَّه لأنَّ الجبال أخصبُ للمَعْز من السُّهول . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لحسَّانَ بن ثابتٍ الصَّحابى ، قالها فى غَزوة أُحد . قال السهيلى (فى الروض الأنف) : وهذه القصيدة من أجود شعره ، وقالها حسَّانٌ ليلاً ونادى قومَه : أنا أبو الحسام ، أنا أبو الوليد ! وهما كُنْيتانِ له ، ثمّ أمرَهم أن يَروُوها

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٨ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ١٤٧ والمقتضب ٣ : ٢٩٨ والأزهية ١٣٣ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٤ والعينى ٤ : ١٣٥ والأشباه والنظائر ٤ : ٦ وديوان حسان ٣٧٨ .

عنه قبلَ النَّهار مخافة أن يَعوقَه عائقٌ [١] . فخَرَ فيها على ابن الزِّبعَرى بمقاماتٍ له عند ملوك الشام من أبناء جَفْنة ، افْتكَّ فيها عُناةً من قومه ، وذكر مَقام خالِه عند النُّعمان الغسَّانىِّ من آل جَفنِة ، وذكر فيها حُماةَ اللِّواء من بنى عبد الدار ، وأنَّهم صرِّعوا حولَه حتَّى أخذتْه امرأةٌ منهم ، وهى عَمرة بنتُ علقمة ، فلذلك قال :

لم تُطِقْ حَمْلَهُ العَوانقُ منهمْ   إنمَّا يحمِلُ اللواءَ النُّجــومُ انتهى

وهذا أول القصيدة :

(مَنَع النَّومَ بالعِشاءِ الهُمـومُ   وخيـالٌ إذَا تَغُــور النُّجــومُ
مِن حبيبٍ أصابَ قلبَك منه   سَقَـمٌ فهـو داخـلٌ مكتــومُ
يا لَقومِى هل يَقتُل المرءَ مثلى   واهنُ البـطش والعظـامِ سَئُومُ
هَمُّها العِطـرُ والفِـراشُ ويعلـو   هَا لُجَيْــنٌ ولؤلــؤٌ منظــومُ
لو يَدِبُّ الدَّبيبُ من وَلَدِ الذَّ   رِّ عليها لأندَبتْهـا الكلــومُ[٢]
لم تَفُقْها شمسُ النَّهـارِ بشئٍ   غير أنَّ الشَّبـابَ ليس يدومُ
إنّ خالى خطيبُ جابية الجَوْ   لاَنِ عند النُّعمان حين يقومُ
وأبِي فى سُمَيجة القائلُ الفـا   صلُ يوم التفَّتْ عليه الخصومُ[٣]
وأنا الصَّقر عند باب ابن سَلمى   يومَ نعُمانُ فى الكُبول مقيـمُ
وأُبــىٌّ ووافــدٌ أُطلقِــا لى   ثم رُحْنـا وقُفْلُهــمْ محطــومُ

(١) الروض الأنف ٢ : ١٦١ . لكن فى اللسان (غطا ٣٦٦) عن ابن الأعرابى أن حسان إنما نادى قومه ، لرواية بيت واحد من هذه القصيدة ، وهو :

رب حلم أضاعه عدم المـا   ل وجهل غطَّى عليه النعيم

(٢) فى الديوان ٣٧٧ : « لو يدب الحولى » ، وهو ما أتى عليه حول .

(٣) فى الديوان : « فى سميحة » بالحاء ، وهو الصواب كما فى المعاجم اللغوية والبلدانية ، لكن البغدادى قيدها بالجيم فى الشرح ، فلذا أبقيتها على خطئها .

وَسَطتْ نسبتى الذَّوائبَ منهم كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيمُ
ربَّ حلـمٍ أضاعـه عدمُ الما ل وجهلٍ غَطَى عليه النَّعيمُ[١]
ما أبـالى أنبَّ بالحَزْن تيسٌ أم لحانى بظهرٍ غيبٍ لئيـمُ
تلك أفعالُنـا وفعِلُ الزِّبعـرَى خامـلٌ فى صديقـه مذمـومُ

قال جامع ديوانه محمد بن حبيب (برواية السكرى عنه) : الجَوْلان بالجيم من عمل دِمَشق على طريق مصر . وسُمَيجة بضم السين وفتح الميم والجيم : بئر بالمدينة كانت للأوسِ والخزرج ، تحاكمت عندَها إلى جدِّه المنذر بن حَرَام . وأراد بابنِ سلمى النُّعمان بن المنذر اللَّخمى . ونُعمان هذا الذى ذكره نعمان بن مالك ، كان حبسَه النعمانُ بن المنذر ، فوفَد فيه وفى غيره حسّان فأُطلِقُوا له . وأبىٌّ هو ابن كعب ، من بنى النَّجار : و « وافد » هو ابن عَمرو بن الإطنابة ، من بنى الخزرج .وقوله : « وجهَلٍ غَطَى عليه النَّعيمُ » غطَى يَغْطِى غَطْياً . ومنه يقال غَطَى الليل ، إذا ستر كلَّ شئ فهو غاطٍ . و « الزِّبْعْرَى » هو السَّهمى . وكان ابن الزِّبعرَى يُهاجِى حَسّان . انتهى .

٤٦٣

قال السُّهيلى : غَطَى بتخفيفٍ ، أنشده يونس بن حبيب ، ومعناه علا وارتفع [٢] .

وكذا أنشد هذه القصيدة عبدُ الملك بن هشام فى غزوة أحد من سيرته [٣] وزاد بيتاً بين قوله : « ربّ حلم » ... البيت ، وبين قوله : « ما أبالى أنَبَّ » البيت . وهو :

---

(١) غطى ، بالطاء المفتوحة الخفيفة ، كما قيده البغدادى فى الشرح اعتمادا على نقل السهيلى عن يونس بن حبيب .

(٢) الروض الأنف ٢ : ١٦١ وأنشد لذلك عن ابن قتيبة :

ومِن تعاجيبِ خَلقِ الله غاطيةٌ يُعصَر منها مُلاحىٌّ وغِربيبُ

(٣) السيرة ٦٢٥ — ٦٢٦ فى غزوة أحد .

لا تُسبَّنّنى فلسْتَ بسِبِّى إن سِبِّى من الرجالِ الكريمُ

والسِّبُّ ، بالكسر : الذى يُسابُّك ، وهو نظيرُك فى المنزلة .

وزعم الأسودُ أبو محمّد الأعرابىُّ أنَّ هذا البيتَ مع ما بعده ليسا من شعره ، وإنَّما هما لابنه عبدِ الرحمن بن حسّان ، وقال : هجا عبدُ الرحمن بنُ حسّان ، مسكينَ بنَ عامرٍ الدارمىَّ ، بثلاثة أبياتٍ وهى :

أيُّها الشَّاتمى ليُحسَبَ مِثلى إنمّا أنتَ فى الضّلالِ تَهيمُ
لا تسبَّنّنى فلست بسِبِّى .... البيت
ما أبالى أنبَّ بالحزنِ تيس .... البيت

وأورد ابن الحاجب (فى أماليه على أبيات المفصل) هذه الأبيات الثلاثة كذا عن ابن الأعرابى ، غيرَ معزوَّة إلى أحد ، وقال : هجا الشاعر بهذا الشعر مسكين بن عامرٍ الدّارمى . ومعناه : إنّك عالم بأنَّ قدرَك دون قَدرى ، وأنَّكَ لستَ ممن يسابُّنى ، وإنمّا تفعل ذلك لتُظْهِرَ بالمشاتمة أنَّ هناك مُماثَلةً ، مع علمك بخلافِه . ثم ردَّ فى عجز البيت هذا الغرض الذى قصدَه ، فقال : إنَّما أنت فى الضلال تهيم . يعنى أنَّ المشاتمة إنمَّا يُستَدَلُّ بها على المماثلة عند تقارُبِ الشخصين ، فأمَّا عند التباعُد فَلاَ . فجعله فى فعله الذى لا يتمُّ به الغرضُ المقصودُ عند العقلاء ، كركوبِهِ التعاسيفَ التى تضرُّ ولا تنفع ، ولذلك قال : « تهيم » يقال : هامَ على وجهه ، إذا سلك غيرَ الطريق .

وموضع استشهاد الزمخشرى فى قوله : « الشَّاتمى » فى صحة إضافة ما فيه الألف واللام إلى المضمر المتَّصل . ومفعول ما لم يسمَّ فاعله مضمرٌ مستتر يعود على الشّاتمى ، لأنّه بمعنى الذى يشتُمنى . وهو وإن كان مخاطَباً إلاّ أنّه لمَّا وصفه

بالموصول أجرى الضميرَ على لفظ الغيبة ، كقولك : أنت الذى ضرب . وهو أحسن من : أنت الذى ضربت . انتهى .

وتقدّمت ترجمة حسان فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب .

تتمة

فى قولهم : لا أبالى ، قال صاحب المجمل : اشتبه علىَّ اشتقاق أباليِ ، حتّى قرأت فى شعر ليلى الأخيليَّة :

تَبَالَى رَوَاياهم هُبَالَةَ بعدما وَرَدْن وجُول الماءِ بالجَمِّ يرتمِى [1]

فسَّروا التَّبالِيَ بالتبادُر إلى الاستقاء [2] من قلَّة الماء . فلعلَّه منه ، أى لا أُبادرَ إلى اقتنائه ولا أعتدُّ به .

وقال المرزوقى : هو مفاعلةٌ من البلاء ، أى لا أحتفل به حتّى أُعادَّه بلائى وبلاءَه وأُفاخِرَه . وحكى سيبويه : ما أباليهِ بَالَةً كحالةٍ ، وأصله بالية ، فحذفت ياؤه . وذهب غيره إلى أنه مقلوب ، وألفه منقلبة عن واو وأصله أُباوِل ، أى أكاثر ، من قولهم : فلانٌ كثير البول ، أى الولد .

و (فى النّهاية لابن الأثير) : ويقال : ما باليته وما باليت به ، أى لمْ أكترِثْ به . ومنه الحديث : « هؤلاء فى الجنّةِ ولا أُبالِي » .

(١) المجمل ١ : ٩٣ ومعجم ما استعجم ١٣٤٤ ومزهر السيوطى ١ : ٣٥٢ . وقد أثبت البيت فى ديوان ليلى ١١٧ . وفى ط : « تبالة » صوابه فى ش والمراجع السابقة . وهبالة ، بالضم : ماء لبنى عقيل . وفى النسختين والديوان والمزهر : « وحول » بالحاء المهملة ، صوابه فى المجمل ومعجم ما استعجم . والجول بالضم والجال أيضا : جانب الوادى والبئر والبحر . وجالا الوادى : جانباه . وفى النسختين أيضا : « ترتمى » صوابه بالياء كما فى المجمل ومعجم ما استعجم ، والمزهر ، والديوان . وفى المجمل أيضا : « ويروى : وجول البئر » .

(٢) ونحوه فى المزهر ، لكن الذى فى المجمل : « التبالى : المباراة بالاستسقاء ، يقال تبالى القوم ، إذا تباروا الماء فاستقوا » .

حكى الأزهريُّ عن جماعة من العلماء أنَّ معناه لا أكره . ومنه حديث ابن عباس : « ما أباليه بالة » ، وأصله باليَة مثل عافاه الله عافية ، فحذفوا الياء منها تخفيفا ، كما حذفوا من لم أُبَلْ . انتهى .

فجملة « أنَبٌّ بالحزن تيس » معلَّق عنها العامل بالاستفهام . وهى إمَّا فى موضع المفعول المسرَّح أو المقيَّد بحرف الجر .

* * *

وأنشد بعده :

(فإنَّك لا تُبالِى بَعْدَ حول أظبىٌ كانَ أُمَّكَ أم حِمارُ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة (١) وفى الشاهد الثانى والاربعين بعد السبعمائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده قولَ ابن سيناء ، وهو الشاهد التاسع بعد التسعمائة :

٩٠٩ (سِيَّانِ عندىَ إنْ بَرُّوا وإنْ فجرُوا فليس يَجرِى على أمثالِهِمْ قَلَمُ)

على أنّ قوله : (سِيَّانِ عندِى) دليلُ جواب الشرط الذى بعده ، أى إنْ برُّوا وإنْ فَجَروا فهما سِيَّان .

وفى هذا التركيب تقويةٌ لقولهم : سواء أقمتَ أم قعدت ، وقولهم : لا أبالى أقمت أم قعدت ، فى تقدير الشرط ودليل الجواب . والمعنى : إنْ قمَتَ أو قعدت فالأمْرانِ سواءٌ ، وإن قمت أو قعدت فلا أُبالِي بهما .

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٢ – ١٩٧ .

(٢) الخزانة ٩ : ٢٩٢ – ٢٩٤ .

ولا يخفى أنّ كلام ابن سِيناءَ كما لا يصحُّ الاستشهاد به لا يصحُّ التقويَة به . على أنّه لا يلزم من كون شيئين متفقين معنىً اتفاقُهما إعرابا .

وكأنّ الشارح المحقّق لم يستحضر قولَ الفرزدق :

لا ينقُص العسر بَسطاً من أكفِّهمُ سِيَّانِ ذلك إن أثْرَوْا وإنْ عَدِموا

ولو استحضره ما عَدَل عنه .

وهو بيت من قصيدة مشهورة مدح بها الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم .

روى السيِّد الأجلّ عَلَمُ الهدى المرتضَى (فى أماليه) ، أنَّ هشامَ بن عبد الملك حجّ فى خلافة عبد الملك أو الوليد ، فطاف بالبيت وأراد أنْ يستلم الحجر ، فلم يقدِر عليه من الزِّحام ، فنُصِب له منبرٌ فجلسَ عليه ، وأطاف به أهل الشام ، فبينا هو كذلك إذْ أقبلَ زينُ العابدين عليُّ بن الحسين ، وعليه إزارٌ ورداء ، أحسَنَ الناس وجهاً ، وأطيبَهُمْ رائحة [1] ، فجعل يطوُف بالبيت ، ولمَّا بلغ إلى موضع الحجَر الأسود تنحَّى الناسُ عنه حتّى يستلمَه ، هيبةً منه وإجلالا له ، فغاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذى هابه الناس ؟ فقال هشام : لا أعرفُه ! لئلا يرغِّب فيه أهلَ الشام . فقال الفرزدق وكان حاضراً : أنا أعرفُه . فقال الشامى : من هو يَأبا فراس ؟ فقال مرتجلا [2] :

هذا ابنُ خير عبادِ اللهِ كلِّهـمُ هذا التَّقىُّ النَّقىُّ الطاهرُ العلَمُ
هذا الذى تعرِف البطحاءُ وطأته والبيتُ يَعرفـه والحِلُّ والحَـرَمُ
إذا رأتْــه قريشٌ قال قائلُهـا إلى مكـارم هذا ينتهى الكـرَمُ

(١) فى أمالى المرتضى ١ : ٦٩ : « وأطيبهم ريحا ، بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز » .
(٢) هذا التعبير ليس من كلام المرتضى بل هو استنباط من البغدادى .

يكـاد يُمسِكُـه عِرفانَ راحتِـــهِ ... رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَستِلمُ
يُغْضِى حياءً ويُغضَى من مَهابتهِ ... فمـا يُكلَّـمُ إلاّ حين يـــتسمُ
مشتقّـة من رسول الله نَبْعتُـــه ... طابت عَناصرُه والخِيمُ والشِّيَمُ (١)
الله شرَّفــه قِدمـــاً وفضّلــــه ... جَرَى بذاك له فى لَوحِه القلمُ
٤٦٥ ينشقُّ ثوبُ الدُّجَى عن نُور غُرَّته ... كالشَّمس يَنْجاب عن إشراقها القَتَمُ
سَهل الخليقـة لا تُخشَى بوادِرُه ... يَزِينُه اثنانِ : حُسْنُ الخُلْقِ والكرَمُ
ما قال لا قَطُّ إلاّ فى تشهُّدِه ... لولا التشهُّدُ لم يَنطق بذاك فمُ
مِن معشرٍ حبُّهمْ دينٌ ، وبُغضهمُ ... كُفرٌ ، وقربُهمُ مَنجىً ومُعتَصَمُ
مقـدَّمٌ بعـد ذكـر الله ذِكرهـمُ ... فى كلِّ بدءٍ ومختومٍ به الكلمُ
إنْ عُدّ أهلُ التقى كانوا أئمَّتَهم ... أو قيل مَنْ خيرُ أهلِ الأرضِ قيل هُمُ
لا يستطيـع جَوَادٌ بُعْدَ غايتِهمْ ... ولا يدانيهمُ قومٌ وإنْ كرُمـــوا
لا يَنقصُ العُسر بَسطاً من أكفِّهم ... سيّانِ ذلك إن أثْرَوا وإنْ عَدِمُوا
هذا ابن فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَه ... بجدِّه أنبيـــاءُ الله قد خُتِمـــوا
فلـيس قولُك من هذا بضائـرِهِ ... العربُ تعرفُ مَنْ أنكرتَ والعجَمُ
مَن يشكرِ اللهَ يشكرْ أوّلـيَّةَ ذا ... فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأُمَمُ

وهى أكثر مما كتبته . قال : فغضب هشامٌ وأمر بحبس الفرزدق بعُسْفان ،

---

(١) هذا البيت وتاليه لم يردا فى الأمالى ، وروى مكانهما :

أى القبائــــل ليست فى رقــــابهم ... لأوّليـــة هذا أولــــه نِعَــــمُ
من يعــرف الله يعــرف أوليَّـــة ذا ... فالديــــن من بيتِ هذا نالـــه الأمم

وهما البيتان الأخيران من هذه القصيدة . فلعل مارواه البغدادى قد سقط من بعض نسخ الأمالى .

بين مكة والمدينة ، فبلغ ذلك زينَ العابدين [١] ، فبعث إليه باثنَىْ عشرَ ألفَ درهم ، وقال : اعذِر يَأبا فراس ، لو كان عندنا هنا أكثرُ منها لوصَلْناكَ بها . فردَّها الفرزدق وقال : يا ابن رسولِ الله ، ما قلتُ الذى قلتُه إلاّ محبةً فى الله ورسوله ، لا طمعاً فى شئ . فردَّها إليه زينُ العابدين ، وأقسم عليه بقَبولها ، وقال له : قد رأى الله مكانَك وعَلِمَ نيَّتَك ، ونحنُ أهل بيتٍ إذا أنفذْنا شيا لم نرجعْ فيه . فقبلها وهجا هشاماً وهو فى الحبس ، فمِمَّا هجاه به قولُه :

ويحَبسنى بين المدينة والتى ... إليها رقابُ القومَ يهوِى مُنيبُها [٢]
يقلِّب رأساً لم يكن رأسَ سيِّدٍ ... وعيناً له حَولاءَ بادٍ عيوبُها

وكتبتُ هذه الأبياتَ رغبةً فى الثواب ، وإنما الأعمالُ بالنيّات .

وأمّا بيتُ ابن سِيناءَ فهو من قصيدةٍ طويلة مطلعها :

(يا ربعُ نكّرك الأحداثُ والقِدَمُ ... فصار عينُك كالآثارِ تُتَّهمُ
كأنَّما رسمُك السرُّ الذى لهمُ ... عندى ونُؤْيُك صَبرى الدارسُ الهرِمُ [٣]
كأنّما سُفعة الأُثْفِىِّ باقيةً ... بين الرياض قَطاً جُونيَّةٌ جُثُمُ [٤]
ألاّ بكَاه سَحابٌ دمعُه هَمِعٌ ... بالرَّعد مُزدَفِر ، بالبرق مبتسمُ

---

(١) فى أمالى المرتضى : « على بن الحسين عليهما السلام » . وزين العابدين لقب له كما أن كنيته « أبو الحسن » . وهو المعروف بعلى الأصغر ، تمييزا بينه وبين أخيه الأكبر على بن الحسين الذى قتل مع أبيه الحسين بكربلاء . وعلى الأصغر هذا توفى سنة ٩٤ . وليس للحسين السبط عقبٌ إلا منه . وفيات الأعيان ١ : ٣٢٠ .

(٢) فى الأمالى : « تحبَّسنى » و : « إليها رقاب الناس » . وفى الأغانى ١٤ : ٧٦ : « أيحبسنى » ، و : « إليها قلوب الناس » .

(٣) النؤى : حفرة حول الخباء تمنع ماء المطر أو السيل . ط : « وثوبك » ، صوابه فى ش وابن أبى أصيبعة ٤٤٧ فى ترجمة ابن سينا .

(٤) الأثفى : جمع أثفية ، وهى أحد الأحجار الثلاثة التى تنصب عليها القدر . ولم أجد لجمعها إلا الأثافى . ط : « الأثفاء » ، صوابه فى ش وابن أبى أصيبعة .

لِمْ لا يجودُ سحابٌ جوده دِيَمٌ من الدُّموع الهوامى كلُّهنَّ دمُ
ليتَ الطّلول أجابت مَن به أبداً فى حبِّهمْ صِحّةٌ فى حبِّهم سقَمُ
أو علَّها بلسانِ الحال ناطقةٌ قد يُفهِم الحالُ مالا يُفهِمُ الكلِمُ
مالى أرى حِكَم الأفعال ساقطةً وأَسمعُ الدّهرَ قولاً كلُّه حِكَمُ
مالى أرى الفَضْلَ فضلاً يُستهان به قد أُكرِمَ النَّقصُ لما استُنْقِصَ الكرمُ
جوّلت فى هذه الدنيا وزُخرُفِها عَينى فمَا لقيَتْ داراً بها أرَمُ [١]
الواجدون غنًى العادمون نُهًى ليس الذى وَجَدوا مثل الذى عَدِموا
ليسوا وإنْ نَعِمُوا عيشاً سوى نَعَمٍ ورُبَّما نَعِمَتْ فى عَيشها النَّعَمُ
كجيفةٍ دَوَّدَتْ فالدُّود منشؤه فيها ، ومنها لَهُ الأذراءُ والطُّعُم [٢]
سيّانِ عندى إنْ بَرُّوا وإنْ فجروا فليس يجرى على أمثالهم قَلَمُ
لا تحسُدَنّهمُ إنْ جَدَّ جِدُّهم فالجَدّ يُجدِى ولكن ماله عُصُم
أُسكِنتُ بينهمُ كاللَّيث فى أجَمٍ رأيتَ ليثاً لهُ من جنسهِ أجمُ
بأىِّ مأثُرةٍ ينقاس بى أحدٌ بأىِّ مكرمةٍ تحكينِىَ الأمم
إنِّى وإنْ كانت الأقلام تخدُمنى كذاك يخدمُ كفِّى الصَّارمُ الخذِمُ
قد أشهدُ الرَّوعَ مرتاعاً فأكشفُه إذا تناكَر عن تيَّاره البُهَمُ [٣]
الضَّربُ محتدمٌ والطّعنُ منتظم والدَّمُّ مرتكمٌ والبأسُ مغتلم [٤]

٤٦٦

---

(١) يقال مابالدار أرم على وزن حذر ، وبالتحريك أيضا ، وآرم على زنة فاعل ، وأريم وارمى كعِنِبىّ ويحرك ، وأيرمى ، أى ما بها أحد . وعند ابن أبى أصيبعة : « فألفيت دارا » ، وما هنا صوابه .

(٢) الأذراء : جمع ذَرًى ، وهو الكِنُّ . وفى النسختين : « الأزراء » بالزاى ، تحريف . وعند ابن أبى أصيبعة : « الأرزاء » : جمع رُزء ، وهو مقدار ما يصيبه من طعام .

(٣) تناكر الأمر : كرهه . والبهم : جمع بهمة ، بالضم ، وهو الشجاع والفارس الذى لا يدرى من أين يؤتى له ، لشدة بأسه . وعند ابن أبى أصيبعة : « مرتاحا فأكشفه » .

(٤) الدم ، بتشديد الميم : لغة فى الدم بتخفيفها . ومنه قول أبى خراش (سكرى ١٢٢٣) :

إذا ذكرته العين أغرقها البكا وتشرق من تهمالها العين بالدمّ

والجوُّ يافوخُه من نقعه قَتَـرٌ والأفق فُسطاطهُ من سَفكِهِمْ قَتَم
والبيض والسمر حُمرٌ تحت عِثْيَرِهِ والموتُ يَحكُـمُ والأبطـالُ تختصمُ
وأعدلُ القَسْمِ فى حربى وحربِهِمُ مِنهم لنا غُنـمٌ ، منّـا لهم غُرُمُ
أمّا البلاغةُ فاسألْنِى الخَبيرَ بها أنا الـلسانُ قويماً ، والزّمـانُ فَمُ
لا يَعلمُ العلمَ غيرى مَعْلَماً عَلَمًا لأهله ، أنـا ذاك العـالِمِ العَلَـمُ
كانت فتاةُ عُلـومِ الحقِّ عاطلـةً حتّى جلاها بشرحِى الفَهـمُ والقلمُ

وهى طويلة ، ولكنْ يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

ابن سينا

وابن سينا [١] هو الرئيس أبو على ، واسمه الحسين بن عبد الله بن سِينا الحكيم المشهور . وكان أبوه من أهل بَلْخ ، وانتقل منها إلى بخارى ، وكان من العمّال والكُفاة ، وتولّى العملَ بقريةٍ من ضياع بُخارى يقال لها خَرْمَيْثَن [٢] من أمّهات قُراها ، وبها وُلِدَ الرئيس فى سنة سبعين وثلثمائة ، فى شهر صفر . وتُوُفِّىَ بهَمَذَان فى يوم الجمعة من شهر رمضان ، من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، ودفن بها . وقال ابن الأثير (فى تاريخه الكبير) : بأصبهان . والأول أشهر . ثم انتقل أبوه إلى بخارى . وانتقل الرئيس فى البلاد ، واشتغل بالعلوم وحَصَّل الفنون . ولمَّا بلغ عشر سنين كان قد أتقنَ علم القرآن العزيز والأدب ، وحفظ أشياءَ من أصول الدين ، وحِساب الهندسة ، والجبر والمقابلة ، ثم توجَّه نحوهم الحكيمُ أبو عبد الله الناتلىّ ، فانزله أبو الرئيس عندَه ، فقرأ عليه الرئيس إيساغُوجى ، وأحكم عليه علم

---

(١) ش : « سيناء » بالمد فى هذا الموضع وتاليه ، وهو يطابق ضبط ابن خلكان له فى الوفيات ١ : ١٥٤ حيث ذكر أنه آخره ألف ممدودة .

(٢) خرميثن ، بفتح الخاء والميم والثاء وآخره نون ، ذكر ياقوت أنها من قرى بخارى . وهى عند ابن خلكان ١ : ١٥٢ « خرميثنا » . وذكر ابن خلكان والقفطى أن والدة ابن سينا من قرية يقال لها « أفشنة » — بوزن أربعة — بالقرب من خرميثنا . وفى النسختين هنا « خربش » ، صوابها من معجم البلدان وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٤٣٧ . وقد حرفت فى إخبار العلماء للقفطى ٢٦٩ إلى « خرميشن » بالشين .

المنطق ، وأُقليدِس (١) ، والمِجَسطى (٢) ، وفاقَه حتَّى أوضح له رموزاً وفهَّمه إشكالات لم يكن الناتلىُّ يَدريها (٣) . وكان مع ذلك يختلف فى الفقه إلى إسماعيل الزاهد ، ويبحث ويناظر . ولما توجَّه الناتلى نحو خُوارزمشاه اشتغل أبو على بتحصيل العلوم ، الطبيعىّ والإلهىّ وغير ذلك ، وفتح الله عليه أبوابَ العلوم ، ثم رَغِب بعد ذلك فى علم الطبّ ، وعالج تأدُّبا لا تكسُّبا حتى فاق فيه الأوائل والأواخر فى أقلّ مدة . واختلف إليه فضلاء هذا الفنّ يقرءون عليه أنواعَه ، وسنُّه إذ ذاك ستَّ عشرةَ سنة . وفى مدة اشتغاله لم يَنَمْ ليلةً واحدة بكمالِهَا ، ولا اشتغلَ فى النهار بسوى المطالعة . وكان اذا أشكلت (٤) عليه مسألة توضَّأ وقصدَ المسجد الجامع وصلَّى ، ودعا الله أن يسهِّلها ويفتح لهُ مغلَقَها .

٤٦٧

وذكر عند الأمير نوحِ بن نصر السَّامانى فى مرضٍ مرِضَه ، فأحضره وعالجه حتى بَرَأَ (٥) واتَّصل به وقرُب منه ، ودخلَ إلى دار كتبه ، وكان فيها من كلِّ فن ممَّا لا يوجد فى سواها ، ولا سُمع باسمه . فظفر أبو علىّ بعلوم الأوائل . واتَّفق

---

(١) أى كتاب أقليدس اليونانى فى الهندسة ، وهو كتاب الأركان الذى سماه الروم الاستقصات ، وسماه الإسلاميون « الأصول » . وقد تكلم عليه وعلى تاريخه وترجمته وشروحه جمال الدين القفطى فى إخبار العلماء ٤٥ — ٤٨ . وهو فى ثلاث عشرة مقالة .

(٢) المجسطى ، بكسر الميم وفتح الجيم هو كتاب بطليموس القلوذى ، وهو فى علم هيئة الفلك وحركات النجوم . وهو فى ثلاث عشرة مقالة كسابقه . وقد تكلم عليه وعلى تاريخه وترجمته وشروحه فى إخبار العلماء ٦٧ — ٧٠ . وصحح المأمون كثيرا من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكانت أرصاد علمائه أول أرصاد فى الإسلام وسموا أرصادهم « الرصد المأمونىّ » .

(٣) الناتلى كذا ورد بالتاء هنا وفى وفيات الأعيان والقفطى ، وهو نسبة إلى « ناتلة » بالتاء المكسورة ، ويقال لها أيضا « ناتل » ، وهى مدينة بطبرستان ، بينها وبين آمل خمسة فراسخ ، وبينها وبين شالوس مثلها . وفى طبقات ابن أبى أصيبعة : « النائلى » بالهمز ، تحريف .

(٤) ط : « أشكل » .

(٥) ط : « برئ » . ويقال برأ المريض يبرأ ويبرؤ ، بُرءا بالضم وبروءاً . وبرؤ أيضا ككرم وفرح بَرءا بالفتح وبُرءاً بالضم وبروءاً أيضا : نقه بعد المرض .

بعد ذلك احتراقُ تلك الخزانة ، فتفرَّد أبو على بما حصَّله . ولم يستكمل ثمانىَ عشرة سنةً من عمره إلاَّ وقد فرَغ من تحصيل العلوم بأسرها التى عاناها . وتوفى أبوه وسنُّ أبى علىٍّ اثنتان وعشرون سنة ، وكان هو وأبوه فى الأعمال السلطانيَّة .

ولمَّا اضطربت أحوال السَّامانية خرج أبو على إلى كُركانْج [١] وهى قصبة خُوارزم ، واختلف إلى خُوارِزمشاه [٢] ، وكان أبو علىّ على زىّ الفقهاء ويَلبس الطَّيلَسان ، فقرَّر له فى كلِّ شهر ما يقوم به .

ثم انتقل إلى نَسَا ، وأبيوَردَ ، وطُوس وغيرها ، ثم إلى قَزْوِين . وتولَّى الوزارة لشمس الدولة . ثم تشوَّش العسكرُ عليه فأغَاروا على داره فنَهبُوها وقَبَضوا عليه ، وسألوا شمسَ الدَّولةِ قتلَه فامتنع ، ثم أُطلِق فتوارى . ثمَّ مرض شمسُ الدولة بالقُولَنْج فأحضَرَه لمداواته واعتذر إليه وأعاده وزيراً . ثم ماتَ شمس الدولة وتولَّى تاجُ الدولة فلَمْ يستوزِرْه ، فتوجه إلى أصبهان وبها عَلاءُ الدين أبو جعفر بن كاكويه ، فأحسنَ إليه .

وكان أبو علىّ قوىَّ المزاج ، وتغلِب عليه قوّة النكاح حتَّى أنهكته ، وعرض له قُولنج فحقنَ نفَسه فى يومٍ واحد ثمانىَ مرّات [٣] فقرح بعضُ أمعائه ، وظهر له سَحَج [٤]. واتّفق سفره مع علاء الدولة فعرض له الصَّرْعَ عِقيب القُولنج ، فأُمَر

---

(١) كركانج ، ضبطها ياقوت بالضم ثم السكون وكاف أخرى ، وبعد الألف نون ساكنة بالتقاء الساكنين .

(٢) عند ابن خلكان : « خوارزمشاه على بن مأمون بن محمد » . وخوارزمشاه لقب لملوك خوارزم .

(٣) ط ووفيات الأعيان : « ثمان مرات » ، وأثبت ما فى ش ، وكلاهما صحيح فى العربية ، فإن « ثمان » إذا أفردت عن العشرة يجوز حذف يائها . وإجراء الإعراب فيها على النون ، كما فى الأشمونى ٤ : ٧٢ . ومن شواهده :

لها ثنايا أربعٌ حسانُ وأربعٌ فثغرها ثمانُ

(٤) السَّحَج ، بالتحريك : داء فى البطن قاشر منه ، كما فى اللسان .

بأخْذِ دانقين من كَرَفْسٍ فى جملةٍ ما يُحقَن به ، فجعل الطبيبُ الذى يعالجه فيه خمسَ دَرَاهِم ، فازداد السَّحَج به من حدّة الكَرفس ، وطرح بعضُ غلمانه فى بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أنَّ غلمانه خانوه فى شئٍ من ماله فخافوا عاقبةَ أمره عند برئه . وكان يصلُحُ أسبوعاً ويمَرض أسبوعا ، ولا يحتمى ويجامع ، حتَّى قصد علاءَ الدولة بهَمَذَان ، فلما وصل إلى هَمذَان [١] ضعُف جدًّا ، وأشرفت قوّته على السُّقوط ، فأهمل المداواة وقال : المدبِّر الذى فى بدنى قد عَجَز فلا تنفعنى المعالجة . ثم اغتسَلَ وتاب ، وتصدَّق بما معه على الفقراء ، وردَّ المظالم على مَنْ عرفه ، وأعتَقَ مماليكه ، وجعل يَختم فى كلِّ ثلاثةِ أيامٍ خَتمةً ، إلى أن مات فى ذلك التاريخ .

وصنَّف كتاب الشفاء فى الحكمة ، والنّجاة ، والإشارات ، والقانون ، وغير ذلك مما يقارب [٢] مائة مصنَّف فى فنون شتّى . وله رسائل بديعة . وهو أحد فلاسفة الإسلام ، وله شعر جيِّد باللسانين ، ومنه قصيدته فى النَّفس ومطلعها :

* هبطَتْ إليكَ من المحلِّ الأرفعِ [٣] *

ولها شروح ، أحسَنُهَا شرح الحكيم أفضلِ الحكماء : داودَ الضريرِ الأنطاكىّ .

* * *

(١) ط : « همدان » فى هذا الموضع وسابقه ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « ما يقاربه » .

(٣) أوردها ابن خلكان وابن أبى أصيبعة وغيرهما فى ترجمته . وتمام هذا الشطر :

* ورقاء ذات تعزز وتمنع *

وقد طبعت القصيدة مع شرح المناوى بالقاهرة سنة ١٣١٨ ، كما طبعها أيضا كاراده فو مع ترجمة فرنسية وشرح لمجهول فى المجلة الاسيوية أغسطس سنة ١٨٩٩ م . وتجدها أيضا فى الكشكول للعاملى ٢٣٦ – ٢٣٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩١٠ (ولستُ أبالى بعد مَوتِ مطرِّفٍ حُتوفَ المنايا أكثرَتْ أوْ أقلَّتِ)

على أنه يجوز الإتيان بأوْ مجرّداً عن الهمزة بعد سواء ، ولا أبالى ، بتقدير حرف الشرط كما فى البيت . فإنّ أوْ لم تسبقْ بهمزة ، والتقدير : إن أكثرَتْ أو أقلَّت فلستُ أبالى .

٤٦٨ وهذا قول السيرافى ، قال (فى شرح الكتاب) : وسواء ، إذا أدخلتَ بعدها ألفَ الاستفهام لزمت أمْ بعدها ، كقولك : سواءٌ علىَّ أقمتَ أم قعدت . وإذا كان بعد سواء فعلانِ بغير استفهامٍ جاز عطفُ أحدِهما على الآخر بأوْ ، كقولك : سواءٌ علىَّ قمتَ أو قعدت ؛ فإنَّ الكلام محمولٌ على معنى المجازاة . فإذا قلت : سواء علىَّ قمتَ أو قعدتَ فتقديره : إن قمت أو قعدتَ فهما علىَّ سواء . انتهى .

وفيه ردٌّ على أبى علىّ فى منعه ، وعلى ابن هشام فى قوله (فى المغنى) : إذا عطفتَ بعد الهمزة بأوْ فإن كانت همزة التَّسوية لم يجزْ . وقد أولع الفقهاءُ وغيرهم بأن يقولوا : سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم : يجِبُ أقلُّ الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأوّل بأم ، وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح : سواء علىَّ قمت أو قعدت . انتهى . ولم يذكر غيرَ ذلك . وهو سهو .

وفى كامل الهذلى أنَّ ابن مُحيصِنٍ قرأ من طريق الزَّعفرانى : ﴿ سَوَاءٌ عليهمْ أنذرتَهُمْ أم لم تُنْذرْهم [٢] ﴾ وهذا من الشُّذوذ بمكان . انتهى كلامه .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٩٠ . وانظر شرح الأبيات لابن السيرافى ٢ : ١٤٩ والموشح ٣٠١ والأزهية ١٣٥ .

(٢) الآية ٦ من سورة البقرة .

وهو فى هذا تابعٌ لأبى علىّ .

وكلامُ السِّيرافىِّ والشارح المحقِّق صريحٌ فى جوازه وصحَّته . قال الدماميني (فى الحاشية الهندية) : ثم العجب من إيراد المصنِّف ما ذكره فى المعطوف بعد همزة التسوية ، والفرْض أنَّه لا همزة فى شيء من ذلك ، وكأنَّه توهَّم أنّ الهمزة لازمةٌ بعد كلمة سواء فى أوَّل جملتيها فقدَّر الهمزة إذْ لم تكن مذكورة ، وتوصَّل بذلك إلى تخطئة الفقهاء وغيرهم . وقراءة ابن محيصِنٍ : ﴿ أنذرتَهُمْ أو لم تُنذِرْهم [1] ﴾ ، بهمزة واحدة وبأوْ ، كما دلَّ عليه مجموع كلامه (فى الألِف المفردة،وهنا) . ووجهُها صحيح كما قال السيرافى . ولا يتأتَّى الاستشهاد بقراءته على حذف الهمزة كما ادَّعاه المصنف فى أول الكتاب .

وأمَّا تخطئة الفقهاء فى الثانى فمبنىٌّ على أنّ المبيّن هو الأمران جميعا ، بل المبيَّن أقلُّهما ، والأقلُّ هو أحدهما ، فجاز العطف بأوْ ، بل تعيَّنَ والحالةُ هذه . انتهى .

هذا وقد قال سيبويه (فى باب أوْ فى غير الاستفهام) : وتقول : لأضربنَّه ذهب أو مكث ، كأنَّه قال : لأضربنَّه ذاهباً أو ماكثًا ، ولأضربنَّه إنْ ذهبَ أو مكث . وقال زيادة بن زيد العُذْرىّ :

إذا ما انتهَى عِلمِى تناهيتُ عِندَه ... أطال فأملَى أو تناهَى فأقصَرا

وقال :

فلستُ أبالى بعد موتِ مطرِّفٍ ... حتوفَ المنايا أكثرَتْ أو أقلَّتِ

وزعم الخليل أنّه يجوز : لأضربنَّه أذهَبَ أم مكث . وقال : الدليل على ذلك أنّك تقول : لأَضربنَّه أىُّ ذلك كان . وإنمّا فارق هذا سواءً وما أبالى لأنَّك

---

(١) ط : « أم لم تنذرهم » ، صوابه فى ش .

إذا قلت : سواءٌ على أذهبتَ أم مكثت فهذا الكلام فى موضع : سواء علىَّ هذان . وإذا قلت : ما أبالى أذهبتَ أم مكثت ، فهو فى موضع : ما أبالى واحداً من هذين . وأنت لا تريد أنْ تقول فى الأوّل : لأضربَنَّ هذين ، ولا تريد أن تقول : تناهيتُ هذين ، ولكنَّك إنمّا تريد أنّ الأمر يقع على إحدى الحالتين . وإنْ قلت : لأضربنَّه أذهَبَ أو مكَث لم يجز ، لأنَّك لو أردت معنى أيّهما قلت أم مكث ، ولا يجوز لأضربنَّه مَكَث [1] . فلهذا لا يجوز لأضربنَّه أذهب أو مكث ، كما يجوز : ما أدرى أقام زيد أو قعد . ألاَ ترى أنّك تقول : ما أدرى أقام ، كما تقول : أذهبَ ، وكما تقول : أعلَمُ أقام زيد ، ولا يجوز أن تقول : لأضربنه أذهَبَ . وكلُّ حقٍّ له سمَّيناه أو لم نُسمِّه ، كأنّه قال : وكلُّ حق له علمناه أو جَهِلناه ، وكذلك كلُّ حقٍّ هو لها داخلٌ فيها أو خارجٌ منها ، كأنّه قال : إن كان داخلا أو خارجا . وإنْ شاء أدخل الواو . وقد تدخل أم فى : علمناهُ أم جهلناه [2] كما دخلت فى : أذهَبَ أم مكث . وتدخله أم على وجهين على أنّه صفة للحقّ ، وعلى أنْ يكون حالا ، كما قال : لأضربنه ذهب أو مكث ، أى لأضْربنَّه كائنا ما كان . فبعُدَت أم ههنا حيث كان خبَراً يقع فى موضع ما ينتصب حالا [و [3]] فى موضع الصفة . انتهى كلام سيبويه .

٤٦٩

وقال ابن الحاجب (فى أماليه فى البيت الشاهد) : لا يجوز فيه إلاّ أوْ من غير همزة ، على ما قال سيبويه ، لأنَّه لما أعطى أُبَالِى مفعولَها وجب أن يكون ما بعدَها المذكور فى موضع الحال ، فيصير المعنى : ما أبالى حتوفَ المنايا مُكثِرةً أو مُقِلَّة . وهذا معنى أوْ . ولو قلتَه بأمْ لفسَدَ من وجهين : أحدهما أنَّ المعنى

(١) فى النسختين : « أمكث » صوابه من سيبويه ١ : ٤٩٠ .

(٢) فى النسختين : « أعلمناه أم جهلناه » صوابه فى سيبويه بالأسلوب الخبرى .

(٣) التكملة من سيبويه .

يكون : ما أبالى حتوف المنايا كَثرةً وقلّة . وذلك غيرُ مستقيمٍ فى قصده . والآخَر : أنْ يكون : ما أبالى حتوف المنايا كثيرةً وقليلة . وذلك فاسدٌ لأنّه يؤدّى إلى اجتماع الحالين ، وهو محال . فوجب استعمالُ أوْ ، بخلاف قوله :

ما أبالى أنَبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ ... البيت .

فإنَّ أمْ فيه واجبٌ مع همزة الاستفهام ، قال سيبويه : لأنّ المعنى ما أبالى بنبيب التيس وجفاء اللئيم . وهذا لا يستقيم إلاّ بأم ، ولو كان بأو لفَسَد بوجهين ، لأن المعنى يكون : ما أبالى نبيباً أو جفاء . ولم يقصد المتكلّم إلى معنى مبالاة أحد الأمرين ، وإنمّا أراد نفى المبالاة عنهما جميعا ، فيفْسُد لمجئ أوْ . والآخر أنَّ المعنى يكون : ما أبالى نابًّا أو جافيا ، ويكون استعمالاً للفظ فى غير موضوعه (١) لأنّ المراد ههنا الحاليّة ، وتلك إنمّا تكون بالمصدر لا باسم الفاعل . انتهى .

وقوله : (بعد موتِ مُطرِّفِ) فى رواية سيبويه : « يوم مطرِّف » ، والمعنى واحد . ومُطرِّف بكسر الراء المشددة . يقول : لا أبالى بعد فقده كثرةَ من أفقِده أو قلَّته ، لعِظَم رزيَّته ، وصِغَر كلِّ مصيبة عنده . وأضاف الحتوفَ إلى المنايا توكيداً ، وسوَّغ ذلك اختلاف اللفظين . قاله الأعلم .

وهذا البيت من الأبيات الخمسين التى لا يعرف أصحابها . والله أعلم (٢) .

* * *

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو تعبير جائز .

(٢) أقول : نسبه ابن السيرافى فى شرح الأبيات ٢ : ١٤٩ إلى مليح بن علاّق القعينى يرثى ابنه . وانظر معجم الشعراء ٤٧٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد التسعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩١١ (إذا ما انتَهَى عِلمِى تناهبتُ بعدَه   أطال فأمْلَى أو تناهَى فأقصَرَا)

على أنّه روى بأوْ وبأمْ . فعلى الأولى قوله (أطَال) الهمزة للصَّيرورة ، ومصدره الإطالة . ولا يجوز أن تكون همزةَ الاستفهام ، لقول الشارح المحقّق : ولا تجيء بالهمزة قبل أو [٢] .

وهذه رواية سيبويه . قال الأعلم : الشاهد دخولُ أوْ لأحد الأمرين على حدِّ قولك : لأضربنه ذهب أو مكثَ ، أى لأضربنَّه على إحدى الحالتين ذاهبا أو ماكثا . وكذلك معنى :

* أطال فأملَى أو تناهَى فأقصرا *

أى أنْتَهِي حيث [انتَهَى [٣]] بِيَ العلم ، ولا أتخطَّاه ، مُطِيلاً كان أو مُقْصِرا . ومعنى أطال : صار إلى طول المدّة . وأقصَرَ : صار إلى قِصرَها . وأمْلَى من المَلِيِّ ، وهو الزمَن الطويل . انتهى .

وقال ابن الحاجب : أو هنا واجبة ، لأنّه لو قال بأم لفسَد على الوجهين المذكورين فى قوله

ولست أبالى بعد موت مطرِّفٍ ... البيت . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٩٠ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ١٤٨ والبيان ٣ : ٢٤٤ والمقتضب ٣ : ٣٠٢ ومجالس العلماء ١٧٦ وأدب الدنيا والدين ٥٨ والأشباه والنظائر ٢ : ٢١٦ .

(٢) شرح الرضى للكافية ٢ : ٣٥٠ س ٢٥ .

(٣) التكملة من هامش ش ومن الأعلم ١ : ٤٩٠ . وقد بيض للكلمة فى ط ، كما أن بعدها فى ط : « فى العلم » ، تحريف .

٤٧٠ وكذا رواه صاحب اللباب ، وقال شارحُه الفالى [١] : قوله (إذا ما انْتَهَى علمى) إلخ أى إذا بلغ علمى إلى موضعٍ بلغتُ إليه ، ولم أتجاوزه ، أى لا أتكلَّم بما لا أعلُمه ، سواء كان علمى مُطِيلاً أو متناهيا . فيكون أطال بوزن أفعَلَ . وقيل الهمزة للاستفهام والفعل هو طال ، ولا ينافى الاستفهامَ كونُ الجملة حالاً ، لما ذكرنا من أنّ الهمزة وأم مجرَّدتان لمعنى الاستواء ، من غير اعتبار الاستفهام فيه ، كما قلنا فى : سواءٌ علىَّ أقمتَ أم قعدت . والمعنى : تناهيت عندَه فى حالِ طوله فإملائه ، وفى حالِ تَناهيه فقِصَره . و (أمْلَى) أى امتدَّ فى الزمان ، من المُلاوة [٢] . أى إذا امتدَّ علمه حيناً طويلا تبعه ، وإنْ تناهى وانقطع أقصَرَ ولم يتكلَّم .

هذا كلامه ، وهو ناشئٌ عن غَفلةٍ ، فإنّه لا يجوز أن تكون فيه الهمزة للاستفهام مع أوْ كما تقدَّم . ومن قال إنّها للاستفهام روى (أم) بدل (أو) . فتأمَّلْ .

وعلى الرواية الثانية تكون الهمزة للاستفهام ، والفعل طال ، ويكون البيت شاهداً للخليل فى تجويزه فى غيرِ « سواءٌ » و « لا أبالى » ، أن يَجرِىَ مجراهما فيُذكر بعدَه أمْ والهمزة .

صاحب الشاهد

وهذه الرواية هى رواية ابن الأعرابىّ (فى نوادره) ، ورواية المَرْزُبانىّ (فى الموشَّح) . وأنشده ابن الأعرابى لزيادة صاحب هُدبَة ، أوّلَ أبياتٍ أربعة ، وهى :

أبيات الشاهد

(إذا ما انتهَى عِلمِى تناهيتُ عندَه أطالَ فأملَى أم تَناهَى فأقصرَا
ويُخْبِرنى عن غائب المرءِ هَدْيُه كفى الهَدْىُ عَمّا غَيَّبَ المرءُ مُخبِرا

---

(١) ط فقط : « القالى » بالقاف ، وهو تصحيف يكثر وروده .
(٢) الملاوة ، بتثليث الميم كما سيأتى .

ولا أركبُ الأمرَ المُدَوِّىَ سادراً بعمياءَ حتَّى أستبينَ وأُبْصِرا
كما تفعلُ العشواءُ تركبُ رأسَها وتُبرز جَنْباً للمُعادِينَ مُعْوِرا)

وقوله : « اذا ما انتهى » إلخ ما زائدة بعد إذا . وقد نظمه بعضُهم فقال :

خُذْ لك ذى الفائده ما بعدَ إذا زائدهْ

و (انتهى) من انتهى الأمرُ ، أى بلغ النهاية ، وهى أقصى ما يمكن أن يبلغَه . والمَلِىُّ ، بتشديد الياء كغَنِىٍّ ، كما فسَّره الأعلم . والملاوة بتلثيث الميم : الحين والبُرْهة .

قال المرزُبانىّ (فى الموشَّح) : أخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى يحيى بن على قال : [قال [١]] أبو جعفر محمد بن موسى المنجم : كنت أحبّ أن أرى شاعِرَين فأؤدِّبَ أحدَهما ، وهو عدىُّ بن الرِّقَاع ، لقوله :

وعلمتُ حتَّى ما أسائِلُ عالماً عَن علمٍ واحدةٍ لكى أزدادها

ثمَّ أسائلَه عن جميع العلوم ، فإذا لم يجب أدَّبته على قوله . وأُقبِّلَ رأسَ الآخَر ، وهو زيادة بن زيد ، لقوله :

إذا ما انتهى علمى تناهيتُ عنده أطال فأملَى أم تناهىَ فأقصرَا . انتهى .

وقوله : « ويُخبِرُنى عن غائب المرءِ » إلخ الهَدْىُ ، كفلس : السِّيرة ، يقال : ما أحسنَ هَدْىَ فلان ، أى سيرته . وما أحسن قولَ الصفىِّ الحِلّىّ رحمه الله :

إذا غاب أصلُ المرء فاستقْرِ فعلَه فإنَّ دليل الفرعِ ينبي عن الأصل
فقد يَشْهد الفعلُ الجميلُ لربِّه كَذَاكَ مَضاءُ الحدِّ من شاهد النَّصلِ [٢]

---

(١) التكملة من الموشح ٣٠٠ .

(٢) ديوان صفى الدين الحلى ٦٥٤ .

وقوله : « ولا أركب الأمر المدَوِّىَ » إلخ أى لا ألابِسه : والمُدَوِّى ، بكسر الواو المشددة : المبهَم ، والمستتر ، مأخوذ من دَوَّى اللبنُ تدويَةً ، إذا ركبَتْه الدُّواية بضم الدال ، وهى القشرة الرقيقة تعلُوه فيستتر ما تحتها . و « السادر » كما فى الصحاح هو المتحيِّر ، والذى لا يهتمُّ ولا يبالِي ما صنع . والسَّدَر : تحيُّرُ البصر . يقال : سَدِر البعيرُ يَسدَرُ سدَرًا ، من باب فرح ، إذا تحيَّر من شدّة الحر . وقوله : « بعمياء » ، أى بحالةٍ عمياء ، من عَمِىَ عليه الأمر ، إذا التبَس . وحتّى بمعنى إلى .

٤٧١

وقوله : « كما تفعَلُ العشواء » وهى الناقة التى لا تبصر أمامَها فهى تخبِط بيدها كلَّ شئ . وقوله : « تركبُ رأسها » ، فى المصباح : وركب الشخصُ رأسَه ، إذا مضى على وجهه لغير قصد . ومنه راكبُ التَّعاسِيف وهو الذى ليس له مَقصِدٌ معلوم [١] .

والمُعْوِر : اسم فاعل من أعورَ لك الصيدُ ، إذا أمكنك . وأعور الفارسُ ، إذا بدا فيه موضعُ خَللٍ للضَّرب ، وهو بالعين المهملة . قال ابن الأعرابى : أى هى عَشواء تُبرز جنباً مكشوفا لأعدائها فيرمُونها . انتهى .

زيادة بن زيد

وزيادة بن زيد شاعرٌ إسلامى من بادية الحجاز ، من بنى عُذْرة ، كان فى أيام مُعاوية بن أبى سفيان ، وقتله هُدْبَةُ بن خَشْرم العُذْرىّ ، وقُتل به هدبةُ بسببٍ ذكرناه فى ترجمة هدبة ، فى الشاهد الخمسين بعد السبعمائة [٢] .

* * *

---

(١) إلى هنا ينتهى نص المصباح (ركب) .
(٢) الخزانة ٩ : ٣٣٥ – ٣٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانىَ عشَرَ بعد التِّسعمائة [١] :

٩١٢ (كأنَّ دِثاراً حَلَّقَتْ بلَبونِـه عُقابَ تَنُوفَى لا عُقابُ القَوَاعِلِ)

على أنَّ فيه ردًّا على الزَّجَّاجىِّ فى منعه مجىء (لا العاطفة) بعد الفعل الماضى .

قال الخفّاف [٢] (فى شرح الجمل الزَّجاجيَّة) : اختلفوا فى العطف بلا بعد الماضى نحو قولك : قام زيد لا عمرو ، فمنهم من أجازَ ذلك وهم جُلُّ النحويِّين . ومَنهم مَن منع ذلك ، وإليه ذهب أبو القاسم الزجّاجى (فى معانى الحروف) ، واستدَلَّ على ذلك بأنّ لا لا يُنفَى الماضى بها ، وإذا عطف بها بعده كانت نافيةً له فى المعنى ، فلذلك لم يجز العطفُ بها بعد الماضى ، لأنَّك إذا قلت : قام زيد لا عمرو ، كأنك قلت : لا قام زيد ولا عمرو ، وهذا لا يجوز ، فكذلك ما فى معناه . والذى يدلُّ على فساد ما ذهَبَ إليه أنّه قد يُنفَى بها الماضى قليلاً ، نحو قوله تعالى : ﴿ فلا صَدَّق ولا صَلَّى [٣] ﴾ يريد : لم يصدِّق ولم يُصلِّ . فإذا جاز أن يُنفى بها الماضى فى اللفظ فالأحرَى أن تكون نافيةً له فى المعنى . وممَّا ورد من العطف بها بعد الماضى قولُه :

* كأنّ دِثاراً حلَّقت بلبونه * ... البيت .

فعطف بها بعد حَلّقت وهو ماضٍ . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لامرىء القيس الكِندىّ ، وهى :

---

(١) مجالس ثعلب ٤٦٦ والخصائص ٣ : ١٩١ والمغنى ٢٤٢ ، ٥٣٢ والعينى ٤ : ١٥٤ والتصريح ٢ : ١٥٠ والأشمونى ٣ : ١١١ وديوان امرىء القيس ٩٤ .

(٢) هو أبو بكر بن يحيى بن عبد الله الجذامى المالقى ، تلميذ الشلوبين ، له شرح كتاب سيبويه ، وشرح إيضاح الفارسى ولمع ابن جنى وغير ذلك . توفى بالقاهرة سنة ٦٥٧ . بغية الوعاة ٢٠٧ .

(٣) الآية ٣١ من سورة القيامة .

أبيات الشاهد

(دَع عنكَ نَهْباً صِيحَ فى حَجَراتِهِ ولكنْ حديثاً ما حديثَ الرَّواحِلِ
كأنَّ دِثاراً حلّقت بلَبُونِهِ عُقابُ تنوفَى لاعقابُ القواعِلِ
تلعَّبَ باعثٌ بذمَّة خالد وأودى دِثارٌ فى الخطوب الأوائلِ [١]
وأعجبنى مَشْىُ الحُزُقَّة خالدٍ كمَشى الأتان حُلِّئت بالمناهلِ
أَبَتْ أجأ أنْ تُسلِم العامَ جارَها فمن شاء فلينهضْ لها من مُقاتِلِ
تَبِيتُ لَبُونى بالقُرَيَّة أُمَّناً وأَسْرَحُها غِبًّا بأكناف حائلِ
بنو ثُعَلٍ جيرانُها وحُماتُها وتُمنَعُ من رجالِ سعد ونائل [٢]
تُلاعِبُ أولادَ الوُعول رِباعُها دُوَينَ السَّماء فى رءُوسِ المَجادِلِ
مُكلَّلةً حمراءَ ذاتَ أسِرّةٍ لها حُبُكٌ كأنَّها من وصائلِ)

٤٧٢

وسببها أنّ امرأ القيس بعد أن قُتِلَ أبوه ، ذهب يستجير بالعرب ، فبعضٌ يقْبله وبعضٌ يردُّه ، فطمعت فيه العرب . وفى أثناء ذلك نزل على خالد بن سَدوس ابن أصمع [٣] النَّبْهانى الطائى ، فأغار عليه باعث بن حُوَيْصٍ الطائىُّ وذهبَ بإبله ، فقال له جاره خالد : أعطِنى صنائعك ورَواحلَكَ حتَّى أطلب عليها مالَكَ . ففعل امرؤ القيسِ ، فانطوَى عليها ، ويقال بل لحق بالقوم فقال لهم : أغرتم على جارى يا بنى جديلة . قالوا : والله ما هو لك بِجار . قال : بلى والله ، ما هذه الإبل التى معكم إلاّ كالرواحل التى تحتى . فقالوا : هو كذلك . فأنزلوه ، وذهَبوا بها . فقال امرؤ القيس فيما هجاه به : « دع عنك نهباً » البيت . يقول لخالد : دع النَّهب الذى نَهَبَه باعث ، ولكن حدِّثنى عن الرَّواحِلِ التى ذهَبْتَ بها

(١) فى الديوان : « وأودى عصام » .

(٢) فى الديوان : « من رماة سعد » .

(٣) فى هامش ش مع علامة تصحيح : « أصبغ » ، لكن الصواب ما فى ط ، وهو المطابق لما فى الجمهرة ٤٠٤ والاشتقاق ٢٣٦ ومختلف القبائل ٤ .

أنت . وهذا البيت صار مثلاً يُضرَب لمن ذهب من ماله شىءٌ ، ثم ذهبَ بعده ما هو أجلُّ منه .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) :

أحدهما : فى عن ، قال : إنّها تأتي اسماً بمعنى جانب فى ثلاثة مواضعَ ، ثالثُها : أن يكون مجرورها وفاعل متعلَّقها ضميرين لمسمًّى واحد . قاله الأخفش ، وذلك كقول امرئ القيس : « دعْ عنك نهباً » ، البيت ، وذلك لئلاّ يؤدِّىَ إلى تعدِّى فعل المضمر المتّصل إلى ضميره المتّصل . وقد تقدَّم الجواب عن هذا . ومما يدلّ على أنّها ليست هنا اسماً أنَّها لا يصحُّ حلول الجانب محلَّها . انتهى . يريد تقدَّمَ الجواب فى على بأنّه متعلِّق بمحذوف ، أو فيه مضاف محذوف ، أى عن نفسكَ .

والموضع الثانى فى أوّل الباب الخامس ، أورده كالأوّل .

والنهب : الغنيمةُ وكلُّ ما انتِهب . وهو على حذف مضاف ، أى ذِكْر نَهبٍ . و « صيِحَ » : مجهول صاح ، وفى حَجراته نائب الفاعل [1] . والحجَرات ، بفتح الحاء المهملة والجيم : جمع حَجْرة بسكون الجيم ، كتَمَرات جمع تَمْرة . والحَجْرة : الناحية ، والجملة صفة نَهْب ، أى صِيَح عليه فى حجراته . و « حديثاً » عامله محذوف ، أى ولكنْ حدِّثنى حديثا . وما استفهامية مبتدأ وحديثُ خبره . يقول : اترك ذكر الذى انتهبه باعثٌ وحدِّثنى عن الرواحل التى أنتَ ذهبت بها . وقد أخطأ ابن المُلاَّ من جهة المعنى والإعراب فى قوله : أى اتركْ نهبَ المال واشتغلْ بأمر النساء ذوات الرواحل . وما زائدة ، وحديثَ الرواحل بدل من حديثاً بدلَ معرفة من نكرة . انتهى .

---

(١) ش : « نائب فاعل »

وقوله : (كأنَّ دثاراً حلَّقَت) إلخ دِثار هو راعى امرئ القيس ، وهو دثار ابن فَقْعَس بن طَرِيف ، من بنى أسد . وحَلّقت من التحليق ، وهو ارتفاع الطَّير فى الجوّ . و (اللَّبون) بفتح اللام وضم الموحدة من الإبل والشاة : ذات اللبن . وأراد الإبلَ التى لها ألبانٌ ، وهو اسم جنسٍ مضافٌ فيعمّ ، فيكون المراد الأفراد . قال الدمامينى : قلت : وبتقدير أن يكون اضافةُ اسمِ الجنس تفيد العموم لم يتعيَّنْ أن يكون هذا مرادَ الشاعر ، إذْ يحتمل أن يكون المراد بلبونه واحِدةً [١] لا غير ، وليس فى اللفظ ما يدفعه ، فأين الجزْم بالعموم ؟ انتهى .

وهذا إيرادٌ منه على قول ابن هشام (فى المغنى) على البيت : « واللبون : نوقٌ ذات لبن [٢] » . وهذا ناشئٌ من عدم الاطِّلاع على منشأ الشعر . و (العُقاب) بالضم : طائر معروف . و (تُنُوفَى) بفتح المثناة الفوقية وضم النون وبعد الواو فاء فألف مقصورة . وروى أيضا (ينوفى) بالمثناة التحتية من أوله . وروى أيضا (تنوف) بالوجهين من أوَّله [٣] وبلا ألف فى آخره . هكذا ضبطه أبو عبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) عند ذكره القواعل ، وقال : تنوفى ، أى جبل مشرف ، وقال الأصمعى : هو موضع ببلاد طيّئ . وقال ابن جنّى : عقَبة مشهورة ، سمِّيت بالنَّوف وهو ما علا من الأرض ، وامرأة نِيَافٌ أى طويلة ، قلبت الواو ياء . والقواعل بفتح القاف وكسر العين المهملة على لفظ الجمع : أجبُلٌ من سَلْمَى فى بلاد طيِّئ . انتهى .

٤٧٣

و (فى معجم البلدان لياقوت) قال ابن الكلبى : القَواعل : موضع فى جبل . وكان قد أغير على إبل امرئ القيس ممَّا يلى تَنُوف . وروى أبو عبيد :

---

(١) ط : « واخده » صوابه فى ش .
(٢) فى المغنى ٢٤٢ : « ذوات لبن » .
(٣) أى بالتاء والياء أيضا .

تنوفا . وقالوا : هو موضعٌ ، وهو جبل عال . قال الأصمعى : القواعل واحدتها قاعلة ، وهى جبال صغار . وقيل : القواعل جبل دُونَ تَنُوفى . انتهى .

وفى (شرح أبيات المغنى للسيوطى) : تنوفى بفتح المثناة الفوقية : جبل عال . والقواعل : جبال صغار . وفى أمالى ثعلب القَوعلة والقيعلة والجمع قواعل ، وأنشد البيتَ . قال ابن الكلبى : أخبث العِقبان ما أوَى فى الجبال المشرفة . وهذا مثلٌ . أراد كأنَّ دثارا ذهبت بلبونه ذاهبةٌ ، أى آفة . وأراد أنّه أُغِيرَ عليه من قِبَلِ تنوفى . انتهى .

وكذا قال العينى .

وقضيّة صاحب القاموس أنّه بالمدّ ، لأنّه قال : وتنوفاء كجلولاء : ثنيَّةٌ مشرِفة قُربَ القواعل . ويقال ينوفاء بالتحتيَّة ، فيكون محله ن و ف . وقال فيها : وينوفى أو تنوفي أو تنوف : موضع بجبلَىْ طيىء . انتهى .

ولم يضبطه أحدٌ بالمدّ ، وإنمّا هو شيءٌ قاله ابن جنِّى بحثاً كما يأتى .

وتنوفى من الأوزان التى استدُرِكت على سيبويه بأنّه لم يذكرها . والأوزان التى استُدْرِكَتْ عليه ثمانية وخمسون وزناً ، على ما ذكرها ابن جنى (فى الخصائص) ، وأجاب عنها واحداً بعد واحد . قال : وأمَّا تنوفى فمختلَفٌ فى أمرها ، وأكثر أحوالها ضعفُ روايتها والاختلافُ الواقع فى لفظها ، وإنَّما رواها السكرى وأسنَدَها إلى امرىءِ القيس [1] فى قوله :

* عُقاب تنوفَى لا عُقابُ القواعِلِ *

والذى رويته عن أحمد بن يحيى :

---

(١) ط : « وأنشدها لامرىء القيس » ، وصواب النص من ش والخصائص ٣ : ١٩١ .

* عُقاب تنوفٍ لا عقابُ القواعلِ *

وقال : القواعل : آكام حولها . وقال أبو حاتم : هى [١] ثنية طىّ . وكذا رواها ابنُ الأعرابىّ ، وأبو عمرٍو الشّيْبَانى . وروايةُ أبى عبيدةَ « تنوفى » . وأنا أرى أنّ تنوف ليست فعولاً بل هى تَفعُل من النَّوف ، وهو الارتفاع ، وسمِّيت بذلك لعلوّها . ومنه : أناف على الشئ ، إذا ارتفع عليه . والنيِّف فى العدد من هذا . وتنوفُ فى أنّه علَمٌ على تَفعُل بمنزلة يشكر ويَعصُر . وقلت مرّةً لأبى على ، وهذا الموضعُ يُقرَأ عليه (من كتاب أصول أبى بكر) : يجوز أن يكون تَنوفى مقصورة من تَنوفاء ، بمنزلة بَرُوكاء . فسَمِع ذلك وعرف صحَّته . وكذلك القول عندى فى مَسُولَى فى بيت المرَّار :

فأصبحتُ مهموماً كأنَّ مطيَّتِي بحيثُ مَسُولى أو بَوجْرَةَ ظالع [٢]

ينبغى أن تكون مقصورة من مَسُولاء بمنزلة جَلُولاء . فإن قلت : فإنَّا لم نسمع بتنوفى ولا بمَسُولى ممدودين ، ولو كانَا أو أحدُهما ممدوداً لخرج ذلك إلى الاستعمال . قيل : ولم يكثُر أيضا استعمالُ هذين الاسمين ، وإنما جاءا [٣] فى هذين الموضعين . بل لو كَثُر استعمالهما مقصورين لصحَّ ما أوردته [٤] ، فإنّه يجوز أن يكون ألف تنوفى إشباعاً للفتحة ، لا سيما وقد رويناه تَنوفَ مفتوحاً كما ترى ، وتكون هذه الألف ملحقةً مع الإشباع لإقامة الوزن . ألا تراها مُعادِلةً لياء مفاعيلن ، كما أنّ الألف فى قوله :

٤٧٤

---

(١) ط : « فى » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٢) فى النسختين : « طالع » بالطاء المهملة ، والصواب من الخصائص ومعجم ياقوت ، ومن ش مع أثر تصحيح . والبيت رابع أبيات ثلاثة فى معجم البلدان . والظالع من الظلع ، بالفتح ، وهو عرج يسير .

(٣) ط : « جاء » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٤) فى الخصائص : « لصح ما أردته ولزم ما أوردته » .

* يَنْباعُ من ذِفْرَى غَضوب جَسْرَةٍ [1] *

إنَّما هى إشباعٌ للفتحة طلباً لإقامة الوزن . ألا ترى [2] أنَّه لو قال يَنبَع من ذِفرَى لصحَّ الوزن ، إلاَّ أنّ فيه زحافاً هو الخَزْل . كما أنّه لو قال تنوف لكان الجزء مقبوضاً . فالإشباع فى الموضعين إذَنْ إنَّما هو مخافةَ الزحاف الذى مثلُه جائزٌ . انتهى كلامه . هذا وقد رُوِى أيضا:

* عُقاب مَلاعٍ لاعقابُ القواعِلِ *

والمَلاَع بفتح الميم وبالعين المهملة ، قال صاحب الصحاح : هى المفازة التى لا نباتَ بها . ومن أمثالهم : « أودت به عُقابُ مَلاَع [3] » ، قال أبو عبيدة : يقال ذلك فى الواحد والجمع ، وهو شبيه بقولهم : « طارت به العَنْقاء » ، و « حلَّقت به عَنْقاء مغرب » . وفى القاموس : المَلاَع كسحاب : المفازة لا نبات بها ، وكقطام وسحاب ، وقد يمنع . وأرض أُضيفت إليها عقاب فى قولهم : أودت به عقاب مَلاعٍ ، أو مَلاعٌ من نعت العقاب ، أو عقاب ملاع هى العُقَيِّب التى تصيد الجُرذان ، فارسيَّته : موش خوار . انتهى .

وقال ابن دريد : الملع : السرعة . وعقاب مَلاع : سريع [4] ، وأنشد :

* عُقاب مَلاعٍ لا عقاب القواعل *

---

(١) صدر بيت لعنترة فى معلقته . وعجزه :

* زيافة مثل الفنيق المكدم *

(٢) ط : « تراه » ، وصواب النص من ش والخصائص .

(٣) الدرة الفاخرة لحمزة ١ : ٧٧ وجمهرة العسكرى ١ : ٢٣٩ والميدانى والمستقصى ١ : ٢١ واللسان (ملع ٢١٩ قعل ٧٧) .

(٤) فى اللسان : « العُقاب مؤنثة وقيل العُقاب يقع على الذكر والأنثى ، إلا أن يقولوا : هذا عُقابٌ ذكرٌ » .

قال : وتفسير هذا البيت أنّ العقاب كلَّما عَلتْ فى الجبل كان أسرعَ لانقضاضها . يقول : هذه عقاب ملاع ، إذ العالى يَهوِى من علوِّه ، وليست بعقاب القواعل ، وهى الجبال الصغار . انتهى .

وقال حمزة الأصفهانى (فى أمثاله) : أبصر من عُقاب مَلاع ، قال محمد ابن حبيب : مَلاَع : اسم هَضْبة . وقال غيره : اسم الصَّحراء . ويقال للأرض المستوية الواسعة : مَلاع [١] . قال الشاعر :

كأنَّ دِثاراً حلّقت بلبونه * ... البيت .

وقال الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) : أبصر من عُقابٍ مَلاعٍ ، بالوصف ، ويروى : من عُقابِ مَلاعٍ بالإضافة . ومَلاعِ كقطام : الصَّحراء . وعقابُها أبصر من عُقاب الجبل . قال امرؤ القيس : « كأنّ دِثاراً حلَّقت » البيت . والقواعل : رءُوس الجبال . وقيل : مَلاع صفةٌ لها من المَلْع وهو السُّرعة . وليس بوجهٍ فى البيت ، لقوله : « لا عقاب القواعل » . ويجوز أن تكون غير منصرفة ، وعلى هذا تنوِّن فى البيت ، لأنّ غير المنصرف سائغٌ صرفهُ فى الشِّعْر ، ولا يستحسن إيثار منع الصرف مع القبض على سلامة الجُزء مع الصَّرف [٢] وبصَرُ العُقاب أنهّا تعرف من الجوّ أنثى الأرانب [٣] من ذكرها فتخطَفُها ، لأنّ الذكر يَلتوى على عُنقها فيقتلُها . ومدح أعرابىٌّ رجلا فقال : « هو أصحُّ بصراً من العقاب ، وأيقَظُ عيناً من الغراب ، وأصدَق حسًّا من الأعراب » . انتهى .

---

(١) هذا تصرف من البغدادى . والذى فى كتاب حمزة : « ويقال للأرض المستوية الواسعة ميلع وصيلع أيضا » .

(٢) فى المستقصى : « مع الصرف هاهنا » .

(٣) هذا ما فى المستقصى . وفى النسختين : « الأرنب » .

وقوله : « وأعجبنى مَشْىُ الحُزُقَّةِ خالدٍ » إلخ الحُزُقَّة بضم الحاء المهملة والزاى المعجمة وتشديد القاف ، وهو القصير العظيمُ البطن . وخالدٍ بالجرّ : عطفُ بيانٍ له .

وقال العينى : الحُزُقَّة لقبٌ ، ويقال ضَرْبٌ من المشْى . فمن جعله ضربا من المشى نصبَه ، ومن جعله لقباً رفَعه . انتهى .

ولم أفهم معناه ، على أنّ الحزقّة لم أره بمعنى المَشْى .

وحُلِّئَتْ بالبناء للمفعول،من حُلّئت الإبل عن الماء تَحلِئةً بالهمز ، إذا طرَدْتَها عنه ومنعتَها أن ترِدَه . والأُتان : أنثى الحمار شبَّهه بها تحقيراً له . والمناهل : جمع منهل كجعفر : المورد ، وهو عينُ ماءٍ ترده الإبل . كذا فى المصباح . ٤٧٥

وقوله : « أبَتْ أجأ » إلخ أجَأٌ بالهمز : جبل . وجاء فى الشعر غير مهموز . قال العجّاج :

فانْ تصِرْ لَيْلَى بسَلْمَى أو أجا أو باللِّوى أو ذى حُسًا أو ياجَجا [١]

وقال آخر [٢] :

إلى نَضَد من عبد شمس كأنَّهم هِضابُ أجاً أركانُهُ لم تَقَصَّفِ [٣]

(١) ديوان العجاج ٣٥٧ – ٣٥٨ . وفى الديوان : « يأججا » بالهمز . وضبطه ياقوت بالهمزة وجيمين .

(٢) أنشده ياقوت فى (أجأ) لبعض الأعراب .

(٣) البيت مع قرين له بعده فى معجم ياقوت ، وهو :

قَلامِسةٌ سادوا الأمور فأحكموا سياستها حتى أقرت لمردف

والنضد ، بالتحريك : جماعة القوم وأعدادهم ، وكذا الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف ، والجمع أنضاد .

ومن العجائب قول العينى [١] : أجأ [٢] أحد جبلى طيىء ، وهو مؤنّث ، ومن العرب من لا يهمزه ، وكذا هنا للضَّرورة . انتهى . ولا يخفى أنّه لا يتّزِنُ البيتُ إلاّ بالهمزِ .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : أَجأ بوزن فَعَل بالتحريك مهموز مقصور ، والنسبةِ إليه أَجَئِىٌّ بوزن أَجَعِىّ . وهو عَلَم مرتَجَلٌ لاسمِ رجل سمِّى به الجبل . ويجوز أن يكون منقولا ، ومعناه الفِرار ، كما حكى ابنُ الأعرابىّ : أجأَ الرجلُ ، إذا فرّ [٣] . قال الزَّمخشرى : أجأ وسلمى : جبلان عن يسار سَمِيرَاء . وقد رأيتُهما ، شاهقان . ولم يَقُلْ عن يسار القاصد إلى مكة أو المنصرِف عنها . وقال أبو عُبيدٍ السَّكونى : أجأ : أحد جبلَىْ طَيِّىء ، وهو غربىٌّ فيدٍ إلى أقصى أجأ وإلى القُرَيَّات من ناحية الشام . وبين المدينة والجبلين على غير الجادَّة ثلاثُ مراحِل . وبين الجبلين وتَيماءَ جبالٌ ، منها دَبَر ، وعِرْنان [٤] ، وغَسَل [٥] وبين كل جبلين يومٌ ، وبين الجبلين وفَدَك ليلة ، وبينهما وبين خَيبر خمسُ ليال .

---

(١) تجد هذا القول للعينى فى كتابه ٣ : ٣١٠ عند الكلام على هذا البيت بخاصة .

(٢) وليزيد العجبُ ، أذكر أن نص العينى « أجاء بالمد » فى بعض أصول العينى ، وفى بعضها الآخر : « أجا بالمد » ، وهو صواب نص العينى . ويقصد به مدّ الجيم بالألف التى بعدها .

(٣) فى النسختين : « معناه القرار ، كما حكى ابن الأعرابى : أجا الرجل إذا قر » ، صوابه فى معجم البلدان . وانظر اللسان (أجأ) .

(٤) عرنان ، بالكسر : جبل بين تيماء وجبلى طيىء . وكذا « دبر » بالفتح جبل بين تيماء وجبلى طيىء ، فيما روى السكونى فيهما . وفى ط : « وعنانى » صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى معجم البلدان محرفا : « وغريان » .

(٥) غسل ، بالتحريك : جبل بين تيماء وجبلى طيىء ، كما فى معجم ياقوت . وفى النسختين : « عسل » وضبطها الشنقيطى بكسر العين . والصواب ما أثبت من معجم ياقوت فى (أجأ) . و « غسل » بالغين المعجمة لا بالعين المهملة .

ذكر العلماء بأخبار العرب أنّ أجأ سمِّى باسم رجل ، وسلمى سمِّىَ باسم امرأة . وكان من خبرهما أنَّ رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبد الحَى ، عشِق امرأة يقال لها سَلمى ، وكان لها حاضنةٌ يقال لها العوجاء ، فكانا يجتمعان فى منزلها حتى نَذِرَ بهما إخوةُ سلمى [١] وهم : الغميم ، والمُضِلّ ، وفدك ، وقائد [٢] والحدَثَان ، وزوجُهَا . فخافت سَلمى وهربت هى وأجأ والعَوجاء ، وتبعهم زوجُها وإخوتُها فلحقوا سَلمى على الجبل المسمَّى سلمى ، فقتلوهَا هناك ، فسمِّىَ الجبلُ باسمها . ولحقوا العَوجاء على هَضْبة بين الجبلين فقتلوها هناك ، فسمِّى المكانُ بها ، ولحقوا أجأ فى الجبل المسمِّى باجأً فقتلوه فيه فسمِّى به ، وأنِفُوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فصار [٣] كلُّ واحدٍ إلى مكانٍ فأقام به ، فسمِّى ذلك المكانُ باسمه .

قال عبيد الله ياقوت : وهذا أحدُ ما استَدلَلْنا به على بُطلان ما ذكره النحويُّون من أنّ أجأ مؤنثّة غير منصرفة ، لأنَّه جبل مذكور سمِّىَ باسم رجل ، وهو مذكّر . وكان غاية ما التزموا به قولُ امرىء القيس :

أَبَتْ أجأٌ أن تُسلِمَ العامَ ... البيت .

وهذا لا حجَّة لهم فيه ، لأنّ الجبل نفسَه لا يُسلِم أحدًا ولا يُسْلَم ، إنَّما يمنع [مَنْ [٤]] فيه من الرجال . فالمراد : أبت قبائل أجأ أو سُكّان أجأ ، وما أشبهه ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه . يدلُّ على ذلك عجزُ البيت ، وهو قوله :

---

(١) نَذِروا بهما ، أى علموا . يقال أنذرتهم فنذروا بفتح النون وكسر الذال .

(٢) فى النسختين : « قائد » بالقاف ، صوابه فى معجم البلدان فى (أجأ) وفى (فائد) فى باب الفاء .

(٣) ياقوت : « فسار » .

(٤) التكملة من ش ومعجم ياقوت .

* فمن شاء فلينَهضْ لها من مُقاتِلِ *

والجبل نفسُه لا يُقاتِل ، والمقاتَلة مفاعَلة ، ولا تكون من واحد . ووقف على هذا مِنْ كلامنا نحوىٌّ من أصدقائنا ، وأراد الاحتجاج والانتصارَ لقولهم ، فكان غايةُ ما قاله أنَّ المعاملة فى التذكير والتأنيث مع الظاهر ، وأنت تراه قال : « أبَتْ أجأ » فالتأنيث لهذا الظاهر ، ولا يجوز أن يكون للقبائل المحذوفة . فقلت له : هذا خلافُ كلامِ العرب ، ألا ترى إلى قول حَسّان :

٤٧٦ يَسقُونَ مَن وَرَدَ البريصَ عليهم بَرَدَى يُصفَّقُ بالرَّحيق السَّلسَلِ(١)

لَم يَرْوِ أحدٌ قطُّ « يصفَّق » إلاّ بالياء آخرِ الحروف ، لأنّه يريد يُصفق ماء بَرَدَى ، فردَّه إلى المحذوف وهو الماء ، ولم يردَّه إلى الظاهر وهو بَرَدَى . ولو كان الأمر على ما ذكرتَ لقال تصفّق ، لأنَّ بَرَدَى مؤنّث لم يجئ على زِنته مؤنّث قطّ . وقد جاء الردُّ على المحذوف تارة وعلى الظاهر أخرى ، فى قوله عز وجل : ﴿ وكَمْ مِنْ قَريةٍ أهلكناها فجاءَها بأسُنَا بيَاتاً أو هُمْ قائلون (٢) ﴾ ألا تراه قال : فجاءها ، فردّ على الظاهر ، وهو القرية ، ثم قال : أو هم قائلون ، فردَّ على أهلها وهو محذوف . وبعدُ فليس ههنا ما يتأوّل به التأنيث إلاّ أنْ يقال إنّه أراد البقعة ، فيصِير من باب التحكّم ، لأنَّ تأويله بالمذكَّرِ ضرورى ، لأنّه جبل ، والجبل مذكّر ، وإنّما سمِّى باسم رجلٍ بإجماع . ولو سألتَ كلَّ أعرابّيٍ عن أجأ لم يقل إلاّ : إنَّه جبل ، ولم يقل بقعة . ولا مستنَد للقائِل بتأنيثه البتّة . ومع هذا فإنّنى إلى هذه الغاية لم أقفْ للعرب على شعرٍ جاء فيه أجأ غير منصرف ، مع كثرة استعمالهم لتركِ صرفِ ما ينصرف فى الشعر ، ثم إنّى وقفتُ بعد ما سَطَرته على جامعِ شعر امرئ القيس

---

(١) ديوان حسان ٣٠٩ . وقد سبق فى ٤ : ٣٨١ وهو الشاهد ٣١٥ .

(٢) الآية ٤ من سورة الأعراف .

وقد نصَّ على ما قلته ، وهو أنّه قال : أجأ موضع ، وهو أحد جبلَى طيِّىء ، والآخر سَلْمَى . وإنمّا أراد أهل أجأ كقول الله : ﴿ واسئَل القريَةَ [١] ﴾ ، يريد أهل القرية . ثم وقفتُ على نسخة أخرى فيها :

* أرى أجأ لم يُسلِم العامَ جاره *

قال : المعنى أصحابُ الجبل لن يسلموا جارَهم [٢] . انتهى كلام ياقوت .

وقوله : « أنْ تُسلِم » من أسلمه أى خذله . والجار هنا : المستجير والنزيل . وهذا حثّ منه وإغراءٌ للقيام بنصـرته وتخليصِ ما ذَهَب من إبله . و « مِن مقاتل » بيان لمن شاء .

وقوله : « تبيت لَبونى » إلخ هذا تصويرٌ لما إليه تَئُولُ حالُ إبله بعد إعانتهم له . و « القُرَيَّة » على لفظ مصغر القرية ، وهو موضع . و « أُمَّن » : جمع آمنة . هذا إن كان بضم الهمزة وتشديد الميم ، وإن كان بوزن اسم الفاعل فالمعنى إنّا أمِنّا عليها . و « أسرحُها » من سَرَحت الإبل ، من باب نفع ، أى جعَلتُها [٣] ترعى . ومثله سرَّحتها تسريحا . ويقال : سرَحَت الإبلُ سَرْحا وسُروحا ، إذا رعَتْ بنفسها ، يتعدّى ولا يتعدّى . وغِبًّا : يوما بعد يوم . والأكناف : النَّواحى . وحائل بالحاء المهملة والهمزة : اسم جبل .

وقوله : « بنو ثُعَل جيرانُها » ثُعَلُ ، بضم المثلثة وفتح العين المهملة : حيٌّ من طيىء . و « نابل » بالنون والموحَّدة . وروى بالهمزة . ونابلٌ وسعدٌ : حيَّان من طيىء .

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٢) فى معجم البلدان : « لم يسلموا جارهم » .

(٣) ط : « جعلها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقوله : « تلاعبُ أولادَ الوعول » مفعول ، و « رباعُها » فاعل ، وهو جمعُ رُبَع بضم ففتح ، وهو ما نُتج فى الربيع . والوَعِل : تيسُ الجبل . يريد أنّ أولاد إبله تلاعب أولادَ الوعول وتَرعى معها للأَمْن . و « المعاقل » : الجبال ، وروى بدله : « المجادل » بالجيم ، الواحد مِجْدل ، وهو القَصْر (١) ، وأراد بها الجبال . قاله العينى .

وقوله : « مكلَّلة » أى هذه المعاقل والجبال مكلَّلة بالصخور . والأَسِرَّةُ : الطُّرُق ، جمع سِرار بالكسر . والحُبُك بضمتين : الطرائق . والوصائل : جمع وصيلة ، وهو ثَوْب أمعر الغَزْل (٢) فيه خطوط . وقال السُّيوطىُّ : المَجَادل : الجبال العالية . ومكلَّلة : مغطّاة . والأَسرَّة : الطرائق ، وكذلك الحُبُك . والوسائل : ثيابٌ حُمر مخطَّطة .

وترجمة امرىء القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب (٣) .

* * *

٤٧٧ وأنشد بعده :

(إنمَّـا يَجـزِى الفَتـى ليسَ الجَمَـلْ)

هو عجز وصدره :

(فإذا أقـــرضْتَ قَرضاً فاجـــزِهِ)

---

(١) القصر المُشرِف . والمِجدل بكسر الميم .

(٢) يريد بالأمعر أنه أملس لا زِئْبَر له . ومن قولهم : رجل أمعر قليل الشعر ، ومكان أمعر : قليل النبات .

(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

على أنَّ بعضهم قال : (ليس) فيه عاطفة . والظاهر أنَّها على أصلها ، أى ليس الجمل جازياً . والأول مذهب البغداديِّين ، احتجُّوا بهذا البيت على أنَّ ليس عاطفة ، قالوا : كما تقول : قام زيدٌ ليس عمرو ، فعمرو معطوف على زيد بليس ، كما تقول : قام زيدٌ لا عمرو . فليس محمولة على لا فى العطف .

قال أبو حيان : وحكى النَّحَّاس وابن بابشاذَ هذا المذهب عن الكوفيِّين . وحكاه ابن عصفور عن البغدادِّيين. قال أبو العباس ثعلب (فى أماليه) : مررت بزيد ليس عمرٍو ، قال الكسائى : لا نُجيزه إلاَّ مع الباء . والفراء [لا [1]] يلزَمُه أن يقوله ، لأنَّ الكسائى يقول : الثانى محذوف مطلوب ، وإذا جاء الخفض لم يُحذف الخافض والفعل . والفرّاء يقول : إذا حسُنت ليس موضعَ لا جاز . وأنشد :

* إنّما يَجزِى الفَتَى ليس الجَمَلْ *

قال سيبويه : يقول [2] : ليس الجمل يجزى . فجعله فعلاً محذوفا واستراح . قال أبو العبّاس : وأول ما ينبغى أن نَقول للكسائى : لم حذفتَ الثانىَ وطلبتَه . انتهى كلامه .

ولا عندهم مخصوصة بعطف الاسم كما مُثّل . قال صاحب اللباب : ولا لتنفيَ ما وَجب للأوّل ، وتختصُّ بالاسم . وقد جعل ليس مرادفاً لها فى قوله :

* إنما يجزِى الفتى ليس الجَمَلْ *

والصحيح أنّه على أصله . انتهى .

وبقاؤها على أصلها يكون بأحد شيئين :

(١) التكملة من مجالس ثعلب ٥١٤ .

(٢) يقول ، أى الشاعر . ط : « تقول » ، صوابه فى ش .

الأوّل : ما أجاب بِه الشارح المحقق ، من أنّ الجَمَل اسمُها والخبر محذوف ، أى ليس الجمل جازياً ، أو ليس الجمل يَجزِى . والعرب قد تحذف خبر ليس فى الشعر ، كقوله :

لَهْفَى عليك لِلَهفةٍ من خائِفٍ يَبغى جِوارَك حين ليس مُجيرُ [١]

فليس فى هذا البيت ليست عاطفة باتفاق ، ولا يُتصوَّر العطف فيها ، وخبرها محذوف ، أى ليس مجيرٌ فى الدنيا .

والثانى : أن يكون الجَمَل خبر ليس ، وسكن للقافية ، واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يُجزى ، أى ليس الجازى الجمل . كذا فى شرح اللباب للفالى [٢] .

وهذا البيت من قصيدة للبيد ، وقد شرحنا منها جملةً فى الشاهد الرابع والأربعين بعد السبعمائة [٣] .

---

(١) لعبد الله بن أيوب التيمى ، فى رثاء منصور بن زياد . الحماسة ٩٥٠ بشرح المرزوقى ، ويروى أيضا لشمردل الليثى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣١٣ . وانظر الخزانة ٤ : ١٧١ .

(٢) ط : « للقالى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخزانة ٩ : ٢٩٧ — ٣٠٤ .

حـروف التنبيه

أنشد فيها :

(ألا رجلاً جَزَاهُ اللهُ خيراً)

على أنَّ (ألاَ) قد تجيء عند الخليل حرفَ تحضيض .

قال سيبويه (١) : وسألت الخليلَ رحمه الله عن قوله :

ألاَ رجلاً جزاهُ الله خيراً   يدُلُّ على محصِّلةٍ تبيتُ

فزعم أنَّه ليس على التمنّى ، ولكنه بمنزلة قول الرجل : فهلاَّ خيراً من ذلك ، كأنّه . قال : أَلاَ تُرُونَنى رجلاَ جزاه الله خيرا . وأمّا يونس فزعم أنّه نوَّنَ مضطرّاً . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصبُ رجل وتنوينه ، لأنّه حُمل على إضمار فعل وجَعْلِ ألاَ حرفَ تحضِيضٍ ، والتقدير : ألاَ تُرونني رجلاً . ولو جعلها ألاَ التى للتمَنِّى لنصَبَ ما بعدها بغير تنوين . هذا تقدير الخليل وسيبويه . ويونس يرى أنّه منصوب بالتمنى ، ونُوِّن ضرورة . والأوّل أولى لأنّه لا ضرورة فيه . وحروف التحضيض مما يحسُن إضمار الفعل بعدها . والمحصِّلة : الامرأة (٢) التى تحصِّل الذهب من تراب المعدِن وتخلّصه منه ، طَلَبها للمبيت .

٤٧٨

(١) سيبويه ١ : ٣٥٩ .

(٢) كذا فى النسختين . والذى فى الأعلم : « وأراد بالمحصلة امرأة تحصل الذهب » . وفى اللسان بعد الكلام على « امرؤ » : « وألحقُوا ألف الوصل فى المؤنث أيضا فقالوا امرأة ، فإذا عرّفوها قالوا : المرأة . وقد حكى أبو على : الامرأة » .

وفى البيت تضمينٌ ، لأنَّ خبر تُبيت فى بيتٍ بعده ، وهو :

تُرجِّل لِمَّتي وتقُمُّ بيتي   وأعطِيها الإتاوةَ إن رَضِيتُ

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث والستين بعد المائة [1] .

* * *

وأنشد بعده :

(تَعَلَّمَنْ ها لَعمرُ اللهِ ذا قسماً   فاقدُرْ بِذَرعِكَ وانظُرْ أين تنسلكُ)

على أنّه يفصل كثيراً بين ها التنبيه وبين اسم الإشارة بجملة القسم .

وهذا خلافُ ما تقدَّم منه فى باب اسم الاشارة ، قال هناك : ويُفصَل ها التنبيه عن اسم الاشارة بأنا وأخواتِه كثيراً ، نحو : هأنَذَا ، وبغيرها قليلٌ وذلك إمّا قَسَم ، كقوله :

* تعلمَنْ ها لعمرُ الله ذا قسماً *

أو غيرُ قسم كقوله :

* ها إنّ تا عِذرةٌ [2] *

ونحو :

* فقلت لهم : هذا لها ها وذاليا [3] * ... انتهى .

---

(١) الخزانة ٣ : ٥١ — ٥٥ .

(٢) هو الشاهد ٤١٣ فى الخزانة ٥ : ٤٥٩ ، وهو للنابغة . والبيت بتمامه :

ها إن تا عذرة إن لم تكن نفعت   فإنَّ صاحبها قد تاه فى البلدِ

(٣) هو الشاهد ٤١٤ فى الخزانة ٥ : ٤٦١ . وصدره :

* ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا *

وتقدّم هناك فى الشاهد الثانى عشر بعد الأربعمائة [١] نقلُ كلام سيبويه عند هذا البيت ، وليس فيه ما يدلُّ على كثرة وقلة .

قال الأعلم : الشاهد فيه تقديم ها التى للتنبيه على ذا ، وقد حال بينهما بقوله لعمر الله ، والمعنى لعمر الله هذا ما أقسم به . ونصب قسَمَا على المصدر المؤكِّد لما قبله ، لأنّ معناه [أُقسِمُ [٢]] ، فكأنه قال : أُقسِم لعمر الله قَسَماً . فذا عند الخليل هو المحلوف عليه ، فكأنّه قال : واللهِ الأمرُ هذا ، فحذف الأمر وقدَّم ها . وعند غيرِهِ المعنى : هذا ما أقسم به .

وتعلَّم بمعنى اعلَمْ ، لا يستعمل إلاَّ فى الأمر . وقوله : « فاقدُر بذرعك » أى قدِّر لخَطْوك . والذَّرْع : قَدرُ الخطو . وهذا مثَل ، والمعنى : لا تَكَلَّفْ ما لا تطيقُ منِّى . يتوعَّده بذلك ، وكذلك قوله : « وانظر أين تنسلك » . والانسلاك : الدُّخول فى الأمر . والمعنى : لا تُدْخِلْ نفَسك فيما لا يعنيك ولا يُجدِى عليك

* * *

وأنشد بعده :

(ها إنَّ تَاعِذرةٌ)

على أنّ الفصل بين ها وبين تا بإنَّ ، وهى غير قسم وغير ضمير مرفوعٍ منفصلٍ ، قليلٌ .

وهو قطعة من بيت ، وهُو :

(ها إنّ تا عِذرةٌ إن لم تكن نفعَتْ فإنَّ صاحبَها قد تاهَ فى البلدِ)

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٥١

(٢) التكملة من الشنتمرى ٢ : ١٤٥ . والنص مع هذا مبتور فى شرح الشنتمرى المطبوع على هامش سيبويه .

وتا اسم اشارة بمعنى هذه ، لمَا ذكره قبله فى القصيدة ، من يمينِه على أنَّه لم يأت بشيء يكرهه .

و (تا) مبتدأ و (عِذرةٌ) خبرها . وهى بكسر العين اسم للعُذر بضمها .
وقوله : (إنْ لم تكن) إلخ صاحبها أى صاحب العِذرة ، ويعنى به نفسَه . يريد إن لم تقبل عُذرى وترضَ عنِّى فإنِّى أختلُّ حتى إنِّى أضِلُّ فى البلدة التى أنا فيها ، لعظم الخَوف الذى حصلَ من وعيدك .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(فقلتُ لهمْ هذا لها ها وذَالِيَا)

لما تقدَّم قبله . وهذا عجزٌ وصدره :

(ونحن اقتسْمَنا المالَ نِصفَين بيننا)

٤٧٩ وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابعَ عشر بعد الأربعِمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(يا ربَّتما غارةٍ)

هو قطعة من بيت وهو :

(مَاوىَّ يا رُبَّتَمَــا غارةٍ شَعواءَ كاللَّذعَةِ بالمِيسَمِ)

---

(١) انظر ما سبق قريبا فى الحواشى .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٦١ .

على أنَّ « يا » فيه عند ابن مالك للتنبيه ، لدخولها على ما يفيد التقليل ، وهو ربّ [(١)] .

وفيه نظر ، لأنّ ربَّ فى البيت للتكثير لا للتقليل ، لأنّه فى مقام الافتخار والتمدُّح ، كما يأتى بيانه .

وما نَقَل عن ابن مالك هنا قاله فى باب تتميم الكلام على كلماتٍ مفتقِرةٍ [(٢)] إلى ذلك ، (من التسهيل) ، قال : وأكثر ما يلى يا نداءٌ أو أمرٌ أو تمنّ أو تقليل .

قال شارحه المرادىّ : يعنى بالنداء المنادى ، وأطلق المصنف على التى للنداء أنّها حرف تنبيه ، لأنَّها تنبيهٌ للمخاطب . وقد أشار إليه سيبويه . وكلامه هنا يدلُّ على أنّها إذا وليَها فعلُ أمر لا تكون للنداء ، بل لمجرد التنبيه . وهو خلاف ما قدَّمه فى باب النداء . وقد تدخل على الدعاء كقوله :

يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهمُ والصَّالحينَ على سِمْعانَ مِنْ جارِ [(٣)]

وعلى حبَّذا كقوله :

* يا حبَّذا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِن جبلٍ [(٤)] * ...انتهى .

وكلامه فى باب النداء أجْوَد ، قال فيه : وقد يحذف المنادى قبل الأمر

---

(١) الذى فى الرضى ٢ : ٢٥٤ : « وقد عد ابن مالك يا من حروف التنبيه وقال : وأكثر ما يليها منادى ، أو أمر نحو ألا يا اسجدوا ، أو تمن نحو : ياليتنى كنت معهم ، أو تقليل نحو : يا ربتما غارة . وقد يليها فعل المدح والذم والتعجب » .

(٢) أى مفتقرة ومحتاجة إلى تتميم الكلام عليها . وفى ط : « متفرقة » ، صوابه فى ش والتسهيل لابن مالك ٢٤٢ .

(٣) من شواهد سيبويه ١ : ٣٢٠ بولاق والكامل ٤٧ ، ٤٨ والإنصاف ١١٨ والمغنى ٣٧٣ . وهو مجهول القائل .

(٤) لجرير فى ديوانه ٥٩٦ . وهو من شواهد ابن يعيش ٧ : ١٤٠ والهمع ٢ : ٨٨ . وعجزه :

* وحبذا ساكن الريان من كانا *

والدعاء فتلزم يا . وإنْ وليَها ليت أو ربَّ أو حبَّذا فهى للتنبيه لا للنداء . انتهى

فيا إنَّما تكون عنده حرف تنبيه إذا وليَها أحدُ الثلاثة الأخيرة .

وقد شرح كلامه هذا (فى التوضيح [١]) شرحاً شافيا ، قال عند قول ورقة بن نوفل : « يا ليتنى أكون حَيّاً إذْ يُخرِجُك قومُك » : يظنُّ أكثرُ الناس أنَّ يا التى تليها ليت حرف نداء ، والمنادى محذوف ، فتقدير قول ورقة : يا محمدُ ليتنى كنت حيّاً ، وتقدير قوله تعالى : ﴿ ياليتَنى كنتُ مَعهُم [٢] ﴾ : يا قوم ليتنى . وهذا الرأى عندى ضعيف ، لأنَّ قائل يا ليتنى قد يكون وحدَهُ ، فلا يكون معه منادى لا ثابت ولا محذوف ، كقول مريم عليها السلام : ﴿ يا ليتَنى مِتّ قَبْلَ هذا [٣] ﴾ ، ولأنّ الشيء إنَّما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضعُ الذى ادُّعى فيه حذفُه مستعملاً فيه ثبوتُه ، كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء ، فإنّه يجوز حذفُه لكثرة ثبوته ، فإنَّ الآمِر والدَّاعىَ يحتاجان إلى توكيد اسم المأمور والمدعوّ ، بتقديمه على الأمرِ والدعاء . واستُعمِلَ ذلكَ [٤] كثيرا حتَّى صار موضعُه منبِّهاً عليه إذا حُذِف . فحسُنَ حذفُه لذلك .

فمن ثبوته قبل الأمر : ﴿ يآدمُ اسكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجَنّة [٥] ﴾ و ﴿ يا بنى إسرائيلَ اذكُروا نِعْمَتِىَ [٦] ، ﴾ و ﴿ يا بنى آدم خُذوا زِينَتَكم [٧] ﴾ ،

---

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ٤ – ٩ .
(٢) الآية ٧٣ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٣ من سورة مريم .
(٤) ط : « بذلك » ، صوابه فى ش والتوضيح .
(٥) الآية ٣٥ من سورة البقرة .
(٦) الآية ٤٠ من سورة البقرة .
(٧) الآية ٣١ من سورة الأعراف .

و ﴿ يإبراهيمُ أعْرِضْ عن هذا [١] ﴾ ، و ﴿ يا يحيى خُذِ الكتابَ [٢] ﴾ و ﴿ يا بُنَىّ أقِمِ الصّلاة [٣] ﴾ ، و ﴿ يأيُّها النبىُّ اتّقِ الله [٤] ﴾ .

ومن ثبوته قبل الدعاء : ﴿ يا موسى ادْعُ لنا ربّكَ [٥] ﴾ ، و ﴿ يأبانا استغفِرْ لنا [٦] ﴾ ، و ﴿ يا مالِكُ لِيَقْضِ علينا ربُّك [٧] ﴾ .

ومن حذف المنادى المأمور فى قراءة الكسائى : ﴿ ألاَ يا اسْجُدوا [٨] ﴾ أراد : ألا يا هؤلاء اسجُدوا . فحسَّنَ حذفَ المنادى قبل الأمر والدعاء اعتيادُ ثبوته فى محلّ ادعاء الحذف ، بخلاف ليت فإنّ المنادى لم تستعمله العربُ قبلها ثابتا . فادِّعاء حذفِه باطل ، لخلوِّهِ من دليل ، فيتعيَّن كون لا التى تقع قبلها لمجرد التنبيه ، مثل ألاَ وهَا ، ومثلُ يا الواقعة قبل ليت فى تجرُّدها للتنبيه الواقعةُ قبلَ حبَّذا ، فى قول الشاعر [٩] :

٤٨٠

يا حبَّذا جبلُ الرّيّانِ مِنْ جبلٍ ... وَحبّذا ساكِنُ الرّيَّانِ مَنْ كانا

وقبل ربِّ فى قول الراجز :

يا ربَّ سارٍ باتَ ما توسَّدا ... إلاّ ذراعَ العِيسِ أو كفَّ اليَدَا [١٠]

---

(١) الآية ٧٦ من سورة هود .

(٢) الآية ١٢ من سورة مريم .

(٣) الآية ١٧ من سورة لقمان .

(٤) الآية الأولى من سورة الأحزاب .

(٥) الآية ١٣٤ من سورة الأعراف .

(٦) الآية ٩٧ من سورة يوسف .

(٧) الآية ٧٧ من سورة الزخرف .

(٨) الآية ٢٥ من سورة النمل . وهى قراءة ابن عباس ، وجعفر ، والزهرى ، والسلمى ، والحسن ، وحميد ، والكسائى من السبعة . وقراءة باقى السبعة : « ألاّ يسجدوا » باللام المشددة والمضارع المنصوب بعدها بأن المدغمة فى اللام . وانظر باقى القراءات فى تفسير أبى حيان ٧ : ٦٨ .

(٩) هو جرير فى ديوانه ٥٩٦ من قصيدة طويلة يهجو بها الأخطل

(١٠) الرجز مجهول القائل ، وهو فى معجم الشواهد . وقد سبق فى ٧ : ٤٩٨ . وهو الشاهد ٥٦٧ . ويروى : « ذراع العنس » بالنون ، وهما روايتان صحيحتان .

انتهى كلامه باختصار .

وقوله : (ماوىَّ يا رُبَّتما غارةٍ) منادى مرخّم ماويَّة ، اسم امرأة . وما فى ربَّتما زائدة ، وغارةٍ مجرورة برُبّت . و (الشَّعْواء) بالعين المهملة : الغارة المنْتشِرة . واللَّذْعة بالذال المعجمة والعين المهملة : مصدر لذعَتْه النار ، أى أحرقَتْه . و (الميسم) : ما يُوسَم به البعير بالنار . وجواب رُبَّ فى البيت الذى بعده ، وهو :

ناهَبْتُها الغُنْمَ على طَيِّعٍ أجردَ كالقِدْح من السَّاسَمِ)

أى نهبتُ بالغارةِ الغنيمةَ على فرسٍ طيِّع مُنقادٍ لراكبه . والقدح بالكسر : السهمُ قبل أن يُراش . والساسَمُ : خشب الآبِنوس . وهذا كما ترى افتخارٌ لا يليق به القِلَّة . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الستين بعد السبعمائة [١] .

---

(١) الخزانة ٩ : ٣٨٤ — ٣٨٦ .

حروف الإيجاب

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد التسعمائة [١] :

٩١٣ (أليسَ اللَّيلُ يجمعُ أُمَّ عَمرٍو   وإيّانــا فذاكَ بنـا تَدانــي
نَعَـمْ وتَـرَى الهلالَ كما أراهُ   ويَعلُوها النَّهـارُ كما عَلاَني)

على أنّ (نَعَمْ) هنا لتصديق الخبر المُثْبَت المؤوَّل به الاستفهام مع النفى ، فكأنّه قيل : إن اللَّيل يجمع أمَّ عمرٍو وإيّانا نَعَمْ ، فإنّ الهمزة إذا دخلت على النافى تكون لمحض التقرير ، أى حَمْلِ المخاطَب على أن يقرَّ بأمرٍ يَعرفه ، وهى فى الحقيقة للإنكار . وإنكارُ النَّفيِ إثبات .

ومراد الشارح المحقِّق بهذا التوجيهِ والشاهدِ ، الردُّ على ابن الطَّرَاوة ، فى زعمه أنّ مجىء نعم بعد الاستفهام الداخل على النافى لحنٌ ، والواجبُ مجىء بَلَى ، فإنّه قد لحَّن سيبويه بمثله (فى باب ما يجرى عليه صفةُ ما كان من سببه) ، قال فيه : وإنْ زعم زاعمٌ أنّه يقول : مررت برجل مخالط بدنِهِ داءٌ ، ففرَقَ بينه وبين المنَوَّن . قيل له : ألستَ قد علمت أنّ الصّفة إذا كانت للأوّل فالتنوين وغير التنوين سواءٌ إذا أردتَ بإسقاط التنوين معنى التنوين ، نحو قولك : مررت برجل ملازمٍ أباك ، ومررت برجلٍ ملازمِ أبيك أو مُلازِمِك ، فإنّه لا يجد بُدّاً من أن يقول : نعم ، وإلاّ خالفَ جميعَ العرب والنَّحويِّين . فإذا قال ذلك قلت : أفَلستَ

---

(١) الشعراء ٤٤٢ وأمالى القالى ١ : ٢٨٠ والسمط ٦١٧ والمقرب ١ : ٢٩٤ والمغنى ٣٤٧ .

تجَعَل هذا العملَ إذا كان منوّنا وكان لشئ من سبب الأوّل أو التبَسَ [١] به بمنزلته إذا كان للأوّل ، فإنّه قائلٌ : نعم . انتهى كلامه [٢] .

قال أبو حيان (فى تذكرته) بعد أن نقل كلام سيبويه : قد لحَّن ابنُ الطَّراوة سيبويه فى استعماله نعم فى هذين الموضعين ، وقال إنمّا هو موضع بَلَى لا موضع نَعم . وهو كما قال فى أكثرِ ما يُوجَد من كلام النحاة ، وهو لا شكَّ أكثر فى الاستعمال ، وعلى ذلك جاء ما يروُون عن ابن عبّاس ، من قوله فى قول الله تعالى : ﴿ ألسْتُ بربِّكم [٣] ﴾ إنّهم لو قالوا نعم لكفَرُوا . ولكنْ قد يوجد مع ذلك خلافه . قال الشاعر :

٤٨١

* أليس اللَّيلُ يجَمعُ أُمَّ عمروٍ * ..البيتين .

ويفتقر كلام ابن عبّاس مع وجود قول هذا القائل إلى فَضْلِ نظر ، وهو أن يقول : (نعم) فى قول الشاعر ليس بجواب ، لأنَّ الجواب بنعم إذا جاء بعد الاستفهام إنمَّا يكون تصديقاً لما بعد ألف الاستفهام . ولم يرد الشاعر أن يصدِّق أنّه لا يجمعه اللَّيلُ مع أمِّ عمرو ، فلذلك يكون بنو آدم إذا قالوا فى جواب : ألست بربِّكم : نعم ، كفّاراً ، لأنَّ الجواب بنعم يكون تصديقاً لما بعد ألف الاستفهام من النَّفى ، وهو الأكثر فى الاستعمال ، ولكنَّه لا يمتنع مع ذلك أنْ يقولوا نعم ، لا على الجواب ، ولكن على التَّصديق ، لأنّ الاستفهام فى ألست بربكم تقرير ، والتقرير خبر موجب ، فإذا كان التقرير خبراً معناه الإيجاب جاز أن يأتى نعم ، كما يأتى بعد الخبر الموجَب للتصديق . وإذا كان الأمر كذلك لم يكن فى

---

(١) هذا نص سيبويه ١ : ٢٢٧ بولاق ٢ : ١٩ هارون . وفى ط : « والتلبس به » تحريف . وفى ش : « والتبس به » .

(٢) الكلام مبتور ، وإنما قصد بالاقتباس أن سيبويه استعمل « نعم » فى جواب النفى .

(٣) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

إجازة نعم فى الآية وفى الشِّعر مخالَفةٌ لابن عباس فيما قاله ، لأنَّهما لم يتواردا على معنىً واحد ، فإن الذى منعه إنمَّا منعه على أنّ نعم جواب ، وإذا كان جواباً إنَّما يكون تصديقا لما بعد ألف الاستفهام ، والذى أجازه إنَّما أجازه على أن تكون نعم غيرَ جواب . وإتمام نعم فيه على وجه التصديق ، كما فى قولك : نعم ، لمن قال قام زيدٌ . انتهى كلامه . واختصره المراديُّ (فى الجنى الدانى) .

فقد اتفق الشارحُ المحقِّق وأبو حيَّان فى هذا التوجيه .

وقد جاء فى الحديث مثلُ ذلك الشعر ، وهو قول الأنصار للنبى ﷺ [وقد قال لهم [1]] : ألستم ترون [لهم] ذلك ؟ قالوا : نَعَم .

وهذا التوجيه نسبه ابن هشام (فى بحث نَعَمْ من المغنى) إلى جماعة من المتقدِّمين والمتأخِّرين ، منهم الشَّلَوبين ، قال الشَّلَوْبين : إذا كان قبل النفى استفهامٌ فإنْ كان على حقيقته فجوابه كجواب النَّفى المجرد ، وإن كان مراداً به التقرير فالأكثر أن يجاب بما يجاب به النَّفى ، رعياً للفظه . ويجوز عند أَمْن اللَّبس أن يجاب بما يجاب به الإيجاب ، رعياً لمعناه . ألا ترى أنّه لا يجوز بعده دخولُ أحدٍ ، ولا الاستثناءُ المفرَّغ ؛ لا يقال : أليسَ [2] أحدٌ فى الدار ، ولا أليس فى الدَّارِ إلاّ زيد . وعلى ذلك جاء قولُ الأنصار وقولُ الشاعر : نعم ، بعد النفى المقرون بهمزة الاستفهام .

قال ابن هشام : وعلى هذا جرى كلامُ سيبويه ، والمخطِّىء مُخْطِىء .

وقال (فى بحث بلى) : أَجْرَو النفىَ مع التقرير مُجرَى النفى المجرَّد فى ردِّه ببلى ، ولذلك قال ابن عباس وغيره : لو قالوا نَعَم لكفروا . ووجُهه أنّ نعم تصديقٌ

---

(١) هذه التكملة وتاليتها من المغنى ٣٤٧ .

(٢) ط : « ليس » ، صوابه فى ش والمغنى .

للمخبر بنفى أو إيجاب ، ولذلك قال جماعة من الفقهاء : لو قال : أليس لى عندك ألفٌ . فقال : بلى ، لزمته . ولو قال : نعم ، لم تلزمْهُ . وقال آخرون : تلزمه فيهما . وجَرَوا فى ذلك على مقتضى العُرف لا اللغة . ونازع السُّهيليُّ وغيرُه فى المحكىّ عن ابن عبّاس وغيرِه فى الآية ، مستمسِكينَ [١] بأنّ الاستفهام التقريرى خبرٌ موجَبٌ ، ولذلك امتنع سيبويه من جعل أمْ متَّصلة فى قوله تعالى ﴿ : أفَلاَ تُبصِرُونَ أم أنا خيْر [٢] ﴾ ، لأنَّها لا تقع بعد الإيجاب . وإذا ثبت أنه إيجابٌ فنَعمْ بعد الإيجاب تصديقٌ له . انتهى .

ويشكل عليهم أنّ بلى لا يجاب بها الإيجاب ، وذلك متَّفق عليه .

٤٨٢ قال الدمامينى : لا إشكال ، فإنَّ هؤلاء راعَوْا صورة النفى المنطوق به ، فيجاب ببلى حيث يراد إبطال النفى الواقعِ بعد الهمزة ، وجوَّزُوا الجوابَ بنَعَمْ على أنّه تصديق لمضمون الكلام جميعه : الهمزةِ ومدخولها ، وهو إيجاب . ودعواه الاتِّفاقَ منازَعٌ فيها . أمّا إنْ أراد الإيجابَ المجرَّدَ من النفى أصلاً ورأساً فقد حكى فيه الرضىُّ الخِلافَ . وأمّا إن أراد ما هو أعمُّ حتّى يشمل التقرير المصاحِبَ للنفى فالخلاف موجود مشهور ، ذكره المصنِّف عن الشَّلوبين وغيره فى نَعَمْ وهنا أيضاً ، بقوله : إنَّهم أجرَوُا النَّفَى مع التقرير مُجرى النفى المجرَّد فى ردِّه ببلى . انتهى .

هذا وقد قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وأمَّا قول جَحْدر :

* أليس اللَّيلُ يجمع أمَّ عمرٍو * ... البيتين .

فليس نصّاً فى أنّ التقرير يجاب بنعم . انتهى .

---

(١) هذا ما فى ش والمغنى . وفى ط فقط : « متمسكين » .

(٢) الآيتين ٥١ ، ٥٢ من سورة الزخرف .

فلا يُدفَعُ التناقضُ بين كلام ابن عباس وكلام غيره بما ذكره الشارح المحقِّق ، فلا بدَّ من دليل سمعيٍّ يبين جواز ذلك . قال أبو حيان : ولم يُذكَر سِوَى بيتَىْ جحدر ، وقد ذُكر له عدَّةُ تأويلات ، فلا يقوم بمثله حُجّة على اثبات ما ثبت فى اللسان العربيِّ خلافُه . انتهى .

وقد أُوِّل بثلاثة تأويلات :

أحدها : لابنِ عصفور [1] ، وهو أن تكون نعم فيه جواباً لغير مذكور ، قال : أجْرت العرب التقرير فى الجواب مجرى النَّفى المحض وإن كان إيجاباً فى المعنى . فإذا قيل : ألم أُعطك درهما ، قيلَ فى تصديقه : نعم ، وفى تكذيبه : بلى ، وذلك لأنّ المقرِّر قد يوافقك فيما تدَّعيه وقد يخالفك ، فإذا قال نعم لم تعلم هل أراد نعم لم تُعطِنى على اللفظ ، أو نعم أعطيتنى على المعنى ، فلذلك أجابوه على اللفظ ولم يلتفِتوا إلى المعنى . وأمَّا نعم فى بيت جَحْدر فجوابٌ لغير مذكورٍ ، وهو ما قدَّره فى اعتقاده أنّ الليلَ يجمعه وأمَّ عمرو . وجاز ذلك لأمْنِ اللَّبس ، لعلمه أنَّ كلَّ أحدٍ يعلم أنَّ الليل يجمعه وأُمّ عمرو . وأمَّا قول الأنصار فجاز لزوال اللَّبْس ، لأنّه قد علم أنَّهم يريدون نعمْ نَعْرِف لهم ذلك . وعلى هذا يُحمَل استعمالُ سيبويه لها بعد التقرير . انتهى .

ثانِيها : لابن عصفور أيضا : أنّه جوابٌ لما بعده ، كقولهم : نعمْ هذه أطلالهم . قال : ويجوز أن تكون جواباً لقوله : « وترى الهلال » البيت . وفيه نظر ، لأنّ قوله : « وترى الهلال » عطفٌ على ما قبله ، فهو داخل تحت التقرير .

ثالثها : لأبى حَيّان ، وتبعه ابن هشام ، قال : الأحسن أن تكون جواباً لقوله : « فذاك بنا تدانى » ، فتكون الجملة معترضةً بين المتعاطفين ، وليست داخلة تحت التقرير، وتقدَّمَتْ على نَعَمْ لفظا ومعنىً .

---

(١) النص لم يرد فى المقرب ولا فى الضرائر ، ولعل ابن هشام فى المغنى ٣٤٧ قد نقله من مصدر آخر .

ورأيت فى ترجمة جميل بن مَعْمرٍ العُذرىّ (من كتاب الشعراء لابن قتيبة) روايةَ البيت الثانى كذا :

* أرى وضَحَ الهلال كما تراه [١] *

وقد رواه السُّكّرى (فى كتاب اللصوص ، فى نسخة قديمة صحيحة) .

* بلى وترى الهلال كما أراه *

وعليهما لا شاهدَ فيه .

قال ابن هشام : ويتحرَّر على هذا أنه لو أُجيب ألستُ بربِّكم بنعم لم يكْفِ فى الإقرار ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أوجَبَ فى الإقرار بما يتعلّق بالرُّبوبية العبارةَ [٢] التى لا تحتمِل غيرَ المعنى المراد من المقِرّ ، ولهذا لا يدخل فى الإسلام بقوله : لا إله إلاّ اللهُ برفع إله ،لاحتماله لنفى الوَحْدة فقط . ولعلّ ابن عبّاس رضى الله عنهما إنمّا قال:إنهّم لو قالوا نعم لم يكن إقراراً كافيا . وجَوَّز الشَّلوبينُ أن يكون مراده أنّهم لو قالوا نعم ، جواباً للملفوظ به على ما هو الأفصح لكان كُفراً ، إذِ الأصل تطابقُ الجوابِ والسؤال لفظاً . وفيه نظر ، لأنَّ التكفير لا يكون بالاحتمال . ٤٨٣

وقوله : « ولعلَّ ابن عباس » ، يريد أنَّ النقل المشهور عنه نقلٌ بالمعنى قال الدمامينى : وهذا لا وجه له ؛ فإنّه معارضةٌ للنّقلِ الثابت المشهور بمجرد احتمال عدمِه من غير ثَبَتٍ . انتهى .

---

(١) الحق أنه فى عيون الأخبار ٢ : ١٩٤ برواية : « ترى وضح النهار كما أراه » ، والذى فى الشعراء : ٤٤٢ :

بلى وترى السماء كما أراها ويعلوهـــا النهار كما علانى

(٢) ط : « والعبارة » ، صوابه فى ش والمغنى .

وقد أورد الدماميني حكايةً عن الوجه الأوّل من التأويلات لا بأس بإيرادها قال : أُخبِرت بمكّة سنةَ ثمانيَ عشرة [(١)] وثمانمائة ، أنّ مولانا قاضي القضاة أبا الفضل النُّويريَّ الشافعي ، الناظرَ في الحُكْم للعزيز [(٢)] بمكة المشرفة ، سأل الشيخَ جمالَ الدين ابنَ هشام مصنِّفَ هذا الكتاب عمَّا جرى به العرفُ في هذه الأزمنة ، من أنّ الانسان إذَا طرق بابَ صاحبه يقول : نَعَمْ نَعَم ، يريد الإعلام بحضوره ، وهل لهذا أصلٌ في لسان العرب ؟ فقال : نعم ، وقد ذكرت ذلك في كتابي (مغني اللبيب) . فقال لي ذلك المخبر : لم أظفر بذلك في المغني ، وسألت عنه جماعةً فلم يحصل جواب .

قلت له : هو في موضعين : أحدهما قوله قبلَ هذا : إنّ نعم تقع جواباً لسؤال مقدَّر . والثاني قول ابن عصفور إنّ نعم في بيت جحدر جوابٌ لغير مذكور . وكذلك قول هذا الطارق : نعم نعم ، جوابٌ لما قدَّره في اعتقاده من أنّ صاحبَ المنزل لشدّة احتفاله والتفاته إليه يَسْأل : هل حَضر فلانٌ ؟

وقاضي مكة المشار إليه هذا هو أحد مشايخي ، أخبرني بمغني اللبيب عن مصنّفه ، وأجازَني إجازةً عامّة ، وكتب لي خَطَّهُ بذلك . انتهى .

وقول الشاعر : (وذاك بنا تَدَاني) ذاك إشارةٌ إلى جمْع الليل إيّاهما . والتداني : التّقارُب .

والبيتان أبرد ما قيل في باب القناعة من لقاء الأحباب . وقال ابن قتيبة : وجميلٌ ممن رضي بالقليل فقال :

---

(١) ط : « ثمان عشرة » ، وأثبت ما في ش . وهما وجهان جائزان في العربية . الأشموني ٤ : ٧٢ ، قال : « في ثماني إذا ركب أربع لغات : فتح الياء ، وسكونها ، وحذفها مع كسر النون وفتحها » .

(٢) ط : « في الحكم العزيز » ، وأثبت ما في ش .

أقلّب طرفى فى السماء لعلّه ‏ ‏ يوافق طرفى طرفَها حين تنظرُ [١]

ومنهما أخذَتْ قولَها عُلَيّةُ بنتُ المهديِّ العباسيّ ، أورده الصولى (فى ترجمتها من كتاب الأوراق [٢]) :

أليست سُليمى تحت سَقفٍ يُكِنُّها ‏ ‏ وإيَّاىَ هذا فى الهوى لىَ نافعُ
ويُلبِسُها الليلُ البهيمُ إذَا دجا ‏ ‏ وتُبصِرُ ضَوءَ الصُّبح والفجرُ ساطعُ
تَدُوس بِساطاً قد أراه وأنثنِى ‏ ‏ أطَاهُ برجلِى كلُّ ذا لىَ شافعُ

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدَة لجحدر بن مالك الحنفى ، قالها وهو فى سِجن الحجاج وأرسلها إلى اليمامة . وقد تقدَّم سببُ حبسه مع ترجمته فى الشاهد الحادى والستين بعد الخمسمائة [٣] ، وهى هذه من رواية السكرى (فى كتاب اللُّصوص) :

أبيات الشاهد

تأوَّبنــى فبتُّ لها كَبِيعًــا ‏ ‏ همومٌ لا تُفارِقُنى حَوَانـىِ [٤]
هى العُوَّاد لا عُوَّادُ قومى ‏ ‏ أطَلْنَ عيادتى فى ذا المكـانِ
إذا ما قلت قد أُجلَيْنَ عنّى ‏ ‏ ثَنى رَيْعانَهـنّ علـىَّ ثانى
وكان مقَـرُّ منزلهنَّ قلبـى ‏ ‏ فقـد أنْفَهْنَـهُ فالقـلبُ آنى
أليس الله يعلـم أنّ قلبـى ‏ ‏ يُحِـبُّكَ أيُّهـا البرقُ اليمانى
وأهوَى أن أُعِيدَ إليك طرْفى ‏ ‏ على عُدَواءَ من شُغْلٍ وشانِ

---

(١) الشعراء ٤٤٢ وديوان جميل ٩٢ . وانظر مراجع البيت فى حواشيه .
(٢) الأوراق للصولى ٦٩ قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٣) الخزانة ٧ : ٤٦٣ — ٤٦٦ .
(٤) كبيعا ، كذا بالباء باتفاق النسختين وما سيأتى من تفسير البغدادى . والوجه : « كنيعا » كما فى اللسان (كنع) ، حيث أنشد هذا البيت . ومنه قول لقيط بن يعمر فى مختارات ابن الشجرى ٥ :

ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا ‏ ‏ إذا يقال له افرِجْ غُمَّة كَنَعا

نظرتُ وناقتاى على تَعادٍ مُطاوِعتا الأزِمَّة ترحلانِ (١)

٤٨٤

إلى ناريهما وهما قريبٌ تَشُوقان المحبَّ وتُوقَدانِ

وهيَّجَنِى بلحنٍ أعجمىٍّ على غُصْنين من غَرَبٍ وبانِ (٢)

فكان البانُ أن بانت سُلَيمى وفى الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ دانى

أليس اللَّيلُ يجمع أمَّ عمرٍو وإيّانا فذاك بنا تَدانِى

بَلَى ، وترى الهِلال كما أراه ويَعلوها النَّهارُ كما عَلانِى

فما بين التفرُّق غيرُ سبعٍ بَقِينَ من المحرَّم ، أو ثمانِ

فَيَا أخَوَىَّ من جُشَمَ بنِ سعدٍ أقِلاَّ اللوْمَ إنْ لم تنفعانى

إذا جَاوزْتما سَعَفاتِ حَجْرٍ وأوديةَ اليمامة فانْعَيانى (٣)

إلى قومٍ إذا سمعوا بنعيى بكى شُبَّانُهم وبكى الغَوانى

وقولا جَحدرٌ أمسى رهيناً يحاذرُ وقْعَ مصقولٍ يمانى

يحاذر صَولةَ الحجَّاج ظُلْماً وما الحجَّاجُ ظَلاَّما لجانى !

ألم ترنى غُذِيتُ أخا حُروبٍ إذا لم أَجنِ كنتُ مجِنَّ جانى (٤)

فإنْ أهْلِكْ فربَّ فتًى سيبكى علىَّ مخضَّبٍ رَخْصِ البنانِ

ولم أكُ قد قضيتُ دُيونَ نفسى ولا حقَّ المهنَّدِ والسِّنانِ

قوله : « تأوَّبنى فبت لها كبيعا (٥) » أى أتانى ليلاً هومٌ ، من الأوبِ وهو

---

(١) التعادى ، من العدْو ، تُتابعُ إحداهما الأخرى فى العدْو . وفى ش : « على عتاد » . والعتاد ، كسحاب : الأهبة .

(٢) البيت وتاليه فى الحيوان ٣ : ٤٤٠ – ٤٤١ مع نسبتهما إلى سوَّار بن المضرَّب . وانظر ما فى حواشيه من تعليق . ورواية الحيوان : « تغنَّى الطائران ببينِ ليلى » .

(٣) ط : « إذا جاوزتما » بالزاى .

(٤) البيت فى الحماسة ١٣٢ بشرح المرزوقى برواية : « وأنى لا أزال أخا حروب » .

(٥) انظر ما سبق من تعليق .

الرُّجوع . والكَبِيع ، بفتح الكاف وكسر الموحّدة ، قال السكرى : كبيع وكابع بمعنىً ، أى مشدود . وقال السُّيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : وكنيعا من كنَع الرجلُ ، إذا خضعَ ولانَ . انتهى . وكأنّ نسخته التى نَقَل منها كانت بالنون . وحَوانى : جمع حانٍ ، من حَنَى عليه حنوًّا ، أى تعطَّف ، بدليل ما بعده ، وهو قوله « هى العُوَّاد ».وزعم السيوطى أنّه من الحَين بالفتح ، وهو الهلاك .

قال السكرى : ورَيْعانهن : أوائلهنّ . وأنفهْنَه قال صاحب الصحاح : نَفِهَت نفسُه بالكسرِ : أعيت وكَلَّت ، وقد أَنْفَهَ فلانٌ إبلَه ونَفَّهها ، إذا أَكلَّها وأعياها . انتهى . وهو بالنون والفاء والهاء .

قال السكرىُّ : الآني : المُنتِهى فى الغَلَيان . وعُدَواءُ الشُّغل ، بضم العين وفتح الدال المهملتين والواو والمدّ ، أى موانعه .

وقوله : « فإنْ أهلِكْ فربَّ فتىً سيبكى » إلخ ، أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنّه يجوز أن يكون الفعل بعد رُبَّ مستقبلا كما فى البيت [١] . وروى بدل : « مخضَّب » : « مُهذّب » ، وهو المطهِّر الأخلاق . والرَّخْص : الناعم . والبَنَانُ : أطراف الأصابع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد التسعمائة [٢] :

٩١٤ (وقد بَعُدَتْ بالوَصْلِ بينى وبينَها بلى إنّ مَن زار القُبُورَ لَيَبْعُدا)

---

(١) مغنى اللبيب ١٣٧ . وانظر القالى ١ : ٢٨٢ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٠٦ ورصف المبانى ١٩٤ وتفسير أبى حيان ٥ : ٤٤٤ .

(٢) لم أجد له تخريجا فى غير هذا الموضع .

على أنّ بعضهم زعم أنّ (بلى) تستعمل بعد الإيجاب كما فى البيت . وهو شاذّ ، وكان القياس نعم .

وإنمّا قال شاذّ ولم يقل ضرورة لأنّه جاء مثلُه فى الحديث الصحيح : أخرج البخارى (فى كتاب الأيمان والنذور من صحيحه) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « بينما رسولُ الله ﷺ مُضيِفٌ إلى قُبّة من أَدَمٍ يمانٍ إذ قال لأصحابه : أترضَوْن أن تكونوا رُبْعَ أهلِ الجنّة ؟ قالوا : بلَى . قال : أفلم ترضَوْا أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجنّة ؟ قالوا : بلَى . قال : فوالذى نفسُ محمدٍ بيدِه إنّى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة » .

٤٨٥

وقوله:« مُضِيف » أى مُسنِد ظهره الشريف . وبلَىَ الأولى أُجيب بها الاستفهام المجرّد عن النفى ، وهو موضعُ نعَمْ ، كما ورد فيه عنه ، فإنّ البخارى قد أخرجَه عنه (فى الرِّقاق أيضاً) قال : « كنّا مع النبى ﷺ فى قُبَّةٍ فقال : أترضون أن تكونوا رُبعَ أهلِ الجنّة ؟ قلنا:نعم . قال : والذى نفسُ محمدٍ بيده إنّى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنّة . وذلك أنّ الجنّةَ لا يدخلُها إلا نفسٌ مُسْلِمة ، وما أنتم فى أهل الشِّرك إلاّ كالشَّعرة البيضاء فى جلِد الثَّور الأسْود ، أو كالشَّعرة السَّوداء فى جلد الثَّور الأبيض » .

وكذا جاء (فى صحيح مسلم) أخرج مُسلم (فى كتاب الهِبَة) ، عن النُّعمان بن بشير قال : « انطلق بى أبي يحملُنى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله اشهَدْ أنّى قد نَحَلْتُ النُّعمانَ كذا وكذا من مالى . فقال : أكُلَّ بَنِيك قد نحَلْتَ مثلَ ما نحلْتَ النُّعمان ؟ قال : لا . قال : فأَشهِدْ على هذا غيرى . ثم قال : أيسرُّك أن يكونوا إليك فى البِرِّ سواءً ؟ قال : بلى . قال : فلا إِذَنْ » .

و (فى صحيح مسلم أيضا) : « أأنت الذى لقيتَنى بمكّة ؟ فقال له المجيب : بَلَى » .

ففى الموضعين أيضاً وقعت بلى فى جواب الاستفهام المجرَّدِ ، وهو موضعُ نعم .

ومثله فى الشعر قول الكميت بن ثَعلبة :

نشدتُك يا فزارَ وأنت شيخٌ   إذا خُيِّرت تُخْطئُ فى الخِيارِ
أصَيْحانِيَّةٌ أُدِمَتْ بسمنٍ   أحبُّ إليكَ أم أير الحمارِ
بلى ، أيرُ الحمار وخُصيتاه   أحبُّ إلى فزارةَ من فَزارِ(١)

والتَّمر الصَّيْحانىّ : تمرٌ معروف بالمدينة المنوَّرة .

وهذا من التقارضُ ؛ فإنَّ نعم استُعمِلت استعمالَ بلى فى بيتى جَحدرٍ ونحوه ، وبلى استُعملت استعمالَ نعمْ فى هذه الأحاديث وهذين الشعرين .

وقوله : (وقد بعُدت بالوَصْل) إلخ بعدُ الشىء بضمّ العين ، ويُعدَّى بالباء. وفاعل بعدت ضمير الحبيبة ، وبُعدُها عنه هنا إنمّا هو موتُها وزيارتُها القَبر . ولهذا قال : (بلى إنّ من زار القبور) إلخ . وبينى وبينها ظرف متعلّق بمحذوف حالٌ من الوصل . وقوله (لَيَبعُدا) اللام للتأكيد ، وهى التى تجىء فى خبر إنّ ، وتسمَّى المزحلقة ، والألف مبدلة من نون التوكيد الخفيفة فإنّها تُبدل ألفاً فى الوقف . وفاعل يَبعُد ضمير من .

وهذا البيت لم أعرفْه ولم أنظره إلاّ فى هذا الشرح . والله أعلم .

وجاء فى شعر الطُّهوىّ :

فلا تبعَدنْ يا خيرَ عمرِو بن جُندبٍ   بلى إنَّ مَن زار القبـور لَيبعُـدا

* * *

(١) الدرة الفاخرة ٨٧ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦ والميدانى ١ : ١٠٠ والمحاسن للبيهقى ١ : ٤٠٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد التسعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩١٥ (ويقُلْـــنَ شيبٌ قد عَلاَ كَ وقَدْ كَبِرتَ فقلتُ : إنّه)

على أنّ سيبويه قال:(إنّ) فيه حرفُ تصديقٍ للخبر ، بمنزلة أَجَلْ . والهاء للسكت ، قال سيبويه (فى باب ما تلحقه الهاء لتَبَيُّن الحركة) : « ومثل ما ذكرت قولُ العرب إنَّه ، وهم يريدون إنّ ، ومعناها أجَلْ » . وأنشد هذا البيت . قال الأعلم : الشاهد فيه تبيين حركة النون بهاء السَّكت ، لأنّها حركةُ بناءٍ لا تتغيّر لإعرابٍ ، فكرهوا تسكينَها لأنّها حركة مبنيٍّ لازمة . ومعنى إنّ ههنا نَعَم . انتهى .

٤٨٦

وقال النحاس : وفى نسخة أبى الحسَن الأخفش هذا البيت ، وليس عندى عن أبى إسحاق . وفى النسخة : « أىْ فقلت أجَل » . وسألت عنه أبا الحسن فقال : إنّ بمعنى نعم ، والهاء لبيان الحركة ، وكانت خطباء قريش تفتتح خطبتها بنَعَمْ . انتهى .

وقال أبو على (فى البغداديات) بعد نقل قول سيبويه فى البيت : وكان أبو بكرٍ أجازَ فيه مرّةً أن تكون إنَّ المحذوفة الخبرِ ، كأنّه قال : إنَّ الشيب قد علانى ، فأضمره فجرى بذلك ذكره ، وحذف خبره للدّلالة عليه . قال : وحذف الخبرَ فى هذا أحسنُ ، لأنّ عنايته بإثبات الشَّيب نفسِه ، كما أنّه يُحذف معها الخبرُ لما كان غَرَضَهُ ووُكدَهُ [٢] ، كإثبات المحلّ فى قوله :

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٥/ ٢ : ٢٧٩ . وانظر البيان ٢ : ٢٧٩ وابن يعيش ٣ : ١٣ / ٨ : ٧٨ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ورصف المبانى ١١٩ ، ١٢٤ ، ٤٤٤ والمغنى ٣٨ ، ٦٤٩ واللسان (أنن ١٧٢) وديوان ابن قيس الرقيات ٦٦ .

(٢) وكده ، أى قصده ومراده وغرضه ، وفى اللسان : « ويقال ما زال ذلك وكدى بضم الواو ، أى فِعْلى ودأبى وقصدى » . وفى النسختين هنا : « غرضة » صوابه ما أثبت .

* إنّ محلاً وإنّ مرتَحَلا [١] *

قال : وهذا أحدُ ما تُشْبه فيه إنّ لا النافية العاملة النَّصب . انتهى .

وزعم أبو عبيدٍ أنّ إنّ بمعنى نعم غير موجودة ، وهى فى البيت مؤكِّدة ، الهاء اسمها وخبرها محذوف ، أى إنّه قد كان كما يقلن .

قال الجوهرى : قال أبو عبيدٍ : وهذا اختصارٌ من كلام العرب يُكتفى منه بالضّمير ، لأنّه قد عُلم معناه . وأمّا قول الأخفش إنّه بمعنى نَعَم ، فإنّما يريد تأويله ، ليس أنّه موضوعٌ فى أصل اللُّغة لذلك . انتهى .

قال ابن الشَّجرى (فى أماليه) بعد نقل هذا الكلام عن أبى عبيد : « والهاء فى تفسير أبى عبيدٍ للشَّأن » . ولم يتعقَّبْه بشىء . ولا يخفى أنَّ ضمير الشأن لا يجوز حذف خبره ، بل يجبُ التصريح بجزأى الجملة من خبره .

وقول الشارح المحقّق تبعاً لغيره : « الخبر محذوف أى إنّه كذلك » ، ليس الضمير فيه للشَّأن لأنّ شرط خبره أن يكون فى الأصل جملة مستقلّة . و « كذلك » ليس جملة وإنَّما هو شبه جملة ، بل الضّمير فيه راجعٌ إلى القول المفهوم من يقُلْن ، أى إنَّ قولَهن كذلك .

وكالشارح المحقّق نقل ابن هشام (فى المغنى) أنّ التقدير : إنّه كذلك .

ولَفّق له شارحه ابن الملا من هُنا ومن هُنا كلاماً مختلَّ النظام ، أعرضْنا عنه لعدم جَدْواه فى المقام ، ولقَلاقتهِ على الأفهام .

---

(١) من الشاهد رقم ٨٨١ ، وهو للأعشى فى ديوانه ١٥٨ :

إنَّ محلا وإنَّ مرتحلا ‏ ‏ ‏ وإن فى السفر إذْ مضوا مهلا

وقول الشارح المحقق فى « إنّ وراكبَها »:إنّه لتقدير مضمون الدُّعاء وهو خلاف تصديق الخبر ، أقول : لا يخالفه ، فإنّ جملة لعن الله ناقةً حملتنى إليك هى خبريَّة لفظاً ، فالتصديق راجعٌ إليها باعتبار لفظها ووضعِها ، وقَصْدُ الدُّعاءِ فيها أمرٌ معنوىّ طارٍ عليها [١] . وقد جاءت فى هذا البيت لتصديق الخبر المنفىّ ، قال سَاعدة الهذلىّ :

ولا أقيـمُ بدار الـذُّل ، إنَّ وَلا آتى إلى الغدر أخشَى دونه الخَمَجا

قال السّكرى (فى شرحه) : إنّ هنا بمعنى نَعَمْ . والخَمَج بفتح الخاء المعجمة والميم والجيم : سوءُ الذِّكر .

وجاءت لتصديق الخبر المثبَت أيضا فيما أنشده ابنُ الشجرىّ ، وهو :

قالوا غدرتَ فقلتُ إنَّ وربَّما نالَ المنى وشِفَا الغليلِ الغادرُ [٢]

وجاءت بعد الاستفهام أيضاً فيما أنشده ابن هشام (فى أواخر الباب الخامس من المغنى) ، وهو

قالوا أَخِفتَ فقلت إنّ ، وخيفتى ما إنْ تزالَ مَنُوطةً برجائى [٣]

ونقل ابن المُلاّ عن أبى حيَّان أنّ إنَّ فى هذه المواضع هى المؤكّدة حُذِف معمولاها ، فإنّه قال : إنَّ كلام ابنِ الزَّبير لا ينتهِض دليلاً لابن مالكٍ على أنّ إنّ فيه بمعنى نَعَمْ ، لأنّه مما حُذِفَ فيه الاسم والخبر ، ولا يجوز حذفهما معاً إلاّ مع ٤٨٧

(١) كذا فى النسختين بالتسهيل ، أى طارئ ودخيل عليها .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٠٨ ، ٣٢٣٢ وفيها : « وشفى الغليل » بجعل « شفى » فعلا . وانظر أيضا ابن يعيش ٣ : ١٣٠ . وفيه : « نال العلا » .

(٣) المغنى ٦٤٨ .

إنّ . وقد حذفت العربُ الجملةَ إلاّ حرفا منها كما فى قولهم : قاربت المدينة ولَمَّا ، وقوله :

.... وإنْ كانَ فقيراً مُعدِماً قالت وإنْ

فإنّ التقدير : ولمَّا أدخلْها ، وإن كان فقيراً مُعْدِماً قبلتُه .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنّ المنصوص فى إنّ وأخواتها جوازُ حذفِ أحَدِ معمولَيها فقط ، ولم يُجِزْ أحدٌ حذفَهما معاً . والفرق بينها وبين لَمَّا وإنّ ظاهر ؛ فإنّ إنَّ لتأكيد نسبة الكلام ، فجيء لمزيد الاعتناء به ، فلا يجوز حذفه ، لئلاّ يبطل الغرض .

وأجاب ابن المُلاّ بأنّه إنَّما حذف فيهما لسبق القرينة ، وما نحن فيه ليس من ذلك إلاّ أن يُدَّعى أنَّ وقوع إنّ فى جواب قوله قرينةٌ ، ويكون التقدير إنّها ملعونة . وهو تكلُّف . ويُشكِل عليه عطفُ جملة الدعاء على جملة الخبر وإنْ صحَّحه بعضُهم . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من جملة أبيات أوردها صاحب الأغانى ، لعبيد الله بن قيس الرُّقيَّات ، وهى [1] :

أبيات الشاهد

بَكَرَ العواذلُ فى الصَّبا ـحِ يُلمْنَنى وألومُهنَّه

ويَقُلنَ شيبٌ قد علا لَ وقَدْ كَبِرتَ فقلت إنّه

لابدَّ من شيبٍ فَدَعْـ ـنَ ولا تُطِلنَ مَلامَكنَّه

ولقد عَصَيتُ الناهيا تِ الناشزاتِ جُيوبهنَّه [2]

---

(١) الأغانى ٤ : ٧٠ ، ٧١ وديوان ابن قيس الرقيات ٦٦ — ٦٧ .

(٢) البيت وتاليه فى الديوان ٦٧ . والذى فى الأغانى بدلهما :

يمشين كالبقـر الثقـا ل عمدن نحو مَراجِهنَّه

يخفين فى الممشى القر يـ ـب إذا يُردن صديقهنّه

حتّى ارعويتُ إلى الرَّشا ... دِ وَمَا ارعويتُ لنهيهِنَّه

وروى : « الصبوح » بدل الصَّبَاح ، وهو ما يشرب فى وقت الصباح . وبَكَر : جاءَ بكرةً ، هذا أصله ثم استُعمِل فى كلّ وقت . والعواذل : جمع عاذلة . ورواه صاحب الصحاح :

بكرت علىّ عواذلى ... يَلْحَيننى وألُومُهنَّه

قال ابن السيرافى : يلحيننى : يلمننى على اللَّهو والغَزَل . وألومهنَّ على لومهنَّ لى ، ويقلن : قد شبت وكبرتَ فقلت : نعم . يريد أنّه يأتى ما يأتى على علمٍ منه بأمر نفسِه . والمعنى واضح . انتهى .

والجيوب : جمع جَيب ، وهو طَوق القميص . والارعواء : النُّزوع عن الجهل وحُسن الرجوع عنه . وقد ارعوى : رجَع عن غيّه . وكبِرتَ بكسر الباء بمعنى صرتَ كبيرًا . والهاء فى القوافى للسكت .

وابن قيس الرُّقَيَّات اسمهُ عبيد الله بالتصغير ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة [١] .

قال حماد الراوية : إذا أردتَ أن تقول الشّعر فارْوِ شعَر ابن قيس الرقيات ، فإنّه أرقُّ الناس حواشىَ شعر .

وسئل بعضهم فى التمييز بينه وبين عمر بن أبى ربيعة فأجاب بأنَّ ابن أبى ربيعة أشهر بالغَزل ، وابنَ قيس أكثرُ أفانينِ شِعْر .

(١) الخزانة ٧ : ٢٨٤ – ٢٨٩ .

حـروف الزيادة

أنشد فيها :

(وما إنْ طَبُّنَا جُبْنٌ)

هو قطعة من بيت وهو :

(وما أنْ طبّنا جُبْنٌ ولكنْ مَنايانَـا ودولـةُ آخَرِينـــا)

على أن (إنْ) تزاد بعد ما النافية . وتقدَّم شرحُه فى الشَّاهد السبعين بعد المائتين (١) .

* * *

٤٨٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد التسعمائة :

٩١٦ (ما إنْ جزِعْتُ ولا هَلِعْـ ـتُ ولا يردُّ بُكـاىَ زَنـدْا)

لما تقدَّم قبله . ومثَّل بمثالين ، إشارة إلى أنّها تزادُ بعد ما النافية مطلقًا ، سواءٌ كانت الداخلةَ على الجمل الاسميَّة وتكفُّها عن عملها عمل ليس ، وتسمَّى إن الزائدة الكافة ، أم كانت الداخلةَ على الجملة الفعليَّة كما فى هذا البيت ، وتسمَّى إن الزائدة فقط .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ لعمرو بن معديكَرِبَ ، أوردها أبو تمّامٍ (فى أوائل الحماسة) . وقبله :

---

(١) الخزانة ٤ : ١١٢ — ١١٩ .

أبيات الشاهد

(كم من أخٍ لىَ صالحٍ بوَّأتُه بيدىّ لَحْدا
ما إنْ جزِعْتُ ولا هَلِعـ ـتُ ولا يردُّ بُكاىَ زَنْدا
ألبستُه أثوابَه وخُلقِت يومَ خُلِقْتُ جَلْدا
أُغنِى غَناءَ الذَّاهبيـ ـنَ ، أُعَدُّ للأعداء عَدّا
ذهبَ الذين أُحِبُّهُمْ وبقِيتُ مثلَ السَّيفِ فَرِدا (١))

قوله : « كم من أخ » إلخ ذكر قبلَ هذا تبجُّحه بالشّجاعة ، وذكر بهذا إلى آخرِهِ صَبرَه على البلاء ، أى كم من أخٍ موثوقٍ به فُجِعت به . وبوَّأته : أنزلْته . والمَبَاءة : المنزل .

وقوله : (ما إن جَزِعتُ ولا هَلِعْت) إلخ الهلَعُ : أفحش الجزَع ، لأنّه جزعٌ مع قلّة صبر ، وفعلُهما من باب فرِح ، فكأنَّه قال : ما حزِنت عليه حُزنا شديداً ولا هيِّنا . وهذا نفىُ الحزْن رأساً . وقد أعطى الترتيبَ حقَّه لأنّه ارتقى فيه من الأدوَنِ إلى الأعلى . والزَّند ، بفتح المعجمة وسكون النون ، يستعمل فى معنى القِلّة (٢) . ويروى بدله (رَدًّا) أى مردودا . والمعنى : لا يُغنى بكاىَ شيئًا . وإنَّما عَقَّبَ نفىَ الجزع بهذا تنبيهاً على أنّ صَبْره عن تأدُّب وتبصُّرٍ ومعرفةٍ بالعواقب ، فى حسن التأمُّل .

وقوله : « أغنى غَناء » إلخ قال التبريزى : يجوز أن يريد بالذاهبين مَن انقرض من عشيرته ، ويكون المعنى أنّه المعتَمَدُ عليه بعدَهم . ويجوز أنْ يريد المتغيِّبينَ عن المشاهد والمعارك . وأُعَدُّ بالبناء للمفعول ، يجوز أن يكون المعنى : يقول فىَّ الأعداءُ : خُذُوا فلاناً فإنّه يُعدُّ بكذا من الفرسان . ويقال إنّ عَمراً كان

---

(١) الحماسة بشرح المرزوق ١٧٩ وبشرح التبريزى ١ : ١٧٤ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٣ .

(٢) بعده فى التبريزى : « كما يستعملون الفُوفَ والنقير والقطمير . وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قلّلوا مالَ الرجل : « زَندانِ فى مرقّعة » . ثم قال : « ويروى : زيداً ، وقالوا : يعنى أخاً له » .

يعدُّ بألف فارس . ويجوز أن يكون المعنى أُهيِّأ للأعداء معدودا . فَعدًّا حالٌ وُضِعَ موضعَ المعدود . وروى : « أُعِدّ » بالبناء للفاعل ، أى أعِدّ لهم السلاح . وروى : « أَعُدّ » بفتح الهمزة ، ويحتمل معنيين : أحدهما أن يقول أعُدُّ لهم وَقَعاتى وأيَّامى عند المفاخرة . والثانى أن يقول : أَعُدّ لهم كلَّ ما يُحتاج إليه من عَدد وعُدّة . فعدًّا مفعول به ، والمعنى أعدُّ لهم مَعدوداتِها .

وقوله : « وبقيتُ مثلَ السَّيف فَرْدا . قال الطَّبْرِسىّ (١) : أى بقيت منْفردا بالسِّيادة كالسيف ، لا يُجمَع اثنان منه فى غمد . ويجوز أن يريد : بقيت كالسَّيف لنفاذى ومضائى فى الأمور .

وعمرو بن معد يكرب صحابىٌّ تقدمت ترجمته فى الشاهد الرَّابع والخمسين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

٤٨٩ (كأنْ ظَبيةٍ تَعْطُو)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(ويوماً توافينـا بوجـهٍ مُقَسَّمٍ ‌ ‌ ‌ كأنْ ظَبيةٍ تَعْطُو إلى وارقِ السَّلَمْ)

على أن (أنْ) زائدة بين الكاف ومجرورها ، وهو ظبية .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الرابع والسبعين بعد الثمانمائة (٣) .

* * *

(١) فى النسختين هنا : « الطيبرسى » ، صوابه ما أثبت . وانظر ترجمته فى ٨ : ٣٨٥ وما سبق فى ٨ : ٣١٥ . ونسبته إلى طبرستان .

(٢) الخزانة ٢ : ٤٤٤ – ٤٤٦ .

(٣) الخزانة ١٠ : ٤١١ – ٤١٧ .

وأنشد بعده :

(ومن عِضَةٍ ما ينبُتَنَّ شَكِيرُها)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى والخمسين بعد المائتين [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد التسعمائة [٢] :

٩١٧ (لا وأبيكِ ابنةَ العامرى لا يدَّعي القومُ أنّى أفِرّ)

على أنَّ (لا) تجيء كثيراً زائدة قبلَ المقْسَم به ، للإعلام بأنَّ جواب القسم منْفىٌّ ، فإنَّ الواو حرفُ قسم ، وجملة : « لا يدَّعى القوم » جواب القسم ، وهى منفيّة ، فأتى بالنافى قبلْ القَسَم للإشعار ابتداءً بأنّ جوابَه منفىّ ، كقوله تعالى : ﴿ فلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُون حتّى يُحكِّموك [٣] ﴾ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ورُدّ بقوله تعالى : ﴿ لا أُقسِمُ بهذا البَلَد [٤] ﴾ الآيات ، فإنَّ جوابه مثْبت ، وهو : ﴿ لقد خَلَقْنا الإنسانَ فى كَبَد [٥] ﴾ . ومثله : ﴿ فلا أُقسِمُ بمَوَاقعِ النُّجُوم [٦] ﴾ الآية . وقيل زيدت لمجرد التوكيدِ وتقويةِ الكلام ، كما فى : ﴿ لئلاّ يَعْلَمَ أهلُ الكتاب [٧] ﴾ وردّ بأنها لا تزاد لذلك صدراً بل حَشْواً . انتهى .

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٢ – ٢٣ .

(٢) المحتسب ٢ : ٢٧٣ وابن يعيش ١ : ١٠ وضرائر ابن عصفور ١٣٢ والمغنى ٢٤٩ وديوان امرئ القيس ٢٤٩ وشروح المعلقات .

(٣) الآية ٦٥ من سورة النساء .

(٤) الآية الأولى من سورة البلد .

(٥) الآية ٤ من سورة البلد .

(٦) الآية ٧٥ من سورة الواقعة .

(٧) الآية ٢٩ من سورة الحديد .

ويجاب بأنّ زيادتها ، فى صدر القسم المنفىّ جوابه أغلبىٌّ لا كُلّىّ .
والكاف من (أبيكِ) مكسورة ، لأنّه خطابُ مؤنّث . أقسمَ بأبيها تعظيماً لها .
و (ابنةَ العامرىّ) منادًى ، وحرف النداء محذوف ، وهو يا . وابنة العامرى اسمها هِرّ ، بكسر الهاء وتشديد الراء . وقد أوردها امرؤ القيس فى هذه القصيدة بقوله :

وهِرٌّ تصيدُ قلوبَ الرِّجالِ وأفْلَتَ منها ابنُ عمرٍو حُجُرْ

والعامرىُّ هو من بنى عمرو بن عامر من الأزد ، واسمه سلامة بن عبد الله .
وقال الخطيب التبريزى فى شرح معلقته ، عند قوله :

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّل وإنْ كنت قد أزمَعْتِ صَرْمى فأجمِلى

قال الكلبى : فاطمة هى بنت عُبيد بن ثعلبة بن عامر . قال : وعامر هو ابن عوف [1] بنِ عُذْرة ، ولها يقول .

لا وأبيك ابنة العامر ىّ .... البيت

و (أنّى) بفتح الهمزة و (أفِرّ) من الفِرار ، وهو الهروب ، وخفَّف راءَهُ للشعر .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومنه تخفيف المشدَّد فى القوافى ، نحو قول امرىء القيس :

* لا يدَّعى القومُ أنّى أفرّْ [2] *

وقد خفّف عدّة قوافٍ من هذه القصيدة ، وإنَّما خفّف ليستوى له بذلك الوزنُ وتطابُقُ أبياتِ القصيدة . ألاَ ترى أنّه لو شدّد « أفَرّْ » لكان آخر أجزائه على فعولن من الضرب الثانى من المتقارب ، وهو يقول بعد هذا :

تميم بن مرٍّ وأشياعُهـا وكِندةُ حولى جميعاً صُبُرْ

---

(١) فى شرح التبريزى : « هو الأجدار بن عوف » .
(٢) تقرأ الراء بالسكون ولكنها تكتب مع علامة الشدة تنبيها على أن أصلها التضعيف .

وآخر جزء من هذا البيت فَعُل وهو من الضرب الثالث من المتقارب ، وليس بالجائزِ له أن يأتى فى قصيدةٍ واحدة بأبياتٍ من ضربين ، فخفّف لتكون الأبيات كلُّها من ضربٍ واحد . وسواء فى ذلك الصحيح والمعتلّ . انتهى كلامه .

٤٩٠

وبهذا تعلم أنّه لم يُصِبْ من قال : إنّ (أفر) فيه مشدّدٌ اجتمع فيه ساكنان ، واجتماعهما فى القافية جائز ، وهو أبو الفرج بن المعافَى ، قال (فى أماليه) حدّثنا صديقُنا الحسن بن خَالَوْيه قال : كتب الأخفش إلى صديقٍ له يستعير منه دابّة ، ودابَّةٌ لا يقع فى الشّعر ، لأنّه لا يجمع فيه بين ساكنين ، فقال :

أردتُ الرُّكوب إلى حاجةٍ فمُرْ لى بفاعلةٍ من دَببتُ

وإنَّما امتنع دخول دابّة ونحوها فى الشعر لئلا يلتقى فيه ساكنان فى غير القافية كقوله :

* لا يدَّعى القوم أنى أفرْ *

وقد جاء فى الشعر فى مزاحَفِ للمتقارب ، وذلك قوله :

فقالوا : القصاصَ وكان التقا صُّ حقًّا وعَدلاً على المسلمينا [(١)]

ورواه بعضهم : و « وكان القِصاص » . هذا كلامه .

واعلم أنّ هذه القصيدة من بحر المتقارِب ، وهو فعولن ثمانِ مرات ، وفيه الحذف ، فإنّ أفر وزنه فَعُو ، وحذف منه لُنْ ، فأتى بدله فَعُل . وفى أوّل هذا

---

(١) انظر الكامل ١٧ والعقد ٥ : ٤٩٤ واللسان (قصص) والعيون الغامزة للدماميني ١٢٩ . وفى الكامل : « فذاك القصاص » . وفى العقد : « رمينا قصاصا » . وفى اللسان : « فرُمنا القصاص » وفى العيون الغامزة : « ورمنا قصاصاً » . وفى الكامل والعيون : « فرضا وحتما » ، وفى اللسان : « حكما وعدلا » . وفى اللسان بعد إنشاد البيت : قال ابن سيده : قوله التقاصّ شاذ ، لأنه جمع بين الساكنين فى الشعر ، ولذلك رواه بعضهم : وكان القصاص . ولا نظير له إلا بيت واحد أنشده الأخفش :

ولــولا خداشُ أخــذتُ دَوَا بَّ سعدٍ ولم أُعطه ما عليها »

وانظر بقية الكلام فيه .

البيت ثرم ، فإنّ وزن قوله (لا وَ) فَعْلُ ، وأصله فَعُولُنْ ، فلحقه الثَّرم فصار وزنه ما ذكر [١] .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة لامرئ القيس على الصحيح ، عند المفضّل وأبى عمرٍو الشيبانى ، كما تقدم التنبيه عليه فى شرح بيتٍ منها فى الشاهد الثامن والخمسين [٢] من أوائل الكتاب ، وتقدم أيضا شرح أبياتٍ منها فى الشاهد العشرين بعد السبعمائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(فى بئرِ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ)

على أنّ زيادة (لا) بين المتضايفين شاذّة ، والأصل فى بئر حور ، فزيدت (لا) بينهما لفظاً ومعنى ، كما نصَّ عليه الشارح المحقق فى باب لا النافية للجنس . أى سَرَى فى بئر هلاكٍ وما شَعَر بسقوطه فيها .

وهذا قول جماعةٍ . وذَهب الفرّاء وتبعه جماعة إلى أنّ لا هنا نافية وليست بزائدة قال : لأنّ المعنى فى بئر ماءٍ لا يُحِيرُ عليه شيئاً ، كأنّك قلت : إلى غير رشَدٍ توجَّهَ وما دَرَى ، ووقعَ على مالا يتبيَّن فيه عملَهُ ، فهو جحدٌ محض .

وتقدَّم الكلامُ عليه مفصَّلا فى الشاهد الستين بعد المائتين [٤] .

---

(١) الأثرم من أجزاء العروض : ما اجتمع فيه القبض والخرم ، يكون ذلك فى الطويل والمتقارب . فالخرم : إسقاط أول الوتد المجموع فى أول الشطر من البيت . والقبض : حذف الخامس الساكن . فإذا كان الخرم وحده فى فعولن فهو ثلم باللام . وانظر حاشية الدمنهورى ٣٧ ، فقد تكفل ببيان مصطلحات الخرم فى تفعيلات العروض المختلفة .

(٢) الخزانة ١ : ٣٧٤ .

(٣) الخزانة ٩ : ١٧٥ — ١٨٢ .

(٤) الخزانة ٤ : ٥١ — ٥٦ .

حرفا التفسير

أنشد فيهما ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد التسعمائة (١) :

٩١٨ (وتَرمِينَني بالطَّرْفِ أىْ أنتَ مُذْنِبٌ ... وتَقلِينَنى لكنَّ إيَّاكِ لا أَقلِي)

على أنّ (أىْ) فيه حرف تفسير للجملة قبله .

قال ابن يعيش : قوله أى أنتَ مذنب تفسير لقوله ترمينني بالطرف ، إذ كان معنى ترمينِي بالطرف : تنظر إلىَّ نظرَ مُغْضَب . ولا يكون ذلك إلاّ عن ذَنْب . انتهى .

وقال (صاحب التخمير) : الرمى بالطرف عبارةٌ عن النظر ، يقال رماه بطرْفه ، إذا نظر إليه ، كأنه قال : تفسير رَمْيها بالطرف إيّاىَ : أنت مذنب ، أى أشارت إلىَّ بطرفها إشارةً دلَّت على أنّى مذنبٌ فى حقّها .

هذا كلامه ، والمعْنَى هو الأوّل .

وفسَّر الدمامينىّ والسيوطى ترميننى بتُشيرِينَ إلىّ . ٤٩١

وتعقَّبه ابن الحنبلىّ وقال : الطَّرف : نظر العين ، أى وترميننى بالطَّرف ، كأنّه سهم . فكثيراً ما يستعار السهم لطرْف العين . كما قال الشافعىّ (٢) :

خُذوا بدمِى هذا الغزالَ فإنّه ... رمانى بسهْمَىْ مُقلتيهِ على عَمْدِ

(١) معانى الفراء ٢ : ١٤٤ . وشرح شواهد التوضيح لابن مالك ٨٣ وابن يعيش ٨ : ١٤٠ والمغنى ٧٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ والهمع ١ : ١٤٨ / ٢ : ٧١ .

(٢) ط : « قال الشاعر » ، وأثبت ما فى ش .

وقال : أى أنت مذنب على التفسير . الرمىُ بالشيء قد يكون على عمدٍ وقد لا يكون ، والمراد الأوّل ، لكون المرمىّ ذا ذنبٍ ولو فى ظنِّ الرامى . والإشارة وإن كانت قد تكون بالطرف ، كما قال :

* أشارَتْ بطرف العينِ خِيفةَ أهْلِها (١) *

وقلنا إنّ الرمى به بهذا المعنى يستلزم الإشارة به ، فالأولى أن لا تكون الإشارة به مقصودةً للشاعر منه ، وأن ليست معنى ترميننى وحدَه ولا لازِمه ، بل لازم مجموع ترميننى بالطَّرف .

هذا ما قرَّره . والحاصل أنّ أى تفسِّر الجملةَ وغيرها ، وهى أعمّ من أنْ ، لأنّه يفسَّر بها المفرد والجملة ، والقولُ الصريح وغيرُه . تقول : رأيت غضنفراً ، أى أسداً ، وأمرت زيداً أى اضرب ، وقلت له قولاً ، أى عبد الله منطلق ، وخرج زيد بسيفه ، أى خرج وسيفُه معه . وإنَّما يحتاج إلى التفسير إذا كان فى الكلام غرابة أو إبْهام أو حذفُ شيء . وما بعدَ أىْ عطفُ بيان على ما قبلَها أو بدلٌ منه . كذا قال ابنُ هشامٍ وغيرُه . وهذا ظاهرٌ فيما إذا فسَّرت مفردا ، وأمّا إذا فسَّرَتْ جملةً كما فى البيت فلا . وذهب الكوفيُّون وتبعهم المبرّد إلى أنّها حرف عطف إذا فسَّرت مفردا ، وردَّ عليهم بأنَّها تفسِّر الضمير المرفوع المتصل بلا تأكيد ولا فَصْل ، وتفسِّر الضمير المجرور بلا إعادةِ الجارّ ، ولو كان ما بعدها معطوفاً بها لم يستقم الأوّل بدون تأكيد أو فاصل ، ولا الثانى بدون إعادة الجارّ . ونسب ابن هشام (فى المغنى) هذا القولَ إليهم وإلى صاحبَي (المستوفى ، والمفتاح) ، وردَّه بأنّا لم نر عاطفاً يصلُح للسقوط دائماً ولا عطفاً ملازما لعطف الشيء على مرادفه .

---

(١) لم أعثر له على نسبة ، وعجزه كما فى البيان ١ : ٧٨ والعمدة ١ : ٧٨ :

* إشارة مذعور ولم تتكلم *

وبعده :

فأيقنت أنَّ الطرف قد قال مرحبا وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّم

وقال أبو حيّان (فى الارتشاف) : وأمّا أىْ فذهب الكوفيُّون وتبعهم ابن السَّكّاكى الخوارزمى (١) من أهل المشرق ، وأبو جعفر بن صابر من أهل المغرب ، إلى أنّها حرف عطف ، تقول : رأيت الغضنفر أى الأسد ، وضربت بالعضْب أى السَّيف ، والصَّحيح أنها حرفُ تفسير يتبع بعدَها الأجلَى للأخفى ، عطفَ بيانٍ يوافق فى التعريف والتَّنْكير ما قبله . انتهى .

واستفيد منهما أنَّ ابن السَّكاكى (٢) هو السَّكاكىُّ صاحب المفتاح .

وإذا فسِّر بأى فعلٌ أسند إلى ضميرٍ حُكى ذلك الضمير بعدَها ، نحو : استكتمتُه الحديث ، أى سألتُه كتمانه ، فالتاء من سألتُه مضمومة . واستكتمه زيدٌ الحديثَ ، أى سأله كتمانه . واستكتْمِهُ يا زيدُ الحديثَ ، أى سَلْه كتمانه . فيجب أنْ يطابق الضميرُ بعدها لما قبلها فى التكلُّم والغيبة والخطاب .

وإن فسَّرتَ الجملَة بالمرادِ منها لم يُحكَ فاعلها ، كالبيت الشاهد . وإذا تقدّم (تقول) على فعل مسند إلى تاء المتكلم وجئتَ بإذا مكان أىْ وجبَ فتح التاء ، لأنّه ظرف لتقول . ونظم بعضهم هذا فقال :

إذا كنيتَ بأىْ فعلاً تفسِّرُهُ ... فضُمَّ تاءك فيه ضمَّ معترِفِ (٣)
وإن تكـنْ بإذا يومـاً تفسِّره ... ففتحك التاءَ أمر غير مختلِفِ

---

(١) ش : « ابن السكاك » فى هذا الموضع ، صوابه فى ط وبغية الوعاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) ابن السكاكى ، باتفاق النسختين هنا ، وشهرته « السكاكى » فقط . وهو أبو يعقوب يوسف ابن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى ، البلاغى المشهور ، صاحب مفتاح العلوم الذى حوى مداخل لستة من علوم العربية ، لا اثنى عشر ، كما ذكر السيوطى فى ترجمته من البغية ٤٢٥ تابعا لمعجم الأدباء ١٩ : ٥٩.وهذه العلوم هى : الصرف ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والاستدلال ، والشعر ، ستة فقط . ولد سنة ٥٥٤ وتوفى سنة ٦٢٦ . وكان معاصراً لياقوت الحموى ، قال فى ترجمته : « وهو اليوم حىٌّ ببلده خوارزم » .

(٣) مغنى اللبيب ٧٧ .

٤٩٢ وقوله : إذا كنَيت بأى ، معناه إذا جئت بضمير مع أىْ حال كونِك تفسِّره فعلا ، فإنّ الضمير يقال له الكناية ، وكنيتُ أى أتيت بكناية .

وقال ابن الملا (فى شرح المغنى) : كنَى عن الأمر أى تكلَّم بغيره ممّا يُستدلّ به عليه ، نحو : فلان كثير الرَّماد ، تريد أنَّه كريم . وكنيت عن الشيء : سترته ، وهذا المعنى هو المراد هنا . وفعلاً مفعول كنيتَ ، على التوسُّع بحذف الجار . وتفسِّره نعتٌ له ، أى إذا كنيت عن فعل تريد تفسيره حال كونك مصاحباً لأى . هذا كلامه .

وأجاز التفتازانى (فى حاشية الكشاف) أنْ يتقدّم (يُقَال) أيضاً على ذلك الفعل ، مع قبح ، قال : إذا أريد تفسير الفعل المسند إلى ضمير المتكلم فإنْ أُتِيَ بكلمةِ (أىْ) كان ما بعدها تفسيراً لما قبلها ، فيجب تطابقُهما . ويجوز فى صدر الكلام (تقولُ) على الخطاب ، و (يُقال) على البناء للمفعول . وإن أتى بكلمة (إذا) كان صدر الكلام فى موضع الجزاء فيجب أن يكون ما بعد إذا على لفظ الخطاب . ولا يستقيم فى صدر الكلام (يُقال) إلاّ إذا قُدّر أنّ القائل هو المخاطب ، لكنّها عبارة قلقة . انتهى .

وفيه مخالفة لغيره فى جعل إذا شرطيّة لا ظرفيّة .

وقوله : (ترمِينَنى) خطابٌ لامرأة ، والياء الأولى ضميرُ خطابٍ لها ، فاعل الفعل ، والياء الثانية ضمير المتكلّم مفعوله ، والنون الأولى علامة الرفع لا تُحذَف إلاّ فى الجزم والنصب ، والنون الثانية نون الوقاية .

قال الزمخشرى (فى الأساس) : رماه بالطَّرف والفاحشة . والطَّرف : العين ، ولا يجمع ، لأنّه فى الأصل مصدر ، وقيل هو اسمٌ جامع للبَصر لا يثنَّى ولا يجمع ، وقيل هو نظر العين .

وقوله : (وتَقْلينني) هو من القِلَى . قال ابن الشجرى (فى أماليه [١]) : القِلَى : البُغض ، مكسور . وقد صرَّفت العرب منه مثالين : قلاه يقليه مثل رماه يرميه ، وقليَه يَقلاه مثل رضِيَه يرضاه . وهو من الياء بدلالة يَقلى ، ولو كان من الواو كان يقلو . وأُنْشِدَ فى يَقْلِى :

وترميننى بالطرف .... البيت .

وفى التنزيل : ﴿ ما ودَّعَك ربُّك وما قَلَى [٢] ﴾ . وروى أبو الفتح لغة ثالثة قلاه يقلوه قَلاءً ، مثل رجاه يرجوه رَجاء . وأنشد :

إن تَقْلُ بعد الودّ أمُّ محلِّم فسيّانِ عندى وُدّها وقلاؤُها [٣]

انتهى . و (فى القاموس) : قلاه كرماه ورضِيَه ، قِلىً وقَلاء ومَقلِيَةً : أبغضَه وكرِهَه غايةَ الكراهة فتركه . أو قلاه فى الهَجْر ، وقَلِيه فى البغض .

وقوله : (لكنَّ إيّاكِ) فيه أقوال : أحدها للفرّاء : أصلها عنده لكنْ الخفيفة النون ، والنون الثانية بقية أنا ، قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لكنّا هو الله ربى [٤] ﴾ معناه لكنْ أنا هو الله ربّى ، ترك همز الألف من أنا ، وكثُر بها الكلامُ فأدغمت النون من أنا مع النون من لكنْ . ومن العرب من يقول : أنا قلت بتمام الألف ، فقرئت (لكنّا) على تلك اللغة ، وأثبتوا الألف فى اللغتين فى المصحف . ويجوز الوقوف بغير ألف فى غير القرآن فى أنا . من العرب من يقول إذا وقف : أنَه ، وهى لغة جيِّدة ، وهى فى عُليا تميم وسُفلى قيس . أنشدنى أبو ثَرْوان :

وترميننى بالطرف ... البيت .

---

(١) النص التالى مما سقط من النسخة المطبوعة من أمالى ابن الشجرى .

(٢) الآية ٣ من سورة الضحى .

(٣) أنشد بدله فى اللسان (قلى ٦٠) قول نصيب :

عليكِ السلام لاَ مُلِلتِ قريبةً ومالكِ عندى إن نأيتِ قَلَاءُ

(٤) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

يريد : لكنْ أنا إيّاكِ لا أقلى ، فترَكَ الهمزة [١] فصار كالحرف الواحد . وزعم الكسائى أنه سمع بعض العرب يقول : إنّ قائمٌ ، يريد : إنَّ أنا قائم فترك الهَمْز وأدغم ، وهى نظيرةٌ للكِنّ . انتهى كلامه .

٤٩٣ وقد تبعه صاحب الكشّاف (فى تفسير هذه الآية) ، وأبو حيان (فى تذكرته) وغَيرُهما .

ثانيها : أن تكون من أخوات إنّ واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة بعدها خبرها ، وعليه اقتصر ابن يعيش ، وصاحب اللباب وشُرّاحه . ونقل ابن المستوفى عن الزمخشرى (فى مناهيه [٢] على المفصّل) أنّه قال : وجهه أن يكون الأصل لكنَّه إياك لا أقلى ، الضمير ضمير الشأن ، ثم حذفه كما حذفه مَنْ قال :

إنّ مَن لام فى بنى بنت حَسّا ... نَ أُلْمْهُ وأعصِهِ فى الخطوبِ [٣]

ولو روى لَكنِّ بكسر النون اجتزاءً من الياء بالكسر ، لكان وجهاً سديدًا .

ثالثها : أنّ اسمها ضمير متكلم محذوف لضرورة الشعر ، أى ولكنّى ، كما حذف اسمُها فى قول الآخر [٤] :

* ولكنّ زنجيٌّ عظيمُ المشافِرِ [٥] *

أى ولكنّك زنجيٌّ . وهو قول الخوارزمى ، نقله عنه ابن المستوفى .

---

(١) ط فقط : « الهمزة » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن .

(٢) كذا فى النسختين هنا ، والظاهر أنها من حواشى الزمخشرى ، وسيأتى فى ص ٢٣٧ مثل هذا بعبارة : « فى كتب الزمخشرى فى الحواشى » .

(٣) للأعشى فى ديوانه ٢١٩ . وانظر تخريجه فى معجم الشواهد .

(٤) للفرزدق فى ديوانه ٤٨١ . وانظر معجم الشواهد .

(٥) صواب إنشاده « مشافره » كما فى معجم الشواهد .

فإن قلت : إيّاك ضمير نصب ، فهل يجوز أن يكون اسم لكنّ ؟ قلت : لا يجوز ، لأنّه لو كان اسمَها لوجب أن يقال ولكنّك ، فإنّه متى أمكن اتّصالُ الضمير لا يُعدَل إلى انفصاله ، اللهمَّ إلاّ أن يُدَّعى فصلُه لضرورة الشعر . قال الأندلسيّ (فى شرح المفصل) : ولو قلتَ : أجعلُ الضمير المنفصل اسماً ولا أقلى خبرا ، وأرتكبُ إجراءَ المنفصل مجرى المتّصل ، وأحذف الراجع إلى اسم لكنّ ، والأصل لكنّك لا أقليك ، لكنتَ لعمرى متعسِّفا . انتهى .

فإنْ قلتَ : حيث امتنع فى الفصيح جعلُ إيّاك اسمَ لكنّ ما وجه فصله عن عامله وتقديمِه عليه ؟ قلت : وجهه الحصر ، فإنّ تقديمَ ما حقُّه التأخير يُفيد ذلك . فأفاد أنّها هى التى لا تقلى ، بخلاف غيرها فإنّه يقلى .

وهذا البيت لم أقف على تتمتِه وقائِله ، مع أنّه مشهورٌ قلَّما خلا منه كتابٌ نحوىّ . والله أعلم .

حروف المصدر

أنشد فيها ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه (١) :

٩١٩ (أعَلاقةً أُمَّ الوليِّدِ بعدَما أفنانُ رأسِكَ كالثَّغامِ المُخْلِسِ)

على أن (ما) فيه مصدرية على قول بعضهم ، خلافا لسيبويه فإنّه جعلَ ما كافّةً لِبَعْدَ عن الإضافة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وكونها فيه مصدريّة هو الظاهر ، لأنّ فيه بقاءَ بعد على أصلِها من الإضافة ، ولأنّها لو لم تكن مضافة لنوِّنت . انتهى .

وسيبويه أورده (فى باب الحروف المشبَّهة بالفعلِ) فإنّه بعد أن ذكر أنّ (ما) تكفُّها عن العمل قال : ونظير إنمّا قول المرّار الفقعسى : « أعلاقةً أمَّ الوليِّد » البيت ، جعل بَعْدَ مع ما بمنزلة حرفٍ واحد ، وابتدأ ما بعده .

قال الأعلم ، وتبعه ابن خلف : بعدَ لا يليها الجمل ، وجاز ذلك لأنّ ما وصلت بها لتتهيّأ للجملة بعدها ، كما فعل بقلّما وربَّما ، وما مع الجملة فى موضع جرٍّ بإضافتها إليها ، والمعنى بعد شَبه رأسِك بالثَّغام المخْلس . فما مع ما بعدها بمنزلة المصدر .

---

(١) فى كتابه ١ : ٦٠ ، ٢٨٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٤ والأصول ١ : ٢٨٣ / ٢ : ٢٦٨ والأزهية ٧٧ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٢ وابن يعيش ٨ : ١٣١ ، ١٣٤ والمقرب ١ : ١٢٩ ورصف المبانى ٣١٤ والمغنى ٣١١ والهمع ١ : ٢١٠ .

هذا كلامهما ، وهو خلاف كلام سيبويه . فتأمَّلْ ، فإنّه جعل ما كافّة وهما جعلاها مصدرية .

وإليه ذهب صاحب اللباب قال : وليست ما فى البيت بكافة لبَعْدَ عن الإضافة ، بل مهيِّئة للإضافة إلى الجملة . وقال (فى التعليقة) : وما فى البيت وإنْ حُكم بأنّها كافّة ، إلاّ أنَّ ذلك لا يعجبنى ، فإنَّ بَعْدَ فى البيت على معناه الأصلىّ ، من اقتضاء الإضافة إلى شئ ، وهو فى المعنى مضافٌ لما بعده ، كأنّه قيل : بعدَ حصولِ رأسِك أشمطَ كالثغام المُخْلِس . فما ذكرت أقربُ إلى الصَّوابِ إن شاء الله تعالى . انتهى .

٤٩٤

وأوردهُ سيبويه (فى باب ما جرى فى الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل) من أوائل كتابه أيضا . قال ابن خلف : الشاهد فيه إعمال المصدر عملَ الفعل ، ونصبُ أمِّ الوليد بعلاَقة ، لأنّها بدلٌ من اللفظ بالفِعْلِ ، فعَمِلت عملَه ، كأنّه قال : أتَعْلَق أُمَّ الوليِّد بعدَ الكِبَر . يُقال : عَلِقَ الرجلُ المرأةَ يَعْلَقها علَقاً من باب فرح ، وعلاقة ، إذا أحبَّها ، وتعلَّقها تعلُّقا . و (العَلاقة) : الحُبّ ، وتكون العلاقة أيضاً الارتباطَ فى الأمور المعنويَّة ، كعلاقة الخصومة . والعِلاَقة ، بالكسر هى عِلاقة السَّوط ونحوِهِ من الأمور الحسّيَة . وفى القاموس : العَلاقة وتكسر : الحُبُّ اللازم للقلب ؛ أو بالفتح فى المحبَّة ونحِوها ، وبالكسر فى السَّوط ونحوه . و (الوليِّد) : مصغر وَلَدٍ بفتح الواو . قال الأعلم وابن خَلَف : وصغّر الوليد ليدلَّ على شباب المرأة ، لأنَّ صِغَر ولدِها لا يكون إلاّ فى عَصْرِ شبابها وما يتّصل به مِن زمان ولادتها . انتهى .

وهذا الحصر غير صحيح ، فإنّها قد تكون مُسِنّة ولها ولد صغير . والأولَى أن يكون التصغير للتحبيب ، ونُكتة إضافتها إليه دون البِنْت للمدح ، فإنَّ قولَهم أُمّ الوليد وأمّ الصَّبيِّين صَفةٌ مادحة للمرأة .

وقال السِّيرافى : الرواية الصحيحة (أُمّ الوَلِيد) بالتكبير ، ويكون مزاحفا أى بالوَقْص ، وهو إسقاط الحرف الثانى من متفاعلن بعد إسكانه [١] قال : وإنَّما جُعلت الرواية بالتّصغير لأنّه أحسَنُ فى الوزن . والوَلِيد : الصبىّ . انتهى .

و (الأفنان) : جمع فَنَن بفتحتين ، وهو الغُصْن ، وأراد بها ذوائبَ شَعرِهِ ، على سبيل الاستعارة . و (الثَّغَام) بفتح المثلثة والغين المعجمة ، قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات):أخبرَنى بعضُ الأعراب قال : تَنْبُتُ الثَّغامةُ خيوطاً طِوالاً دِقاقاً من أصلٍ واحد ، وإذا جفَّت ابيضَّت كلُّها . وهو مرعًى تُعلَفُه الخيل . وإذا أمحلَ الثَّغام كان أشدَّ ما يكونُ بياضاً ، ويشبَّه به الشَّيب . قال حسَّان :

إمَّا ترَىْ رأسى تغيَّر لونُــــه شَمَطاً فأصبحَ كالثَّغام المُمْحِلِ [٢]

وإذا كان الثَّغام مُخْلِسا شُبِّه به الشَّعَر الشَّمِيط ، وهو الذى اختلط بياضُه بالسَّواد . والخليس من النبات : الذى ينبت الأخضرُ منه فى خلال يبيسِهِ . قال المرَّار الفقعَسىّ :

* أعلاقةً أمَّ الوليّد ... البيت .

أى بعد ما شَمِطْتَ . والرأس الشَّميط : الذى نصفُه أبيض ونصفه أسود . وقال بعض الرُّواة : إنَّ رأسه لثاغِمٌ ، إذا ابيضَّ كلُّه .

وقال الدينورىّ (فى موضع آخر من كتابه) : الخَلْس [٣] والخَليس ،

---

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى : « قوله بعد إسكانه ، كذا بالأصل ، ولا حاجة إليه » . أقول : وما قاله السيرافى فى الوقص يطابق ما ورد فى اللسان (وقص ٣٧٦) ؛ إذ جعل الوقص على مرتبتين كما هنا ، إسكان الثانى ثم حذفه .

(٢) ديوان حسان ٣١٠ برواية : « كالثغام المحوِل » : الذى أتى عليه حَول .

(٣) الخلس ، وردت فى القاموس ولم ترد فى اللسان ، وهى بفتح الخاء وسكون اللام .

وهما جميعا : الكلأ اليابس ينبُت فى أصله الرَّطبُ فيختلط به . قال أبو زياد : يقال أخلَسَتِ الأرض ، وهو الخليس . ومنه قيل أخلَسَ رأسُه ، إذا شاب فاختلط بالسواد .

وقال فى موضع آخر : وإذا كان العشبُ منه الرَّطبُ الأخضرُ ومنه الأصفر الهائج ، قيل : أخلسَ النبتُ يُخلِس إخلاساً . والنبت خَليسٌ ومُخْلِس . ومنه قيل للشعر إذا شَمِطَ واختلط بياضُه بسواده : خليس . انتهى .

٤٩٥ والاستفهام فى البيت ، للتوبيخ . يخاطب الشاعر نفسه ويقول : أتَعلَقُ أُمَّ الولَيِّد وتحبُّها وقد كبِرتَ وشِبْتَ .

والمرَّار بن سعيد الفقعسى : شاعرٌ إسلامىٌّ تقدّمت ترجمتُه فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أَعَنْ ترسَّمْتَ مِنْ خَرقاءَ مَنزِلةً ماءُ الصَّبابةِ من عَينَيكَ مَسْجومُ)

على أن (عن) أصلها أَنْ ، قلَبَ بنو تميم وبنو أسدٍ همزتَها عينا .

قال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : وذلك فى أنْ وأنَّ خاصّةً ، إيثاراً للتخفيف ، لكثرة استعمالهما وطولهما بالصِّلة ، قالوا (٢) : أشهد عَنَّ محمّدًا رسول الله . ولا يجوز مثل ذلك فى المكسورة . انتهى .

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ – ٢٨٩ .

(٢) فى النسختين : « بالصلة بالواو يقولون » وفى العبارة إقحام وتحريف ، أثبت صوابه من ابن يعيش ٨ : ١٤٩ .

وقال ابن المستوفى : إنمّا قلبوها إلى العين كراهيةَ اجتماع مِثْلين ، وقلبُها إلى الهاء أكثر من قلبها إلى العين . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّ أنْ وأنّ غير لازم استعمالُهُما مع ألف الاستفهام .

وهى لغة مرجوحة . قال ثعلب (فى أماليه) : ارتفعت قريشٌ فى الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هَوَازن ، وتضجُّع قيس ، وعَجْرفيَّة ضبّة ، [وتلتَلَةِ بَهْراء [1]] . فأمّا عنعنة تميم فإنّ تميما تقول فى موضع أَنّ عَنَّ عبد الله قائم . قال : وسمعتُ ذا الرمّة ينشد عبدَ الملك [2] :

* أَعَنْ ترسَّمت مِن خَرقاءَ منزلةً *

قال : وسمعت ابن هَرْمة ينشد هارون ، وكان ابن هَرْمة رَبِىَ فى ديار تميم :

أعن تغنَّتْ على ساقٍ مطوَّقةٌ ورقاءُ تدعو هَديلاً فوقَ أعوادِ [3]

وأمّا تلتلة بهراء فإنّهم يقولون : تِعلَمون وتِفعلون وتِصنَعون ، بكسر أوائل الحروف . انتهى .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) بعد نقله ما تقدَّم : فأمّا كشكشة ربيعة [4] فإنّما يريد بها قولَها مع كاف ضمير المؤنث : إنَّكِشْ ، ورأيتُكِش

---

(١) التكملة من مجالس ثعلب ١٠٠ . وقد تنبه لهذا السقط مصحح طبعة بولاق .

(٢) علقت على هذا فى حواشى مجالس ثعلب ، بأنه قد سقط هنا اسم القائل ؛ فإن ثعلبا لا يصح أن يكون القائل ؛ فإنه لم يدرك ذا الرمة ، فإن مولده سنة ٢٠٠ . والظاهر أن الأصمعى هو القائل والسامع . انظر الخصائص ٢ : ١١ . وقد تنبه لذلك قديما ابن جنى فى سر الصناعة ١ : ٢٣٤ فقال فى سياق هذا السند بعينه : « عن أبى العباس أحمد بن يحيى أحسبه أنا عن الأصمعى » .

(٣) ديوان ابن هرمة ١٠٧ عن مجالس ثعلب والخصائص وسر الصناعة ١ : ٢٣٥ .

(٤) نسبت الكشكشة عند الجوهرى فى الصحاح إلى بنى أسد ، ونسبت كذلك إلى تميم فى اللسان (كشش ٢٣٤) ، قال : « وفى حديث معاوية : تياسروا عن كشكشة تميم ، أى إبدالهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث فيقولون : أبوشِ وأُمُّشِ » .

وأعطيتُكِشْ ، تفعل هذا فى الوقف ، فإذا وصلَتْ أسقطت الشين . وأما كسكسة هَوازن [١] فقولهم أيضا : أعطيتُكِسْ ، ومِنْكِسْ ، وعَنْكِسْ . وهذا أيضاً فى الوقف دونَ الوصل . انتهى .

والهمزة للاستفهام التقريرىّ خاطبَ نفسَه على طريق التجريد . و (أن ترسَّمْتَ) فى تأويل مصدرٍ مجرور بلام مضمَرة متعلّقة بمسجوم ، والتقدير : لأجلِ ترسُّمك ونظَرِك دارَها التى نزلَتْ بها أسالت عينُك دموعَها ؟

وقال ابن المستوفى : فى كتب الزمخشرى فى الحواشى : المعنى أمِن أنْ ترسَّمت ، أى ألأَنْ ترسَّمت ، أى تخيَّلتَ ، منصوب لأنّه مفعول به ، والتقدير : ألترسُّمك من خرقاء منزلةً سُجِم ماءُ عينيك ، كقوله تعالى : ﴿ أن تَحبَطَ أعمالُكم [٢] ﴾ . انتهى . وهذا غلطٌ من الكاتب ، والصَّواب مفعول له . انتهى . وليس بغَلط كما زعم ، فإنّ حرف الجرِّ إذا حُذف انتصب ما بعده على المفعول به . وهو معروف شائع .

قال : وترسَّمت الدار : تأمّلت رسمَها ، وكذلك إذا نظرتَ وتفرّستَ أين تُحفَر أو تبنىَ . قاله الجوهرى [٣] . وخرقاء : صاحبته ، وهى من بنى عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . والخرقاء : [غير [٤]] الصَّنَّاع . انتهى .

---

(١) فى اللسان (كسس) : « وفى حديث معاوية : « تياسروا عن كسكسة بكر . يعنى إبدالهم السين من كاف الخطاب تقول أبوسَ وأُمُّسَ ، أى أبوكَ وأُمّكَ . وقيل هو خاص بمخاطبة المؤنث . ومنهم من يدع الكاف بحالها ويزيد بعدها سينا فى الوقف فيقول : مررت بكِسْ ، أى بِكِ » .

ويبدو أن بكراً هذه ليست بكر بن وائل ، بل هى بكر بن هوازن ، وهم قبيل كبير أيضا ، منهم سعد بن بكر بن هوازن أظآر النبى ﷺ . جمهرة ابن حزم ٢٦٥ .

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات .

(٣) الصحاح (رسم ١٩٣٢) .

(٤) بمثل هذه التكملة يصح الكلام . وفى اللسان (خرق ٣٦٢) : « أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعا » .

أقول : قد تقدّم فى ترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن من أول الكتاب [١] أنّ خَرقاءَ هى مَيَّة ، وهو قول ثعلب ، وقيل غيرها ، وهو قول ابن قتيبة .

والبيت مطلع قصيدة طويلة لذى الرمة . ٤٩٦

وقال أبو العباس الأحول (فى شرح ديوانه) : حدّثنا بعض أصحابنا عن النُّسَيْر بن قُسَيم ، أبى جَهْمة العدوىّ قال : سمعت ذا الرمة يقول : من شعرى ما ساعدَنى فيه القول ، ومنه ما أجهدتُ نفسى فيه ، وفيه ما جُننت فيه جنوناً . فأمّا الذى جننت فيه جنونا فقولى :

* ما بالُ عينِكَ منها الماءُ ينسكبُ *

وأمّا ما طاوعنى فيه القول فقولى :

* خليليّ عُوجا من صدور الرواحل *

وأما ما أجهدت نفسى فيه فقولى :

* أأن تَرسَّمْتَ مِن خَرقاء منزلةً *

وتقدَّم شرحه مجملاً فى الشاهد الحادى والخمسين بعد الثمانمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد التسعمائة [٣] :

٩٢٠ (عَلَىَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقتلِى)

هو عجزٌ [من [٤]] بيتٍ لامرئ القيس ، وهو :

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ — ١١٠ .

(٢) الخزانة ١٠ : ٢٩٢ .

(٣) رصف المبانى ٢٩٢ ، والمغنى ٢٦٦ .

(٤) التكملة من ش .

(تجاوَزْتُ أحراساً إليها ومعشراً عليَّ حِراصاً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي)

على أنّ (لو) فيه مصدريّة .

قال المرادى (فى الجنى الدانى) : علامتها أن يصلح فى موضعَها أنْ ، كقوله تعالى : ﴿ يودّ أحدُهُمْ لو يُعَمَّر [١] ﴾ . ولم يذكر الجمهور أنّ لو تكون مصدريّة ، وذكر ذلك الفراء ، وأبو عليّ ، والتِّبريزى ، وأبو البقاء ، وتبعهم ابن مالك . ومَنْ أنكرها تأوّلَ الآيةَ ونحوها على حذف مفعولِ يودّ وجوابِ لو ، أى يودُّ أحدُهم طولَ العمر لو يعمَّر بذلك ألفَ سنة لسُرَّ بذلك . ولا تقع لو المصدريّة غالباً إلاّ بعد مفهمِ تَمَنٍّ . وقلّ وقوعُها بعد غيرِ ذلك ، كقول قُتَيلة بنت النَّضْر :

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربَّما مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحنَقُ [٢] . انتهى

قال ابن هشام (فى المغنى) : ولا خَفاءَ بما فى ذلك الجواب من التكلّف . ويشهد للمُثْبِتين قراءةُ بعضهم [٣] : ﴿ ودوا لو تُدهِنُ فيُدهِنُوا [٤] ﴾ بحذف النون ، فعطف يدهنوا بالنَّصب على تدهن ، لمَّا كان معناه أن تدهن . ويُشكل عليهم دخولُها على أنَّ فى نحو : ﴿ وما عَمِلَتْ من سُوءٍ تودُّ لو أنَّ بينَها وبَينَهُ أَمَداً بعيداً [٥] ﴾ . وجوابه : أنّ لو إنمّا دخلت على فعل مقدَّر ، تقديره : تودّ لو ثبت أنّ بينها وبينه .

---

(١) الآية ٩٦ من سورة البقرة .

(٢) السيرة ٥٣٩ والأصول ٢ : ٢٦٨ والمغنى ٢٦٥ والعينى ٤ : ٤٧١ والتصريح ٢ : ٢٥٤ والأشمونى ٤ : ٣٤ .

(٣) لم أجد نسبة لهذه القراءة . وفى تفسير أبى حيان ٨ : ٣٠٩ : « وقال هارون : إنه فى بعض المصاحف : فيدهنوا . ولنصبه وجهان : أحدهما : أنه جواب ودُّوا ، لتضمنه معنى ليت . والثانى : أنه على توهم أنه نُطق بأنْ ، أى ودوا أن تدهن فيدهنوا ، فيكون عطفا على التوهم . ولا يجئ هذا الوجه إلا على قول من جعل لو مصدرية بمعنى أنْ » .

(٤) الآية ٩ من سورة القلم .

(٥) الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وأورد ابن مالك السؤال فى : ﴿ لو أنَّ لنا كَرَّة [١] ﴾ ، وأجاب بما ذكرناه ، وبأنّ هذا من توكيد اللفظ بمرادفِه نحو : ﴿ فِجَاجاً سُبُلاً [٢] ﴾.والسؤال فى الآية مدفوعٌ من أصله ، لأنّ لو فيها ليست مصدرية . وفى الجواب الثانى نظر ، لأنَّ تأكيد الموصول قبل مجئ صلته شاذّ ، كقراءة زيد بن على : ﴿ والذين مَنْ قَبلكم [٣] ﴾ بفتح الميم . انتهى .

وقد أورد الشارح هذه الآية هنا تبعاً لابن مالك ، فيَرِدُ عليه أنّها لو التى للتمنّى ، لا مصدرية .

وقد ناقش الدمامينى فى توجيه دليل المثبتين بأنَّ « يُدهنوا » منصوبٌ بأنْ مضمرة جوازاً ، والمجموع منها ومن صلتها ، معطوف على المجموع من لو وصلتها ، فهو من باب عطف مصدرٍ على آخر . وهذا ماشٍ على القواعد ، بخلاف تخريج ابن هشام . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة ، وقبله :

وبيضةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها تمتَّعْتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ)

---

(١) الآية ١٦٧ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣١ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٢١ من سورة البقرة . وقد أثبت الزمخشرى هذه القراءة ، ونقلها عنه أبو حيان فى البحر ١ : ٩٥ . قال الزمخشرى : « وهى قراءة مشكلة ، ووجهُها على إشكالها أن يقال : أقحم الموصول الثانى بين الأول وصلتِه تأكيدا ، كما أقحم جرير فى قوله :

* يا تيم تيم عدى لا أبالكم *

تيما الثانى بين الأول وما أضيف إليه . وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه فى : لا أبالك » . قال أبو حيان : وهذا التخريج مذهب لبعض النحويين ، زعم أنك إذا أتيتَ بعد الموصول بموصول آخر فى معناه مؤكّد له لم يَحتج الموصول الثانى إلى صلة ، نحو قوله :

من النفر اللائى الذين إذا هم يهاب اللئامُ حَلْقة البابِ قعقعوا

وانظر اعتراض أبى حيان على هذا المذهب .

٤٩٧ قوله : (وبيضةِ خِدْرٍ) إلخ الواو واو رب ، والبيضة استعارة للمرأة الحسناء . قال الزّوزنى : تشبَّه النِّساء بالبَيْض مِن ثلاثة أوجه : أحدها بالصَّحة والسَّلامة عن الطَّمْث ، ومنه قول الفرزدق :

خَرجْنَ إلىّ لم يُطمَثْنَ قبلى وهنَّ أصَحُّ من بيضِ النَّعامِ [(١)]

الثانى : الصِّيانة والسَّتر ، لأنَّ الطائر يصون بيضَه ويحضُنه .

الثالث : فى صفاء اللون ونقائه . وربمَّا شُبِّهت النساء ببيض النَّعامةِ وأريدَ أنّهن بِيضٌ يشُوب ألوانَهنّ صُفرة . وكذلك بيض النعامة . ومنه قول ذى الرمة :

* كأنَّها فِضَّةٌ قد مسَّها ذهَبُ [(٢)] * انتهى .

والخِدر ، بالكسر : السِّتر ، ويطلق الخِدر على البيْت إن كان فيه امرأة . وأَخدَرت الجاريةُ : لزِمت الخِدرَ . وأخدَرها أهلُها ، يتعدّى ولا يتعدّى ، كخدَّرُوها ، بالتشديد والتخفيف . والمعنى : سَتروها وصانوها عن الامتهانِ والخروج لقضاء الحوائج .

وقوله : (لا يُرام) أى لا يُطلَب . والرَّوم : الطَّلَب . و (الخِباء) بكسر المعجمة بعدها موحّدة : بيت يُعمل من وبر أو صوف أو شَعَر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة . والبيت أكبر منه ، على ستّة أعمدة إلى تسعة .

---

(١) ديوان الفرزدق ٨٣٦ برواية : « مشينَ إلىّ » ، واللسان (طمث) برواية : « وقعن إلىّ » و : « فهن أصح » . وطمثت المرأة ، بالبناء للمفعول ، أى أدمِيَتْ بالافتضاض . أى هن عذارى غير مفترَعات . وفى النسختين هنا : « قلبى » ، تحريف .

(٢) صدره فى ديوان ذى الرمة ٥ :

* كَحلاء فى بَرَج صفراء فى نَعَج *

وانظر الكامل ٤٥٢ والخصائص ١ : ٣٢٥ والوساطة ٢٩٣ والعمدة ٢ : ٢٤ ، ٧٩ .

و (تمتَّعت) جواب ربّ . والتمتّع : التلذُّذ بالمتاع ، وهو كل ما يُنتفع به [١] كالطّعام والبزّ وأثاث البيت . و (اللّهوُ) : ترويح النفس بما لا تقتضيه الحكمة . و (غَير [٢]) روى بالجر على أنّه صفة للهو ، وبالنصب على أنّه حال من التاء فى تمتَّعت .

و (مُعجَل) : اسم مفعول من أعجله ، أى حمله على أن يَعْجَل : قال التِّبريزى : غير مُعْجَل أى غير خائف ، أى لم يكن ذلك ممّا كنت أفعله مرّة . وقال أبو جعفر : أى غير خائف . وقال الإمام الباقلاّنى (فى إعجاز القرآن) : قالوا:إنّها كبيضة خِدرٍ فى صفائها [٣] . وهذه كلمة حسنة ، ولكنْ لم يَسبِقْ إليها ، بل هى دائرةٌ فى أفواه العرب ، وتشبيهٌ سائر . وعنى بقوله « غيرَ معجَل » ، أنّه ليس ذلك ممّا يتّفق قليلاً وأحيانا ، بل يتكرَّرُ له بها [٤] . وقد يُحمَل على أنّه رابط الجاش ، فلا يَستعجله [٥] إذا دخلها خوفُ حصانتها ومَنَعتها . وليس فى هذا البيت كبير فائدة ، لأنَّ الذى فى سائر أبياته قد تضمَّن مطاولتَه فى المغازلة واشتغالَه بها ، فتكريره فى هذا البيت مثلَ ذلك قليلُ المعنى ، إلاّ الزيادة التى ذكر من مَنعتها . وهو مع ذلك سليمُ اللَّفظ فى المصراع الأوّل دون الثانى . انتهى .

وقوله : « تجاوزت أحراساً » إلخ قال التِّبريزى : هو جمع حَرَس . انتهى . وهو كحجر وأحجار . وحَرَس : جمع حارس ، كخدم جمع خادم ، كذا قال الزوزنى . وأجاز أيضاً أن يكون الأحراس جمع حارس كصاحب وأصحاب ،

---

(١) يُنْتفع به ، واضحة فى ط عسرة القراءة فى المخطوطة .

(٢) ط : « وغيره » ، صوابه فى ش .

(٣) فى إعجاز القرآن ٢٦١ : « فى صفائها ورقتها » .

(٤) فى النسختين : « بل يتكلف للاستمتاع بها » ، صوابه فى إعجاز القرآن .

(٥) فى الإعجاز : « فلا يستعجل » .

وناصر وأنصار ، وشاهد وأشهاد . ومنعه بعضُهم ، لأنَّ جمع فاعل على أفعال لم يثبت . قال : وأصحابٌ إنَّما هو جمع صَحِب بكسر الحاء ، كنمِر وأنمار [١] . وصَحْب بسكون الحاء : اسم جمع ، كنَهْرٍ وأنهار . قال الجوهريّ : فأمَّا الأشهاد والأصحاب فهو جمع شهيد وصَحْب . و « إليها » متعلّق بتجاوزت . وعنَى بالمعشر قومَها ، وهو الجماعة من الناس . و « على » متعلّق بحِراص ، وهو صفة معشر . وروى أيضا :

تجاوزت أحراساً وأهوالَ معشرٍ   عليَّ حراصٍ ....

فحِراص وصف معشر فى النصب والجر ، وهو جمع حريص ككرام جمع كريم . وفعله يتعدّى بعَلَى ، يقال : حَرَص عليه حَرْصا من باب ضرب ، إذا اجتهد ؛ والاسم الحِرْص . وقوله : « لو يُشِرُّون » إلخ المصدر المؤوَّل من لو وما بعدها بدل اشتمال من الياء فى عليّ . وإلىَ مصدريَّةِ (لوْ) ذهب التِّبريزى ، قال : يريد أن يُشرُّوا . وأَنْ تضارع لو فى مثلِ هذا الموضع ، يقال : وددت أن يقوم زيد ، ووددت لو قام ، إلاّ أنّ لو يرتفع المستقبل بعدها وأنْ تنصبُه . قال تعالى : ﴿ أيودُّ أحدُكم أن تكونَ له جنّةٌ من نَخِيلٍ وأعنابٍ [٢] ﴾ وقال فى موضع آخر : ﴿ ودُّوا لو تُدهِنُ فيُدْهِنون [٣] ﴾ . انتهى .

و (المقتل) : اسم مصدر بمعنى القَتل . وقوله : (يُشِرُّون) قال العسكريّ (فى كتاب التصحيف [٤]) : وممَّا يُروى على وجهَين هذا البيت . روى

٤٩٨

---

(١) لم أجد هذا النص فى الأصحاب عند الزوزنى ، ولا هو عند التبريزى أو ابن الأنبارى ، ولا هو مما ورد فى الصحاح . كما أنه لم يرد فى اللسان ولا القاموس .

(٢) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٩ من سورة القلم .

(٤) تصحيف العسكرى ٢٢١ .

الأصمعيُّ : « يُشِرُّون » بالشين المعجمة ومعناهُ يُظهِرون ، يُقال أشررت الشيء ، إذا بسطتَه . وقال الشاعر [١] :

* وحتّى أُشِرَّتْ بالأكفِّ المصاحفُ [٢] *

أى أُظهِرَت . ومعناه ليس يُقتَل مثلى خفاءً . فيكون قتلهم إيَّاه هو الإظهار . ورواه غيره : « لو يُسِرُّون مقتلِي » من غيظهم علىّ . وهذا مثل قول القائل : هو حريص علىَّ لو يقتلُنى . يقال أسررت الشيء ، إذا أظهرتَه ، وهو من الأضداد . ومعنى يُسِرُّون ، أى هم حِراصٌ على إسرار قتلى ، وذلك غير كائنٍ ، لنباهتى وذكرى . انتهى .

وقال فى موضع آخر : قال أبو عبيدة فى قوله لو يُسِرُّون مقتلى : أى يظهرونه . ورواية الأصمعى : « لو يُشِرُّون » أى يظهرون ، يقال أشررت الثوبَ ، إذَا نشرته ، وشَرَرتُهُ أيضا . انتهى .

فمعنى الروايتين متَّفق . وهذا أحسن من قول التِّبريزىِّ تبعاً لغيره : من رواه بسين غير معجمة احتمل أن يكون معناه يكتمون ، ويحتمل أن يكون معناه يُظهرون ، وهو من الأضداد . انتهى .

قال الزوزنى : يقول تجاوزتُ فى زيارتى إليها أهْوالاً كثيرة ، وقوماً يحرسُونها ، حِراصًا علَى قتلِي جهارًا .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب [٣] .

---

(١) هو كعب بن جعيل ، أو الحصين بن حمام المرى ، كما فى اللسان (شرر ٦٩) . وهو لكعب بن جعيل فى رثاء عبيد الله بن عمر فى وقعة صفين ٢٩٩ .

(٢) صدره فى اللسان ووقعة صفين :

* فما برحوا حتى رأى الله صبرهم *

(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .

حروف التحضيض

أنشد فيها :

(تَعُدُّون عَقْر النِّيبِ أفْضَلَ مَجدِكُمْ بنى ضَوْطَرى لولا الكمىَّ المُقَنَّعا)

على أنَّ الفعل مقدَّر بعد لولا التحضيضية ، أىّ لولا تعدُّون .

و (الكمىّ) : الشُّجاع ، مفعول أوّل لهذا المقدّر ، بتقدير مضاف . والمفعول الثانى محذوف ، والتقدير : لولا تعدُّون عقرَ الكمىّ أفضلَ مجدكم . و (المقنَّع) : الذى وضع على رأسه البيضة والمِغفر . و (بنى ضَوْطَرَى) : منادًى ، وهى كلمة سبّ وذمّ . وتقدّم شرح البيت فى الشاهد الرابع والستين بعد المائة [1] .

* * *

وأنشد بعده :

(يقولون : لَيلَى أرسلَتْ بشفاعة إلىَّ ، فهلاَّ نفسُ لَيْلَى شَفِيعُها)

على أنّ مجىء الجملة الاسمية بعدهَلّاضرورة .

وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة [2] .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٥٥ – ٦٠ .

(٢) الخزانة ٣ : ٦٠ – ٦٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد التسعمائة [1] :

٩٢١ (ألا زعمَتْ أسماءُ أنْ لا أحبُّها فَقُلتُ : بَلَى ، لولا ينازعُنِى شُغلى)

على أنه قد تجىء الجملة الفعلية بعد لولا غير التحضيضيَّة .

٤٩٩ وإنَّما كانت هنا غير تحضيضية لأنّ الحضَّ طلبٌ بحَثٍّ وإزعاج . والشاعر لم يردْ أن يحثَّ نفسَه على منازعة الشغل ، وإنمّا يريد الاعتذار عن القيام بمحبّتها بهذا المانع ، وهو مجاذبتُه الشُّغل .

وإنَّما لم يقل الشارح المحقق : « وغير الامتناعيَّة » لأنَّها لا تدخل على الفعل . وأجاب عنها بجوابين :

أحدهما أنّ لولا ليست كلمةً واحدةً رُكِّبتْ من كلمتين ، وإنمّا هى كلمتان . قال ابن الأنبارىّ : لولا هنا غير مركّبة ، بل لا نافية على حالها ، ولَوْ على حالها . وإنمّا أوّل لا بلمْ ليبيِّن أنّها مستقلَّة فى إفادة النفى كلم فى : لو لم .

والجواب الثانى : أنّ لولا هى الامتناعيَّة ، لكن كان الأصل : لولا أن ينازعنى شغلى ، فلمَّا حُذفت أن ارتفع الفعل كما فى قولهم : « تَسمَعُ بالمعَيْدِىِّ لا أنْ تَراه » فيكون أن المحذوفة مع الفعل فى تأويل مبتدأ ، أى لولا منازعتى شغلى . ولا يخفى أنَّ هذا ليس من مواضع حذف أنْ .

والجواب الجيّد هو الأول ، ولذا قدَّمه الشارح .

وقد أشار إليهما ابن مالك (فى التسهيل) فقال : « وقد يلى الفعل لولا غير مُفهِمة تحضيضاً فيؤوَّل بلو لم ، أو تجعل المختصَّة بالأسماء والفعل صلة أن » . قال

---

(١) ابن يعيش ٨ : ١٤٦ والمغنى ٢٧٦ والهمع ١ : ١٠٥ والهذليين ١ : ٣٤ والسكرى ٨٨ .

شارحه ابن عقيل : يشير بهذا إلى تأويل ما استشهد به الكسائىّ على ما ذهَبَ إليه من أنَّ المرفوع بعد لولا الامتناعية مرفوعٌ بفعل مضمر ، لظهوره فى قوله :

* ألاَ زعمت أسماءُ أن لا أحبّها * ... البيت

وقولِه :

لا درَّ دَرُّكِ إنِّى قد رميتهمُ لولا حُدِدتُ ولا عُذْرَى لمحدودِ [١]

والتأويل هو أنَّ لو حرف امتناع لامتناع ، ولا نافية بمعنى لم ، أى لو لم ينازعنى ولو لم أُحَدّ . ولا قد نُفى بها الماضى نحو : ﴿ فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى [٢] ﴾ أى لم يصدِّق ولم يصلّ . أو لولا حرف امتناع لوجود ، وما بعدها مبتدأ بإضمار أنْ ، أى لولا أن ينازعنى ، ولولا أنْ حُدِدتُ . ولمَّا حذفت بطل عملُها فى تنازعنى فارتفع . انتهى .

ولا حاجة إلى قوله : « ولا قد نُفِىَ بها الماضى » إلخ ، بالنسبة إلى البيت الأوّل ، لأنَّ « لا » إنمّا تؤوّل بلم إذا دخلتْ على الماضى كالبيت الثانى . وأمّا إذا دخلت على المضارع كالبيت الشاهد فلا تؤوَّل به . وإنمّا قالوا عند إيرادِه وَحْدَه : إنّ لولا بمعنى لو لم ، لِمَا ذكرنا .

وذهب الإمام المرزوقىُّ إلى أنَّ لولا الامتناعية قد يليها الفعلُ بقِلَّة ، ولا حاجة إلى التأويل ، كالبيتين .

واعلم أنَّ لولا فيهما سواء كانت لو الشرطية مع لا ، أو امتناعية لابُدَّ لها من جواب ، فجوابها إمّا فى ما أوجبه بلى قبلها ، أو البيت الذى يليها ، وهو :

(جَزيتُكِ ضِعف الوُدِّ لمَّا اشتكيتِهِ وما إنْ جزاكِ الضِّعفَ من أحدٍ قبلى)

---

(١) للجموح الظفرى . وانظر الخزانة ١ : ٤٦٢ .

(٢) الآية ٣١ من سورة القيامة .

صاحب الشاهد

والبيتان أوّلا قصيدةٍ لأبى ذؤيب الهذلىّ . قال الإمام المرزوقى فى شرحها : قوله : « ألاّ زعمت أسماء » إلخ الزعم يستعمل فيما يُرتاب ولا يتحقّق [١] ، ويتعدَّى إلى مفعولين ، وأن لا أحبُّها قد سدّ مَسَدَّهما وأنْ هذه مخفّفة من الثقيلة . أراد أنّى لا أحبّها . أوْ أنَّ الأمر والحديث لا أحبُّها ، كأنّها استزادت زيارته لها وتوفُّرَه عليها ، واستقصرت تهالكه فيها وشغفَه بها ، وادَّعت عليه أنَّه قد حالَ عن العهد ، وتحوَّل متراجعاً فى درجات الودّ ، فقال مجيبا لها ، ومبطلاً لدعواها : بلى أحبُّك ، وأرى من المثابرة عليك والسَّعى فى تحصيل بعضِ المراد بالنَّيل منك ، ما هو الهوى والمُنَى ، لولا الشغل المنازع ، والعائقُ المانع . ولولا يدخل لامتناع الشئ لوجودِ غيره ، وهو يربط جملة من مبتدأ وَخبر بجملةٍ من فعل وفاعل ، إلاّ أنّ خبر المبتدأ يحذف تخفيفا ويُكتَفى بجواب لولا عنه . وقد يؤتى بالفعل والفاعل بدلاً من المبتدأ والخبر ، وهذا كما نحن فيه . ألا ترى أنّه قال : لولا ينازعنى شغلى . وجواب لولا ، فى قوله : بلى ، وقد تقدَّم ، والتقدير لولا مجاذبَة الشُّغل الذى أنا بصدده لقمتِ فيكِ مقام المحبّ ، فإنّى أحبُّك . ومثلُ هذا فى تقدّم الجوابِ وكونِ الفعل والفاعل مكانَ المبتدأ والخبر ، قولُ الآخر :

٥٠٠

لادرّ درّكِ إنّــى قد رمــيتهمُ   لولا حُدِدتُ ولا عُذرَى لمحدودِ [٢]

وذكر بعضُهم أنَّ جواب لولا فيما بعده ، وهو « جزيتك ضِعْفَ الودّ » البيت . والضِّعف هنا بمعنى المضاعَف ، كقوله تعالى : ﴿ فآتِهِمْ عذاباً ضِعْفاً من النار [٣] ﴾ ، أى مضاعَفا . وبعده :

---

(١) ش : « ولا يحقق » .

(٢) مضى قبل هذا بصفحتين .

(٣) الآية ٣٨ من سورة الأعراف .

(فإنْ تك أنثَى فى معدٍّ كريمةً علينا فقد أُعطِيتِ نافلَةَ الفَضْلِ)

والنافلة : الغنيمة وبه سمِّى ما لا يَجِبُ من الطاعات نَوافل . وقيل لمن فعَلَ إحساناً لا يلزمُه : تنفَّلَ به . والمعنى : إنْ تكرمْ علينا امرأة فى نساءِ معدٍّ فقد جُعِل لكِ عليها بعد الواجب فى إيثارك وتَكرِمَتك زيادةٌ تفضُلين بها . وإنَّما أضاف النافلة إلى الفضل لما كانت تفضُل على مَنْ سواها بتلك النافلة .

ثم قال بعد أربعة أبيات [1] :

أبيات الشاهد

(فإنْ تزعُمِينى كنتُ أجهَلُ فيكمُ فإنِّى شَرَيْتُ الحلمَ بَعْدَكِ بالجهلِ
وقال صِحابى : قد غُبِنْتَ ، وخِلتُنى غُبِنتُ فما أدرى أشكلُهمُ شكلى
على أنَّها قالت : رأيْتُ خويلداً تَنكَّرَ حتَّى عاد أسودَ كالجِذْلِ
فتلك خطوبٌ قدْ تملَّتْ شَبابَنا زماناً ، فتُبلينا المَنونُ وما نُبْلى
وتُبلى الأُلَى يستلئمون على الأُلَى تراهنَّ يوم الرَّوع كالحَدَإ القُبْلِ)

وقوله : « فإنْ تزعُمينى » إلخ قال المرزوقى : الأكثر زعمت أنّه كان يفعل كذا . وقد جاء : زعمته كان يفعل ، فلهذا قال تَزْعمينى . وقال الله تعالى : ﴿ زعَمَ الذين كَفَرُوا أنْ لن يُبْعَثوا [2] ﴾ وقال عز ذكرُه : ﴿ بل زعَمْتُم أنْ لن نَجْعَلَ لَكُمُ مَوْعِداً [3] ﴾ ويَسْتشهد أصحابنا بدخوله على أن المخفّفة والمثقّلة ، على حدِّ ما يدخل حسبت وظننت عليهما ، أنّه يتعدَّى لمفعولين . وقد استشهد سيبويه بهذا البيت أيضاً . وأراد أبو ذؤيب الاعتذارَ إلى المرأة لمّا قالت : إنّك لا تحبُّنى ، فقال متنصِّلاً إليها ، وذاكراً الوجهَ الذى تداخَلَها منه ما أشكَلَها وأخرجها إلى عَتْبِهِ وسُوءِ الظَّنّ به : إن احتَجَجْتِ فى دعواكِ علىَّ بأنِّى كنتُ أَستعمل الجهلَ فى

(١) ط : « أربع أبيات » صوابه فى ش .
(٢) الآية ٧ من سورة التغابن .
(٣) الآية ٤٨ من سورة الكهف .

حُبِّكم فأقدمُ على الأمور المنكَرة ، وأركب الأهوالَ المردِيَة ، والآن قد كففت وكنتُ أتعاطى من اللَّهو والصِّبا ما قد اطَّرحته الساعة ، فدَلَّكِ ذلكِ على زوالِ الحُبّ ، فليس استدلالُكِ بصحيح ، وما حدَثَ لىَ استغناءٌ عنكِ ، ولا استبدلتُ بحبِّكِ قِلاك ، ولكنّى تحلَّمتُ ، فجميعُ ما تَرَينَه وتُنكِرينَه من العادات المستجَدَّة نتائجُ الحلم والعقل . فأمّا الحبُّ فكما كان ، والأيّام تزيدُه استحكاماً . وشَرَيت واشتريت بمعنىً ، وهو هنا مثل . انتهى كلامه .

أقول : وأورده سيبويه (فى باب ظننت وأخواتِها من أوائل كتابه) فإنّه بعد أن ذكر عملها قال : ومما جاء فى الشعر معمَلاً قول أبى ذؤيب . وأنشد البيت . ولم يُرد أنَّ عملها إنمّا يكون فى الشّعر ، وإنمّا أراد : وممَّا جاء فى الشعر شاهداً على إعمالها هذا البيت . والياءِ المفعول الأوّل ، وجملة « كنت أجهل فيكم » فى موضع المفعول الثانى . ٥٠١

وأورده ابن هشام (فى المغنى ، فى الجملة التى تقع مفعولا ثانيا من الباب الثانى) . قال : وقد اجتمع وقوعُ خبرَىْ كان وإنّ ، والثانى من مفعولَىْ باب ظنّ ، جملةً فى قول أبى ذؤيب . وأنشد البيت .

وأورده صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿ ولا تشْتَرُوا بآياتى ثَمَناً قَلِيلاً[1] ﴾ على أنّ الاشتراء فيه مستعارٌ للاستبدال ، كما فى البيت .

وزعم بعضُ من كتب عليه أنّ أجهلَ ، فيه،أفعل تفضيل ، فرواهُ بالنّصب ، وقال : أى إن تزعمينى أنّى أجهلُ الناس فيكم لارتكاب بَطَالات الهوى فتحَوَّلِي عن هذا الزعم ، فإنّى أخذتُ الحلم بعدك بالجهل . وهذا وإن كان معناه صحيحاً إلاّ أنّه ليس برواية .

---

(١) الآية ٤١ من سورة البقرة ، و ٤٤ من المائدة .

وقوله : « وقال صحابى قد غُبِنت » إلخ قال المرزوقى : يقول : أنكَرَ أصحابى منّى ما تمسَّكتُ به من ارعواءٍ وحلم ، حتّى قالوا : إنّك مغبونٌ فيما قايضت عليه من صِباً وجهل . وأظُنُّني الغابن الرابح ، لا المخدوعَ الخاسر . فلا أعلم أمَقصِدهم مَقصِدى ، وطريقُهم طريقى ، ثم غَلِط أحدُنا حتّى افترقنا ، أم اختلفنا فى أصلِ ما نظَرْنا فيه وأخَذْنا بهِ ، فلذلك لم يتَّفق معتبَرُنا . وقال هذا وهو يعلم اختلافَ أحوالهم وتبايُنَ طرقهم ، زاريا عليهم وموبِّخا لهم . ومن هذا الباب قولُ الله تعالى : ﴿ وإنّا أَوْإيّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أو فى ضَلالٍ مُبين (١) ﴾ . وعلى هذا التفسير يكون « أمْ لا » مضمراً بعد قوله : أشكلهم شكلى ، وساغ حذفُه لِمَا فى الكلام من الدَّلالة عليه ، وتكون الألف للتسوية . ويجوز أن يُكتفَى بقوله : أشكلهمُ شَكلى ، فلا يقصد إلى معادلة ولا تسوية . وذلك أنَّ أدرِى من أخوات أعلم ، وقد يجوز أنْ تقول : قد علمت أزيدٌ فى الدار . وحكى ذلك سيبويه . ولو قلت : سواء علىَّ أو ما أبالى ، لم يكن بُدٌّ من ذكر أم . ومثل الأوّل قولُ أبى ذؤيب فى أخرى :

* فما أدرى أرُشْدٌ طِلابُها (٢) *

وقد سمعت من يقول : إنّ الأمر فى الكل سواء ، وإنّ أمْ حيث لم يُنطَق به مقدَّر ، وإنّ أبا الحسن حكى أنّ بعضهم قال : علمت أزيدٌ عِندك ، لا يكتفَى به إلاّ بعد إضمار . وهو قولٌ قوىٌّ . وفى هذا كلامٌ ليس هذا موضعَ بَسطِه . انتهى .

وقوله : « على أنَّها قالت » إلخ يريد أنّ هذه المرأة كما أنكرَتْ عادتى أنكرَتْ حالتى ، فقالت : رأيتُ أبا ذؤيب ، وهو خُويلدٌ ، تغيَّر عن المعهود ، واسودَّ حتّى

---

(١) الآية ٢٤ من سورة سبأ .

(٢) صدره فى ديوان الهذليين ١ : ٧١ والسكرى ٤٣ :

* عصانى إليها القلب إنى لأمره * سميع

صار كالجِذْل ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو الخشَبة التى تُنَصب للإبل الجَرْبَى فتحتكّ بها وتسوَدُّ بما يعلَقُها من طِلائها . ثم أخذ يعتذر مِنْ تغيُّر هيئته ولونِه ، وتأثير الزمان فيه ، كما اعتذر من تغيُّر شيمته ، فقال : « فتلك خطوبٌ » البيت . يقول : إنّ الذى غيَّرنا خطوبٌ تناولَتْ من قوانا واستمتعت بنا من لَدُن شبابنا إلى يومنا . والدهر يُبْلى جِدَّةَ أهلِه وهم لا يُبْلونه ، ويأكلهم ويشربُ عليهم ، ولا ينتقمون منه . وأشارَ إلى أنواع المنايَا وأجناس الحوادث بقوله « المنون » . وقوله : « وتُبلِي الألُى » البيت ، يقول : وتُبلى حوادثُ الدَّهرِ الرجالَ الذين يستلئمون اللَّأْماتِ ، وهى الدُّروع ، راكبين الخيل ، التى تَراهُنَّ فى يوم الفزع لطموحِ أبصارهنّ وتقليب أعينهنَّ ذكاءً وشهامةً ، كأنّهنَّ الحِدأ القُبْل . ويستلئمون صلة الألَى ، لأنّه فى معنى الذين . وعلى الألى فى موضع الحال ، لأنّك إذا قلت : رأيت زيداً على فرس ، فالمعنى راكباً فرسا . وتَراهنَّ مع ما بعده صلة الألى الثانية . والحِدَأ : جمع حِدَأة كعِنَب جمع عنبة ، وهى طائرٌ تصيد الجُرْذان . قال الخليل : وقد تفتح حاؤه . والقُبْل : جمع أقبل وقَبْلاء ، وهو من صفة الحِدأ . والقَبَل : أن تُقبل كلُّ واحدةٍ من العينين على الأخرى ، وهو أشدُّ من الحَوَل ، وإذا كان خلقة كان مذموما . وهم يَصِفون الخيلَ بالشَّوَس والخَوَص ، والقَبَل ، يريدون أنَّها تفعل ذلك لعزّة أنفُسِها . ٥٠٢

وقد استشهد شُرَّاح الألفيّة وغيرهم بهذا البيت ، على استعمال الأُلَى لجمع المذكر والمؤنث ، وهو الذى واللاتى ، بدليل ما عاد على كلٍّ منهما من ضميره .

وترجمة أبى ذؤيب تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب [١] .

---

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ – ٤٢٣ .

حرف التوقع

أنشَدَ فيه ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٢٢ (قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُهُ)

هو صدر ، وعجزُه :

* كأنَّ أثوابَهُ مُجَّتْ بِفرصادِ *

على أنّ (قد) مع المضارع تكون للتكثير فى مقامِ التمدُّح والافتخار .

قال سيبويه . وتكون قد بمنزلة ربَّما . وأنشد البيت ، وقال : كأنَّه قال : ربَّما . وأراد بربَّما التكثير .

ونقله عنه ابن هشام (فى المغنى) وقال : الرابع من معانى قد التكثير ، قاله سيبويه فى قولِ الهذلى :

* قد أترك القِرنَ مُصْفَرًّا أناملُه *

وقاله الزمخشرى فى : ﴿ قد نرى تقلُّبَ وَجْهِكَ فى السَّماء [٢] ﴾ قال : أى ربَّما ، ومعناه تكثير الرؤية . ثم استشهد بالبيت . واستشهد جماعةٌ على ذلك ببيت العروض :

قد أشهد الغارةَ الشَّعواء تحملنى جرداءُ معروقة اللَّحيينِ سُرْحوبُ [٣] . انتهى

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣٠٧ . وانظر شرح الأبيات للسيرافى ٢ : ٣٦٨ والمقتضب ١ : ٤٣ والأزهية ٢٢١ وابن الشجرى ١ : ٢١٢ وابن يعيش ٨ : ١٤٧ ورصف المبانى ٢٩٣ والمغنى ١٧٤ والهمع ٢ : ٧٣ وديوان عبيد بن الأبرص ٧١ .

(٢) الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٢٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد جعل الزمخشرى (فى تفسير سورة التكوير) : أصل مُفاد قَدْ وربَّما التقليل والتكثير ، إنمّا جاء من عكس الكلام . قال عند قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نفسٌ ما أَحْضَرَت [(١)] ﴾ : فإن قلت : كلُّ نفس تعلم ما أُحضرَتْ كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تجِدُ كلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ من خَيْرٍ مُحضَراً [(٢)] ﴾ والأنفُسُ واحدة ، فما معنى قوله علمت نفس ؟ قلت : هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه . ومنه قوله تعالى : ﴿ ربَّما يَودُّ الذين كَفَرُوا لو كانوا مُسْلِمِينَ [(٣)] ﴾ ومعناه معنى كَمْ وأبلغ . ومنه قول القائل :

* قد أترك القِرْنَ مُصْفرًّا أناملُه *

وتقول لبعض قُوّاد العسكر : كم عندَك من الفُرسان ؟ فيقول : رُبَّ فارسٍ عندى ، أو لا تعدَم فارساً عندى . وعنده المقانب ، وقصدُه بذلك التّمادى فى كثرة فرسانه ، ولكنَّه أراد إظهار براءته من التزيُّد ، وأنّه ممن يُقَلِّل كثيرَ ما عنده فضلاً أن يتزَّيد ، فجاء بلفظ التقليل ففُهِم منه معنى الكثرة على الصِّحة واليقين . انتهى كلامه .

وزعم ابنُ مالك أنّ مراد سيبويه أنّ قَدْ مِثلُ ربّما فى التقليل ، لا فى التكثير . وردَّ عليه أبو حيّان ، وانتصر بعضُهم لابن مالك . وقد نقل الجميعَ الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) ، وصحَّح كلامَ أبى حيّان ، ولا بأس بإيراده فنقول :

---

(١) الآية ١٤ من سورة التكوير .

(٢) الآية ٣٠ من آل عمران .

(٣) الآية ٢ من سورة الحجر . وقرأ بتخفيف « ربما » نافع وعاصم من السبعة ، وأبو جعفر من العشرة . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

٥٠٣ قال ابن مالك : إطلاق سيبويه القولَ بأنَّها بمنزلة ربَّما ، موجبٌ للتسوية بينهما فى التقليل والصرف إلى المضىّ . واعترضه أبو حيان فقال : لم يبيِّن سيبويه الجهة التى فيها قد بمنزلة ربَّما ، ولا يدلُّ على التسوية فى كلِّ الأحكام ، بل يُستدَلّ بكلام سيبويه على نقيض ما فهمه ابن مالك ، وهو أنّ قد بمنزلة ربَّما فى التكثير فقط . ويدلُّ عليه إنشاد البيت ، لأنّ الإنسان لا يفخر بما يقع منه على سبيل النُّدرة والقِلّة ، وإنَّما يفتخر بما يقع منه على سبيل الكثرة ، فيكون قد بمنزلة ربَّما فى التكثير . انتهى .

وانتصر بعض الفضلاء لابن مالك رادًّا كلامَ أبى حيان فقال : أمّا قوله : « لم يبيِّن سيبويه الجهة » إلخ فإطلاق التسوية كافٍ فى الأحكام كلِّها ، إلاَّ ما تعيَّن خروجُه . وأمَّا قوله : « لأنّ الإنسان » إلخ فجوابه أنّ فخر الإنسان بما يقع منه كثيراً إنَّما يكون فيما يقع قليلاً وكثيراً فيفخر بالكثير منه ، أمَّا مالا يقع إلاّ نادراً فقط فإنّه يفخر بالقليل منه لاستحالة الكثرة فيه . وتركُ المرءِ قرنَهُ مصفرَّ الأنامل يستحيل وقوعُه كثيراً ، وإنمَّا يتفق نادراً ، فلذلك يفتخر به ؛ لأنّ القِرن هو المقاوم للشخص ، الكفءُ له فى شجاعته ، فلو فُرِضَ مغلوباً معه فى الكثير من الأوقات لم يكن قِرناً له ، إذْ لا يكون قِرناً إلاّ عند المكافأة غالبا . إذا تقرَّر هذا فنقول : لما كان قوله القرن يقتضى أنّه لا يغلب قِرنه ، لأنّ القرنين غالبُ أمرهما التعارض ، ثم قضَى بأنّه قد يغلبه ، حملْنا ذلك على القلّة صوناً للكلام عن التدافع ، وقلنا : المراد أنّه بتركه كذلك تَركاً لا يُخرجه عن كونه قِرْنا . وذلك هو التَّركُ النادر ، لئلاّ يدفع آخرُ الكلام أولَه . والزمخشريُّ فهم ما فهِمه أبو حيان من أنَّ قد فى البيت للتكثير ، فقد اتَّجهت المؤاخَذَة على ابن هشام فى نقله هذا المعنى عن سيبويه ؛ فإنَّ سيبويه لم يَقُلْه نصًّا ، وإنمّا فهمه أبو حيّان عنه . ثم أبو حيّان ليس جازماً به ، وإنمّا قاله معارضاً لفهم ابن مالك ، ومثلُ هذا لا يكفى فى تسويغ النقل عن

سيبويه ، وغايته فهمٌ جوَّزه أبو حيّان ، وسبقه الزمخشريُّ إليه ، وهو معارِضٌ لفهم ابن مالكٍ أحدِ المجتهدين فى النحو .

كذا قال ذلك الفاضل .

قلت : حاصل كلامه على البيت أنّ التكثير فيه ملزمٌ للتناقض بناءً على أنّ القِرْن هو الكفء ، وكثرة مغلوبيَّته تمنع كونه قرنا ، وقد فُرِض أنّه قرن . هذا خَلْف (١) . وإنمّا يتمّ ذلك أنْ لو كان المراد بالقرن واحدًا ، وهو ممنوع ، بل الظاهر أنّ المراد به الجنس . فإذا فرضْنا أنّه غلبَ جميعَ أقرانه ، وهم مائة مثلاً ، كلَّ واحدٍ مرّة ، حصلت كثرة الغلبة مع انتفاء التناقض لتعدُّد المحالّ ، وهذا هو اللائق بمقام الافتخار . وظهر بهذا أنّ قوله : « لاستحالة الكثرة فيه » مستدرَك ، وأنّ قوله : « إنّ ذلك فيما يمكن وقوعه قليلاً وكثيرا فلا يُفتَخَر منه إلاّ بالكثير » لا يُجْديه نفعا فى مَرامه ، بل هو عليه كما عرفتَه . هذا آخر ما أورده الدمامينى .

وقد أجاد فى ردّه ، على هذا الفاضل . وقد أورد كلام هذا الفاضلِ (فى شرح التسهيل) مسلّما ، وشنّع على ابن هشام غاية التشنيع .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لعَبيد بن الأبرص الأسدىّ ، أوردها الأصمعىُّ (فى الأصمعيات (٢)) وهذا مطلعها :

---

(١) الخلف ، بالفتح : الردئ من القول ، والخطأ كذلك ، ومنه فى المثل : « سكت ألفًا ونطق خَلفا » يضرب للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ . ولا عبرة بما جاء فى المعجم الوسيط من ضبطه بالضم .

(٢) ليست فى نسخ الأصمعيات المطبوعة . وقد سبق مثل هذا من نسبة قصيدة مضرس الأسدى إلى الأصمعيات فى الشاهد ٨٢١ الذى سبق فى ١٠ : ١٠٣ . والقصيدة فى مختارات ابن الشجرى ٩٩ – ١٠٠ وجمهرة القرشى ١٧ من المقدمة والأغانى ١٩ : ٨٩ ، وديوان عبيد ٤٧ – ٤٩ .

أبيات الشاهد

(طاف الخَيَالُ علينا ليلةَ الوادى من آل أسماءَ لم يُلْمِمْ بميعادِ
أنَّى اهتديتِ لركبٍ طال ليلُهمُ فى سَبْسَبٍ بين دَكداكٍ وأعقادِ
يُطوِّفُونَ الفلاَ فى كلِّ هاجرةٍ مثلَ الفنيقِ إذا ما حثّه الحادى[1])

٥٠٤

إلى أن قال :

(اذهبْ إليكَ فإنِّى من بنى أسدٍ أهلِ القِبابِ وأهلِ المَجْدِ والنَّادى [2]
قد أترك القِرْنَ مصفرّا أناملُه كأنّ أثْوابه مُجّتْ بفرصادِ
أبلغْ أبا كربٍ عَنِّى وإخوتَه قولاً سيذهبُ غَوْراً بعد إنجادِ
لا أعرفَنَّكَ بعدَ اليوم تندُبنى وفى حياتِىَ ما زوّدتَنِى زادى
فإنْ حَيِيتُ فلا أحسِبْكَ فى بلدى وإن مرضتُ فلا أحسِبْكَ عَوَّادى
فانظرْ إلى ظلِّ مُلكٍ أنت تاركه هل تُرسَيَنَّ أوَاخِيهِ بأوتادِ [3]
الخيرُ يبقَى وإنْ طال الزَّمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ)

وقوله : « أنَّى اهتديتِ » التفات من الغيبة إلى الخطاب . والسَّبسَب : المفازة والقفر . والدَّكداك بفتح الدال ، هو من الرَّمل : ما التبَدَ ولم يرتفعْ . وأعقاد : جمع عَقِدٍ بفتح فكسر ، هو ما تعقَّد من الرَّمل ، أى تراكم . وطَوَّفَ : مبالغة طاف . والفَنيق بفتح الفاء وكسر النون : الفحل المُكْرم من الإبل .

وقوله : « اذهبْ إليك » ، أى اذهبْ إلى قومك بدليل قوله : « فإنّى من بنى أسد » ، فلا يَرِدُ أنَّ مجرور إلى وفاعلَ متعلّقها ضميرانِ لشئ واحد .

(١) ويروى :

يكلفون سراها كل يَعْمَلَةٍ مثل المهاة إذا ما احتثّها الحادى

(٢) ويروى : « وأهل الجُرد والنادى » .

(٣) ويروى : « إلى فئ ملك » .

وقوله : « قد أترك القِرْن » هو بكسر القاف : المِثْل فى الشَّجاعة . والأنامل : رءوس الأصابع . وأترك يحتمل أن يكون من التَّرك بمعنى التخلية ويتعدَّى إلى مفعول واحد ، فمُصْفرّا حال من قرن . ويحتمل أن يكون من الترك بمعنى التصيير ، فيتعدَّى لمفعولين ثانيهما مصفرّا . والمعنى أقتله فينزِف دمُه فتصفرّ أنامله . وقال الأعلم : خصَّ الأنامَل لأنّ الصُّفرةَ إليها أسرع ، وفيها أظهر . وقال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنّف) : يريد أنّه يقتل القِرن فتصفرُّ أنامله . ويقال إنّه إذا مات الميِّتُ اصفرَّت أنامله . وأثواب : جمع ثوب . ومُجَّت : دَمِيت ، والمراد صُبِغت . والفرصاد ، بكسر الفاء ، قال الأعلم : هو التُّوت ، شبَّه الدم بحمرة عُصارته . وفى القاموس : الفِرصاد : التُّوث أو أحمره ، أو صِبغٌ أحمر . والتوث [1] فيه لغتان ، يجوز فى آخره بالثاء المثلثة ، وبالمثناة . وأنكر صاحب الصحاح الأوّل ، ورُدَّ عليه . حكى أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) أنّه بالمثلثة ، وقال : لم يسمع فى الشعر إلاَّ به . وأنشد لمحبوبِ النَّهشَلىّ :

لَروضةٌ مِن رياضِ الحَزْن أو طَرَفٌ   من القُرَيَّة حَزنٌ غيرُ محروثِ
أشهى وأحلى لعينى إنْ مررتُ به   من كَرخِ بغدادَ ذِى الرمان والتُّوثِ

وقوله : « لا أعرفنّك » لا ناهية . ونهىُ المتكلم نفسَه قليل . والأَوَاخى : جمع آخيَّة بالمد والتشديد ، وهو حبلٌ يدفن طَرَفاهُ فى الأرض وفيه عُصَيّة أو حُجَير ، فتُظهَر منه مثلُ عروة تشدّ إليه الدابة .

والبيت الشاهد قد تداوله الشعراء ، فبعضُهم أخذ المصراع ، وبعضهم أخذه تماماً بلفظه ، وبعضهم أخذ معناه . قال أبو المُتَلِّم الهذلىّ ، يرثى صَخر الغىِّ الهذلى :

ويتركُ القِرنَ مصفرًّا أنامله   كأن فى رَيْطتَيْهِ نَضحَ إرْقانِ [2]

---

(١) ش : « والتُّوت » بتاءين .

(٢) شرح السكرى ٢٨٦ . وروى : « نضخ أرقان » . والأرقان ، بالفتح : اليرقان .

٥٠٥

والإرقان بكسر الهمزة ، وبالقاف : الزَّعفران .

وقال المتنخِّل الهذلى ، يرثى ابن أُثيلة :

والتارك القِرنَ مصفرًّا أناملـه ... كأنَّه من عُقارٍ قَهوةٍ ثَمِلُ (١)

وقال زُهير بن مسعودٍ الضبّىّ :

هَلاّ سألتِ هَدَاكِ الله ما حسَبِى ... عند الطِّعان إذا ما احمَّرت الحَدَقُ(٢)

هل أتـرك القِـرنَ مصفـرًّا أناملُـه ... قد بَلَّ أثوابَهُ من جَوفِـهِ العَلَـقُ

وقالت رَيْطة الهذلية ترثى أخاها عَمْراً ذا الكلب :

الطاعِنُ الطعنـةَ النَّجـلاءَ يَتْبَعُهـا ... مُثعنجرٌ من نجيع الجَوْفِ أُسكوبُ(٣)

والتَّـارك القِـرْنَ مصفــرًّا أناملــه ... كأنَّه من نجيع الجَوفِ مخضوبُ

وقال زهير بن أبى سُلمى :

قد أتـرك القـرن مُصْفـرًّا أناملـه ... يَمِيد فى الرُّمح مَيْدَ المائح الأَسِنِ(٤)

المائح : الذى يملأ الدَّلو فى أسفل البئر عند قِلّة مائها . والأسِن ، بفتح الهمزة وكسر السين : الذى أصابته ريحٌ منتنةٌ من ريح البئر أو غيرِ ذلك ، فغُشِىَ عليه أو دار رأسُه . وقال أحدُ بنى جَرْم :

---

(١) شرح السكرى ١٢٨٢ .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٣ . من أبيات . وبين البيتين :

وجالت الخيلُ بالأبطال مُعلمـةً ... شُعثَ النَّواصى عليها البَيْض تأتلق

(٣) شرح السكرى ٥٨٠ برواية : « أثعوب » .

(٤) ديوان زهير ١٣١ برواية :

يغـادر القـرن مصفـرا أناملــه ... يميل فى الرمح ميل المائح الأسن

وأتـركُ القِـرْنَ مصفـــرًّا أناملُـــه دامى المَرَادِع منكبًّا على العَفَرِ [١]

وقالت عَمرة بنت شدَّاد الكلبيَّة ، ترْثى أخاها مسعودَ بنَ شدَّاد :

قد يَطعُن الطَّعنةَ النَّجلاءَ يتبعُها مُضَرَّج بعدَها تغلى بإزبادِ [٢]

ويَتـرك القـرن مصفـرًّا أناملُـه كأنَّ أثوابَـه مُجّت بِفِـــرصادِ

وتقدمت ترجمة عبيد بن الأبرص فى الشاهد السادسَ عَشَرَ بعد المائة [٣] ، ووقع نسبةُ البيت الشاهد فى كتاب سيبويه إلى بعض الهذليّين ، ولم أره فى أشعارهم من رواية السكرى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

* (لمَّا تَزُلْ برحالِنا وكأنْ قَدِ) *

على أنّه قد يحذف الفعل بعد (قد) لِدليلٍ ، والتقدير : وكأن قد زالت ، فحذف زالت لدلالة ما قبله عليه ، وكسرت الدال من قد للقافية .

وأراد الشارح الفعل الماضىَ كما مثّل ، فإنّ حذف المضارع بعدها غير مسموع . وهذا عجزٌ وصدره :

(أفِدَ الترحُّلُ غير أنَّ رِكابَنا)

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة [٤] .

---

(١) ط : « المدارع » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) فى حماسة ابن الشجرى ٨١ . أبيات على هذا الروى لفارعة بنت شداد المرية ، ترثى أخاها مسعود بن شداد ، وكان أغار على جرم فأسروه ثم لم يسقوه حتى مات عطشا .

(٣) الخزانة ٢ : ٢١٥ – ٢١٩ .

(٤) الخزانة ٧ : ١٩٧ – ٢٠٥ .

حرفا الاستفهام

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد التسعمائة [١] :

٩٢٣ (أهَلْ عرفتَ الدَّارَ بالغرِيَّيْنْ)

على أنّ (هل) فى الأصل بمعنى قد كما فى ا لبيت ، فكون قد حرف استفهام إنّما تكون بهمزة الاستفهام ، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال إقامةً لها مُقامها . وقد جاءت على الأصل فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ أتى على الانسان [٢] ﴾ ، أى قد أتى . ٥٠٦

هذا أحد مذاهبَ أربعةٍ ، وهو مذهب الزمخشرىّ ، فهل عنده أبداً بمعنى قَدْ ، وأنّ الاستفهام إنَّما هو مستفادٌ من همزة مقدّرة . قال (فى المفصل) : وعند سيبويه أنّ هل بمعنى قد ، إلاّ أنَّهم تركوا الألف قبلها لأنّها لا تقع إلاّ فى الاستفهام . وقد جاء دخولُها عليها فى قوله :

سائلْ فوارسَ يَرْبوعٍ بشَدَّتنا أَهَلْ رَأَوْنا بسَفحِ القاعِ ذى الأَكَمِ [٣] انتهى

قال ابن يعيش (فى شرحه) : هذا هو الظاهر من كلام سيبويه ، وذلك أنَّه قال عند الكلام على مَنْ ومتى : وكذلك هل إنّما هى بمنزلة قد ، ولكنّهم تركوا الألف إذْ كانت هل إنما تقع فى الاستفهام ، كأنَّه يريد أنّ هل [٤] تكون بمعنى

---

(١) اللسان (غرا ٣٥٨) . وانظر ما سبق فى ٢ : ٢١٣ .

(٢) الآية الأولى من سورة الإنسان .

(٣) لزيد الخيل كما فى معجم الشواهد ، وهو من شواهد الزمخشرى ، ولم يستشهد سيبويه به . وانظر ابن يعيش ٨ : ١٥٢ — ١٥٣ .

(٤) عند ابن يعيش : « أن أصل هل » .

قد ، والاستفهام فيها بتقدير ألف الاستفهام ، كما كان ذلك فى مَنْ ومَتى ، والأصل أمَن ، أمتى [(١)] ، ولمَّا كثر استعمالُها فى الاستفهام حُذِفت الألف وتضمَّنت معناها . وكذلك هل الأصل فيها : أهَلْ ، وكثر استعمالُها فى الاستفهام ، فحذفت الألف للعلم بمكانها . انتهى .

وما نقله عن سيبويه مذكورٌ فى باب بيان أم لِمَ تَدخل على حروف الاستفهام ولم تدخلْ على الألف [(٢)] . وقد وقعَ مثلُ هذا فى أوائل كتاب سيبويه (فى باب ما يختار فيه النصب من أبواب الاشتغال أيضا [(٣)]) : وتقول أم هل فإنّها بمنزلة قد ، ولكنهم تركوا الألف استغناءً ، إذْ كان هذا الكلام لا يقع إلاّ فى استفهام . انتهى .

ولم يقف ابن هشام على هذين النَّصَّين من كلام سيبويه ، فاعترض على الزمخشرى بقوله : ولم أر فى كتاب سيبويه ما نقله عنه ، وإنّما قال (فى باب عدّة ما يكون عليه الكلم) ما نصُّه : « وهل هى للاستفهام » لم يزد على ذلك . انتهى .

وقد ردَّ عليه الدَّمامينىُّ بأنّه لا يلزم من عدم رؤيته هو لذلك عدمُ وقوعه ، وكان الأولَى به تحسينَ الظنّ بالزمخشرى ، فإنّه أمامٌ فى هذا الفنّ ، ثَبْت فى النّقل ، وما نقله عن سيبويه مَسطورٌ فى موضعين من كتابه . ثم نقل كلاميه من كتابه ، وقال : فإن قلت فما تصنع فى دفع المعارضة التى أشار إليها ، وهى مخالفةُ قولِ سيبويه فى باب عِدّة ما يكون عليه الكلام ، لقوله فى غيره : إنّ هل إنّما تكون بمنزلة قد ؟ قلت : أحمِلُ ذلك على أنّها للاستفهام باعتبار قيامها مقام الهمزة

---

(١) عند ابن يعيش : « كما كان ذلك فى من ومتى وما ، والأصل : أمن وأمتى وأما » .

(٢) سيبويه ٣ : ١٨٩ .

(٣) سيبويه ١ : ١٠٠ .

المحذوفة المفيدة للاستفهام ، لا أنّها موضوعة للاستفهام بنفسها ، جمعاً بين كلاميه . انتهى .

وكلام الزمخشرى (فى كشافه) ، كالمفصَّل قال : هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصّة ، والأصل أَهَلْ ، بدليل قوله :

* أهل رأونا بسَفح القاعِ ذِى الأكمِ *

والمعنى أقد أتى ، على التقرير والتقريب جميعاً ، أى أتى على الإنسان قبلَ زمانٍ قريب حينٌ من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكورا ، أى كان شيئاً منسيا غير مذكور . انتهى .

وتبعه البيضاوى فقال : هو استفهامُ تقرير وتقريب ، ولذلك فسِّرَ بقد ، وأصله أهَلْ ، كقوله : أهل رأونا البيت ..... انتهى .

ومعنى قول الزمخشرى : « فى الاستفهام خاصّة » أنّ هل لا تكون بمعنى قد إلاّ ومعها استفهام لفظاً كالبيت المتقدِّم ، أو تقديراً كالآية الكريمة . فلو قلت : هل جاء زيد بمعنى قد جاء ، من غير استفهامٍ لم يجزْ . وقوله : « على التقرير » أى المفهوم من الاستفهام المقدَّر . وقوله : « والتقريب » أى المفهوم من هل بمعنى قد .

وإنّما استشهد الشارح بالبيت الذى أورده دون بيت المفصَّل فإنّه طَعَنَ فى ثبوته . قال ابن هشام : وقد رأيت عن السيرافى أنّ الرواية الصحيحة : « أم هل رأونا » وأم هذه منقطعة بمعنى بل ، فلا دليل فيه . انتهى . ولهذا عدَل الشارح عنه ، فللّهِ درُّه ما أدقَّ نظره . ٥٠٧

المذهب (الثانى) أنّ هل بمعنى قد دون استفهام مقدّر ، وهو مذهب الفرَّاء [1] . قال فى تفسير الآية : المعنى قد أتى على الإنسان حينٌ من الدهر .

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣ : ٢١٣ .

وهل قد تكون جحداً وتكون خبرًا . فهذا من الخبر . وقوله : لم يكن شيئا مذكوراً ، يريد كَانَ شيئاً ولم يكن مذكورا ، وذلك حين خَلَقه من طينٍ إلى أنْ نفخَ فيه الرُّوح . انتهى .

وتبعه الإمام الواحديُّ (فى الوسيط) فقال : قال المفسِّرُونَ وأهلُ المعانى : قد أتى ، فهل ههنا خبر وليس باستفهام . وقوله : (على الإنسان) يعنى آدم (حينٌ من الدهر) : قدرُ أربعين سنة ، (لم يكن شيئاً مذكوراً) لاَ فى السماء ولا فى الأرض ، يعنى أنّه كان جسداً مُلْقًى من طين قبل أن يُنفخ فيه الرُّوح . قال عطاءٌ عن ابن عبّاس : إنَّما تم خلْقُه بعد عشرين ومائة سنة . انتهى . وقال ابن هشام : إنّ هل تأتى بمعنى قد ، وذلك مع الفعل ، وبذلك فسَّر قولَه تعالى : ﴿ هل أتَى على الإنسانِ حِينٌ ﴾ جماعةٌ منهم ابن عبّاسٍ رضى الله عنهما ، والكسائىُّ ، والفراء ، والمبَرِّد . قال (فى مُقتَضَبِه [١]) : هل للاستفهام نحو : هل جاء زيد ، وتكون بمنزلة قد نحو قوله تعالى : ﴿ هل أتَى على الإنسان ﴾ . انتهى .

وبالغ الزمخشرى فزعم أنَّها أبدا بمعنى قد ، وأنّ الاستفهام إنمّا هو مستفاد من همزةٍ مقدّرة معها . وفسَّرها غيرُه بقدْ خاصّة ولم يحملوا قد على معنى التقريب ، بل على معنى التحقيق . وقال بعضهم : معناها التوقُّع ، وكأنّه قيل لقومٍ يتوقّعون الخبر عمّا أتى على الإنسان ، وهو آدم عليه السلام . قال : والحين هو زمنُ كونِه طيناً . انتهى .

المذهب (الثالث) لابن مالك أنّها تتعيَّن لمعنى قَدْ إن دخلت عليها همزة الاستفهام ، وإن لم تدخل فقد تكون بمعنى قد ، وقد تكون للاستفهام : قال (فى

---

(١) المقتضب ١ : ٤٣ – ٤٤ .

التسهيل) : وقد تدخل عليها الهمزة فيتعيَّن مرادفة قد [١] . انتهى . ومفهومُه أنّها لا تتعيَّنُ لذلك إذا لم تدخل عليها الهمزة ، بل قد تأتى لذلك كما فى الآية ، وقد لا تأتى له .

المذهب (الرابع) أنّها لا تأتى بمعنى قد ، وإنَّما هى للاستفهام . وذهب إليه جماعةٌ . ثم اختلفوا فى الآية فقال أبو حيّان : هى على بابها من الاستفهام ، أى هو ممن يُسأل عنه لغرابته ، أأتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا ، فإنه يكون الجواب : أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة . وقال مكّىٌّ فى تقرير كونها على بابها من الاستفهام : والأحسن أن تكون على بابها للاستفهام الذى معناه التقرير ، وإنَّما هو تقريرٌ لمن أنكر البعث ، فلابُدَّ أن يقول : نعم قد مضَى دهرٌ طويل لا إنسانَ فيه ، فيقال له : من أحدثه بَعْدَ أن لم يكن ، وكوَّنه بعدَ عدمِه ، كيف يمتنع عليه بعثُه وإحياؤه بعد موته ؟ وهو معنى قوله : ﴿ ولقد عَلمتُم النَّشأَةَ الأولَى فلولا تَذَكَّرُون [٢] ﴾ أى فهلا تذكَرون فتَعلمون أنَّ من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن ، قادرٌ على اعادته بعد موته وعدمه . انتهى . قال السمين (فى الدر المصون) : قد جعلها لاستفهام التقرير خلافاً لأبى حيّان ، فى جعله استفهاماً محضًا ، لأنَّ التقرير هو الذى يجب أن يكُون ، لأنَّ الاستفهام لا يردُ من البارى تعالى إلاّ على هذا النَّحو . انتهى .

وإلى التقرير ذهب الزجاج أيضا قال : معنى ﴿ هل أَتى على الإنسان ﴾ أى ألم يأت على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكنْ شيئاً مذكورا . والمعنى قد كان شيئاً إلاّ أنّه كان تراباً وطينا إلى أن نُفخ فيه الروح ، فلم يكن قبل نفخ الروح فيه شيئاً

٥٠٨

---

(١) الذى فى التسهيل ٢٤٣ : « فتترجح مرادفة قد » ، وأشير فى حواشيه إلى أنها فى بعض النسخ : « فتتعين » .

(٢) الآية ٦٢ من سورة الواقعة .

مذكورا . ويجوز أن يكون يُعنَى به جميعُ الناس ، ويكون أنّهم كانوا نُطَفا ، ثم عَلَقا ، ثم مُضَغًا ، إلى أن صاروا شيئاً مذكورا . انتهى .

وقد اختار هذا المذهبَ ابنُ جنى فقال (فى باب إقرار الألفاظ على أوضاعها الأُوَل من كتاب الخصائص [(١)]) : وأما هل فقد أُخرجَتْ عن بابها إلى معنى قد ، نحو قول الله : ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ قالوا : معناه قد أتى عليه ذلك . وقد يمكن عندى أن تكون مُبْقاةً فى هذا الموضع على بابها من الاستفهام ، فكأنه قال ، والله أعلم : هل أتى على الإنسان هذا . فلا بدّ فى جوابه من نَعَمْ ملفوظاً بها أو مقدرة ، أى فكما أنّ ذلك كذلك فينبغى للإنسان أن يحتقر نفسه . وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه : بالله هل سألتَنى فأعطيتك ، أم هل زرتَنى فأكرمتك ؟ أى فكما أنَّ ذلك كذلك فيجب أن تعرف حقّى عليك . ويؤكّد هذا قولُه تعالى : ﴿ إنّا خَلَقْنا الإنسان [(٢)] ﴾ إلى ﴿ هدَيناهُ السَّبيلَ ﴾ أفلا تراه عزّ اسمه كيف عدَّد عليه أياديَهُ وألطافه له . فإن قلتَ : فما تصنع بقول الشاعر :

* أهَلْ رأونا بسَفْحِ القُفِّ ذى الأكِمِ *

ألا ترى إلى دخول همزة الاستفهام على هل ، ولو كانت للاستفهام لم تُلاقِ همزتَه ، لاستحالة اجتماع حرفين لمعنىً واحد . وهذا يدلُّ على خروجها عن الاستفهام إلى الخبر . فالجواب أنَّ هذا يمكن أن يقوله صاحب هذا المذهب . ومثله خروج همزة الاستفهام إلى التقرير . ألا ترى أنَّ التقرير ضربٌ من الخبر وذلك ضدُّ الاستفهام . ويدلّ على أنّه قد فارق الاستفهامَ امتناعُ النصب بالفاء فى جوابه والجزم بغير الفاء . ألا تراك لا تقول : ألست صاحبنا فنكرمَك كما تقول : لست صاحبنا فنكرمَك ، ولا تقول فى التقرير : أأنت فى الجيش أثبتْ اسمك ، كما تقول فى

(١) الخصائص ٢ : ٤٦٢ – ٤٦٣ .
(٢) الآية ٢ – ٣ من سورة الإنسان .

الاستفهام الصريح أأنت فى الجيش أُثبتْ اسمك ، كما تقول : ما اسمك أذكرْك ، أى إن أعرفْه أذكرْك . ولأجْلِ ما ذكرنا من حديث همزة التقرير ما صارت تنقل النَّفْىَ إلى الإثبات ، والإثباتَ إلى النفى . وذلك كقوله :

ألستم خيرَ مَنْ ركِبَ المطايا وأندَى العالَمِينَ بُطونَ راحِ [(١)]

أى أنتم كذلك . انتهى كلامه .

وقوله : « لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد » على نمط ما تقدَّم عنه فى الشاهد السادس بعد التسعمائة ، وتقدَّم ردّه .

وصوَّب أبو حيان هذا المذهب ، وردَّ ما عداه ، قال (فى شرح التسهيل) : إنَّ مرادَفَةَ هل لقدْ لم يَقُمْ عليها دليلٌ واضح ، إنمَّا هو شئٌ قاله المفسِّرون فى قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين ﴾ : إنّ معناه قد أتى . وهذا تفسيرُ معنًى لا تفسيرُ إعراب ، ولا يُرجَعُ إليهم فى مثل هذا ، وإنَّما يُرجع فى ذلك إلى أئمة النحو واللُّغة ، لا إلى المفسِّرين . وإمَّا البيت فيحتمل أن يكون من الجمع بين أداتين لمعنًى واحد على سبيل التوكيد ، كقوله :

* ولا لِلِمَا بهم أبداً دواءُ [(٢)] *

بل الجمع بين الهمزة وهل أسهل ، لاختلاف لفظهما .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى [(٣)]) فقال : وقد عكس قومٌ ما قاله الزمخشرى فزعموا أنَّ هل لا تأتى بمعنى قد أصلا . وهذا هو الصواب عندى ، إذْ لا مُتَمَسَّكَ لمن أثبت ذلك إلاّ أحدُ ثلاثةِ أمور :

---

(١) لجرير فى ديوانه ٩٨ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) لمسلم بن معبد الوالبى ، كما فى معجم الشواهد .

(٣) المغنى ٣٥٢ .

أحدها تفسير ابن عباس رضى الله عنهما ، ولعلَّه إنمّا أراد أنّ الاستفهام فى الآية للتقرير وليس باستفهامٍ حقيقىّ . وقد صرح به جماعةٌ من المفسرين ، وقال بعضهم [١] : لا تكون هل للاستفهام التقريرى وإنمّا ذلك من خواصّ الهمزة . وليس كما قال .

٥٠٩

والثانى : قول سيبويه الذى شافَهَ العربَ وفهِمَ مقاصدهم . وقد مضَى أنّ سيبويه لم يقل ذلك .

والثالث : دخول الهمزة عليها فى البيت ، والحرفُ لايدخل على مثله فى المعنى ، وهو شاذٌّ ويمكن تخريجه على أنّه من الجمع بين حرفين بمعنىً واحد على سبيل التوكيد . انتهى باختصار .

ويَرِدُ عليهما أنّ ما ردَّاه هو قول سيبويه إمام البصريِّين والمبرّدِ ، وقولُ إمام الكوفيِّين الكسائىِّ وتلميذِه الفراء ، وكلُّهم أئمَّة النحو والتفسير واللغة ، وقد خالطوا العرب الفُصَحاء ، وسَمِعوا كلامهم ، وفهموا مقاصدَهم ، وثبت النقلُ عنهم ، فيتعيَّن الأَخْذ به وردُّ مَنْ خالفهم فى هذا الباب . والله أعلم بالصواب .

وقوله : (أهل عَرَفت الدَّارَ بالغَرِيَّيْن) هو من قصيدةٍ لخِطامٍ المُجاشِعىّ ، تقدَّم شرح أبياتٍ منها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة ، مع ترجمته [٢] قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : هذه القصيدة من بحر السريع وربمّا حَسِب من لا يُحسن العروضَ أنها من الرّجز . وليس كذلك ، لأنّ الرجز لا يكون فيه مَعُولان فيردّ إلى فعولان . ومثله :

---

(١) فى المغنى : « فقال بعضهم » .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٣ – ٣١٨ .

* قد عرَّضت أروَى بقولِ إفنادْ [١] *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولان. انتهى .

والغرِيّانِ : موضع بالكوفة نحو فرسَخين عنها . وهو مثنى الغَرِيّ ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وتشديد الياء . قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : قال المفجَّع [٢] : الغرىّ : موضع بالكوفة ، ويقال إنّ قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه بالغرىّ . ويقال الغريَّان . ويقال إنَّ النُّعمان بناهما على قبرَىْ عمرِو بن مسعود ، وخالد بن نَضْلَةَ لمَّا قتلهما . قالت بنت معبد بن نضلة ترْثيهما :

ألاَ بكَرَ النّاعى بخيرَىْ بنى أسد بعمرو بن مسعود وبالسَّيِّدِ الصمدْ [٣] انتهى

وقوله : « النعمان » خطأ ، وصوابه « المنذر » . والغريان فى الأصل : مَنارتان على قبرَىْ عَمرو بن مسعود ، وخالد بن نَضْلة الأسدِيَّين ، كان المنذرُ

(١) الإفناد : مصدر أفند ، إذا خرف وأُنكر عقلُه من هرم أو مرض . وفى النسختين : « بقولى انجاد » صوابه من ديوان رؤبة ٣٨ واللسان (فند ٣٣٥) ومما سبق فى ٢ : ٣١٣ . ومقتضى تعليق البغدادى أن يكون : « بقول » بكسرة واحدة مضافا إلى ما بعده ، ليكون الوزن « فعولات » . وهو المطابق لضبط ابن جنى فى كتاب العروض له ص ٨١ . لكن ضبط بالتنوين فى كل من الديوان واللسان الذى فسره بقوله : « إنما أراد : بقولٍ ذى إفناد ، وقول فيه إفناد » .

(٢) هو محمد بن أحمد – وقيل محمد – بن عبد الله البصرى النحوى ، المعروف بالمفجع . قال ياقوت : كان من كبار النحاة ، شاعرا مفلقا شيعيا . وبينه وبين ابن دريد مهاجاة . صنف كتاب الترجمان فى الشعر ومعانيه ، المنقذ فى الأيمان ، يشبه الملاحن لابن دريد ، عرائس المجالس ، وغيرها. مات سنة ٣٢٠ . معجم الأدباء ١٧ : ١٩٠ – ٢٠٥ وإنباه الرواة ٣ : ٣١٣ وبغية الوعاة ١ : ٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . وفى حواشى البغية نقلا عن النجاشى فى كتاب الرجال المطبوع فى بمباى سنة ١٣١٧ : « وله شعر كبير فى أهل البيت ، يذكر فيه أسماء الأئمة ويتفجع على قتلهم حتى سمى المفجَّع . وقال فى بعض شعره :

إن يكن قيل لى المفجَّع نبزاً فلعمرى أنا المفجَّع همّا » .

(٣) البيان ١ : ١٠٨ ومعجم ما استعجم ٩٩٦ وشروح سقط الزند ١٨١٦ . وقد ورد بدون نسبة فى أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ٢ : ١٣٤) وذيل الأمالى ٣ : ١٩٥ والأغانى ١٩ : ٨٨ .

الأكبر اللخميُّ يغرِّيهما بالدّماء ، أى يَطْلِيهما بها . كذا (فى كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام لابن حبيب) ، وفى (ذيل الأمالى للقالى) ، وفى (الأغانى) ، وفى (الأوائل) لأبى الضِّياء الموصلىّ .

وزعم الجوهرى ، وتبعه جماعة منهم ابن نُباتة (فى شرح رسالة ابن زيدون [١]) أنّهما قبرَا مالِكٍ وعَقِيل : نديمَىْ جَذيمة الأبرش ، وسُمِّيا غريَّين لأنّ النُّعمان كان يُغَرِّيهما بدمِ من يقتلُه فى يوم بؤسه .

وهذا غلطٌ واشتباهٌ من وجهين :

أحدهما : أنّ بينَ جذيمةَ الأبرش وبين النعمان بن المنذر ستّةَ ملوك ، أحدُهم:عمرٌو اللخمّى ، وهو ابن أخت جَذيمة الأبرش . ثانيهم : امرؤ القيس بن عَمرو المذكور . ثالثهم : النعمان بن امرئ القيس المذكور ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخوَرْنق . رابعهم المنذر بن امرئ القيس صاحبُ الغريَّين ، وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، أخو النعمان الأكبر . خامسهم : المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر . سادسهم : أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند . ثم النعمان بن المنذر الذى ذكره الجوهرى . وكلّهم ملوك الحِيرة ، وهى أرضٌ بالكوفة . وإذا كان الأمر على ما ذُكِر فما معنى تغريتهما النّعمانُ بن المنذر بالدم ، مع كونهما نديمَىْ جذيمة الأبرش . ٥١٠

الثانى : أنّ الذى كان له يوم بؤس إنّما هو المنذر الأكبر . ولم يتنبّه لهذا ابن برّىّ (فى حاشيته على الصحاح) ولا الصفدىّ (فيما كتبه عليه) .

وهذ قصّة الغريَّين من عدّة طرقٍ أحدها لابن حبيب ، قال (فى كتاب المغتالين) :

---

(١) شرح الرسالة ص ٨٠ .

ومنهم عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسَديَّان ، وكان يَفِدانِ على المنذر الأكبر فى كلِّ سنة ، فيقيمان عنده وينادِمانه ، وكانت أسدٌ وغطفان لا يدينون للملوك ويُغِيرون عليهم ، فوفَدَا سنةً من السنينَ فقال المنذر لخالد يوماً ، وهم على الشراب : يا خالد ، مَنْ رَبُّك ؟ فقال خالد : عمرو بن مسعودٍ ربِّى وربُّك ! فأمسك عليهما ثم قال لهما : ما يمنعُكما من الدُّخول فى طاعتى وأن تَدنُوَا منِّى كما دَنَتْ تميمٌ وربيعة ؟ فقالا : أبَيْتَ اللعنَ ، هذه البلادُ لا تلائم مواشيَنَا ، ونحن مع هذا قريبٌ منك بهذا الرمل ، فإذا شئت أجبْناك . فعلم أنّهم لا يَدِينون له ، وقد سمع من خالدٍ الكلمة الأولى ، فأوحى إلى الساقى فسَقاهما سُمًّا ، فانصرفا من عنده بالسُّكر على خلاف ما كانا ينصرفان ، فلمَّا كان فى بعض اللَّيل أحسَّ حبيبُ بن خالدٍ بالأمر ، لما رأى من شدّه سكرهما ، فنادى خالدًا فلم يُجِبْه ، فقام إليه فحرّكه فسقط بعضُ جسده ، وفعل بعمرٍو مثلَ ذلك فكان حاله كحالِ خالد (١) ، وأصبح المنذر نادماً على قتلهما . فغدا عليه حبيبُ بن خالد فقال : أبيتَ اللعنَ ، أسعَدَك الأهل ، نديماك وخليلاك تتابَعا (٢) فى ساعةٍ واحدة ، فقال له : يا حبيب ، أعَلى الموت تستعدينى ، وهل ترى إلاّ ابنَ ميّت وأخا ميت ؟ ثم أمر فحُفِر لهما قبرانِ بظاهرِ الكوفة ، فدفنا فيهما ، وبَنَى عليهما منارتين ، فهما الغريَّان ، وعَقَرَ على كلِّ قبرٍ خمسين فرساً وخمسين بعيرًا ، وغرَّاهما بدمائهما ، وجعل يوم نادَمَهُما يومَ نعيم ، ويوم دَفَنَهُما يومَ بؤس. هذا ما أورده ابن حبيب .

وقال القالىُّ (فى ذيل أماليه) : حدّثنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قال لى عمى : سمعتُ يونس بنَ حبيب يقول : كان

---

(١) ط : « حاله كحاله » ، وأثبت ما فى ش وأسماء المغتالين ٢ : ١٣٤ .

(٢) كذا فى نسختَى الخزانة ونسختَى أسماء المغتالين اللذين هما أصل ما فى النوادر . وأراها « تتايعا » ، بالياء المثناة التحتية أى تساقطا .

المنذر بن ماء السماء جَدُّ النُّعمان بن المنذر ، ينادمه رجلان من العرب : خالد بن المضلَّل ، وعمرو بن مسعود الأسديّان ، فشرب ليلةً معهما فراجعاه الكلاَم فأغضباه ، فأمر بهما فجُعلا فى تابوتين [١] ودُفنا بظاهر الكوفة : فلمّا أصبَحَ سأل عنهما فأُخبِرَ بذلك ، فندِم وركب حتّى وقف عليهما ، وأمر ببناء الغريَّين [٢] وجعل لنفسه يومين : يومَ بؤس ويومَ نعيم ، فى كلِّ عام [٣] ، فكان يضَعُ سريره بينهما ، فإذا كان يوم نعيمه فأوّلُ من يطلُع عليه وهو على سريره يعطيه مائةً من إبل الملوك ، وأوّلُ من يطلع عليه فى يوم بؤسه يُعطيه رأسَ ظَرِبان ، ويأمر به فيُذبَح ويغرَّى بدمه الغَرِيَّان . انتهى .

وكذا روى هذه الحكاية إسماعيل بن هبة الله المَوْصلى (فى كتاب الأوائل) عن الشَّرْقىّ بن القُطامىّ .

وقد رجَعَ المنذر عن هذه السُّنّة السَّيِّئة . روى الموصلى (فى أوائله) أنّ المنذر استمَّر على ذلك زماناً حتّى مر به رجل من طيّء ، يقال له حَنظلة بن عَفراء ، فقال له : أبيتَ اللعْنَ ، أتيتُك زائراً ، ولِأهلي من خيرِك مائراً ، فلا تكن مِيرتهم قتْلى [٤] . فقال : لابدَّ من ذلك ، وسَلْنى حاجة قبلَه اقْضِها لك . قال : تؤجِّلنى سنةً أرجعُ فيها إلى أهلى وأُحْكِمُ أمرَهم ثمّ أرجعُ إليك فى حكمك . قال : ومن يتكفَل بك [٥] حتّى تعود ؟ فنظر فى وجوه جلسائه فعَرف منهم شَرِيكَ

---

(١) فى ذيل الأمالى ٣ : ١٩٥ : « فقتلا وجعلا فى تابوتين » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « ببنيان الغريين » .

(٣) فى كل عام ، ساقط من الأمالى .

(٤) مار أهله بميرهم ميرا : جلب إليهم الميرة ، وهى الطعام .

(٥) ش : « يكفل بك » . يقال كفل به كفلا وكفولا وتكفل به أيضا : ضمنه .

ابن عمرٍو ، أبَا الحوفزان [بن شريك [1]] ، فانشأ يقول :

٥١١

يا شريكاً يا ابنَ عمرٍو هل مِن الموت مَحاله
يا أخا كلِّ مُصابٍ يا أخا مَنْ لا أخا له
يا أخا شيبان فُكَّ الـ ـيومَ رهناً قد أنَى له [2]
إنّ شيبانَ قبيلٌ أكرمَ اللهُ رجالَه
وأبوك الخيرُ عمرٌو وشَراحيلُ الحَمَاله [3]
وفتَاكَ اليومَ فى المجـ ـدِ وفى حُسْنِ المقاله

فوثب شريك وقال : أبيتَ اللَّعنَ ، يدُه يدى ، ودمه دِمى إن لم يَعُدْ إلى أجَله . فأطلقه المنذر ، فلمَّا كان القابلُ جلس فى مجلسه ، وإذا ركبٌ قد طلَع عليهم ، فتأمَّلوه فإذا هو حنظلةُ قد أقبل متكفِّنًا متحنِّطا ، معه نادِبتُه ، وقد قامت نادِبَةُ شريكٍ تندُبه ، فلمَّا رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما وأبطلَ تلك السُّنَّة .

وقد ذُكِرَ فى إبطال المنذر هذه السُّنَّة غيرُ هذا . وأورده الموصلىُّ والميدانىُّ فى مثلٍ ، وهو :

* إنّ غداً لناظره قريبُ *

---

(١) التكملة من ش . والحوفزان اسمه الحارث بن شريك بن عمرو الشيبانى ، كما فى النقائض ٧٨٢ . ومما يجدر ذكره أن كنية شريك هى « أبو الحوفزان » وعلى ذلك جاء فى أمثال الميدانى : « فالتفت الطائى إلى شريك بن عمرو بن قيس بن شيبان ، وكان يكنى أبا الحوفزان » .

(٢) أنى له الأمر يأنى : حان يحين ، أى حان له أن يُفْتَكّ . وفى النسختين : « قد أناله » تحريف ، صوابه ما أثبت . وفى أمثال الميدانى ١ : ١٢٣ : « قد أتى له » بالتاء ، تحريف أيضا . كما أن رواية الميدانى : « فك اليوم ضيفا » .

(٣) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وهو قطعةٌ من بيت :

وإنْ يكُ صدرُ هذا اليومِ ولَّى فإنَّ غداً لناظِـــــرِهِ قريبُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد التسعمائة ، [وهو من شواهد س [1]]

٩٢٤ (أطَرَباً وأنتَ قِنَّسرِىٌّ)

على أنّ همزة الاستفهام فيه للإنكار .

قال ابن هشام (فى المغنى) : هى فيه للإنكار التوبيخىّ ، فيقتضى أنّ ما بعدها واقع ، وأنّ فاعله مَلُومٌ ، نحو : ﴿ أتعبُدُون ما تَنحِتون [2] ﴾ . انتهى .

وأورده سيبويه (فى باب ما ينتصب فيه على المصدر) ، قال : وأمَّا ما ينتصب فى الاستفهام من هذا البابِ فقولُك : أقياماً يا فلانُ والناسُ قعود ، وأجلوساً والناس يفرُّون . لا يريد أنّه يخبر أنّه يجلس ، ولا أنّه قد جَلَس وانقضى جلوسه ، ولكنَّه مخبرٌ أنّه فى تلك الحال فى جلوسٍ وفى قيام . وقال العجَّاج :

* أطَرَباً وأنت قِنَّسرِىٌّ *

وإنمّا أراد : أتَطْرَب ؟ أى أنت فى حال تطرُّب ؟ ولم يرد أن يخبر عمَّا مضى ولا عمَّا يستقبل . انتهى .

---

(١) تكملة ساقطة من النسختين . وانظر سيبويه ١ : ١٧٠ ، ٤٨٥ وشرح أبياته لابن السيرافى ١ : ١٥٢ والمخصص ١ : ٤٥ وابن الشجرى ١ : ١٦٢ وابن يعيش ١ : ١٢٣ والمقرب ٢ : ٥٤ والمغنى ١٨ والهمع ١ : ١٩٢ والأشمونى ٤ : ٢٠٣ واللسان (قسر ٤٠٣ قنسر ٤٣٠) وديوان العجاج ٦٦ .

(٢) الآية ٩٥ من سورة الصافات .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب طرب على المصدر الموضوع موضعَ الفعل ، والتقدير : أتطرب طربًا . والمعنى : أتطرب وأنت شيخ . والطَّرَب : خِفّة الشوق هنا . والطرب أيضا : خِفّة السُّرور . و (القِنَّسرىُّ) : الشيخ ، وهو معروف فى اللغة ، ولم يُسمَع إلاّ فى هذا البيت . انتهى .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة للعجّاج أوّلها :

أبيات الشاهد

بكـيتَ والمحتَـزِنُ البَكِـــىُّ وإنّما يأتى الصِّباَ الصبىُّ
أطرَبـــــاً وأنت قِنّسرىٌّ والدَّهـرُ بالإنسان دَوَّارىُّ
مِنْ أنْ شجاكَ مَنزِلٌ عامىُّ قِدْماً يُرَى من بعده الكِرسىُّ
* مُحرنْجَمُ الجامِلِ والنؤِّىّ *

وهذه القصيدة من مشطور السريع ، وضربها كعروضها مشطور مكشوف [١] وهو الضرب الخامس منه [٢] .

قال ابن المُلاّ : زعَم السُّيوطى (فى شرح الأبيات) أنّها أرجوزة . وفيه نظر ؛ لأنّ جعْلَها من الرجز يؤدّى إلى أن يكون فى ضربها سوى الشطر تغييرانِ : حذف نون مستفعلن وتسكين لامه ، وإنْ أطلق على مجموعهما اسم القطع . وجعْلُها من السَّريع إنمّا يؤدِّى إلى أن يكون فيها تغييرٌ واحد ، وهو حذف تاء

٥١٢

(١) الكشف : حذف السابع المتحرك ، وهو تاء مفعولات . وكذا وردت « مكشوف » بالشين فى النسختين . وقد اختلف العروضيون ، فالأكثر على أنه بالشين المعجمة ، لكن الزمخشرى وصاحب القاموس جعلاه تصحيفا صوابه بالسين المهملة ، وهو ظاهر الاشتقاق من الكسف وهو القطع ، يقال كسف عرقوب راحلته ، أى قطعه بالسيف . وهو معارض بأن للكشف وجها لأن إزالة الحرف الأخير مشبه بإزالة الغطاء عن الشئ . انظر الدمنهورى ٣٦ . ولم يعرف الدمامينى فى العيون الغامزة إلا الكشف بالمعجمة . انظر ١٠٤ ، ١١١ ، ١٩٨ ، ٢٢٨ .

(٢) صوابه « السادس » ، لأنه من العرض الرابعة المكسوفة المشطورة التى ضربها مثلها ، وهى سادسة الضروب كما فى متن الكافى وغيره . وقد تنبه لهذا الخطأ مصحح الطبعة الأولى .

مفعولات المسمَّى بالكشف [١] وتغييرٌ واحدٌ أولى من تغييرين ، اللهمَّ إلاّ أن يقال : أُطْلِقَ عليها الأرجوزة وإن كانت من السريع لشبهها بما كان مشطور الرجز ، وزوحِفَ بالقطع . وأما ضَرْب مطلعِها فَمُزَاحَفٌ بالخَبْن ، الذى هو حذف الثانى الساكن ، فوزنه فعولن . وإن جُعِلَ من الرجز وجب أن يكون فيه ثلاث تغييرات [٢] . انتهى .

وقوله : « بكيتَ » هو خطابٌ لنفسه . و « المحتزِن » : مُفتعِل من الحزن . قال الجوهريّ : احتزَن وتحزّن بمعنىً . وأنشد البيت . و « البكِيّ » : الكثير البكاء ، فعيلٌ من بَكى يبكى . و « الصِّبا » بكسر أوّله والقصر : التّصابى والميلُ إلى الجهل ، وحقيقته أن يفعل كالصِّبيان . والصَّبىُّ : فعيل ، قال صاحب الصحاح : يقال صبىٌّ بين الصِّبا والصَّباء ، إذا فتحت الصاد مددت ، وإذا كسرت قصرت . وصَبِىَ صَباءً كسِمع سَماعا : لعب مع الصِّبيان .

وقوله : (أطرَباً) تقدّم إعرابه عن سيبويه . قال ابن خَلَف : انتصب طرباً بفعل مضمر دلّ عليه الاستفهام ، لأنّه بالفعل أولى ، والتقدير : أتطرب طرباً . وإنمّا ذكر المصدرَ دون الفعل لأنّه أعمُّ وأبلغ فى المراد . وقد استشهد به ابنُ مالكٍ على وجوب حذف عامل المصدر الواقع فى توبيخ . قال السُّيوطىّ : والمشهور أنّه منصوب على أنّه مفعول مطلق ، وقيل إنّه على الحال المؤكِّدة ، أى أتطرب فى حال طرب . حكى ذلك أبو حَيَّان . انتهى .

---

(١) انظر ما سبق من تحقيق .

(٢) الحق أنه قد جرى العرف على تسميةِ ما كان من مشطورات الرجز والسريع والمنسرح أراجيز ، وجاءت أراجيز العرب منسوجة على ذلك . وإنما يكون الخلاف فى تسمية بحر الأرجوزة من الرجز أو السريع أو المنسرح .

ولا يخفى ركاكته . وقيل : نُصِب بفعل مقدَّر : أتأتِى طرباً ، كما يقال : أتأْتِى معصيةً ، على أنّه مفعول به . والطَّرَب هنا : خِفَّةٌ من حُزن ، كما يدلّ عليه السِّياق ، خلافاً للأعلم . وبَّخَ نفسَه على وقوع الحزن منه ، مع حالة الشَّيخوخة ، على ديارِ أحبَّته الخاليَة ، وحقُّه أن لا يستفزّه الحزن ، وأن يكون متثبتا [١] لكونه ممّن حنّكته التجارب .

و (الدَّوَّارىُّ) : مبالغة دائر ، والياء لتأكيد المبالغة ، كالياء فى أحمرىّ . وفى الصحاح : الدوّارىّ : الدّهر يَدُور بالإنسان أحوالاً . وأنشد البيت .

وقوله : « من أنْ شَجَاك » مِن تعليلية متعلّقة بطربا ، أو ببكيتَ . وشجاه بالجيم ، يَشْجوُه [٢] شجواً ، إذا حَزَنه . و « العامِىّ » : منسوب إلى العام ، وهو الحَوْل والسَّنَة . والمنزل العامّى : الذى أتى عليه حَول . و « الكِرسىُّ » : منسوب إلى الكِرْس بكسر الكاف ، وهى الأبوال والأبعار يتلبَّد بعضُها إلى بعض .

و « قِدمًا » بالكسر : ظرف ليُرَى بالبناء للمفعول ، ونائبه ضمير طَلَل أو منزل ، وجملة من عهده الكِرسىّ حال منه .

و « مُحْرَنْجَم » بفتح الجيم : مكان الاحرنجام ، وهو الازدحام ، وهو معطوف على الكِرسىّ ، وواو العطف محذوفة . و « الجامل » بالجيم : الجِمال والإبل ، وهو اسمُ جمع . والنُّؤِىُّ : جمع نؤى بضم النون وسكون الهمزة بعدها ياء ، جمع على فُعول ، وهو حُفرة تحفَر حول الخباء تمنع من دخول المطر .

وهذا المصراع أورده الزمخشرىُّ (فى المفصل [٣]) ، قال : أسماء المكان والزمان ما بنى من الثلاثىِّ المزيِد فيه والرباعىِّ فعَلَى لفظ اسم المفعول . وأنشدهُ .

---

(١) ط : « مثبتا » وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « يشجو » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) المفصل وابن يعيش ٦ : ١٠٩ .

والمعنى أنّ العجّاج يُنكر على نفسه الطربَ فى كِبَر سنّه ، فيقول : أتَطرب طرباً وتخفُّ خِفّة ، والحال أنت مسنٌّ كبير لا يَليق بك الطرب ، والدهر دوّارٌ بالإنسان يُديرُهُ من حالٍ إلى حال ، ويقلّبه من الشباب إلى الشَّيب ، وفيه تسلية .

٥١٣ وذلك الطربُ من أجل أنْ حَزَنَك منزلٌ مضَى عليه عام ، وقد خلا أهلُه منه فاندرس ، وكنتَ قديماً تعهدُه ، فيه الأكراسُ ومكانُ ازدحام الإبل والنؤىّ ، والآن انْدرسَ ولم يبقَ منه شئ .

وقال بعضُ فضلاء العجم : قوله : قِدْمًا يُرى إلخ صفة منزل . ومُحرَنْجَم الجامل بدلٌ من الكِرسىّ بدلَ الاشتمال ، والنؤىُّ عطف عليه ، ويجوز أن يكون صفة منزل . هذا كلامه .

وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو ا لشاهد الخامس والعشرون بعد التسعمائة (٢) :

٩٢٥ (وهل أنا إلاّ من غَزِيّة إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإنَ تَرشُد غَزِيَّةُ أَرشُدِ)

على أن (هل) هنا استفهامٌ صوريٌّ بمعنى النفى .

وقد روى أيضا : « وما أنا إلاّ من غَزِيَّة » .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٠ .

(٢) العقد ٥ : ١٦٩ والأغانى ٩ : ٤ ، ٥ والمغنى ٦٥٠ والحماسة بشرح المرزوقى ٨١٥ والأصمعيات ١٠٧ .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وتنفرد هل دون الهمزة بأن يراد بالاستفهام بها الجحد ، نحو : هل يقدر على هذا غيرى ، أى ما يقدر . ويعيِّنه دخولُ إلاّ نحو : ﴿ وهَلْ يُجازَى إلاّ الكَفُور [1] ﴾ ، وهل أنا إلا من غَزِيَّة ، أى ما يجازى إلاّ الكفور ، وما أنا إلاّ من غَزِيّة . ولا يجوز : أزيد لا قائم ولا أقام إلاّ زيد . وتقول : هل يكون زيد إلاّ عالما ، ولا يجوز : ألم يكن زيد إلاّ عالما ، ولا أليس زيد إلاّ عالما . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لدريد بن الصمة ، رثَى بها أخاه عبد الله بن الصمة ، أوردها أبو تمام فى الحماسة وانتقى منها أبياتاً (فى مختار أشعار القبائل) . وأوردها الأصبهانى أيضا (فى الأغانى) ، وكذلك ابن عبدِ ربّه أوردها (فى العقد الفريد) .

وهذه أبياتٌ منها ، وهو أول ما أورده أبو تمام :

أبيات الشاهد

نَصَحتُ لعارضٍ وأصحاب عارضٍ ... ورهطِ بنى السَّوداء والقوْمُ شهَّدى [2]

فقلت لهم ظُنُّوا بألفَىْ مدجّجٍ ... سَرَاتُهـم فى الفارسىِّ المسرَّدِ

فلمَّا عصَوْنى كنت منهم وقد أُرى ... غَوَايتهُمْ وأنَّنى غيرُ مهتدِ

أمرتُهـمُ أمرى بمُنْعَرَجِ اللِّوى ... فلم يَسْتبينُوا الرُّشدَ إلاّ ضُحَى الغدِ

وهل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ ... غويتُ وإنْ ترشد غَزِيّةُ أرشُدِ [3]

دعانى أخى والخيلُ بينى وبينَه ... فلمَّا دعانى لم يجَدْنى بقُعدُدِ [4]

تعادَوْا فقالوا : أرْدَتِ الخيلُ فارساً ... فقلت : أعبدُ الله ذلكُمُ الرَّدِى

فجئتُ إليه والرمـاحُ تَنُوشُه ... كوَقْعِ الصَّياصى فى النَّسيج الممدَّدِ

---

(١) الآية ١٧ من سورة سبأ . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، وابن عامر . وقرئ أيضا : « نُجازِى » .

(٢) العقد : « وقلت لعارض » . وعارض : قوم من بنى جشم ، كما يأتى .

(٣) العقد : « وما أنا » .

(٤) لم يرد هذا البيت فى العقد .

فكنتُ كذات البَوِّ ريعَتْ فأقبلَتْ إلى قِطَعٍ من مَسْك سَقْبٍ مقدَّدَ [١]
فطاعنتُ عنه الخيل حتّى تبدَّدت وحَتّى علانى حالكُ اللَّون أسودُ [٢]
قتالَ امرئٍ آسى أخاه بنفسِهِ ويَعلمُ أنّ المرء غير مخلَّدِ [٣])

إلى أن قال بعد أبيات كثيرة :

(وطيَّب نفسى أنّنى لم أقل له كذَبتَ ولم أبخلْ بما ملكت يدى [٤]
وهوّنَ وجدى أنَّ ما هو فارطٌ أمامى ، وأنِّى هامةُ اليوم أوغد [٥])

قال صاحب الأغانى : كان السبب فى مقتل عبد الله بن الصِّمَّة أنّه كان غزا غَطَفان ، ومعه بنو جشمَ وبنو نصر أبناء معاوية ، فظفِرَ بهم وساقَ أموالَهم فى يومٍ يقال له يوم اللِّوَى ، ومضى بها فلمّا كان منهم غير بعيدٍ قال : انزلوا بنا . فقال له أخوه دُريد : نشَدتُكَ اللهَ أن لا تنزل ، فإنّ غطفانَ ليست بغافلةٍ عن أموالها . فأقسَم لا يذهب حتّى يأخذ مِرباعَه وينتقِعَ نقيعةً فيأكُلَ ويُطعِم . والنقيعة : ناقةٌ ينحرها من وَسَط الإبل ، ثم يقسم بعد ذلك ما أصاب على أصحابه . فأقام وعَصَى أخاه دُريدا ، فبينَما هم كذلك إذْ سطعت الدَّواخن ، إذا بغبارٍ قد ارتفع [٦] أشدَّ من دُخانهم ، وإذا عبسٌ وفزارةُ وأشجعُ قد أقبلَتْ ، فتلاحَقُوا

٥١٤

---

(١) لم يرد فى العقد ولا فى الأغانى ولا فى الحماسة . وفى الأصمعيات :

* إلى جِذَمٍ من مَسْكِ سَقْبٍ مُجلَّدِ *

(٢) لم يرد فى العقد . وفى الأغانى : « أشقر اللون مزبد » . وفى القافية إقواء ، وروى فى أسود : « أسودى » كم يقال أحمرى وأصفرى . عن شرح المرزوقى .

(٣) لم يرد فى العقد . وفى الأصمعيات : « طعان امرئ » ، و « وأعلم » . الأغانى : « واسى أخاه » ، و « أيقن » .

(٤) الحماسة ٨٢١ . وفى العقد والأصمعيات : « وهوّن وجدى أننى لم أقل له » .

(٥) فى الأصمعيات : « وارد اليوم أو غد » . وهذا البيت لم يرد فى الحماسة .

(٦) وكذا فى الأغانى ٩ : ٣ « إذا » بغير واو قبلها .

بالمُنْعَرَج من رملة اللوى [١] ، فقَتَلَ رجلٌ من بنى قارب ، وهم بنو عبس [٢] ، عبدَ الله بن الصِّمَّة ، فتنادوا : قُتِلَ عبدُ الله : فعَطَف دريدٌ فذبَّ عنه فلم يُغنِ شيئاً ، وجُرِح دريدٌ فسقط ، فكفُّوا عنه وهم يُرَوْنَ أنّه قد قُتِل . واستنقذوا المال ونجا مَن هرب ، فمرَّ الزَّهدَمانِ ، وهما من عبس : زهدمٌ وقيسٌ : ابنا حَزن بن وهب ابن رَوَاحة . قال دريد : فسمعت زَهدَمًا العبسىَّ يقول لكَرْدمٍ الفزارى : إنّنى أحسَب دريدًا حيًّا فانزِلْ فأَجهِزْ عليه . قال : قد مات . قال : انظر إلى سَبَّتِه هل ترِمُز [٣] ؟ فشدَدْتُ من حَتَارها [٤] .قال : فنظر فقال : قَد مات . فولَّى عنه ومال بالزُّجّ إلى سَبّته فطعنه فيها ، فسال دمٌ كان قد احتقنَ فى جوفه . قال دريد : فعرَفْتُ الخِفَّةِ حينئذ ، حتَّى إذا كان الليل مشيَت وأنا ضعيفٌ قد نزفنى الدَّمُ حتَّى ما أكاد أُبصِر ، فمرّت بى جماعةٌ تَسِير ، فدخلتُ فيهم فوقعت بين عرقوبَىْ بعيرِ ظَعينة [٥] ، فنفر البعير فنادت : أعوذ بالله منك ! فأنتسِبُ لها ، فأعلمَتِ الحىَّ بمكانى ، فغُسِل عنّى الدم ، وزُوِّدت زادًا وسِقاءً فنَجَوْت . ورثاه بهذه القصيدة . ثم حجّ كردَمٌ بعد ذلك فى نفرٍ من بنى عَبْس ، فلما قاربوا دِيارَ دُريد [٦] تنكَّروا خوفاً ، ومرَّ بهم دريدٌ فأنكَرَهم ، ثم عَرَف كردماً فعانقه ، وأهدى له [٧] فرساً وسِلاحا وقال له : هذا ما فعلتَ بى يوم اللِّوى . انتهى .

---

(١) الأغانى : « من رميلة اللوى » .

(٢) الأغانى : « وهم من بنى عبس » ، وهو الأوفق .

(٣) ترمز : تتحرك . والسبة ، بالفتح : الاست .

(٤) ط : « فشت » تحريف ، وأثبت ما فى ش . وفى الأغانى : « فسددت » . والحتار ، كسحاب : أطراف جلدة الاست ، أو حلقة الدبر .

(٥) الظعينة : المرأة فى الهودج . ط : « ظعينته » ، صوابه فى الأغانى و ش مع أثر تصحيح فيها .

(٦) ط : « دار دريد » ، وأثبت ما فى ش والأغانى .

(٧) فى الأغانى : « فأهدَى إليه » .

وقوله : « نصحتُ لعارض » إلخ عارضٌ : قومٌ من بنى جشم ، كان دُريد نهاهُم عن النزول حيث نزلوا فعَصَوه ، و « رهط بنى السَّوداء » فيهم . و « القوم شُهّدى » أى حاضرين مقامى ، أو شُهودى أنّى قد نهيْتهم .

وقوله : « فقلتُ لهم ظُنُّوا » إلخ استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وإنى لأظنُّه كاذبًا [1] ﴾ على أنّ الظنَّ بمعنى اليقين .

وأنشده الزجّاجى أيضا (فى باب من مسائل إنِ الخفيفة من الجُمَل). قال اللخمى : ظُنُّوا هنا معناه أيقِنُوا ، وهو من الأضداد ، يكون شكًّا ويكون يقينا .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : المعنى أيقنوا أنْ سيأتيكم ألفا فارس مقنَّعين فى الحديد . ويجوز أن يكون معناه : ظنُّوا كلَّ ظنٍّ قبيح بهم . قال الإمام عبد القاهر : يشبه أن تكون الباء هنا مثلها فى قوله : ظننتُ بهم خيرًا وما ظُنَّ به أنّه يفعل كذا . ثم يكون قد حُذِف من الكلام شئ ، كأنّه قال : ظُنُّوا بألفَىْ مدجّج هذه صفتُهم ما يكون من أمرهم وأمركم معهم إذا هُمْ أتوكم . ويكون من باب التعليق كقولك : ظُنّ بزيد أىَّ شئ يصنع إذا قلتَ له كذا وكذا ؟ انتهى .

والمدجَّج ، بفتح الجيم وكسرها : الكامل السلاح ، وقيل : لابس السِّلاح وإن لم يكمُل . وقيل بالكسر للفارس ، وبالفتح الفرس ، وإنّهم كانوا يدرِّعون الخيل . وسَرَاتهم بالفتح : أشرافهم ، مبتدأ ، وبالفارسىِّ خبره ، والباء بمعنى فى . والدِّرع الفارسىُّ يصنع بفارس . والمسرَّد : المحْكَم النَّسج ، وقيل هو الدَّقيق الثّقب . ٥١٥

وقوله : « فلما عَصَونى » إلخ الغَوَاية بالفتح ، يقول : لما أصرُّوا على ما كانوا عليه تَبِعتُ رأيَهم وأنا أرى عُدولَهم عن الصَّواب ، وأنّنى غير مصيبٍ مثلُهم .

---

(١) الآية ٣٧ من سورة غافر .

وقوله : « أمرتهمُ أمرى » يجوز أن يريد به المأمور به ، والأصل : أمرتهم بأمرى ، فحذف الباء . ويجوز أن يكون مصدر أمرت ، وجاء به لتوكيد الفعل . ومُنعَرج اللوى ، بفتح الراء : منعَطَفُه . واللِّوى : موضع الوَقْعة . و « لم يستبينوا » أى لم يتبيَّنوا الرشد فى الحال حتَّى جاء الوقتُ المقدَّر له . وذِكر الغَدِ يكثُرُ فيما يتراخَى من عواقب الأمور ، والمعنى فى المستأنَف من الوقت . وهذا زاد عليه ضُحًى لأنّه من النهار أضوأ ، فكأنَّ المعنى : لم يتبيَّن لهم ما دعوتُهم إليه إلاّ فى الوقت الذى لا لَبْس فيه . وقد تمثَّل بهذا البيت أمير المؤمنين علىٌّ رضى الله عنه ، بعد ما ظهر من أمر الخوارج ما ظهَرَ من التحكيم فى قوله : « وقد كنت أمرتُكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخَلْتُ لكم مخزونَ رأيى ، لو كان يُطاع لقصيرٍ أمر ، فأبيتم علىّ إباءَ المخالفين الجُفاة ، والمنابذين العُصاة ، حتّى ارتاب النَّاصحُ بنُصحِه ، وضَنَّ الزَّند بِقَدْحه ، فكنت وإيّاكم كما قال أخو هَوازن : أمرتهم أمرى ... البيت [1] » .

وقوله : (وهل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ) أى ما أنا إلاّ من غَزيَّة فى حالة الغَىّ والرشاد ، فإنْ عدلوا عن الصواب عدلت معهم ، وإن اقتحموه اقتحْمتُ معهم . وغَزِيَّة بفتح الغين وكسر الزاى المعجمتين : رهط دريد . وقال أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) : غَزيَّة : جدُّ دريد : يقول : أنا تابعٌ لقومى ، على رُشْدٍ كانوا أم غَىّ . قال صاحب الصحاح : الغَىّ : الضلال ، والخَيْبة أيضاً . وقد غَوَى بالفتح يَغوِى بالكسر غَيًّا وغَواية . وأنشد البيت . والرُّشْد جاء فعله من باب فَرِح ومن باب نصر .

وقوله : « دعانى أخى » إلخ لم يروه أبو تمام . واستشهد به ابن الناظم وغيرُه فى دخول الباء الزائدة فى المفعول الثانى لوجد . والقُعدد بضم القاف والدال ، ويجوز

---

(١) الخطبة فى نهج البلاغة ٣٨ — ٣٩ .

فتح الدال أيضا . قال ابن سيده (فى المحكم) : هو الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم . وقال صاحب الصحاح : ورجل قُعدُد وقُعدَدٌ ، إذا كان قريبَ الآباء إلى الجدّ الأكبر . ويُمدَح به من وجه ، لأنَّ الوَلَاء للكُبْر [١] . ويُذمّ به من وجهٍ ، لأنّه من أولاد الهَرْمَى ، ويُنسَب إلى الضَّعف . وأنشد البيت .

وقوله : « تنادَوْا فقالوا » إلخ يريد بالخيل الفرسان . يقول : نادَى بعضُهم بعضاً : أهْلَكَ الفرسان فارساً ! فقلت : أعبد الله ذلكم الهالك ؟ وإنّما دعاه إلى هذا القول أمران : أحدهما سوءُ ظن الشَّقيق ، والآخَر أنّه علم إقدامَه فى الحرب .

وقوله : « فجئت إليه » أى لأقِيَه بنفسى ، فلحقتُه والرِّماحُ تنوُشه ، أى تتناوله . والصَّياصى : جمع صِيصِيَة ، وهى شوكة الحائك فى نسجه الممدود ، إذا أراد تمييز طاقاتِ السَّدَى بعضَها من بعض . وسمِّيت بذلك تشبيهاً بصيصيَة الديك ، وهى دابرته فى ساقه ، وبصِيصيَة الثَّور ، وهو قرنه .

وأما قوله تعالى : ﴿ من صَيَاصِيهِم [٢] ﴾ فمعناه : من حصونهم وقلاعهم .

وقوله : « فكنت كذات البوّ » إلخ قال أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) : ذات البَوّ : ناقة . ورِيعت : أفزِعَتْ . والمَسْك ، بالفتح : الجِلد . والبَوّ : جلد الحُوارِ يُحشَى بالتبن ، فإذا لم تَدرَّ الناقةُ ألقَوْه إليها فدَّرت . انتهى . يقول : فكنت كناقةٍ لها ولد ، فأفزعت فيه لمَّا تباعدت عنه فى مرعاها ، فأقبلَتْ نحوه فإذا هو جلدٌ مقطَّع . كأنّه انتهى إلى أخيه وقد فُرِغَ من قتله [٣] وقُدِّد ، أى قُطِّع . والسَّقب بالفتح : الذكر من أولاد الابل .

٥١٦

---

(١) الكبر ، بضم : أكبر ذرية الرجل . ويقال أيضا فلان كُبر قومه ، أى أقعدهم فى النسب .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأحزاب .

(٣) ط : « فزع من قتله » .

وقوله : « فطاعنتُ عنه الخَيل » إلخ أى دفعت الفُرسانَ عنه حتَّى تكشَّفوا ، وإلى أن جُرحت فسالَ الدم علىّ . وقوله : « حالك اللون أسودُ » فيه إقواء ، وهو من عيوب القوافى (١) .

وقوله : « قِتالَ امرىء إلخ يقول : قاتلت عنه قِتالَ رجل جعلَ نفسه أُسوةَ أخيه ، أى مثلَه فيما نابه من خَيرٍ أو شرّ ، وعلم أنّه سيموت ، فاختارَ مواساة أخيه ليَسْلَما معاً ، أو يموتا معاً .

وقوله : « وطيِّب نفسى » إلخ أى طيّب نفسى كونى لم أخالفْه فى شىء رآه ، ولا قبَّحت عليه ما أتاه ، ولم أبخل عليه بشىءٍ من مالى ، أى أعظمته فى القول عند مخاطبته ، وفى الفعل عند معاملته . فأشار إلى القول بقوله : لم أقل له كذبت ، وإلى الفعل بقوله : ولم أبخَلْ الخ .

وقوله : « وهوَّنَ وجدى » إلخ الوجد : الحُزن . والفارط : الذى يتقدَّم الواردين فيهيِّىءُ الدِّلاء والحوض ، ويستقى الماء . أى هوَّنَ وجدى علىَّ بأنّ لَحاقي به قريب ، كما يقرب لَحاقُ الواردين بالفارط . والهامة هنا : الذاهب ، مِن هامَ على وجهه يهيم هَيْما ، إذا ذهب من العِشْقِ أو غيره (٢) .

وترجمة دريد بن الصمة تقدمت فى الشاهد الثانى بعد التسعمائة (٣) .

* * *

(١) فى شرح المرزوقى ٨١٨ : « ويروى علانى حالكٌ لونُ أسود ، والضعفُ فيه ظاهر .... وأجود من هذا أن يروى : حالك اللون أسودى ، وهو يريد أسوديّ ، كما قيل فى الأحمر أحمرىّ » .

(٢) كذا ظنه البغدادى من هام يهيم . ولم أجد من فسره بذلك غيره . والحق أنه بمعنى الميت ، يقال فلان هامة اليوم أو غد ، أى يموت اليوم أو غدا ، كما فى اللسان هوم ٢٠٩) حيث أنشد بيت كثير :

وكل خليل راءنى فهو قائل ... من آجلكِ هذا هامة اليوم أو غد

(٣) انظر هذا الجزء الحادى عشر ص ١١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٩٢٦ (أمْ هَلْ كبيرٌ بكَى لم يقضِ عَبرتَه إثرَ الأَحبَّة يومَ البينِ مَشكومُ)

على أنّه يجوز أن تأتى (هل) بعد أم .

وليس فيه جمع استفهامين ، فإنّ أم عند الشارح كما تقدّم فى حروف العطف مجردة عن الاستفهام إذا وقع بعدها أداة استفهام ، حرفاً كانت أم اسما . وأم المنقطعة عند الشارح حرفُ استئناف بمعنى بل فقط ، أو مع الهمزة بحسب المعنى ، وذلك فيما إذا لم يُوجَد بعدها أداة استئناف . وليست عاطفةً عنده ، وفاقاً للمغاربة .

قال المرادى (فى الجنى الدانى) : إن قلتَ:أم المنقطعة هل هى عاطفة أو ليست بعاطفة ؟ قلت : المغاربة يقولون : إنّها ليست بعاطفة ، لا فى مفردٍ ، ولا فى جملة . وذكر ابنُ مالك أنّها قد تعطف المفرد ، كقول العرب : إنّها لإبلٌ أم شاء . قال : فأم هنا لمجرد الإضراب عاطفةٌ ما بعدها على ما قبلها ، كما يكون ما بعد بل فإنّها بمعناها . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : لا تدخل أم المنقطعة على مفرد ، ولهذا قدَّروا المبتدأ فى : إنّها لابل أم شاء . وخَرَق ابن مالك فى بعض كتبه إجماعَ النحويِّين فقال : لا حاجة لتقدير مبتدأ . وزعم أنّها تعطف المفردات كبل ، وقدَّرها ببل دون

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩٠ وأصول ابن السراج ٢ : ٦٠ وابن يعيش ٤ : ٨/١٨ : ١٥٣ والهمع ٢ : ٧٧ ، ١٣٣ والمفضليات ٣٩٧ وديوان علقمة ١٢٩ . والأغانى ٢١ : ١١٢ والضرائر ٢٠٨ .

الهمزة . واستدلَّ بقولِ بعضهم : إنّ هناكَ لإبلاً أم شاءً بالنصب . فإنْ صحَّت روايته فالأَوْلَى أن يقدّر لشاء ناصب ، أى أم أرى شاء . انتهى .

وممن ذهب إلى أنّ أم عاطفة ابنُ يعيش ، ثم اضطرب كلامُه فى نحو : أم هل ، وفى : أم كيف . فتارة ادَّعى تجريد أم عن الاستفهام ، وتارة ادَّعى التجريد عن هل . قال فى فصل حرفى الاستفهام : من المحال اجتماعُ حرفين بمعنى واحد . فإن قيل : فقد تدخل على هل أم وهى استفهام ، نحو : أم هل كبيرٌ بكى .... البيت ؟ فالجواب أنَّ أم فيها معنيان : أحدهما الاستفهام ، والآخر العطف ، فلمَّا احتيج إلى معنى العطف فيها مع هل خُلع منها دلالة الاستفهام وبقى العطف بمعنى بل للترك ، ولذلك قال سيبويه : إنَّ أمْ تجىء بمعنى لا بل ، للتحويل من شىء إلى شىء . وليس كذلك الهمزة ، لأنَّها ليس فيها إلاّ دلالةٌ واحدة (١) . انتهى كلامُه .

٥١٧

وقوله : « من المحال اجتماع حرفين بمعنىً واحد » هو فى هذا تابع لابن جنى ، وقد ذكرنا فى الشاهد السادس بعد التسعمائة أنّه لا مانع من اجتماعهما للتأكيد ، كقوله :

* ولا لِلِما بهمْ أبداً دواءُ *

والعطف هنا على قوله من عطف الجمل ، وليس لها تشريك فى غير الوجود .

وقال ابن يعيش أيضا فى فصل الحكاية : وأما ما حكاه أبو على من قولهم : [ضَرَبَ (٢)] مَنٌ مَنًا ، فهى حكاية نادرة.ووجهها أنها جردت من الدلالة على

---

(١) ابن يعيش ٨ : ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) التكملة من ابن يعيش ، مع سقوط كلمة « أبو على » من ابن يعيش .

الاستفهام حتى صارت اسما كسائر الأسماء ، يجوز اعرابها وتثنيتها وجمعها ، كما جرَّدوا أيًّا من الاستفهام حيثُ وصفوا بها فقالوا : مررت برجلٍ أيِّ رجل . وقد فَعَلوا ذلك فى مواضع . فمن ذلك قولُ الآخَر :

أم هل كبيرٌ بكَى ...البيت

فقد خلع الاستفهام من هل دون أم ، لأنَّ هل قد استعمل فى غير الاستفهام نحو : ﴿ هَلْ أتى على الإنسانِ حِينٌ [١] ﴾ أى قد أتى . ونحو : ﴿ هل جزاءُ الإحسان إلاّ الإحسان [٢] ﴾ أى ما جزاء الإحسان ، فكان اعتقادُ نزع الاستفهام منها أسهلَ من اعتقاد نزعهِ من أم . فأمَّا قول الشاعر :

* أم كيف يَنفعُ ما تُعطِى العَلوقُ به * ... البيت .

فإنه ينبغى أن يَعتقِد نزع دليل الاستفهام من أم وقَصْرَها على العطف لا غير . ألا تَرى أنّا لو نزعنا الاستفهام من كيف للزم إعرابُها كما أعربت مَنْ . هذا كلامه ، وأنت ترى اضطرابه .

فللّهِ در الشارح المحقق ما أبعد مَرامه ، وأدقَّ كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة عِدَّتها سبعة وخمسون بيتا ، لعَلقَمة الفحل . وقبله :

(هَلْ ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ   أم حبلُها إذْ نأتكَ اليومَ مصرومُ)

وهو مطلع القصيدة ، وقد أوردها المفضَّل (فى المفضَّليات) ، وشرحَها ابنُ الأنباريّ وأورد له قصيدةً أخرى طويلةً مطلعها :

---

(١) الآية الأولى من سورة الإنسان .

(٢) الآية ٦٠ من سورة الرحمن .

(طحا بكَ قلبٌ فى الحِسانِ طَروبُ   بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ
يكَلِّفُنى ليلَى وقد شَطَّ وَلْيُها   وعادَتْ عوادٍ بينَنَا وخطوبُ)

وهما من أبيات تلخيص المفتاح . والقصيدتان جيدتان .

روى صاحبُ الأغانى بسنده إلى حمّادٍ الرواية قال : كانت العرب تَعرِض أشْعارها على قريشٍ ، فما قبلوهُ منها كان مقبولاً ، وما ردُّوه منها كان مردودا ، فقَدِمَ عليهم عَلقمة بن عَبَدة فأنشدهم قصيدتَه التى يقول فيها :

* هل ما عَلمتَ وما استوُدِعتَ مكتومُ *

فقالوا : هذه سِمط الدُّرّ [1]. ثم عاد إليهم فى العام المقبل فأنشدهم :

* طحا بك قلبٌ فى الحسانِ طروبُ *

فقالوا : هاتان سِمْطا الدُّرّ [2].

وقوله : « هل ما علمت » إلخ هل هنا دخلت على الجملة الاسمية ، فإنّ ما موصولة مبتدأ ، وما الثانية معطوف عليها ، ومكتوم خبر المبتدأ ، والفعلان بالخِطاب ، الأوّل بالبناء للمعلوم ، والثانى بالبناء للمجهول . والمكتوم : المستور . وأم عند الشارح حرف استئناف بمعنى بل ، لأنّها منقطعة وفيها معنى الهمزة كما يأتى ، وجملة حبلها مصروم من المبتدأ والخبر استئنافيّة ، وإذ تعليليّة متعلقة بمصروم بمعنى مقطوع . والحبل استعارةٌ للوصل والمحبَّة . ونَأَتْكَ أصلُه نَأت عنك ، فحذف عن ووصل الضمير بالفعل ، ونأت بمعنى بَعُدت . والمعنى : هل تكتم الحبيبةَ وتحتفظُ ما علمتَ من ودِّها لك [3] وما استُودِعتَه منها من قولها : أنا على ٥١٨

(١) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ٢١ : ١١٢ وديوان علقمة ١٣١ من مجموع خمسة دواوين : « سمط الدهر » .

(٢) فى الأغانى والديوان : « سمطا الدهر » .

(٣) يقال احتفظ الشيءَ لنفسه : اختصَّها به .

العهد لا أَحُول عنك ، وشيمتى الوفاء لك . بل انصرمَ حبلُها منك لبعدها عنك ؛ فإنَّ من غاب عن العين غاب عن القلب . وهذه شِيمة الغوانى ، كما قال الشاعر [(١)] :

وإنْ حلفَتْ لا ينقض النَّأىُ عهدَها فليس لمخضوبِ البنـانِ يمينُ

وقدَّرنا الهمزة مع أمْ لأنَّ المعنى يقتضيها ، كما تقدَّم من الشارح من أنّها لا يجب تقديرها مع أم المنقطعة ، وإنمّا هى بحسب المعنى ، فإن اقتضاها قُدِّرت وإلاّ فلا .

وقد قدَّرها ابن جنى (فى المحتسب) على طريقة البصريِّين ، قال فى سورة الطُّور : ومن ذلك قراءة الناس : ﴿ أم هُمْ قومٌ طاغون [(٢)] ﴾ ، وقرأ مجاهد : (بل هُم [(٣)]) وهذا هو الموضع الذى يقول أصحابنا فيه : إنّ أم المنقطعة بمعنى بل ، للترك والتحوُّل ، إلاّ أنَّ ما بعد بل متيقّن ، وما بعد أم مشكوك فيه مسئولٌ عنه . وذلك كقول علقمة بن عَبَدة : هل « ما علمت » البيت ، كأنه قال : بل أحَبْلها [(٤)] اذ نأتك مصروم . ويؤكّده قولُه بعده : أم هل كبير بكى ..... البيت . ألا ترى إلى ظهور حرف الاستفهام ، وهو هل ، فى قوله : أم هل كبير بكى ، حتّى كأنه قال : بل هو كبير . تركَ الكلام الأول وأخذَ فى استفهامٍ مستأنف . انتهى .

---

(١) هو كثير عزة ، كما فى زهر الآداب ١٧ وديوانه ١٧٦ . وقبل البيت :

وإن هى أعطتك الليان فإنها لآخَرَ من خُلاَّنها ستـلين

(٢) الآية ٣٢ من سورة الطور .

(٣) قرأها وحده فى الآية من سورة الطور . وقرءوا جميعا فى الآية ٥٣ من سورة الذاريات : « أتواصوا به بل هم قوم طاغُون » .

(٤) هذا ما فى ش والمحتسب ٢ : ٢٩١ . وفى ط : « بل حبلها » .

ولم يذكر ابن الأنبارى فى شرحه من هذا شيئاً ، وإنَّما نقل ما يتعلَّق بمعناه ، قال : قال الضبّى : أى هل ما علمت وما استُودِعتَ من حبِّها مكتوم عندها أم منتشر . وغيرُه قال : معناه هل ما علمتَ ممَّا كان بينك وبينها وما استُودِعتَ من حبِّها مكتوم عندها ، فهى على الوفاء ، أم قد صرمَتْك . وقال الرُّستَمىّ : المعنى هل تكتم السرَّ الذى علمتَ وما كان بينها وبينك وتكتمُ ما استَودَعتْك من حبِّها إرادةَ الوفاء لها ، أم تصرمها إذْ نأت عنك .

هذا ما أورده . وقول الرستمىّ غير مناسب للنَّسيب والمذهبِ الغرامىّ . وقد تبعه الأعلم فقال : هل تبوح بما استودَعَتْك من سرِّها يأساً منها ، أم تصرم حبلَها لنأيها عنك وبُعدِها . انتهى .

وقوله : (أم هل كبير بكى) إلخ أم هنا منقطعة أيضاً بمعنى بل ، ومجرَّدة عن الاستفهام لدخولها على هل ، كما تقدَّم عن الشارح . قال ابن عصفور (فى الضرائر) : تقدّم كبير على بكى ضرورة . وإذا وقع بعد أدوات الاستفهام ما عدا الهمزة اسمٌ وفعل فإنّك تقدِّم الفعلَ على الاسم فى سَعَة الكلام ، ولا يجوز تقديم الاسم على الفعل إلاّ فى ضرورة شعرٍ كالبيت ، ولولا الضرورةُ لقال : أم هل بكى كبير .

هذا كلامه ، وتبعه ابن عَقيلٍ والمرادىُّ (فى شرح التسهيل) .

وأقول : هذا ليس منه ، فإنّ هل داخلةٌ على جملة اسمية نحو : هل زيد قائم ، أى هل كبير موصوفٌ بهذه الصفة مشكوم . فكبير مبتدأ ، وبكى صفته ، ومشكوم خبره ، فإنّ المحدَّثَ به مشكوم لا بكى ، كما يشهد به المَعْنَى . ولو كان بكى هو المحدَّث به نحو : هل زيد قام ، لكان كما قال ، ضرورةً فى الشعر قبيحاً فى الكلام .

وقال الأعلم : أراد بالكبير نفسَه ، أى هل تجازيك ببكائك على إثرها وأنت شيخ . والمشكوم : المجازَى . والشُّكم : العطيّةُ جزاءً ، فإن كانت ابتدائيّةً فهى الشُّكد [١] . انتهى .

وقال العينى : أراد بالكبير قيس بن الخطيم . ولا أعلم له وجها ومناسَبَةً هنا .

وقال ابن الأنبارى : المشكوم : المجزىّ ، وقد شكمته أشكُمه شَكْما من باب نصرته نصراً ، والاسم الشُّكم بالضم ، وهو المكافأة بحسن الصَّنيع . وإثْر الأحبّة ، بكسر الهمزة وسكون المثلثة ، وفتحهُما لغة . والبين : الفراق . وإثْرَ ويومَ متعلِّقان ببكى . وقوله : « لم يقض عَبرتَه » هو صفة ثانية لِكبير . والعَبرة بالفتح : الدَّمعة . قال الضّبىّ : لم يَقضِ عَبرته ، أى لم يشتف من البكاءِ ، لأنَّ فى ذلك راحةً ، كما قال امرؤ القيس : ٥١٩

* وإنَّ شِفائى عبرةٌ لو صببتُها [٢] *

وقال غيره : أى لم ينفِذْ [٣] ماء شُئونه ، ولم يُخرِجْ دمعَه كلَّه ، لأنّه إذا لم يخرجه كان أشدَّ لأسفه واحتراقِ قلبِه . وحُكى عن أبى بكر بن عيّاش أنّه كان يشتدُّ حزنه حتّى يكاد يحترق قلبُه ولا يقدر على إظهار قطرةٍ من دموعه ، فوقف ذو الرمة بكُناسة الكوفة يُنشِد وحَضَره أبو بكر ، وهو ينشد :

لعلَّ انحدارَ الدَّمع يُعقِب راحةً   من الوجدِ أو يَشْفى نجىَّ البلابلِ [٤]

---

(١) الشكد ، بالفتح : المصدر ، وبالضم : العطاء نفسه .

(٢) ويروى : « عبرة مهراقة » ، وهو من معلقة امرئ القيس . وعجزه :

* وهل عند رسم دارس من معوَّل *

(٣) ط : « ينفذ » بالذال المعجمة ، صوابه فى ش .

(٤) ديوان ذى الرمة ٤٩٢ والعقد ٣ : ٢٣٥ .

فتعاطى البكاءَ بعد ذلك ، فكان إذا حزن واشتدَّ حزنه يتعاطَى البكاء فيبكى ويسيل دمعه ، فيستريح لذلك .

روى صاحبُ الأغانى بسَنده إلى العباس بن هشام عن أبيه قال :

مرَّ رجلٌ من مُزينة على باب رجلٍ من الأنصار وكان يُتَّهم بامرأته ، فلما حاذى بابه تنفَّس ثم تمثَّل :

هل ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ أم حبلُها إذْ نأتْكَ اليومَ مصرومُ

قال : فعَلِقَ به الرجلُ فرفَعه إلى عمر رضى الله عنه فاستعداه عليه ، فقال له المتمثِّل : وما علىّ أن أنشدتُ بيتَ شعر ؟ فقال له عمر : مالك لم تُنْشِده قبل أن تبلغ إلى بابه ؟ ولكنّك عرَّضتَ به مع ما تعلمه من القالة فيك . ثمّ أمر به فضُرِب عشرين سوطا . انتهى .

وعلقمة بن عَبَدة شاعر جاهلى تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى عشر بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أم كيفَ يَنفعُ ما تُعطِى العَلوقُ به رئمان أنفٍ إذا ما ضُنّ باللَّبَنِ)

على أنّ الاستفهام يجوز أن يقع بعد أم المجردة من الاستفهام كما ذكرنا .

وتقدّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد السادس بعد التسعمائة (٢) .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٢٨٢ — ٢٨٤ .

(٢) الخزانة ١١ : ١٣٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٢٧ (هل ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ   أم حبلُها إذْ نأتكَ اليومَ مصرومُ
أم هل كبيرٌ بَكَى لم يَقْضِ عَبْرَتَهُ   إثرَ الأحبَّةِ يومَ البينِ مَشكومُ)

على أنّ (أمْ) إذا جاءت بعد (هل) يجوز أن يُعاد معها هل ويجوز أن لا يعادُ ، بخلاف أم إذا جاءت بعد اسم استفهام فإنه يجب أن يعاد معها ذلك الاسم ، كما بيَّنه الشارح . وقد اجتمع فى البيتين إعادة هل وتركها ، فإنّ أم الأولى جاءت بعد هل ولم تُعَدْ هل معها ، وقد أعادها مع أم الثانية فى البيت الثانى .

وقد مضى شرحهما . وقد أوردهما سيبويه (فى باب أو) بعد باب أم المنقطعة ، وأنشد فيه قول مالك بن الرَّيْبِ :

ألا ليتَ شعرى هل تغيَّرَتِ الرَّحا   رَحَا الحَزْن أو أضْحَتْ بفَلْجٍ كما هيا (٢)

وقال : وكذلك سمعناه ممن يُنشِده من بنى عمّه . وقال : قال أناس أم أضحت ، علَى كلامين ، كما قال علقمة : هل ما علمت وما استُودِعتَ .... البيتين .

٥٢٠

قال الأعلم : الشاهد فيه دخول أم المنقطعة فى البيتين . انتهى .

وفى هذه القصيدة بيتٌ من شواهد المفصّل وغيرِه ، فينبغى أن نشرحه هنا مسبوقاً بأبيات ثلاثة ، وهى :

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٨ والمقتضب ٣ : ٢٩٠ والأغانى ٢١ : ١١١ ، ١١٣ والمحتسب ٢ : ٢٩١ والأزهية ١٣٧ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٤ ورصف المبانى ٩٤ ، ٤٠٦ والهمع ٢ : ٢٣٣ والأشباه والنظائر ٤ : ٩ والمفضليات ٣٩٧ وديوان علقمة ١٢٩ .

(٢) أمالى القالى ٣ : ١٣٧ . وقد سبق فى ٢ : ٢٠٥ .

أبيات الشاهد

(كأنَّها خاضبٌ زُعْرٌ قوادِمُه أجْنَى له باللِّوَى شَرْىٌ وتَنُّـومُ
يظَلُّ فى الحَنظل الخُطْبانِ ينقُفُه وما استطفَّ من التَّنُّومِ مخذومُ
فُوه كشَقِّ العصا لأياً تَبَيَّنُـه أسكُّ ما يَسمعُ الأصواتَ مصلومُ
حتَّى تذكـر بَيْضاتٍ وهيَّجـه يومُ رذاذٍ عليه الدَّجْنُ مغيومُ)

وقوله : (كأنّها خاضبٌ) إلخ قال ابن الأنبارىّ أى كأنَّ الناقة فى سرعتها ظليم (١) وهو ذكر النعام . والزُّعر بالضم : القليلة الرِّيش ، والاسمُ الزَّعَرِ بفتحتين . والقوادم العشر : ريشات فى مقدّم الجناح . قال الكلابى : الخاضب : الظليم يَخضِبُ فى الشِّتاء ، وهو أنْ يحَمرَّ جلده وساقاهُ ويظهرَ عليه قِشرٌ أحمر ، ويكنزَ (٢) لحمه ويشتدّ عصبُه ويعفو ريشُه ، أى يكثر . قال : ولا تطلب الخيلُ الظليمَ إذا خَضَب فى الشتاء ، فإذا قاظ استرخى فانتشر ريشُه وسمن وبَطِن ، فطلَبتْه الخيل . وقوله : (أجنَى له) أى أدركَ أن يُجتنَى ، يقال : قد أجنت الشجرةُ ، أى أدرك ثمرُها وآنَ له أن يُجتنَى . و (الشَّرْى) بفتح فسكون : شجر الحنظل ، واحدته شَرْيةٌ ، والظَّليم يأكل حبَّ الحنظل . و (التَّنُّوم) شجر ينبُت فى بلادٍ دمِثة ، يطول ذراعا ، وورقة أُغيبِر يشبه ورق الآس ، وله ثمرٌ مثل الشَّهْدَانِج (٣) .

وقوله : « يظل فى الحنظل » إلخ إذا صار للحنظَل خطوطٌ تضرِب إلى السواد ولم يدخلْه بياض ولا صُفرة فهو الخُطْبان ، الواحدة خُطْبانة بضم الخاء المعجمة . يقال : قد أخطَب الحنظل . وقال الرُّستَمىّ : الخُطبان من الحنظل إذا صار فيه خطوطٌ خضر وصُفر ، فهو أشدُّ ما يكون مرارةً . وينقُفُه : يستخرج

(١) الكلام بعده إلى « الظليم » التالية ، ساقط من ش .
(٢) كذا فى النسختين ، والمعروف « يكتنز » أى يجتمع ويمتلئ .
(٣) الشَّهدانِج ، بكسر النون : حب القِنّب .

حبَّه . يقال نقفْتُ الحنظَلَ أنقُفه نقفا بتقديم القاف على الفاء ، من باب نصر ، إذا كسرتَه واستخرجت حبَّه . وقوله : « وما استطفَّ » أى وما ارتفع وأمكن . و « مخذوم » بمعجمتين : مقطوع ومأكول ، يقال خُذِمت الدَّلو ، إذا انقطعت عُراها .

وقوله : « فوه كشَقِّ العصا » إلخ أى فمه كشَقّ العصا ، والضمير للخاضب ، أى فمُه لاصقٌ ليس مفتوحا ، لا تكاد ترى شِدقه . ولأياً ، بسكون الهمزة ، وهو البطء منصوب بنزع الخافض ، أى بلَأْيٍ . وتَبَيَّنُه ، مضارعٌ أصله بتاءين ، ويجوز أن يكون مصدرًا وذلك إذا قرأته بضم ما قبل النون . قال الرستمى : قوله كشقّ العصا ، أى لا يستبين ما بين مِنْقاريه ولا يُرَى خَرقهما إذا ضَمَّهُما ، فكأنَّه من خفائه شَقٌّ فى عصا . والشَّقّ : مصدر شققت العصا والشيءَ شقًّا . والأسكّ : الصغير الأذن . وقوله : « أسك ما يَسمع » موضع ما خفض ، وإن شئت ابتدِأت ما فكأنّك قلت : الذى يسمع به الصوت مصلوم ، وهو الأذنُ بعينها . وإن شئت كانت ما نافية . والمصلوم : المقطوع الأُذنين ، يقال صلَم أُذنه واصطلمَها (١) ، إذا استأصل قَطعَها . والنَّعام كلّها صُلْخٌ : والأصلخ : الأصمّ الذى لا يَسمع .

وقوله : « حتّى تَذكَّر » إلخ حتى بمعنى إلى متعلّقة بيظلّ . يقول : هذا الظليم يرعى الخُطبانَ والتنُّوم ، ثم تذكَّرَ بيضَه فى أدحيِّهِ فراح إلى بيضهِ قبل أوان الرَّواح . والرَّذاذ : المطر الخفيف . وعليه : على اليوم . والدَّجْن بسكون الجيم : إلباسُ الغَيم وظُلمته . وروى أيضا : « عليه الريح » ، وروى أيضاً « عَلتْه الريح » أى علت الريحُ ذلك الظَّليم بشدّتها ، فزاد ذلك الظليمُ سُرعةً فى عدوه . قال الرستَمىّ : يعنى أنَّ الظليم ذكر بيضَهُ فبادر إليه ، فهو أشدُّ لعَدْوه . ومغيوم : فيه

٥٢١

(١) ط : « واصطلها » ، صوابه فى ش .

غيم . يقال غامت السماء وأغامت وغيَّمت ، وأكثر ما يجيء هذا مُعَلاًّ ، وكان القياس مغيم كمَبِيع ، فجاء مغيوم على خلاف القياس ، وهو محلُّ الشاهد .

واستشهد به ابن الناظم والمرادى (فى شرح الألفية) .

ومن أبيات هذه القصيدة :

أبيات الشاهد

(بل كلُّ قومٍ وإنْ عزُّوا وإن كثُروا   عريفُهم بأثافى الشَّرّ مرجومُ)

عريفُهم : سيِّدهم وعظيمهم . وأثافِى الشّر هنا : عظائمه . وإنّما أراد الدَّواهى ، أى هى كأمثال الجبال . قال الشاعر :

فلمَّا أنْ طَغَوْا وبغَوْا علينـا   رميناهـم بثالثـة الأثافـي

وثالثة الأثافى هى الجبل .

(والحمدُ لا يُشترَى إلّاله ثمنٌ   مما يَضِنُّ به الأقوامُ معلومُ)

قال الضبى : إلاّ له ثمنٌ يشُقُّ على مشتريه . وقال الرستَمىّ : يقول لا يُحمَد المرء إلاّ ببذل المضنون من ماله . وقال أحمد : معناه لا يُشترَى الحمد إلاَّ بأثمانٍ تضنُّ بها النفوس ، أى يغالَى به فيبذل فيه المضنونُ به .

(والجودُ نافيةٌ للمال مَهْلَكةٌ   والبُخل باقٍ لأهْلِيهِ ومذمومُ
والجهلُ ذو عَرَض لا يُستَرادُ له   والحلم آونةً فى الناس معدومُ)

لا يُستراد : لا يراد ولا يطلب ، أى يَعرِض لك وأنت لا تريده . يقول : الناس يُسرعون إلى الشرّ فمتَى أرادوهُ وجَدُوه .

(ومَنْ تعرَّضَ للغِربان يزجُرها   على سلامته لابدَّ مشؤمُ)

يقول : من يزجر الطير ، وإنْ سَلِمَ ، فلابد أن يصيبه شؤم . والغِربان يُتشاءم بها . فمن تعرَّض لها يزُجرها ويطردُها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلابدَّ أن يقع بما يخاف ويحذر .

(وكلُّ حِصنٍ وإن طالت سلامتُه   على دعائمه لابـدَّ مهـدومُ)

حروف الشرط

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد التسعمائة [١] :

٩٢٨ (لو يَشَأْ طارَ به ذُو مَيعةٍ لاحِقُ الآطالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلْ)

على أنّ الجزم بلو ضرورة ، لأنّ لو موضوعة للشرط فى الماضى .

قال ابن الناظم : أكثر المحقِّقين أنّها لا تستعمل فى غير المضىّ . وذهب قومٌ إلى أنّها تأتى للمستقبل بمعنى إنْ ، كقوله تعالى : ﴿ وليخْشَ الذين لو تَرَكُوا مِن خَلْفِهمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً [٢] ﴾ . وليس ما استدلَّ به بحجّة ، لأنَّ غاية ما فيه أنّ ما جُعِل شرطاً للو مستقبلٌ فى نفسه أو مقيَّد بمستقبل ، وذلك لا ينافى امتناعه فيما مضى لامتناع غيره . انتهى .

وفيه ردٌّ لقول والده (فى الألفيَّة والتسهيل) ، قال (فى التسهيل) : واستعمالها فى المضى غالباً ، فلذلك لم يجزم بها إلاّ اضطراراً . وزعم اطِّرادَ ذلك على لغة . انتهى . ٥٢٢

وقال (فى شرح الكافية الشافية) : أجاز الجزمَ بها فى الشعر جماعةٌ منهم ابنُ الشجرى ، واحتجَّ بقوله « لو يشأ طار به » البيت . وهذا لا حجّة فيه ، لأنّ من العرب من يقول : جا يجى ، وشا يَشَا ، بترك الهمزة ، فيمكن قائلَ هذا البيت أن

---

(١) أسرار البلاغة ٦٥ وابن الشجرى ١ : ١٨٧ ، ٣٣٣ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٩ والمغنى ٢٧١ ، ٦٩٨ والهمع ٢ : ٦٤ والأشمونى ٤ : ١٤ ، ٤٢ والحماسة ١١٠٨ وديوان علقمة ١٣٤ تحقيق الصقال ودرية .

(٢) الآية ٩ من سورة النساء .

يكون من لغته ترك همزة يشاء ، ثم أبدل الألف همزة [١] كما قيل فى عَالَم وخاتَم : عأْلم وخأْتم . قال : وكما فعل ابن ذَكْوان فى ﴿ تأكل مِنْسَأْتَهُ [٢] ﴾ حين قرأ بهمزة ساكنة ، والأصل مِنسأة مِفعلة من نسأته ، أى زجرته بالعصا ، فأُبدلت الهمزة ألفا ثم أُبدلت الألف همزةً ساكنة .

قال المرادىّ : فظاهر هذا الكلام أنّه لا يُجيز ذلك فى السَّعة ولا فى الضرورة أيضاً ، وهو ظاهر كلامه فى آخر باب عوامل الجزم . وقد أجازه هنا فى الضَّرورة وحَكَى هنا أنَّ منهم مَن زعمَ اطِّرادَ ذلك على لغةٍ . قيل : فعلى هذا يكون ثلاثة مذاهب . انتهى .

وقد أجاب ابن هشام (فى المغنى) عن البيت بكلام ابن مالك (فى شرح الكافية) ، وأجاب عن قوله :

تامَتْ فؤادك لو يَحزُنْكَ ما صنَعَتْ إحدى نساءِ بنى ذُهْلِ بن شيبانا [٣]

بأنّه قد خُرّج على أنّ ضمة الاعراب سكنّت تخفيفا كقراءة أبى عمرو : ﴿ وينصرْكم عليهم [٤] ﴾ و ﴿ يُشعِرْكم [٥] ﴾ و ﴿ يأمُرْكم [٦] ﴾ . انتهى .

وما نقلوه عن ابن الشجَرىّ من أنّه جوَّز الجزم بلو فى الشعر غيرُ موجود فى أماليه ، وإنّما أخبَرنا بأنّها جزمَتْ فى بيت ، وقد تكلَّم عليه فى مجلسين (من

---

(١) فى النسختين : « ثم أبدل الهمزة ألفا » ووجهه ما أثبت . وانظر ما سيأتى .

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ . وعزا هذه القراءة أبو حيان فى تفسيره ٧ : ٢٦٧ إلى ابن ذكوان وجماعة ، منهم بكار والوليدان : ابن عتبة وابن مسلم .

(٣) البيت للقيط بن زرارة ، فى شواهد التوضيح ٢٠ والمغنى ٢٧ والأشمونى ٤ : ٤٣ واللسان (تيم ٣٤٢) .

(٤) من الآية ١٤ من سورة التوبة .

(٥) من الآية ١٠٩ من سورة الأنعام .

(٦) من الآية ٦٧ من سورة البقرة وآيات أخرى كثيرة .

أماليه) الأول هو المجلس الثامن والعشرون ، قال : بيتٌ للشريف الرضىّ من قصيدةٍ رثَى بها أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب الصابئ :

إنَّ الوفاءَ كما اقترحت فلو تكنْ حيًّا إذَنْ ما كنتَ بالمزداد [١]

جزَم بلو وليس حقُّها إن يُجزَم بها ، لأنّها مفارقةٌ لحروف الشرط وان اقتضت جواباً كما تقتضيه إن الشرطيَّة . وذلك أنّ حرف الشرط يَنقُل الماضىَ إلى الاستقبال ، كقولك : إن خرجْتَ غداً خرجْنا ، ولا تفعَلُ ذلك لو ، وإنَّما تقول : لو خرجتَ أمسِ خَرجْنا . وقد جاء الجزم بلو فى مقطوعةٍ لامرأةٍ من بنى الحارث بن كعب :

فارساً ما غادَرُوه مُلحَمًـــا غيرَ زُمَّيْلٍ ولا نِكْسٍ وَكَلْ
لو يَشأ طارَ بها ذُو مَيعةٍ لاحِقُ الآطالِ نَهْدٌ ذو خُصَلْ
غير أنّ البأس منه شِيمةٌ وصروف الدهر تجرى بالأَجَلْ . اهـ

وكتب على هامش النسخة تلميذُه أبو اليُمْن الكندى بخطّه : ليس للرضىِّ ولا لأمثاله ، أن يرتكب ما يخالف الأصول ، ولكن لو جاء مثلُ هذا عن العرب فى ضرورات شعرهم لاحتُمِل منهم ، وذلك أنّ لو وإن كانت تطلب جواباً كما يطلبه حرف الشرط ، ليست موجبةً للاستقبال كإذا ، بل يقع بعدها الماضى للماضى ، كما يقع المستقبل للمستقبل ، فلا يُجزم بها البتّة . وليس فى قوله يشا شاهدٌ على الجزم بلو ، ولكنّه مقصور غير مهموز ، كما يقصر الممدود فى الشعر . انتهى .

وفيه نظرٌ ، فإنّه مصادَمةٌ للمنقول .

والمجلس الثانى هو المجلس الأربعون [٢] قال فيه : ولو من الحروف التى ٥٢٣

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٦ . وانظر ديوان الشريف الرضى ١ : ٢٩٨ .
(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٣٣ .

تقتضى الأجوبة ، وتختصّ بالفعل ، ولكنّهم لم يجزموا به ، لأنّه لا ينقل الماضى إلى الاستقبال كما يفعل ذلك حروفُ الشرط . وربمَّا جزموا به فى الضرُّورة . ثم أنشد هذه المقطوعة وبيتَ الشريف الرضىّ .

وكتب تلميذه أبو اليُمْن الكندىّ هنا على هامشه أيضاً : قد تقدَّمت هذه الأبيات ، وذِكرُه فى يشا الجزم وجعلُه إيّاها حُجّة للرضىِّ فى الجزم بلو . وقد رددتُ ذلك هناك بما يُغنى عن الإعادة . انتهى .

وهذه المقطوعة أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وأوردها الأعلم (فى حماسته) أيضاً . وكذا أوردَها صاحب (الحماسة البصرية [1]) وكلُّهم قالوا : إنّها لامرأةٍ من بنى الحارث .

قال ابن الشجَرىّ : الرواية نصب فارس بمضمر يفسّره الظّاهر ، وما صلة ، والمفسَّر من لفظ المفسِّر لأنّ المفسِّر متعدّ بنفسه إلى ضمير المنصوب . ولكن لو تعدَّى بحرف جرّ أضمرتَ له من معناه دون لفظه ، كقولك : أزيداً مررت به ، والتقدير : أجُزْت زيداً ، لأنكّ إنْ أضمرتَ مررت أضمرت الجارَّ ، وذلك مما لا يجوز . فالتقدير إذن : غادروا فارساً . ويجوز رفع فارس بالابتداء والجملة التى هى غادروه وصف له ، وغير زُمَّيِل خبره ، ولا موضع من الإعراب فى وجه النصب للجملة التى هى غادروه ، لأنَّها مفسِّرة ، فحكمها حكم الجملة المفسِّرة . وحسن رفعُه بالابتداء وإن كان نكرةً لأنّه تخصَّص بالصفة ، وإذا نصبتَه نصبت غير زُمَّيل وصفًا له ، ويجوز أن يكون وصفا للحال التى هى ملحما . والمُلحَم : الذى ألحَمَتْه الحرب ، وذلك أن ينشَبَ فى المعركة فلا يتَّجه له منها مخرج . ويقال للحَرب : المَلْحَمة . والزُّمَّيل : الجبان الضعيف . والنِّكس من

الرجال : الذى لا خير فيه ، مشبّه بالنِّكس من السهام ، وهو الذى ينكسر فوُقه فيجعل أعلاه أسفلَه . والوَكَل : الذى يكل أمرَه إلى غيره. والمَيْعة : النَّشاط ، وأوّلُ جَرْى الفرَس ، وأوّل الشّباب . والآطال : الخواصر ، واحدها إطِلٌ وقد يخفّف . وهو أحد ما جاء من الأسماء على فِعِل ، ومنه إبل . ولاحق الآطال ، أى قد لصِقت إطِلُه بأختها من الضُّمر . وجَمَعَت الإطِل فى موضع التثنية ، وذلك أسهل من الجمع فى موضع الوَحْدة ، كقولهم : شابت مفارقه . ولو قالت : « لاحق الإطْلين » بسكون الطاء أعطت الوزن والمعنى حقَّهما . والنَّهد من الخيل : الجسيم المشرف . وقولها : « غيرَ أنَّ البأس » نصبُ غير على الاستثناء المنقطع . والبأس : الشِّدَّة فى الحرب . والشِّيمة : الطبيعة . وصرُوف الدهر : أحداثه . انتهى كلام ابن الشجرى .

وقد أورد ابن الناظم وابن عقيل البيت الأوَّل فى باب الاشتغال (من شرح الألفيّة) .

وقال الكندى فيما كتبه : الرواية برفع فارس ، كذا رواه أبو زكريا (١) عن المعرّىّ وغيره ، وكذا قرأناه على الشيوخ عنه . انتهى .

ولا مانع من كون نصبِ فارس روايةَ غير المعرّىّ ، فقد رواه بالنصب شُرَّاح الحماسة . والملحم : اسم مفعول من ألحمه ، إذا تركهُ طعمةً لعَوافِى السِّباع. وغادروه : تركوه . والزُّمّيل بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة . والنِّكس بكسر النون وسكون الكاف. والوَكَل بفتحتين ، وهو مجرور سُكّن آخره للقافية .

وقولها : (لو يَشأْ) حكت الحال ، والمراد : لو يشاء لأنجاه فرسٌ له ذو نشاط ، أى لو اختار الفِرار لأمكنَه ، لكنّه كان سجيّته البأس والأنفة من العار

(١) ش : « أبو زكرياء » . ويعنى الخطيبَ أبا زكريا يحيى بن على التبريزى . وانظر شرح التبريزى للحماسة ٣ : ١٢١ – ١٢٢ .

بالفرار . و (الميعة) بفتح الميم.و (النَّهد) بفتح النون وسكون الهاء : وصف من نَهُدَ الفرسُ بالضم نُهودةً . و (خُصَل) : جمع خُصلة ، وهى من الشعر معروفة ، والمراد ذيله الكثير الشعر .

* * *

وأنشد بعده :

(لو بِغير الماءِ حَلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارى)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد التاسع والخمسين بعد الستمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(فهلاَّ نَفْسُ لَيْلَى شفيعُها)

وتقدَّم شرحه أيضا فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة (٢) ، وأصله :

(يقولون ليلَى أرسلَتْ بشفاعةٍ إلَىَّ فهلاَّ نفسُ لَيْلَى شفيعُها)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد التسعمائة (٣) :

٩٢٩ (هما خَيَّبانى كلَّ يومٍ غَنيمةٍ وأهلكْتُهُمْ لو أنَّ ذلك نافعُ)

على أنّ خبر أنَّ الواقعةِ بعد لو قد يجىء بقلّة وصفاً مشتقّا ، ولم يُشترَط أن يكون فعلاً ، وإنّما الفعل أكثرىّ .

---

(١) الخزانة ٨ : ٥٠٨ – ٥١٣ .
(٢) الخزانة ٣ : ٦٠ – ٦٢ .
(٣) الأغانى ١١ : ١٣٢ .

وقال ابن هشام (فى المغنى [١]) : قال الزمخشرى : يجب كون خبر أنَّ فعلا ليكون عوضًا من الفعل المحذوف . وردَّه ابن الحاجب وغيرُه بقوله تعالى : ﴿ ولو أنَّ ما فى الأرضِ من شجرةٍ أقلام [٢] ﴾ ، قالوا : إنّما ذلك فى الخبر المشتقّ ، لا الجامد كالذى فى الآيةِ وفى قوله :

ما أطيبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حجرٌ تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ [٣]

وردَّ ابن مالك قولَ هؤلاء بأنّه قد جاء اسماً مشتقًّا ، كقوله :

لو أنّ حيًّا مُدرِكُ الفَلاحِ أدركَهُ مُلاعِبُ الرِّماحِ [٤]

وقد وجَدْتُ آيةً فى التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقا ولم يتنبَّه لها الزمخشريُّ كما لم يتنبَّه لآية لقمان . ولا ابنُ الحاجب ، وإلاّ لما منع من ذلك . ولا ابن مالك ، وإلاَّ لما استدلّ بالشعر . وهى قوله تعالى : ﴿ يودُّوا لو أنَّهم بادُونَ فى الأعراب [٥] ﴾ . وقد وجدتُ آيةً الخبر فيها ظرف ، وهى : ﴿ لو أنَّ عِندَنا ذكرًا منَ الأوّلِين لَكُنّا [٦] ﴾ . انتهى .

وقد خطَّأه الدّمامينى فى هذا فقال : هوَّلَ المصنف بقصور نظر هؤلاء الأئمة ، وتبجَّح بالاهتداء إلى مالم يهتدوا إليه . ثم إنَّ ما اهتدى إليه دونهم ليس بشىء ، وذلك أنَّ لو فى هذه الآية ليست ممَّا الكلامُ فيه ، لأنَّها مصدريّة أو للتمنّى ، والكلام إنمّا هو فى « لَو » الشرطية . وقد كنت قديما ممَّا يزيد [٧]

---

(١) المغنى ٢٧٠ .
(٢) الآية ٢٧ من سورة لقمان .
(٣) تميم بن مقبل فى ديوانه ٢٧٣ . وانظر معجم الشواهد .
(٤) للبيد فى ديوانه ٣٣٣ . وانظر معجم الشواهد .
(٥) الآية ٢٠ من سورة الأحزاب .
(٦) الآية ١٦٨ ، ١٦٩ من سورة الصافات .
(٧) ط : « ما يزيد » .

على ثلاثين سنة فى ابتداء مطالعتى لهذا الكتاب ذكرتُ ذلك لشيخنا ، وكتَبه على حاشية نسخته . ثم رأيتُ (فى شرح الحاجبيَّة للرضى) أنَّ لو فيها مصدريّة . وقد وجدتُ المسألة أيضاً فى كلام ابن الحاجب نفْسِه ، وذلك أنّه قال فى منظومته :

لو أنَّهمْ بادُونَ فى الأعرابِ لو للتمنِّى ليس من ذا الباب . انتهى

٥٢٥ وأجاب بعض مشايخنا : قد يُدَّعى أنّ لو التى للتمنّى شرطية أُشربَتْ معنى التمنّى ، كما نقله فى المغنى عن بعضهم ، وصحَّحه أبو حيان (فى الارتشاف) ، وذلك لأنَّهم جمعوا لها بين جوابين : جواب منصوب بعد الفاء ، وجوابٌ باللام ، كقوله :

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كليبٍ فيُخبِرَ بالذَّنائب أىُّ زيرِ (١)
بيوم الشَّعثَميـنِ لقَـرَّ عينـاً وكيفَ لقاءُ مَنْ تحتَ القبورِ

فلعلَّه يختار هذا القول ، فتبجُّحه على مختاره . فقول ابن الحاجب : ليس من ذا الباب ، أى من باب لو الشرطية ، ممنوعٌ عنده . انتهى .

أقول : لا يصح تبجُّحُه بشىء لا يعترفون به . ولو فى الشاهد أيضا ليست شرطيّة كما يأتى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للأسود بن يعفُر ، أوردها أبو محمد الأعرابى (فى فُرحة الأديب) ، وأبو الفرج الأصبهانى (فى كتاب الأغانى) ، وهذا مطلعها :

أبيات الشاهد (أتانى ولم أخشَ الذى ابتُعِثَا به خَفيرَا بَنِى سَلْمَى : حُرَيْرٌ ورافعُ
هما خيَّبـانى كلَّ يومِ غنيمـةٍ وأهلكْتُهمْ لو أنّ ذلك نافـعُ
وأتبعتُ أُخراهمْ طريقَ أُلاهُـمُ كما قيلَ نجمٌ قد خَوَى متتائعُ

(١) لمهلهل بن ربيعة فى الأصمعيات ١٥٤ وأمالى القالى ١ : ٢/٢٤ : ١٣١ ... وانظر معجم الشواهد .

وخير الذى أعطيكُمْ هى شِرَّةٌ مُهوِّلة فيها سُيوفٌ لوامِـــعُ
فلا أنا مُعطيكمْ علىَّ ظُلامةً ولا الحقَّ معرُوفاً لكم أنا مانعُ
وإنِّى لأقرِى الضيَّفَ وَصَّى به أبى وجارُ أبى التَّيْحانِ ظمآنُ جائعُ
فقولا لتَيْحانَ ابنِ عاقرةِ آستِها أُمجرٍ فلاقِي الغىِّ أم أنت نازعُ
ولو أنّ تيحانَ بن بلْجٍ أطاعَنى لأرشدْتُه إنّ الأمـورَ مَطالــعُ
وإنْ يكُ مدلولاً علىَّ فإنّنـى أخو الحربِ لا قَحْمٌ ولا متجازِعُ)

وبقى أبياتٌ منها . والسَّبب فيها أنّ أبا جُعَلَ البُرجُمىَّ جمعَ جمعاً من أسدٍ وتميم وغيرهم ، فغَزَوْا بنى الحارِث (١) بن تيم الله بن ثَعلبة ، [فنذِرُوا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمْعَهم ، فلحق رجلٌ من بنى الحارث بن تيم الله بن ثعلبة (٢)] جماعةً من بنى نهشل ، منهم الجرَّاح بن الأسود بن يعفر ، وحُرَير (٣) ابن شَمِر بن هِزّان بن زُهير بن جندل ، ورافع بن صُهيب بن حارثة بن جندل ، وعمرو بن حُرَير، والحارث بن حُرير بن سَلمى بن جندل (٤) وهو فارسُ العَصْماء ، فقال لهم : هلّم إلىّ أنتم طلقاءُ فقد أعجَبَنِي قتالُكم ، وأنا خيرٌ لكم من العَطَش . فنزل إليهم ليُوثِقَهم (٥) ، وتفرَّس الجراح فى فرسِه الجودةَ فوثب عليها ونجا . فقال التيمىُّ لرافع وحُرَير وأصحابِهما : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، ونحن لك خُفراءُ بفرسِك . فلما أتى الجرّاحُ أباه أمره أن ينطلق بها فى بنى سعد ، فابتَطَنَها ثلاثة

---

(١) ط : « ففر مع بنى الحارث » ش : « فغزوا مع بنى الحارث » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى ١١ : ١٢١ وما سبق فى ١ : ٤٠٤ عن الأغانى .

(٢) التكملة من الأغانى ومما سبق فى ١ : ٤٠٤ .

(٣) فى الأغانى : « والحر » وما هنا صوابه كما سبق فى ١ : ٤٠٤ .

(٤) فى الأغانى : « وعمرو والحارث ابنا حدين بن سلمى بن جندل » . وبعده فى النسختين : « فلحقهم رجل من بنى تيم الله بن ثعلبة » وموضع هذه العبارة هو ما أثبت فى التكملة السابقة .

(٥) فى الأغانى : « ليجزّ نواصيهم » ، وكذلك فى الخزانة ١ : ٤٠٤ .

أبطن ، فلمَّا رجع رافع وحُرير وأصحابُهما إلى بنى نهشل قالوا : إنّا خفراءُ فارسِ العَصْماء . وأوعَدُوا الجرَّاح . وكان بنو جَرول حلفاءَ بنى سلمى بن جندل ، على بنى حارثة بن جندل . وأعان تَيحانُ بن بَلْج رافعاً وحريرا على الجرّاح حتَّى ردُّوا إلى التيميِّ فرسَه ، فقال الأسود بن يعفر فى ذلك هذه القصيدة يهجوهم .

وقوله : « أتانى » فاعله خفيرَا بنى سلمى ، وجملة « ولم أخش الذى ابتُعِثا به » معترضة . وابتعثا بالبناء للمفعول . وخفيرا : مثنّى خفير ، حذفت نونه للإضافة . والخفير ، بالخاء المعجمة والفاء ، هو الذى يأخذ الشئ فى ذمّته ويتعهَّده ، من الخُفارة ، بضم الخاء وكسرها ، وهى الذِّمَّة ، ومنه الخفير بمعنى المُجير . يقال : خفرتُ بالرجل ، من باب ضرب ، إذا أجرتَه وكنتَ له خفيرًا تمنعهُ . وحُرَير بالتصغير وبإهمال أوّله ، ورافعٌ تقدّم نسبُهما .

٥٢٦

وقوله : « هما خيَّبانى » من الخيبة بالخاء المعجمة ، يقال خاب الرجل خَيبةً ، إذا لم يَنَلْ ما طَلب ، وخيَّبته أنا تخْييبًا . وكلَّ اكتسب الظرفيّة من إضافته إلى الظرف.وجملة « أهلكتهم » معطوفة على جملة أتانى ، يريد أهلكْتهم بالهجو لو أنّ ذلك الإهلاكَ نافعٌ لى . فلو هنا لا يظهر كونُها للشرط ، والمعنى يقتضى كونَها للتمنِّى ، وحينئذٍ تكون ممَّا ليس الكلام فيه .

وقوله : « وأتبعْتُ أُخراهُمْ » إلخ قال أبو على (فى كتاب الشعر) : يريد هجوت آخرهم كما هجوت أوّلَهم ، أى ألحقت آخِرَهم بأوّلهم فى الهجاء لهم . فأراد بقوله : أُلاهم أولاهم ، فحذف الواو التى هى عين ، لأنَّ هذه الحروف وإن كانت من أنفس الكلم فهى تُشبِه الزيادة ، لما يلحقها من الانقلاب والحذْف . وقوله : « كما قِيل نجمٌ » فى الصحاح : خوت النجم تَخوى خَيًّا: أمحلَتْ ، وذلك إذا سقطت ولم تُمطِر فى نوئها . ومتتائع بالهمز ، لأنّه اسم فاعل من التتايع بالمثناة

التحتية (١) . قال فى الصحاح : التتايع : التَّهافُت فى الشَّرّ واللجاجُ ، ولا يكون التتايُع إلاّ فى الشر .

وقوله : « هى شِرَّةٌ » بكسر الشين ، وهو الشَّرّ بفتحها . والظُّلامة ، بالضم : ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسمُ ما أخذ منك . و « عاقرة استِها » : كلمةُ سبٍّ وشتم . ومُجرٍ : اسم فاعل من أجرى إجراءً ، بمعنى جارى مجاراة . ونزع عن الشيء : كفَّ عنه . وانتهى .

والقَحْم بفتح القاف وسكون المهملة : الشيخ المسنّ العاجز .

والأسود بن يعفر : جاهليٌّ تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين (٢) من أوائل الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد التسعمائة (٣) :

٩٣٠ (أكرِمْ بها خُلّةً لو أنّها صَدَقَتْ مَوعودَها أو لوَ آنَّ النُّصحَ مقبولُ)

لما تقدَّم قبله . والشاهد فى (لو الثانية) فإنّ خبر أنّ بعدها وصفٌ مشتقٌّ لا فِعلٌ ، بخلاف أنَّ الأولى بعد لو فإنَّ خبرها فعل ماض مع فاعله . وفى هذا

(١) المعهود أن يعامل هذه المعاملة اسم الفاعل من الثلاثى المعتل ، أما نحو المتبايع من التبايع ، والمتساير من التساير ، فلا تقلب فيه الياء همزة . وفى الحديث : « المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا » . وذلك لأن عين الفعل من تبايعا وتتايعا وتسايرا لم تعلّ ، فهى نحو عَيِنَ وعَوِر ، فهو عاين وعاور .

(٢) كذا فى النسختين ، وصوابه « الرابع والستين . انظر الخزانة ١ : ٤٠٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ٨٨٩ برواية : « فيا لها خلة » وديوان كعب بن زهير ٧ برواية : « ياويلها خلة » . وانظر شرح القصيدة لابن هشام ٢٦ – ٣٠ .

أيضاً لا يتعيَّن أن تكون شرطيَّة ، بل يجوز أن تكون لو فى الموضعين للتمنِّى فلا جواب لها ، فلا تكون ممَّا الكلام فيه . ويجوز أن تكون فيهما شرطيَّة والجواب محذوف يدلُّ عليه أوّل الكلام ، تقديره : لو صدقَتْ أو قبلت النصح لكَرُمَتْ [١] وما أشبهه .

وكذا جوّز الوجهين ابن هشام (فى شرح بانت سعاد) قال فى شرح البيت : لو محتملة لوجهين : أحدُهما التمنّى مثلها فى : ﴿ فلو أنَّ لنا كَرَّةً [٢] ﴾. والثانى الشرط ، ويرجِّح الأوّل سلامتهُ من دعوى حذف ، إذ لا يحتاج حينئذٍ لتقدير جواب . ويرجّح الثانى أنّ الغالب على لو كونُها شرطية . ثم الجواب المقدَّر محتمل لأن يكون مدلولا عليه بالمعنى ، أى لو صدقت لتمَّتْ خِلالُها ، فتكون مثلَها فى قوله تعالى : ﴿ ولو تَرَى إذ المجرِمُون ناكِسُو رؤسِهم [٣] ﴾ أى لرأيت أمرًا عظيما . ولِأَنْ يكونَ مدلولاً عليه باللفظ ، أى لكانت كريمة ، فتكون مثلَها فى قوله تعالى : ﴿ ولو أنَّ قُرآناً سُيِّرتْ به الجِبالُ [٤] ﴾ الآية أى لكفروا به ، بدليل : ﴿ وهُمْ يكفُرون بالرحمن [٥] ﴾ . والنحويُّون يقدِّرون لكَانَ هذا القرآن ، فيكون كالآية قبلها . والذى ذكرتُه أولى ، لأنَّ الاستدلال باللفظ أظهر . ويرجَّح التقدير الثانى فى البيت بأنّه استدلالٌ باللفظ ، وبأنّ فيه ربطاً للو بما قبلها ، لأنَّ دليل الجواب جوابٌ فى المعنى ، حتّى ادَّعى الكوفيون أنّه جوابٌ فى الصناعة أيضاً ، وأنّه لا تقدير . وقد يقال إنّه يبعده أمران : ٥٢٧

أحدهما : أنّ فيه استدلالاً بالإنشاء على الخبر .

---

(١) ط : « أكرمت » ، صوابه فى ش .
(٢) الآية ١٠٣ من سورة الشعراء .
(٣) الآية ١٢ من سورة السجدة .
(٤) الآية ٣١ من سورة الرعد .
(٥) الآية ٣٠ من سورة الرعد .

والثانى : أنَّ الكرم وإن كان المراد به الشرف ، مثلَه فى ﴿ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كتابٌ كريمٌ [١] ﴾ ، فلا يحسن بحالِ المحبِّ تعليقُ كرمِ محبوبه على شرط ، ولا سيّما شرطٌ معلوم الانتفاء ، وهو شرط لَوْ . وإنْ كان المراد به مقابلَ البخلِ لم يكن أَكرِمْ بها [٢] » مناسباً لمقام النَّسيب ، بل لمقام الاستعطاء .

وقد يجاب عن الأوّل بأمرين :

أحدهما : منع كون التعجب إنشاءً ، وإنمّا هو خبر . وإنَّما امتنع وصلُ الموصولِ بما أفعله لإبهامه ، وبأفعِلْ به كذلك مع أنَّه على صيغة الإنشاء ، لا لأنَّهما إنشاء .

الثانى : أنَّ المراد من الدليل كونُه ملوِّحاً بالمعنى المرادِ ، وإنْ لم يصلح لأن يسدَّ مسدَّ المحذوف .

وعن الثانى [٣] أن المراد به ضدُّ البخل ، وهو أعمُّ من الكرم بالمال والوصال . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير بن أبى سلمى فى مَدْح النبى ﷺ . وقبلَه من أوّل القصيدة إليه أبياتٌ خمسة ، وبعده :

(لكنَّها خُلّةٌ قد سِيطَ من دَمِها ... فَجعٌ ووَلْعٌ وإخلافٌ وتَبديلُ
فما تَدُوم على حالٍ تكون بها ... كما تلوَّنُ فى أثوابها الغُولُ
ولا تَمسَّكُ بالعَهْدِ الذى زعَمتْ ... إلاّ كما يُمسِكُ الماءَ الغرابيلُ
فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّوْا وما وَعَدوا ... إنّ الأمانىَّ والأحلامَ تضليلُ

(١) الآية ٢٩ من سورة النمل .

(٢) فى النسختين : « الكرم بها » صوابه من شرح ابن هشام ٢٧ .

(٣) أى الثانى من قوله « يبعده أمران » .

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلاّ الأباطيلُ
أرجو وآمُل أن تدنو مودَّتُها وما إخالُ لدينا مِنْكِ تنويلُ)

وقوله : (أكرِمْ بها خُلَّة) إلخ ضمير بها راجعٌ إلى سعاد فى أوّل القصيدة . وصَفَها فى هذه الأبيات بالصَّدِّ وإخلاف الوعد ، والتلوُّنِ فى الودّ ، وضرب لها عُرقوباً مثلا ، ثم لام نفسَه على التعلُّق بمواعيدها . و (أكرِمْ بها) : صيغة تعجُّب ، بمعنى ما أكرمَها ، وخُلّة تمييز . والخُلة بالضم فى الأصل : مصدرٌ بمعنى الصَّداقة ، يطلق على الوصف ، وهو الخليل والخليلة ، يستوى فيه المذكر والمؤنث . ومن إطلاقه على المذكَّر قولُ الشاعر [١] :

ألا أبلغا خُلَّتى جابــراً بأنَّ خليــلك لم يُقْتَــلِ

وصدقَ يكون لازماً ومتعدِّيا ، يقال : صَدَق فى حديثه وصدق الحديثَ ، إذا لم يكذب . و (موعُودَها) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون اسم مفعول على ظاهره ، ويكون المراد به الشخص الموعود ، وأراد به نفسها . والثانى : أن يكون كذلك ، ويكون المراد به الشئ الموعود به ، وأراد به وصالَها . والثالث : أن يكون مصدرًا كالمعسور والميسور ، أى الوعد والعُسْر واليسر . فإنْ قدَّرته اسماً للشَّخص فانتصابُه على المفعولية ، وإن قدَّرته اسما للموعود به احتَمل أن يكون مفعولا به على المجاز ، وأن يكون على إسقاطِ فى ، والمفعول محذوفٌ أى صدقَتْنى فى موعودها . وإنْ قدَّرته مصدرا كان على التوسُّع . و « أوْ » لِأحَد الشيئين . حاول إحدى هاتين الصفتين منها ، أو بمعنَى الواو فيكون قد حاول حصولَهُما معاً . والنُّصح : مصدر نصح ونصح له ، والاسم النَّصيحة . والمراد : لو أنّ النصح مقبولٌ عندها . وقال ابن هشام : أل عِوَضٌ من المضاف إليه ، والأصل لو أنَّ نُصحِيَها ، من إضافة المصدر إلى المفعول .

٥٢٨

(١) هو أوفَى بن مطر المازنى ، كما فى اللسان (خطأ ٥٩ خلل ٢٣١) .

وقوله : « لكنّها خُلّةٌ » إلخ لكنّ هنا لتأكيد مفهوم ما قبلها ، كقولك : لو كان عالماً لأكرمته لكنّه ليس بعالم . وجملة « قد سِيطَ » صفةُ خلّة . وسيطَ : مجهول ساطَه يَسُوطه سوطا ، إذا خَلَطه بغيره . ومنه السَّوط للآلة التى يُضرَب بها ، لأنّها تسوط اللَّحمَ بالدم . وفجعٌ : نائب الفاعل ، ومن بمعنى فى متعلّق بسِيطَ . والفَجْع : مصدر فجعَه ، إذا فاجأه بما يكره . والوَلْع : الكذب ، مصدر وَلَع من باب ضرب . والإخلاف : مصدر أخلفَ يُخلف فهو مُخلف ، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله فى المستقبل. فالكذِب يكون فى الماضى ، والإخلاف فى المستقبل . والاسم منه الخُلْف بالضم . والتَّبديل : التغيير ، يقال بدَّل الشىءَ تبديلاً أى غيَّره وإن لم يأت له ببدل . وأبدله بغيره واستبدل به ، إذا أخذَهُ مكانَه . والمعنى أنّها لو كان لها صاحبٌ فجعَتْه بصدِّها ، ولو وعدَتْ بالوصل كذبَتْ فى قولها وأخلفت وعدَها ، تستبدل بالأخِلاّء ، ولا تراعى حقَّ الوفاء . وهذا الكلامُ وأمثاله من أقاويل العشّاق على سبيل الشكوى مِنْ صدِّ الاحباب ، وبُعدِهم بعد الدنوّ والاقتراب ، ومُرِّ هِجْرانِهم عَقِبَ حُلو الوصال ، وبُخْلهم على مساكين العِشق بطَيف الخيال . ليس بذمٍّ صِرْف ، إنما يُورِدونه لأحد غرضين : إمَّا لإظهار التلذُّذ بالصبر على ما يفعله المعشوق والرضا بأفعاله ، كما قال ابن أبى الحديد :

متغيِّـر متلّـون متعــنّتٌ ... متعتِّب متمنِّع متدلِّـلُ

ذكَر عِدّة خصالٍ من جِناية الحبيب وتجنِّيه ، وتلوُّنه وتأبِّيه . ثم قال بعد ذلك :

أستعذِبُ التعذيبَ فيه كأنما ... جُرَعُ الحميم هى البَرُود السَّلسلُ

وإمّا لِتنفير مَن يسمع بحسن معشوقِهم عن عشقه ، بذكر بُخْله بوصاله ، وتعنُّته ودلاله ، فيصفو مَوردُ العِشق من كدَر الغَيرَة والمزاحِم ، ويخلو العاشق بما يجلو بصرَه من المشاهدة .

وقد عرَّض بهذا الغرض ابنُ سناءِ المُلك فى قوله :

أشكو إليها رِقّتى لترقَّ لى فتقول تطمع بى وأنت كما تَرَى
وإذا بكيتُ دماً تقول شِمتًّ بى يومَ النوى فصبغتَ دمعَك أحمرا
مَن شاء يمنحها الغرامَ فدونه هذى خلائقُها بتخيير الشِّرا

وقد صرّح به ابن أبى الحديد فى قوله :

فيارُبِّ بغْضْها إلى كلِّ عاشق سوایَ وقبِّحها إلى كلِّ ناظرِ

وقد بالغ ابن الخيّاط فى تصريحه بغَيرة العشّاق فأحسَن ، حيث قال :

أغارُ إذا آنسْتُ فى الحىِّ أنّةً حِذارًا وخوفا أن يكون لحبِّهِ

وربمّا عيب على كعبٍ هذا الكلامُ لأنّهُ يشعر بأنّ معشوقتَه تَعِدُ وتُخلف وتُبدِّل . ويجاب بأنّ مراده المبالغةُ فى فرط دلالها ، وبُخْلِها بوصالها ، بحيث لو صاحبت إنسانا لاستبدلت به وفَجعتْه ، ولو وعدَتَ بالوصل لكذبت فى وعدها ومَطَلَتْه .على أنّها لا تصاحب مصادقا ، ولا تعد بوصالها عاشقا . وهو قريبٌ من قول الآخر : ٥٢٩

* ولا تَرَى الضَّبَّ بها ينجَحِرْ (١) *

أى لا ضبَّ بها فينجَحِر .

وكلام كعبٍ هذا مناسبٌ لما تسمِّيه علماء البديع تأكيدَ المدح بما يشبه الذّم . وإنمّا أطنبت الكلامَ فيه لأنّ ابن هشامٍ لم يزد على حَلّ ألفاظه .

---

(١) البيت لعمرو بن أحمر . ديوانه ٦٧ . وصدره :

* لا تفزع الأرنبَ أهوالُها *

وقوله : « فما تدوم على حالٍ » إلخ الفاء سببيَّةٌ أى بسبب ما جُبلَتْ عليه من تلك الأخلاق ، لا تدوم على حال . وما نافية وتدوم فعل تامٌّ لا ناقص . وقوله : « كما تَلَوَّنُ » الكاف نعت لمصدرٍ محذوف ، وما مصدريّة ، أى تتلون سعاد تلوُّناً كتلوُّن الغول ، لأنّ الذى لا يدوم على حالة متلوّن . وتَلوَّنُ أصله تتلوَّن بتاءين . والغُول : جنسٌ من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أنّها تتراءى للنَّاس فى الفلاة ، فتتغوَّل تغوُّلا ، أى تتلوَّنُ تلوُّناً فى صورٍ شتّى ، وتُغوِّلُهم [أى [1]] تُضِلّهم عن الطريق . وقد أبطل النبىّ ﷺ زعمَهم بقوله : « لا غُول [2] » ، أى لا تستطيع أن تُضِلّ أحداً .

وقوله : « ولا تَمسَّكُ بالعهد » إلخ معطوف على « فما تدوم » . وتمسَّك أصله تتمسَّك بتاءين . ويجوز « تُمسِّك » بضم التاء . والعهد هنا : المَوْثِقُ أو اليمين أو الذمّة . والزَّعم : القول على غير صحّة ، ويحتمل أن يكون زعمَتْ هنا بمعنى كفَلت . والمعنى أنّها لا يُوثَق بودِّها ، ولا يُركَن إلى عهدها ، لأنّ إمساكها للعهد كإمساك الغرابيل للماء . فكما أنّ المشبَّه به محال كذلك المشبَّه ، وهذا تشبيه معقولٍ بمحسوس . وما أحسن قولَ ابنِ نُباتة المصرىّ :

لم تُمسِكِ الهُدْبُ دَمْعى حينَ أذكركم إلاّ كما يُمسك الماءَ الغرابيـلُ [3]

وقوله : « فلا يغُرَّنك ما منَّت » إلخ الفاء لِمحضِ السببيَّة كالواقعة فى جواب الشرط ، كقولك : زيد كاذبٌ فلا تغترَّ بقوله . وما موصولة أو موصوفة أو مصدريّة . ومَنّت [4] أصله مَنَّيَتْ على فَعَّلَتْ ، فقلبت الياء المتحركة ألفاً

---

(١) هذه من ش .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة . وقال السيوطى : « صحيح » . الجامع الصغير ٩٩١٣ .

(٣) الهدب ، بالضم : جمع هدبة ، وهى الشعرة النابتة على شفر العين .

(٤) هذا على رواية : « ما منت وما وعدت » ، وهى رواية ابن هشام فى شرحه . أما ما سبق فى رواية البغدادى فهو « ما منّوا وما وعدوا » .

لِانفتاح ما قبلها ، وحذفت للساكنين . يقال تمنّيت الشيء تمنّياً ، أى اشتهيته وطلبته . ومنّيت غيرى تمنيَة ، إذا أطمعته بشيء . قال ابن هشام : وهو متعدٍّ لمفعولين محذوفين ، والتقديرُ إذا جُعِلت ما اسماً : مَنَّتْكَه ، أو منَّتكَ إياه . وإذا جُعِلتْ حرفا : ما منَّتك الوصل [١] ، أى فلا يغرَّنْك تمنيَتُها إيّاك الوصلَ . وكذا وعدت يتعدَّى لاثنين كقوله تعالى : ﴿ وعدَكُمُ اللهُ مَغَانِم [٢] ﴾ ، والتقدير : ما وعدَتْكَه أو ما وعدتكَ إيّاه ، أو ما وعدتك الوصل . والوعد عنا للخير ، لأنّ الموضع لا يحتمل غيره . وقوله : « إنّ الأمانىَّ تضليل » مستأنف ، والأمانىّ : جمع أُمنيَّة ، وهى ما يتمنَّاه الإنسانُ ، أى يطلبُه ويشتهيه . والأحلام : جمع حُلُم بضمتين ، وهو ما يراه النائم . وتضليل : مصدر ضلَّل يضلِّل ، إذا أوقع غيره فى الضَّلال .

وقوله : « كانت مواعيد عُرقوب » إلخ هذه جملة مستأنفة . وكانت يجوز أن تكون على بابها ، وأن تكون بمعنى صارت . ومواعيد : جمع مِيعاد ، كموازين جمع مِيزان ، وعرقوب هو ابن مَعْبَد ، ويقال ابن مُعَيد ، أحد بنى عبد شمس بن ثعلبة . كان من العمالقة ، وقيل كان من الأوس والخزرج . وعدَ رجلاً ثمرةَ نخلةٍ له فجاءه الرجل حين أطلعَتْ، فقال له : دعها حتّى تصير بلحاً ، فلما أبلحت جاءه الرجل ، فقال : دعها حتّى تصير رطبا . فلمَّا أرطبَتْ قال : دعها حتّى تصير تمراً . فلمَّا أتْمَرت قطعها ليلاً ولم يُعطِه منها شيئا . فصار مثلاً فى خلف الوعد . والأباطيل : الأكاذيب ، جمع أبطولة كأحاديث جمع أحدوثة . وقال الصاغانى ، تبعا للجوهرىّ : الباطل : ضدّ الحق ، وجمعه أباطيل على غير قياس . ٥٣٠

وهذا البيت تأكيدٌ للبيت الذى قبله .

---

(١) ش : « وإذا جعلت حرفا منتك الوصل » ، صوابه فى ط وشرح بانت سعاد ٣٧ .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفتح .

وقوله : « أرجو وآمل » البيتْ ، تقدُّم شرحه مفصَّلا مع ترجمة كعب فى الشاهد الرابع عشر بعد السبعمائة [١] .

ولم يقع فى الشرح من هذه القصيدة غير هذين البيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد التسعمائة [٢] :

٩٣١ (تَمُدّ بالأعناق أو تَلْوِيها وتشتَكِى لو أنَّنا نُشْكِيها)

على أنّ مجىء المضارع خبر أنَّ الواقِعة بعد لو قليل ، والكثير الماضى .

وجواب لو محذوف دلّ عليه تشتكى . وبعده :

(مَسّ حوايا قلّما نُجْفيها)

وهذا الرجز أورده أبو زيد فى نوادره ، والأصمعى (فى كتاب الأضداد [٣]) ، وقال : تقول أشكيت الرجلَ ، إذا أتيتَ إليه ما يشكو منه . وأشكيتُه : نزعتُ عنه شكايته .

وكذا قال ابن السكيت (فى أضداده) ، وأنشد هذا الرجز .

وأورده ابن جنى أيضا (فى سر الصناعة ، وفى الخصائص) ، قال : قد

---

(١) الخزانة ٩ : ١٤٣ – ١٥٥ . وكتب الشنقيطى بقلمه تعليقا : « ولم يقع فى الشرح من هذه القصيدة غير هذين البيتين .

(٢) الأضداد للأصمعى ٥٧ وللسجستانى ١٠٦ ولابن السكيت ٢٠٨ والخصائص ٣ : ٧٧ وسر الصناعة ١ : ٤٣ والمخصص ١٢ : ١٣/١٩٨ : ٣٦٣ واللسان (شكا ١٧٠) .

(٣) لم أجد الرجز فى نوادر أبى زيد بمختلف طبعاتها . ولعل الذى حمل البغدادى على هذا أنه وجد ابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة يعزو الإنشاد إلى أبى زيد . ولا يلزم من هذا أن يكون فى نوادره .

تأتى أفعلْتُ للسَّلب والنفى ، نحو : أشكيتُ زيداً،إذا زُلتَ له [١] عما يشكوه .
وأنشد هذا الرجز وقال : أى لو أنّنا نزوُل لها عما تشكوه .

وأورده ابن السكيت (فى إصلاح المنطق أيضاً) ، قال شارح أبياته ابن السيرافى : وصف إبلاً قد أتعبها ، فهى تمدُّ أعناقها . والإبلُ إذا أعيت ذلَّت ومَدّت أعناقها أو لوَتْها . وقوله : تشتكى ، يقول : قد ظهر بهذه الإبل من الجَهد والكلال والضُّمور ما لو كانت ناطقةً لشكته وذكَرتْه . فظهورُ مثل ذلك بها يقوم مقامَ شكوى اللِّسان . انتهى .

والحوايا : جمع حَوِيَّة ، وهى كساءٌ محشوٌّ حول سَنام البعير ، وهو السَّوِيَّةُ .
والحوِيَّةُ لا تكون إلاّ للجمال ، والسَّوِيَّة قد تكون لغيرها .

وأنشده صاحب الصحاح أيضا (فى مادة جفا) قال : جفا السَّرج عن ظهر الفرس وأجفيته أنا ، إذا رفعتَه عنه . وأنشده وقال : أى قلَّما نرفع الحوِيَّة عن ظهرها . ولم يتكلَّم بشيءٍ ابن بَرّيٍّ فى حاشيته على الصحاح ، ولا الصفدى فى حاشيته عليه . ولم أقفْ على اسم الراجز . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد التسعمائة [٣] :

٩٣٢ (واللهِ لولا شيخُنـا عَبّـادُ لكمَرُونا اليومَ أو لَكَـادُوا)

على أنَّ اللام فى (لكمَرُونا) فى جواب القسم لا فى جواب لولا ، عملاً بالقاعدة ، وهى أنّه إذا اجتمع شرطٌ وقسم فالجواب بعدهما للسابقِ منهما ، سواء

(١) وكذا فى الخصائص وسر الصناعة .
(٢) إصلاح المنطق ٢٣٨ .
(٣) أدب الكاتب ٣٧٩ والجواليقى ٣٣٣ والاقتضاب ٤١٥ .

كان أداةَ الشرط إنْ ، أم لَوْ ، أم لولا [١] ، وفاقاً لابن جنى وابن عصفور [٢] . قال : ولزم كونه ماضياً لأنّه مغن عن جواب لولا ، وجوابُها لا يكون إلاّ ماضيا .

وفيه ردٌّ على ابن مالك فى زعمه (فى التسهيل) أنّ أداة الشرط إن كانت لو أو لولا فالجواب يتعيَّن أن يكون لهما ، سواء تقدَّم القسم عليهما أو تأخَّر عنهما ، كقوله :

فأقسِمُ لو أبدَى النَّـدِيُّ سَوادَه لمَا مسحت تلك المُسالاتِ عامرُ [٣]

وقول الآخر [٤] :

* واللهِ لولا اللهُ ما اهتدَيْنا *

ويردُّ البيتُ الأوّل على الشارح فى قوله : « وكذا تقول : والله لو جئتنى ما جئتك ، ولا تقول : لمَا جئتك . ولو كان الجواب للو لجاز ذلك [٥] » . ويجاب عنه بأنّ دخول اللام على ما النافية .

٥٣١ وما اختاره الشارح المحقّق هو قول ابن عصفور (فى شرح الإيضاح) قال : وقد يدخلون أَنْ على لو لجعلِ الفعلِ الواقع بعدها جواباً للقسم ، كما يدخلون اللام على إن الشرطيّة ، فيقال أُقسِمُ أنْ لو قام زيد قام عمرو . ومنه قوله :

فأقسم أنْ لو التقينـا وأنتـمُ لكان لكمْ يومٌ منِ الشرّ مظلمُ

انتهى كلامه .

---

(١) ش مع أثر تغيير : « أو لو ، أولولا » .

(٢) ش : « لابن عصفور وابن جنى » .

(٣) العينى ٤ : ٤٥٠ والأشمونى ٤ : ٢٨ واللسان (سيل ٣٧٣) .

(٤) هو عامر بن الأكوع ، أو عبد الله بن رواحة ، أو كعب بن مالك . وانظر معجم الشواهد .

(٥) للمسيب بن علس . وقد سبق الكلام عليه فى الشاهد ٨١٦ من الجزء العاشر ص ٨٠ .

وذهب (فى شرح الجمل) إلى خلاف هذا ، فجعل الشرط وجوابهَ جوابَ القسم ؛ فإنه لمّا أنهى [1] الكلام على روابط الجملة الواقعة جواب قسم قال : إلاّ أن يكون جوابَ القسم لوْ وجوابُها ، فإنَّ الحرف الذى يربط المقسَم به بالمقسَم عليه إذ ذاك إنمّا هو أنْ نحو : والله أنْ لو قام زيدٌ لقام عمرو . ولا يجوز الإتيان باللام كراهة الجمع بين لام القسم ولام لو . قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : وقول ابن مالكٍ بعيد ، لأنّه يبعد أنْ يكون للقسم جوابٌ مقدَّر فى نحو : والله لو قام زيد لقام عمرو ، و والله لولا زيد لقام عمرٌو ، بل ربمَّا يستحيل ذلك ، لأنّ المقسَم عليه إنمّا هو قيامُ عمرٍو المعلَّقُ على قيام زيد ، أو على وجوده . وإذا كان المقسَم عليه كذلك فكيف يتّجه تقدير جوابٍ غير الشرط المذكور ؛ إذْ لو قدِّر جوابٌ غير ذلك لكان شيئاً غير معلَّق على غيره ، والفرض أنَّ المقسَم عليه إنمّا هو أمرٌ معلَّقٌ على شئ لا أمرٌ مستقلٌّ بنفسه . وإذا كان الأمر كذلك اتَّجه كلام ابن عصفور (فى شرح الجمل) ، واضمحلَّ كلامه (فى شرح الإيضاح) .

فإن قيل : هذا بعينه موجودٌ فى الشرط غير الامتناعى ، لأنَّ المقسَم عليه أيضاً فى نحو : والله إن قام زيد ليقومنَّ عمرٌو ، إنمّا هو قيام عمرو المعلَّق على قيام زيد ، ومع هذا فقد أتى المقسِم بجوابٍ يخصُّه ، فلم لا يقال إنّ الشرط يكون جوابا للقسم ؟

فالجواب أنَّ جواب الشرط الامتناعىّ ممتنعُ الوقوع ، إمّا إذا كان حرف الشرط لو ، فلأنّه علِّق على حصول أمرٍ قد ثبت أنّ وجوده ممتنع . وأمّا إذا كان لولا ، فلأنَّ الامتناعَ معها علِّق على وجود شيءٍ مقطوعٍ بأنّه موجود . وإذا كان

---

(١) هذا ما فى ش . وفى ط : « انتهى » .

جواب الامتناعىِّ ممتنعَ الوقوع امتنع تقديرُ جوابِ القسم ، إذْ يلزم من تقديره أن يكون المقدَّر ممتنع الوقوع ، ليتطابق جوابُ الشرط والقسم ، لأنّ جملة القسم إنَّما هى مؤكّدة لجملة الشرط ، فيتعيَّن اتفاق المدلولَين . ولا شكَّ أن جواب القسم إذا قدَّرناه ليس ثمّ ما يدلُّ على أنّه ممتنع ، فيلزم من تقديره حينئذ تخالفُ الجوَابَين ، من حيث إنّ أحدهما مقطوعٌ بامتناعه ، والآخر ليس كذلك . وأمّا جواب الشرط غير الامتناعى فليس ممتنعَ الوقوع ، وإذا لم يكن ممتنع الوقوع فجواب القسم مُساوٍ له فى احتمال الوقوع وعدمِهِ ، فلذلك جاز أن يقدَّر مدلولاً عليه بجواب الشرط ، لأنّ المتساوِيَينِ يجوز دلالةُ كلّ منهما على الآخر . انتهى كلامه .

والبيتان من رجزٍ أوردهما صاحبُ الصحاح (فى مادة كمر) قال : الكمَر : جمع كمَرة . والمكمور : الرجل الذى اصاب الخاتنُ طرفَ كمَرَته . والكِمِرَّى : العظيم الكَمَرة . وكامرته فكمَرته أكمُره ، إذا غلبتَه بعِظَم الكَمَرة . وأنشدَهُما .

ولم يتكلَّم ابن بَرّيٍ ولا الصَّفدىّ (فى حاشيتيهما) عليه هنا بشئ . وأوردهما ابنُ قتيبة فى باب ما أُبدل [1] من القوافى (من أدب الكاتب) كذا :

والله لولا شيخنا عبّادُ لكمَرونا عندها أو كادُوا

فرشَطَ لما كُره الفِرشاطُ بفَيشةٍ كأنَّها مِلطاطُ

٥٣٢

قال ابن السِّيد (فى شرح أبياته) : معنى كمرونا غلبونا بعِظَم كَمَرِهم . والكمَر : جمع كَمَرة ، وهى رأس الذكر . والفَرشطة والفِرْشاط : فتح الفخذين . والمِلطاط : شفير الوادى والنهر . وقال ابن دريد : المِلطاط أشدُّ انخفاضا من الوادى وأوسع منه . وقال غيره : الملطاط عَظْم ناتئٌ من رأس

(١) ط : « أبدله » ، صوابه فى ش وأدب الكاتب ٣٧٨ .

البعير . وصَفَ قوماً تفاخروا بعِظَم كمرهم ، فكاد المفاخرون لهم يغلبونهم ، حتّى أخرج شيخهم عَبّادٌ كمرتَه فغلبَهم . انتهى كلامه .

وزاد الجواليقى فى شرحه بيتين بعد البيتين الأولين ، وهما :

يحملُ حَوقاءَ لها أحيادُ لها رئاتٌ ولها أكبادُ

وقال فى شرحه : كمرونا : غلبونا بعظم الكمرة ، والكمَرة : رأس الذَّكر من الإنسان خاصَّةً ، وزعم قوم أنّه لكلِّ ذكرٍ من الحيوان (١) . وحَوقاء : عظيمة الحُوق . والحُوق بضم المهملة حرف الكمَرة ، وهو إطارها . والأحياد : جمع حَيْد ، بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهو الحرف النّاتىءُ من الشىء ، نحو حُيود القرن . وحَيْدُ الجَبل : نادرٌ ينذُر منه . ولها رئاتٌ : جمع رِئة . وأكباد : جمع كَبِد . وليس ثَمَّ رئةٌ ولا كبد ، وإنّما أراد عظمَها . وقوله : « فرشط » الفرشطة : أن يُلصق الرجل أليته بالأرضِ ويتوسَّط ساقيه . والملطاط ، قال ابن دريد : ملطاط الرأس : جُملته . والفيشة بفتح الفاء : الذكَر . وعبّادٌ هذا رجلٌ من إيادٍ له حديث . وذلك أنّ حيَّينِ كانا قد جَعَلا بينهما خطراً فى المُكامَرة ، فغَلب الحىُّ الذى فيه عَبّاد . انتهى .

وكابن قتيبة أورده عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة) ، قال قدامة : ومن عيوبه الإكفاء ، وهو اختلافُ حروف الروى ، فيكون دالاً وذالاً وسيناً وشينا ، ونحو ذلك من الحروف المتقاربة .

قال عبد اللطيف البغدادى : اختلاف حروف الرويِّ فى قصيدةٍ هو الإكفاء ، من قولك : كفأت الإناءَ ، إذا قلبتَه . ويقال أيضاً أكفأْت الشىء ، إذا أملتَه . فلمّا اختلف حرف الرويّ عن وجهه الذى يجب له قيل لذلك : إكفاء .

---

(١) فى شرح الجواليقى : « أنه يقال لكل ذكر من الحيوان » .

وأكثر ما يكون هذا فى الحروف المتقاربة . وهذا فى النثر المسجوع ليس بعيب ، وأمَّا فى النظم فأكثر ما يرتكبه الأعراب دونَ الفحول والمشاهير ، ولهذا لا أُجيزه لشعراء زماننا كما أُجيزُ لهم العيوبَ الباقية ، اللهمَّ إلاَّ فى الأرجاز الحربيَّة التى تُقالُ بَدِيهاً ، فإنها تحتمل ما لا يحتمل الشعرُ الكائن عن رويَّة وتمهُّل .

فإن قيل : فهل العربُ تعرف حروفَ المعجم حتَّى تُلْزَمَ بها ؟ قيل : إنَّها وإن لم تعرفْها بأسمائها فإنَّها تعرفها بأجراسها ، وتميِّز بينها بأصدائها . ولهذا يلتزم الشاعر منهم حرفَ الرويِّ فلا يخالفه إلاّ فى الأقلّ ، وإلى ما يقرُب منه . ولهذا قال قائلهم [(١)] :

لو قد حَداهنّ أبو الجودىِّ برجَزٍ مُسْحَنفِرِ الـــروىِّ

* مستوياتٍ كَنَوى البَرْنىِّ *

ولا يبعد أن يشعر الواحدُ منهم بمخارج الحروف ومدارجها ، بل هو الغالبُ من حالهم ، لكن لا يُتقنون تمييزه . وقد أُنشدوا :

* وقافية بين الثنيَّة والضِّرس *

زعم المفسِّرون أنّه أراد الشين أخت الضاد . والحكاية المشهورةُ عن رجلٍ منهم ، أنّه قامر على أن يشرب عُلبة لبن ولا يتنحنح ، فلما كدَّه الأمر قال : كبشٌ أملح : قيل له : ما هذا ؟ تنحْنَحْتَ ! قال : « من تنحنح فلا أفلح » . مع أنّه قد ورد عن بعضهم تسمية بعضِ الحروف ، قال :

٥٣٣

* كما كُتبت كافٌ تَلوح وميمُها [(٢)] *

(١) هو الراجز أبو الجودى ، كما سبق فى ٧ : ٤٢ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) نسب فى اللسان (كوف) إلى الراعى ، وليس فى ديوانه . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* أهاجتك أطلالٌ تَعفَّتْ رسومُها *

وقال الآخر [١] :

* قلت لها قفى فقالت قافْ *

فإن قيل : فلم أجزْتَ الإكفاءَ للعرب وحظَرْته على أهل زماننا ؟ فنقول : العرب مطبوعون غير متعلِّمين ، وجُفاةٌ لا يعرفون الكتابَ [٢] ، بلْ يقولون بالسليقة . وأمَّا المحدَثُون فأهلُ كتابة وتعلُّم وتعمُّل ، وإن كان العرب أيضا غير خالين مِن تعلُّم وتعمُّل وكتابة . ولهذا قلَّما يقع الإكفاء وغيُره من العيوب إلاّ من الأعراب الأقحاح ، البُعَداءِ عن التعليم والتخريج . ولهذا قال بعض العلماء : اختلاف حروف الرويِّ هو الإكفاء ، وهو غلطٌ من العرب ولا يجوز لغيرهم ، لأنّ الغلط لا يُجعل أصلاً فى العربية يقاسُ عليه ، وإنمّا يَغْلطَون فيه إذا تقاربت الحروف . وأنشد :

إنْ يأتنى لصٌّ فإنّى لصُّ أطلسُ مثلُ الذّئبِ إذْ يعُسُّ

* سَوْق حُداىَ وصفيرى النَّسُّ [٣] *

وأنشد الأخفش :

إذا نزلتُ فاجعلانى وَسَطا إنّى كبيرٌ لا أُطِيق العَنَدَا [٤]

---

(١) هو الوليد بن عقبة، كما فى شرح شواهد الشافية ٢٧١ .

(٢) الكتاب : الكتابة . وفى ش : « الكتابة » .

(٣) ط : « قوسى حداى » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح مطابقا لما فى الموشح ٢٠و اللسان (نسس) . وفى اللسان والموشح أيضا : « حدائى » . وفى ط : « وصعيرى » ، صوابه فى ش والموشح واللسان .

(٤) العند : جمع جمع للعنود ، وهى الناقة لا تخالط الإبل ، تَبَاعَدُ عنها فترعى ناحية . وضبطه الجواليقى « العندا » بالتحريك ، وقال فى تفسيره : العند : الجانب والناحية . وكان هذا الشاعر قد كبر ، والرجل إذا كبر عاد كالصبى ، والصبيان يخافون بالليل . يقول : اجعلانى وسطكما فإنى لا أطيق أن أكون فى الجانب . ثم قال : ويروى : « العُنَّدا » ، وهو جمع عاند أو عَنود . ونحوه فى الاقتضاب . وفى ط : « العتد » ، صوابه فى ش واللسان (عند) والاقتضاب ٤١٥ .

وأنشد غيره :

كأنّ أصواتَ القطا المنقضِّ ... بالليل أصواتُ الحَصا المنقَزِّ (١)

وقال :

والله لولا شيخُنا عبّادُ ... لَكَمرونا عندها أو كادُوا

فَرشَط لما كُرِه الفرشاطُ ... بفَيشةٍ كأنّها مِلطاطُ

والمِلطاط : رحى البَزْر . وأنشد ابن الأعرابى :

أزهَرُ لم يولَدْ بنجم الشُّحِّ ... ميمَّم البيتِ كريمُ السِّنخِ (٢)

وما كان من هذا التغيير فى موضع التصريع فقد يمكن أن لا يكون عيبا ، وأن يكون الشاعر لم يقصد التصريع ، لكن أتَى بما يشبه التصريع ، فتُوُهِّم عليه العيب . فأمّا ما أنشده ابن قتيبة من قول الشاعر :

حَشْورَة الجنبينِ مَعْطاءُ القَفا ... لا تدعُ الدِّمْنَ إذا الدِّمنُ طفَا (٣)

* إلاّ بجرعٍ مثل أثباج القطا (٤) *

---

(١) أدب الكاتب ٣٧٩ والجواليقى ٣٣٣ والاقتضاب ٤١٤ .

(٢) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٧١ و سر الصناعة ١ : ١٩٦ . وانظر أدب الكاتب ٣٨٠ والجواليقى ٣٣٧ والاقتضاب ٤١٦ وشرح شواهد الشافية ٤٢٠ ، ٤٢١ . والأزهر : الأبيض . لم يولد بهذا النجم ، هو ما كان يعتقده العرب من أثر الكواكب فى الإنسان حين يولد بمطلع واحد فيها . والمُيَمَّم : المقصود . والسِّنخ : الأصل .

(٣) أدب الكاتب ٣٨١ والجواليقى ٣٣٨ والاقتضاب ٤١٦ . والحَشْوَرة : العظيمة . والمَعْطاء ، بفتح الميم ، من المعط ، بالتحريك ، وهو قلة الشعر . والدمن ، بالكسر : البعر . طفا : علا فوق الماء . يعنى ناقة اشتد بها الظمأ فهى تشرب الماء مَهما شابه من شوائب ولا تعافها . وفى الاقتضاب : « لا تدع الدهن إذا الدهن » تحريف .

(٤) الاثباج : جمع ثبج ، بالتحريك ، وهو الصدر ، أو ما غلظ من الوسط . شبّه جرعاتها فى عظمها بأثباج القطا .

فإنّه ليس إكفاءً كما زعم ، لأنَّ الروىّ الألف لا الفاء [١] .

ومن الإكفاء ما أنشدَنا بعضُهم :

بُنىَّ إنَّ البِرَّ شىءٌ هَيِّنُ المنطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ [٢]

وأنشدنا أيضاً [٣] :

قبِّحتِ من سالفةٍ ومن صُدُغْ كأنَّها كُشيةُ ضَبٍّ فى صُقُعْ [٤]

الصُّقع : شبه مخلاة .

وفى الحديث أنّ سعداً قال : رأيت عليًّا كرم الله وجهه يوم بدر وهو يقول :

بازِلُ عامين حديثٌ سنِّى سَنحنَح اللَّيلِ كأنِّى جِنِّى [٥]

* لمثل هذا ولدتنى أُمِّى *

٥٣٤

فأما قول أبى جهل [٦] :

ما تنقمُ الحربُ العَوَانُ منِّى بازِلُ عامين حديثٌ سِنِّى

* لمثل هذا ولَدَتْنى أُمِّى *

وقد روَينا نحوه عن علىٍّ كرم الله وجهه ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون إكفاءً وما قبل الياء هو الروى . والثانى : أن يكون أراد أن يُطلق بالألف فيقول منِّيا

(١) وكذا يرى الجواليقى وابن السيد .

(٢) الرجز منسوب إلى جدة سفيان ، فى تهذيب اللغة ١٥ : ٣٧٠ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) ش : « بعضهم » .

(٤) الرجز لجواس بن هُرَيم ، فى الموشح ١٩ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٣٧ والاقتضاب ٤١٧ ، وبدون نسبة فى الحيوان ٦ : ١٠٨ والعمدة ١ : ١١٠ وأدب الكاتب ٣٨١ .

(٥) ديوان على بن أبى طالب ١٢٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٦) انظر السيرة ٤٥٠ ومعجم الشواهد .

وسِنِّياَ فحذف . والثالث : أن تكون الياء حرفَ الرويّ ويكون مقيَّدا . وهذا هو الأفصح . انتهى .

وهذه جملة منقَّحة كافية فى الإكفاء .

والأبيات التى أوردها من أدب الكاتب . أمّا قوله : « إذا نزلتُ » إلخ فقد قال ابن السِّيد : العَنَد بفتحتين : الجانب ، ورواه ابن دريد « العُنّد » جمع عاند ، وهو المائل المنحرف . وزاد بعده :

* ولا أطيق البَكَرات الشُّرَّدا *

وأما قوله : « كأن أصواتَ القطا » إلخ . فقد قال أيضا : قال أبو علىّ البغدادى : رويته عن ابن قتيبة « المنغصٌّ » بالغين المعجمة والصاد المهملة ، وهو من الغصَص ، ومعناه المختنق . ورويته عن غير ابن قتيبة « المنقضٌّ » بالضاد المعجمة والقاف ، وهو الصَّواب . شبَّه صوت انقضاض القطاة إذا انقضَّت بأصوات الحصا إذا قرعَ بعضُها بعضا . والمنقَزّ : المتواثب ، يقال قزَّ ، وانقزَّ ، إذا وثب .

وأما قوله : « أزهر لم يولد بنجم » إلخ فقد قال أيضا [(١)] الميمَّم : المقصود لكرمه . والسِّنخ بالخاء المعجمة والجيم [(٢)] : الأصل . وقد روى السِّنح بالحاء المهملة .

وأما قوله : « حَشْوَرة الجنبين » إلخ فقد قال أيضا : الحشورة : العظيمة . والمَعْطاء : التى تساقط شَعرها . والدِّمْن بالكسر : الزِّبل . والأثباج ، الأوساط . يصف ناقةً قد اشتدَّ عطشُها ، فهى تشرب الماء بما يطفو عليه من الزِّبل ولا تعافه ، وشبَّه جُرعاتِها فى عِظَمها بأثباج القطا .

---

(١) الكلام بعده إلى « أيضا » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٤١٦ . ولم يرد فى المعاجم المتداولة .

وأما قوله : « قُبِّحتِ من سالفةٍ » إلخ فقد قال أيضا : هذا الرجز لجوّاس بن هُرَيم . والسَّالفة : صفحة العنق . والكُشْيَة بالضم : شحمةُ بطن الضّبّ . والصُّقْع : الناحية من الأرض ، ويروى : « صقغ » بالغين معجمة . هجا امرأةً وشبَّه سالَفتها وصُدغها فى اصفرارهما بكُشية ضبٍّ فى صُقع من الأرض . وأراد أن يقول : من سالفتين وصُدغين ، فلم تمكنه التثنية ، فوضع الواحد موضع الاثنين اكتفاءً بفهمِ السامع . وقوله : « كأنّها كُشْيَة » إنمّا أفرد الضمير ولم يقل كأنَّهما لأنه أراد سالفتيها وصُدغَيها ، وهى أربعٌ ، فحمَله على المعنى . انتهى .

ونقلنا شرح هذه الأبياتِ تكميلاً للفائدة .

والبيت الشاهد لم أقفْ على قائله ، والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد التسعمائة [1] :

٩٣٣ (لَئِنْ مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ   لا تُلفِنَا عن دِماء القومِ نَنْتَفِلُ)

على أنّه يجوز بقلَّة فى الشعر أنْ يكون الجواب للشرط مع تأخُّره عن القسم ، فإنّ لام لئن موطِّئة للقسم ، وقوله : لا تلفِنا جواب الشرط دون القسم ، بدليل الجزم .

وقد خلا عن ذكر هذه الضرورة كتابُ الضرائر لابن عصفور .

وأجاب ابن هشام (فى المغنى) بأنّ اللام زائدة ، ولم يخصَّه بالضرورة . قال : وليست اللام موطِّئةً فى قوله :

---

(١) ديوان الأعشى ٤٨ . وانظر العينى ٣ : ٢٨٣/ ٤ : ٤٣٧ والأشمونى ٤ : ٢٩ .

لئن كانت الدُّنيا علىّ كما أرى　　تباريحَ من ليلى فللموتُ أرْوَحُ (١)

٥٣٥ وقوله :

لئن كان ما حُدِّثْتُهُ اليومَ صادقاً　　أَصُمْ فى نهارِ القَيظ للشَّمس باديا (٢)

وقوله :

ألمِمْ بزينبَ إنّ البيَن قد أَفِدَا　　قَلَّ الثواءُ لَئِنْ كانَ الرحيلُ غَدا (٣)

بل هى فى ذلك كلِّه زائدة .

أمّا الأوّلانِ فلأنَّ الشرط قد أُجيب بالجملة المقرونة بالفاء فى البيت الأوّل ، وبالفعل المجزوم فى البيت الثانى ، فلو كانت اللام للتَّوطئة لم يُجَب إلاَّ القسم . هذا هو الصحيح . وخالف فى ذلك الفرّاءُ فزعم أنّ الشرط قد يُجاب مع تقدُّم القسمِ عليه .

وأمَّا الثالث فلأنَّ الجواب قد حُذف مدلولاً عليه بما قبل إنْ ، فلو كان ثَمّ قسمٌ مقدّر لزم الإجحاف بحذف جوابين . انتهى .

والجواب الجيِّد ما قاله الشارح من أنّ هذا ضرورة ، فإنّ جوابه لا يتأتّى فى قوله :

حلفت له إنْ تدلج الليل لا يزل　　.............. البيت الآتى

(١) وكذا فى المغنى ٢٣٦ . والبيت لذى الرمة فى ديوانه ٨٦ برواية : « تَباريح من مى » ، وهى صاحبته . وفى الكامل ٤٢١ : « تباريح من ذكراك للموت أروح » .

(٢) لامرأة من عقيل ، كما سيأتى فى ص ٣٣٦ ، ٣٤٠ .

(٣) لعمر بن أبى ربيعة فى الأغانى ١ : ٤٥ / ٢ : ١٣٢ / ٦ : ١٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٨ وملحقات ديوانه ٤٨١ . وأنشده فى المغنى ٢٣٦ . أفد البين ، أى دنا الفراق وأزف .

وقد نقلوا عن الفراء جوازه فى الكلام أيضاً . ورأيت كلامَه مضطرباً فى هذه المسألة ، فتارة أجاز بمرجوحيَّةٍ كما نقلوا ، وتارة جزم بأنّ ما ورد منه فى الشعر ضرورة .

أمّا الأوّل فقد قاله فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشتراه [(١)] ﴾ من سورة البقرة ، وهذا نصّه : صيَّروا جوابَ الجزاء بما يُلقَى به اليمين ، إمّا بلامٍ ، وإمّا بلا ، وإمّا بإنَّ وإمّا بما ، فتقول فى ما : لئن أتيتنى ما ذلك لك بضائع . وفى إنّ : لئن أتيتنى إنّ ذلك لمشكور . وفى لا : ﴿ لئن أُخرِجُوا لاَ يخْرُجُون معهم [(٢)] ﴾ . وفى اللام : ﴿ ولئن نَصَروهمْ ليُوَلُّنَّ الأدبارَ [(٣)] ﴾ . وإنَّما صيَّروا جواب الجزاء كجواب اليمين ، لأنَّ اللام التى دخلت فى : ﴿ولقد علموا لمن اشْتَراه ﴾ ، وفى : ﴿ لما آتيتُكُمْ من كتاب [(٤)] ﴾ ، وفى : ﴿ لئن أخرجوا ﴾ إنَّما هى لام اليمين ، كان موضعها فى آخر الكلام ، فلَّما صارت فى أوّله صارت كاليمين ، فلُقِيت بِما يُلقَى به اليمين . وإن أظهرتَ الفعل بعدَها على يفعل جاز ذلك ، وجزمتَه فقلت : لئن تقم لا يقمْ إليك . وقال الشاعر :

لئن تكُ قد ضاقَتْ عليكم بيوتُكُمْ ... لَيعْلَـمُ ربِّـى أنّ بيتِـىَ واسعُ [(٥)]

وأنشدنى بعض بنى عُقيل :

لئن كان ما حدِّثته اليومَ صادِقاً ... أصمْ فى نَهار القَيظِ للشَّمسِ باديا[(٦)]

وأَركَبْ حماراً بين سرج وفَـروةٍ ... وأُعْرِ من الخاتام صُغْـرى شِماليـا

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ٦٥ – ٦٩ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٣) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٤) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

(٥) البيت للكميت بن معروف ، كما سبق فى الشاهد ٨١٤ . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣١ .

(٦) مضى الكلام عليه قريبا .

فألغَى جواب اليمين من الفعل ، وكان الوجه فى الكلام أن يقول : لئن كان كذا لآتيَّنك ، وتوهّم إلغاء اللام ، كما قال الآخر :

فلا يَدْعُنِى قومى صريحاً لحُرَّةٍ   لئن كنت مقتولاً وتسلم عامرُ (١)

فاللام فى لئن ملغاةٌ ، ولكنّها كثُرت فى الكلام حتّى صارت كأنَّها إنْ . ألا ترى أنَّ الشاعر قد قال :

فلئــن قومٌ أصابــوا غِرَّةً   وأصَبْنا من زمانَ رققا (٢)
لَلَقد كانوا لدى أزماننا   لِصنيعَين : لبأسٍ وتُقَى

فأدخل على لقد لاماً أخرى ، لكثرة ما تلزم العرب اللام فى لقد ، حتَّى صارت كأنَّها مِنها . وأنشدنى بعض بنى أسد :

٥٣٦

فلا واللهِ لا يُلفَى لما بى   ولا لِلما بهم أبداً دواءُ (٣)

ومثله قول الشاعر :

كما مَا امرؤٌ فى معشرٍ غيرِ رهطه   ضعيفُ الكلامِ شخصهُ متضائلُ (٤)

قال : « كما » ثم زاد معها « ما » أخرى ، لكثرةِ كَمَا فى الكلام ، فصارت كأنَّها منها . وقال الأعشى :

* لئن مُنِيتَ بنا عن غبِّ معركةٍ * البيت .

فجزم « لا تلفِنا » والوجه الرفع ، كما قال تعالى : ﴿ لئن أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُون مَعَهُم (٥) ﴾ ، ولكنّه لما جاء بعد حرفٍ يُنوَى به الجزم صُيِّر مجزوماً جوابا

(١) لقيس بن زهير ، كما فى سيبويه ٣ : ٤٦ هارون . وانظر معجم الشواهد .
(٢) مجهول القائل ، وتخريجه فى معجم الشواهد .
(٣) لمسلم بن معبد الوالبى ، كما فى معجم الشواهد .
(٤) لابن هرمة فى ملحقات ديوانه ٢٧٤ برواية : « فإن امرأ » .
(٥) الآية ١٢ من سورة الحشر .

للمجزوم ، وهو فى معنى رَفْع . وأنشدنى القاسم بن معن عن العرب :

حلفتُ له إنْ تدلج اللَّيلَ لا يزَلْ أمامَك بيتٌ من بيوتىَ سائرُ (١)

والمعنى : حلفت له لا يزال بيتٌ ، فلما جاء بعد المجزوم صيِّر جوابًا للجزم. ومثله فى العربية : آتيك كى إنْ تحدِّث بحديث أسمعْه منك ، فلما جاء بعد الجزم جُزِم . انتهى نصُّه بحروفه .

وأما كلامه الثانى فقد قاله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثْلِ هَذا القرآنِ لا يأتُونَ بمثِلِه (٢) ﴾ من سورة الاسراء ، قال : لا يأتون جوابٌ لقوله لئن ، والعرب إذا أجابت لَئن بلاَ جعلوا ما بعد لا رفعاً ، لأنَّ لئنْ كاليمين ، وجواب اليمين بلا مرفوع . وربمَّا جَزَم الشاعر ، لأنّ (لئن) إن التى يُجازَى بها زيدت عليها لام ، فوجَّه الفعلَ فيها إلى فَعَلَ ، ولو أتى بيفْعَل لجاز جزمُه . وقد جزم بعضُ الشعراء بلئن ، وبعضهم بلا التى هى جوابُها . قال الأعشى :

لئنْ مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ لا تُلفنا عن دِماءِ القومِ نَنتفِلُ

وتَلْقَنا بالقاف أيضا . وأنشدتنى عُقَيليّة فصيحةٌ :

* لئن كان ما حُدِّثته اليومَ صادقاً * .... البيتين

وأنشدنى الكسائى للكُميت بن معروف :

لئن تَكُ قد ضاقت عليكم بلادُكم لَيعلم ربِّى أنّ بيتِىَ واسعُ

انتهى كلامه .

---

(١) هو الشاهد ٩٣٥ . وهو مجهول القائل كما فى شرح الشاهد .

(٢) الآية ٨٨ من سورة الإسراء . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣٠ – ١٣١ .

ووافقه ابن مالك ، قال (فى التسهيل) : « وقد يُغنى جوابُ الأداة مسبوقة بالقسم [(١)] » . يعنى إنْ لم يتقدَّم مبتدأ أو أُخِّر القسم عن الشرط وجبَ الاستغناء عن جوابه بجواب الشرط ، وإنْ أُخِّر الشرط استغْنِىَ فى أكثر الكلام عن جوابه بجواب القسم ، ولا يمتنع الاستغناء بجواب الشرط مع تأخُّره .

ومن شواهد ذلك عنده [(٢)] قول الفرزدق :

لئن بَلَّ لى أرضِى بِلالٌ بدفعةٍ ... من الغَيثِ فى يُمنى يديهِ انسكابُها[(٣)]

أكنْ كالذى صابَ الحيا أرضَه التى ... سَقاها وقد كانت جديباً جَنابُها

مع أبيات أُخَر .

قال ناظر الجيش : وهذه الأبياتُ أدلّةٌ ظاهرة على المدَّعَى ، غير أنّ المصنِّف لم ينسب هذا المذهبَ لبصرىّ ولا كوفىّ ، جريا منه على طريقته المألوفة ، وهى أنّه إذا قام الدليل عنده على شيءٍ اتّبعه ، ثم إنّه قد ينبِّه على خلافٍ فى ذلك إن كان ، وقد لا يتعرَّض إلى ذلك . والجماعة يذكرون أنّ هذا القول إنّما هو قول الفراء . قال ابن عصفور : ولا يجوز جعلُ الفعلِ جواباً للشرط إذا توسَّط بينه وبين القسم ، فأمّا قول الأعشى : « لئن مُنِيتَ بنا » البيت ، وقوله : « لئن كان ما حدِّثتُه » البيت ، فاللام فى لئن ينبغى أن تكون زائدة ، كالتى فى قوله : « أمسى لمَجهودا » . ومن ثَمَّ قال أبو حيان : وهذا الذى أجازه ابن مالك هو مذهب الفرّاء ، وقد منعَه أصحابنا والجمهور . ثمّ نقلَ كلام ابن عصفور . وأقول : إنّ ابن عصفور لم يذكر دليلاً على امتناع ما ذكره المصنِّف ، بل عَمَد إلى ٥٣٧

---

(١) التسهيل لابن مالك ١٥٣ .

(٢) فى غير التسهيل ، وقد يكون فى شرحه .

(٣) ديوان الفرزدق ٥٤ من قصيدة يمدح فيها بلال بن أبى بردة ، برواية « بلالٌ بدَفْقةٍ » .

الأدلَّة على هذا الحكم فأخرجها عن ظاهرها بغير مُوجِب ، وحكم بزيادة اللام مع إمكان القول بعدم الزيادة . وبعدُ فلا يخفى على الناظر وجهُ الصَّواب . فالوقوف مع ما ورد عن العرب ، حيثُ لا مانع يمنع من الحمل على ظاهر ما ورَدَ عنهم . انتهى كلام ناظر الجيش .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة مشهورةٍ للأعشى ، تقدَّم شرح أبيات منها فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الستمائة (١) . وقبله :

أبيات الشاهد

(إنّى لعَمْرُ الذى حَطَّت مَنَاسِمُها   تَخدِى وسِيقَ إليه الباقرُ الغُيُلُ
لئن قَتَلتم عميدًا لم يكن صَدَدًا   لنقتُلَنْ مثلَهُ منكمْ فنمتثل)
وإن منيت بنا عن غبٍّ معركة   .... البيت

يخاطب بها يزيد بن مُسهر الشَّيبانى ، وكان حرَّض بنى سيّارٍ أن يقتلوا سيِّداً مِن رهط الأعشى على ما تقدَّم سببه هناكَ (٢) .

وقوله : « حَطَّت مناسمُها » الحطّ بمهملتين : الاعتماد . والمَنسِم ، كمجلس : طرف خُفّ البعير ، والضمير المؤنَّث ضمير الإبل وإن لم يَجْرِ لها ذكر ، لأنَّ المناسم خاصّة بها تدلّ عليها . والعائد إلى الذى محذوف ، تقديره إليه ، أى إلى بيته . وتَخْدِى بالخاء المعجمة والدال المهملة : تسير سيراً شديداً فيه اضطرابٌ لشِدَّته . وروى « له » بدل تخدى ، فالعائد مذكور . والباقر : اسمُ جمعٍ للبقَر . والغُيُل بضم الغين المعجمة والمثناة التحتية : جمع غَيل بفتح فسكون ، بمعنى الكثير . يقول : أقسم بالله الذى تسرع الإبلُ إلى بيته ، ويُساق إليه الهَدْى .

(١) الخزانة ٨ : ٣٩١ – ٣٩٤ .
(٢) الخزانة ٨ : ٣٩٧ .

وقوله : « لئن قَتَلتم » إلخ اللام موطّئة آذنت أنَّ الجواب الآتى ، وهو قوله لنقتُلَنْ ، جوابُ القسم لا جوابُ الشرط . والعميد : الكبير الذى يُعمَد فى الأمور الشّديدةِ ويُقصَد . والصَّدَد ، بفتحتين : المُقارِب . وقوله : « فنمتثل » أى نقتل الأمْثَلَ ، وهو الأفضل . يعنى : والله لئن قتلتم منّا دون السيِّد لنقتلُ أعظَمَكم .

وتقدّم شرحُهما بأكثَرَ من هذا مع أبيات أُخَر فى الشاهد السادس والسبعين بعد السبعمائة [1] .

وقوله : (وإن مُنِيتَ) هكذا جاءت الرواية بالعطف على قوله (قَتَلتم) ، والمشهور فى كتب النحويين : (لئن مُنِيت) باللام الموطِّئة . والأمر سهلٌ . ومُنِيتَ بالخطاب والبناء للمفعول ، مِن مُنِيَ له ، أى قُدّر . ومَنَى يَمْنِى كرمى يرمِى بمعنى قدَّر ، والاسم بالفتح والقصر . قال سُويد بن عامر المُصطَلِقىّ :

لا تأمَنِ الموتَ فى حِلٍّ ولا حَرَمٍ ... إنّ المنايا تُوافِى كلَّ إنسانِ [2]

واسلكْ طريقَك تمشى غيرَ محتشِمٍ ... حتّى تَبَيَّنَ ما يَمنِى لك المانى

فكلُّ ذى صاحبٍ يوماً يفارقُه ... وكلُّ زادٍ وإنْ أبقيتَه فانى

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ فى قَرَنٍ ... بكل ذلك يأتيك الجديدانِ

روى السيد المرتضى (فى أماليه) أنّ مسلماً الخزاعِىّ ثم المُصطلقىَّ قال : شهدت رسول الله ﷺ وقد أنشدهُ مُنْشِدٌ هذه الأبياتَ لسُويدٍ ، فقال ﷺ : « لو أدركْتُهُ لأسلم » . والتاءِ نائبِ الفاعلِ بتقديرِ مضاف ، والأصل مُنِىَ اجتماعُك بنا ، فالباءِ من بنا متعلّقة بهذا المضاف ،فلمّا حُذِف صار الضمير

٥٣٨

(١) الخزانة ٩ : ٤٥٤ - ٤٦١ .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٣٦٨ . والأبيات تروى أيضا لأبى قلابة الهذلى فى ديوان الهذليين ٣ : ٣٩ - ٤٠ مع خلاف فى الرواية والترتيب . وانظر اللسان (منى) .

المجرور ضميرَ رفع . وقوله : (عن غِبِّ مَعْركةٍ) عن هنا بمعنى بَعْدَ ، متعلّقة بقوله منيت . وبه استشهد ابنُ الناظم (فى شرح الألفية) . والغِبّ بالكسر والمَغَبَّة بالفتح : العاقبة ، وروى أيضًا : « عن جِدِّ معركة » بكسر الجيم بمعنى الشِّدَّة والمجاهدة فيها . والمعركة : موضع الحرب ، يقال عَركت القومَ فى الحرب عَرْكا ، أى أوقعتُهم فى شِدّة . وعارَكَ معاركةً وعِراكاً : أى قاتل . وأصل العَرْك الدَّلكُ والفَرْك ، ومِنْ لازمِهِ التليينُ والتذليل . وقوله : (لا تُلِفنا) لا نافية ، وتلفنا مجزوم بإنْ بحذف الياء على أنّه جزاء الشرط . وألفَى كوجَدَ معنىً وعملاً فتتعدَّى [1] إلى مفعولين أصلُهما المبتدأ والخبر ، كقوله :

قد جَرَّبوهُ فألفَوْه المغِيثَ إذا ... ما الرَّوعُ عَمَّ فلا يَلوِى على أحَدِ [2]

كذا قال ابن مالك . فالمفعول الأول لألفَى فى البيت ضمير المتكلّم مع الغير ، وجملة ننتفل هى المفعول الثانى [3] . وذهب ابن عصفور إلى أنّها تتعدى إلى مفعول واحد ، وأن المنصوبَ الثانى حال ، واستدلّ بالتزام تنكيره . ورُدّ بوروده معرفةً كما فى البيت ، ودعوى زيادة اللام ضعيفة . و (عن دِماءِ) متعلّق بقوله (ننتفل) بالفاء . قال صاحب الصحاح : وانتفَلَ من الشىء ، أى انتفَى منه وتنَصَّل ، كأنه إبدالٌ منه . وأنشد البيت .

قال شارح جمهرة الأشعار : يقال انتفل وانتفى بمعنىً واحد ، كما قال :

أمنتفِلاً عن نصر بُهْثَةَ خِلتَنى ... إلاَ إنّنى منهم وإن كنت أيْنَما [4]

---

(١) ش : « فيتعدى » .

(٢) مجهول القائل . وانظر العينى ٢ : ٣٨٨ والهمع ١ : ١٤٩ .

(٣) ش : « هو المفعول الثانى » .

(٤) مختارات ابن الشجرى ٣١ . وهو فى ديوان المتلمس ٣٩ برواية مخالفة ، وكذلك فى اللسان (نفل ١٩٦) .

وقيل ننتفل : نَجْحد ، والمعنى : إن قُدِّرَ أن تلقانا بعد المعركة لم ننتفِ من قَتْلِنا قومَك ، ولم نجحد . انتهى .

وقال العينى : قوله لئن منيت بنا ، أى لئن ابتليت بنا ، من مُنِى بأمرٍ كذا ، إذا ابتُلِىَ به ، مِن (١) مَنَى يَمْنَى من باب فتح يفتح ، ومَنَا يمنو من باب نصر ينصر . وأمَّامنَى يَمنِى ، إذا أنزل المنىَّ فمصدره مَنْيا على وزن فَعْل ، بفتح الفاء وسكون العين ، وبابه من باب ضرب يضرب . ومَنَى أيضاً بمعنى قدّر ، ومنه المنيَّة ، وهو الموت ، لأنَّه مقدَّر على الخلق كلّهم . ومُنِيتَ على صيغة المجهول ، وبنا جارٌّ ومجرور مفعولٌ ناب عن الفاعل . وقوله : « لا تلفنا » جملة مجزومة لأنّها جواب الشرط ، وننتفل جملةٌ وقعت حالاً من الضمير المنصوب فى لا تُلِفنا . هذا خُلاصة كلامِه فى هذا الباب ، فتأمَّلْه تَرَى (٢) العجبَ العُجاب .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد التسعمائة (٤) :

٩٣٤ (لئن كان ما حُدِّثْتَهُ اليومَ صادقاً أصُمْ فى نهارِ القَيْظ للشَّمْسِ باديا)

على أنّه جاء (أصُمْ) جواباً مجزوما لإن الشرطية ، بعد تقدُّم القسم المشِعر به اللامُ الموطئة ، وهو قليل فى الشعر كالبيت الذى قبله .

(١) ط : « ومن » ، صوابه فى ش والعينى .

(٢) كذا فى النسختين غير مجزوم .

(٣) الخزانة ١ : ١٧٥ – ١٧٨ .

(٤) المغنى ٢٣٦ والعينى ٤ : ٢٣٨ والتصريح ٢ : ٢٠٤ والهمع ٢ : ٤٣ والأشمونى ٤ : ٢٩ .

وهذه اللام تدخل على أداة شرطٍ حرفا كانت أم اسماً كما قال الشارح المحقق ، تُؤْذن بأنّ الجواب بعدها مبنىٌّ على قَسم قبلها ، لا على الشَّرط ، ومن ثَمّ تُسمَّى اللامَ المُؤْذِنة ، وتسمِّى الموطِّئة أيضاً ، لأنَّها وطَّأت الجوابَ للقسم ، أى مهَّدته له ، سواء كان القسم قبلها مذكوراً ، كقوله تعالى : ﴿ وأقسَمُوا بالله جَهْدَ أيمانِهِم لئن جَاءتْهُم آية ليؤمِنُنَّ بها [1] ﴾ ، أم غير مذكور كقوله تعالى : ﴿ لئن أُخرجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ولئن قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ ولئن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَ الأدبار [2] ﴾.وقد يكتفى بنيَّتِها عن لفظها ، كقوله تعالى : ﴿ وإن لم تَغفِرْ لنا وتَرحَمْنا لنكونَنَّ مِنَ الخاسرِين [3] ﴾ ، والأصل : ولئن لم تغفر لنا . ولولا نيَّتها لقيل : وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكُنْ من الخاسرين ، كما قيل : ﴿ وإلاّ تَغْفِرْ لى وترحَمْنى أكُنْ من الخاسرين [4] ﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ وإنْ أطعتموهم إنّكم لمُشْرِكُون [5] ﴾ . وقول بعضهم : ليس هنا قسمٌ مقدرٌ ، وإنّما الجملة الاسميَّة جوابُ الشرط على إضمار الفاء ، فقد قال الشارح وغيره : مردودٌ ، لأنّ حذفَها خاصٌّ بالشعر . قال سيبويه : ولابدَّ من هذه اللامِ مظهرةً أو مضمرة . يعنى اللام التى تقارن أداة الشرط .

٥٣٩

وقال ابن مالك (فى شرح التسهيل) : وأكثر ما تكون اللام مع إنْ . ومن مقارنتها غير إنْ من أخواتها قوله تعالى : ﴿ وإذ أخَذَ الله ميثاقَ النبيِّينَ لَمَا آتيتُكم

(١) الآية ١٠٩ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٣) الآية ٢٣ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ٤٧ من سورة هود .

(٥) الآية ١٢١ من سورة الأنعام .

مِنْ كتابٍ وحكمةٍ ثمَّ جاءكم رسولٌ مُصَدِّقٌ لما مَعَكُم لتُؤمِنُنَّ به ولَتنصُرُنَّه [١] ﴾ . ومثله قول القُطاميّ :

ولَمَا رُزِقْتَ ليأتينَّك سيْبُه جَلْباً وليس إليك ما لم تُرزَقِ [٢]

ومثله قول الآخر :

لَمتَى صَلَحتَ لَيُقْضَيْن لك صالحٌ ولتُجْزَيَنَّ إذا جُزِيتَ جَميلا [٣]اهـ .

وكذا (فى المغنى) لابن هشام ، لكنّه قال : وعلى هذا فالأحسن فى قوله تعالى : ﴿ لَمَا آتيتكُمْ من كتابٍ وحكمةٍ ﴾ أن لا تكون موَطِّئة وما شرطيَّة ، بل للابتداء وما موصولة ، لأنّه حملٌ على الأكثر : قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وقد شبَّه بعضهم إذْ بإنْ فأولاها اللامَ ، فقال :

غَضِبَتْ عليَّ وقد شَرِبتُ بجُزّةٍ فَلَإِذْ غضِبْتِ لأشرَبَنْ بخروفِ [٤] . اهـ .

ووجه الشبه أنّ إذْ ترد للتعليل ، وإنْ للشَّرط ، وهما متقاربان .

قال ابن هشام : وأغرب ما دخلت عليه اللام إذْ ، وهو نظير دخول الفاء فى : ﴿ فإذْ لم يأتوا بالشُّهداءِ فأولئكِ عِنْد اللهِ هم الكاذِبُون [٥] ﴾ . شبِّهت إذْ بأنْ فدخلت الفاء بعدها ، كما تدخل فى جواب الشرط . انتهى .

قال ابن مالك : ولابد من هذه اللام مظهرةً أو مضمرة . وقد يستغنى بعد لئِنْ عن جوابٍ ، لتقدُّم ما يدلّ عليه ، فيحكم بأنّ اللام زائدة . فمن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة :

---

(١) الآية ٨١ من سورة آل عمران .
(٢) ديوان القطامى ٣٦ والهمع ٢ : ٤٤ .
(٣) المغنى ٢٣٥ والهمع ٢ : ٤٤ .
(٤) البيان ٣ : ٣٤٤ والقالى ١ : ١٥٠ والمغنى ٢٣٦ والهمع ٢ : ٤٤ .
(٥) الآية ١٣ من سورة النور .

أَلِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفِدَا قَلَّ الثّواءُ لئن كان الرحيلُ غَداَ [١]

ومثله :

فلا يدْعُنى قومٌ صريحاً لحُرَّةٍ لئن كنت مقتولاً ويسلمُ عامرُ [٢] .انتهى .

وقال (فى شرح الكافية) : لاَقسَمَ فى مثل هذه الصُّورة ، فلا يكونُ إلاّ شرط .

وقال ابن عصفور : وهذه اللام الداخلة على أداة الشرط عند البصريِّين زائدة للتأكيد ، وموطِّئة لدخول اللام على الجواب ، ودالّةٌ على القسم إذا حذف . انتهى .

ومثله لابن جنى (فى سر الصناعة) قال : واللام فى لئن إنمّا هى زائدة مؤكِّدة يدلُّك على أنّها زائدة ، وأنّ اللام الثانية هى التى تلقَّت القسم ، جوازُ سُقوطِها فى نحو قول الشاعر [٣] :

فأقسمتُ أنِّى لا أحُلُّ بصهوةٍ حَرامٌ علىَّ رملُه وشقائقُه [٤]
فإن لم تغيِّر بعضَ ما قد صنعتُم لَأَنتَحِيَنْ للعَظْم ذو أنا عارقُه

ولم يقل فلئن . ويدُّلك أيضا على أنّك إذا قلت : واللّٰه لئن قمت لأقومنّ ، أنّ اعتماد القسم على اللام فى لأقومّن ، وأنَّ اللام فى لئن زائدةٌ مِنْها بُدٌّ ، قولُ كثيرٍ :

---

(١) سبق الكلام عليه فى ص ٣٢٨ .

(٢) لقيس بن زهير ، كما سبق فى حواشى ٣٣٠ .

(٣) لعارق الطائى ، كما فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٧٤٥ واللسان (صها) .

(٤) ورواية الحماسة : « حرام عليك » ، وهو الصواب . وفى الحماسة واللسان : « فأقسمت لا أحتل » .

لئن عاد لى عبدُ العزيز بمثلها وأمكننى منها إذَنْ لا أقيلها [١]

فرفعُه أقيلها يدلُّ على أن اعتماد القسم عليه ، ولو أنَّ اللام فى لئن عاد لى هى جواب القسم لا نجزم لا أقيلها ، كما تقول : إن تقم إذن لا أقم . انتهى كلامه .

وهذا البيت ما بعده :

(وأركَبْ حماراً بين سَرجٍ وفَروةٍ وأُعرِ من الخاتام صُغرَى شِماليَا)

كذا أنشدهما الفراء وقال : أنشدنيهما بعض عُقيل فصيحةٌ [٢] ، ولم يصرِّح بقائلهِما .

وقوله : (لئن كان ما) إلخ اللام زائدة ، وما عبارةٌ عن الكلام ، وحُدِّثتَه بالبناء للمفعول ، والتاء للخطاب نائب الفاعل ، والهاء ضمير ما . وقد طغى قلم العَينىَّ هنا فقال : حُدِّثته على صيغة المجهول ، والضمير المستتر فيه مفعول نائب عن الفاعل . انتهى . و (اليومَ) ظرفٌ عامله حُدِّثتَه ، وصادقاً خبر كان من الهاء [٣] . وفيه إسنادٌ مجازىّ ، لأنَّ المتّصف بالصّدق حقيقة قائلُ الكلام لا الكلام . و (أصُمْ) جوابُ الشرط ، وفى متعلِّقة به . و (القيظ) : شِدّة الحرّ ، والفصل الذى يقول له الناس الصَّيف . و (للشَّمس) متعلّق ببادياً . والبادى : البارز . ورُوِىَ بدله : (ضاحياً) بمعناه . وبادياً حال من فاعل أصم .

وقوله : (أركَبْ) بالجزم معطوف على أصُمْ . والفَروة معروفة . وركوب الحمار بينَ السَّرج والفَروة هيئةُ مَنْ يُندَّد به ويُفضَح بين الناس . وقوله : (وأُعْرِ)

---

(١) لكثير عزة فى ديوانه ٣٠٥ . وقد سبق فى ٨ : ٤٧٣ بولاق .

(٢) فى معانى الفراء ١ : ٦٧ : « بعض بنى عقيل » ، وفى ٢ : ١٣١ : « وأنشدتنى امرأة عقليّة فصيحة » .

(٣) كذا فى النسختين ، ولعله : « خبر كان أو حال من الهاء » كما توقعه مصحح بولاق . وذلك باعتبار كان تامة عند القول بالحالية .

مجزوم بحذف الياء للعطف على أصمْ أيضاً ، وهو بضم الهمزة وكسر الراء ، مضارع أعراه إعراءً أى جعله عاريا . والخاتام : كالخَيتامِ : لغة فى الخاتم بفتح التاء وكسرها . وأراد بصغرى شِماله خِنصَرها ، فإنَّ الخاتم يكون زينةً للشمال ، فإنّ اليمين لها فضيلة اليُمْن ، فجَعْلُ الخاتَم فى الشِّمال للتعادل . يقول : إن كان ما نُقِل يعنى لك ، من الحديث صحيحاً ، جعلنى الله صائماً فى تلك الصفة ، وأركَبَنِي حماراً للخزيِ والفضيحة والنَّكال ، وجَعَلَ خِنصَر شِمالى عاريةً مِن حُسْنها وزينتها بقَطْعها .

هذا ما ظهر لى فيه . والله أعلم .

وعُقَيل بالتصغير : أبو قبيلة ، وهو عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد التسعمائة [1] :

٩٣٥ (حَلَفْتُ له إنْ تدلجِ اللَّيلَ لا يزَلْ أمامَك بيتٌ من بيوتىَ سائرُ)

على أنَّه جزم (لا يَزَلْ) فى ضرورة الشعر بجعله جوابَ الشرط ، وكان القياس أن يُرفع ويُجعل جواباً للقسم ، لكنَّه جزم للضرورة ، فيكون جواب القسم محذوفاً مدلولاً عليه بجواب الشرط .

وقال ابن عصفور : وليس حلفت فيه قسماً كما ذهب إليه الفرَّاء ، بل هو خبرٌ محضٌ غير مرادٍ به معنى القسم ، لأنّ القسم إذا تقدَّم على الشرط بُني الجوابُ عليه ولم يُبنَ على الشرط . انتهى .

---

(١) معانى الفراء ١ : ٦٩ والمقرب لابن عصفور ١ : ٢٠٨ .

ولا يخفى تعسُّفه ، والصوَّاب ما ذهب إليه الشارح المحقق .

قال الفراء : أنشدنى هذا البيتَ القاسمُ بن معنٍ عن العرب ، والمعنى : حلفت له لا يزال [أمامك (١)] بيت . فلمَّا جاء بعد المجزوم صُيِّر جوابا للجزم . ٥٤١

و (تُدْلج) : مضارع أدلج إدلاجا ، ومعناه سار اللَّيلَ كلَّه ، فإنْ سار من آخر اللَّيل فقد أدّلج بتشديد الدال . و (الليلَ) ظرف له . و (يَزَلْ) مضارع زال يزال من أخوات كان . و (أمامَك) بالفتح بمعنى قُدّامك ، خبرها مقدّم . و (بيتٌ) اسمها مؤخّر . و (من بيوتى) صفة له . وكذا (سائر) . وأراد بالبيت جماعةً من أقاربه ، وهذا مشهور . يقول : إنْ سافرتَ فى الليل أرسلتُ جماعةً من أهلى يسيرون أمَامك يخفُرونكَ ويحرُسونك إلى أنْ تصِل إلى مأمَنك .

وهذا البيت لم أقف على قائله ولا تتمَّتِه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(إنّك إنْ يُصَرع أخوكَ تُصْرَعُ)

وتقدم شرحه فى الشاهد الثانى والتسعين بعد الستمائة (٢) ، وفى الشاهد الحادى والثمانين بعد الخمسمائة (٣) . فراجِعْه .

* * *

---

(١) التكملة من معانى الفراء .

(٢) الخزانة ٩ : ٥٢ .

(٣) الخزانة ٨ : ١٩ – ٢٩ .

وأنشد بعده :

(لئن مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ)

وتقدَّم شرحه قريبا [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد التسعمائة [٢] :

٩٣٦ (فإنْ يَكُ مِنْ جنّ لَأبرَحَ طارقاً وإنْ يكُ إنساً ما كها الإنسُ تَفْعَلُ)

على أنّ أداة الشرط إذا لم يكن لها جواب فى الظاهر يجب أن يكون شرطُها ماضياً لفظا ومعنىً ، نحو : أكرمُك إن أتيتنى ، ومعنىً فقط نحو : أكرمك إن لم تقطَعْنى .

وقد يجىء فى الشعر مستُقبلاً . قال سيبويه : وقد يجوز فى الشعر آتِى من يأتِنى [٣] . وتقدَّم نقله فى الشاهد الرابع والتسعين بعد الستمائة .

وكذا شَرْطُ إنْ فى هذا البيت جاءمستقبلاً ، مع أنّه لا جزاءَ لها فى الظَّاهر . وهو خاصٌّ بالشعر .

وقد خلا كتاب الضرائر لابن عصفور من ذكر هذه الضرورة .

وبيان أنّ إنْ لا جواب لها هنا : أنّ قوله لَأبرحَ جوابُ قسم مقدَّر ، واللام الموطِّئة محذوفةٌ ، أى والله فلئن يكُ من جنٍّ لأبرحَ . وهذا دليلُ جوابِ الشرطِ المحذوف ، والتقدير : فإن يك من جنٍّ فقد أبرحَ . ولا يجوز أن يكون لأبرحَ جوابَ الشرط ، لاقترانه باللام التى يجاب بها القسَم ، فإنّ إنْ لا تأتى [٤] فى جوابها اللام ، وأبرحَ وإن كان ماضياً إلاّ أنّه فى معنى المستقبل ، لأنّه دليلُ جواب الشرط كما قاله الشارح المحقّق بعد هذه الأبيات . والماضى المتصرِّف إذا وقع جوابَ

---

(١) انظر ما سبق ٣٢٧ .

(٢) العينى ٣ : ٢٦٩ والهمع ٢ : ٣٠ . والبيت من لامية العرب . وانظر القالى ٣ : ٢٠٦ .

(٣) ط : « أتى من يأتى » صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٣٨ أو ٣ : ٧٠ هارون .

(٤) ش : « لا يأتى » .

قسم فالأكثر أن يقترن باللام مع قد ، نحو قوله تعالى : ﴿ تاللهِ لَقدْ آثَرَكَ اللهُ علينا (١) ﴾ ، أو ربَّما ، كقول الشاعر :

لئن نزحَتْ دارٌ لِسَلْمَى لرُبمَّا غَنِينا بخيرٍ والدِّيارُ جميعُ (٢)

أو بما مُرادِفةِ رُبمَّا ، كقول آخر :

فلئــــن بانَ أهلُـــــه لَبِمَـا كان يُؤهـــل (٣)

وقد يَستغنِي باللام الماضي المتصرِّف فى النظم والنثر ، قال تعالى : ﴿ ولئن أرسَلْنا رِيحاً فرأَوْهُ مُصفَرًّا لظَلُّوا مِنْ بَعدِهِ يَكفُرون (٤) ﴾ . وفى الحديث عن امرأةٍ من غِفَارٍ أنَّها قالت : « واللهِ لنزلَ رسول الله ﷺ إلى الصُّبح فأناخ » . وفى حديث سعيد بن زيد : « أشهدُ لسمِعتُ رسول الله ﷺ يقول : مَن أخذ شِبراً من الأرض ظُلماً (٥) » الحديث . ٥٤٢

وإن وُجدت استطالةُ قسَمٍ جازَ إفراد الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ والسَّماءِ ذات البُروج . واليَوْمِ الموعُودِ . وشاهِدٍ ومَشْهودٍ . قُتِل أصحابُ الأُخدود (٦) ﴾ ، وكقول النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده وَدِدتُ أن أقاتِلَ فى سَبيل الله فأُقتَل » الحديث (٧) . وإن لم توجد استطالةٌ والفعل غير متَصرِّف وجب الاقتران باللام مفردة كقوله :

(١) الآية ٩١ من سورة يوسف .
(٢) للمجنون فى ديوانه ١٩٣ وتزيين الأسواق ٦٨ .
(٣) لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ٣٣٢ . وانظر معجم الشواهد .
(٤) الآية ٥١ من سورة الروم .
(٥) انظر الحديث وتخريجه فى الألف المختارة من صحيح البخارى برقم ٣٠٧ وتمام الحديث : « طُوِّقَه من سَبْع أرَضِين » .
(٦) الآيات ١ – ٤ من سورة البروج .
(٧) أخرجه البخارى فى كتاب التمنى . من حديث أبى هريرة . وانظر شواهد التوضيح لابن مالك ١٦٢ – ١٦٣ .

* لعمرى لنِعم الفتى مالكٌ *

كذا فى شرح التسهيل لابن مالك .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من لاميّة العرب للشَّنْفَرَى.وقبله :

أبيات الشاهد

(وليلةِ نحسٍ يَصطلى القوسَ ربُّها وأقطُعَــهُ الــلاتى بها يتنبَّــلُ
دَعَستُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ ، وصُحبتى سُعـارٌ وإرزيـزٌ ووَجْــرٌ وأفكَــلُ
فأيَّمتُ نِسوانـاً وأيتـمت إلـــدَةً وعُدتُ كما أبـدأتُ واللَّيـلُ ألْيَـلُ
وأصبـحَ عَنِّـى بالغُمـيصَاءِ جالساً فريقـان : مسئُـولٌ وآخـر يَسأَلُ
فقالوا : لقد هَرَّتْ بليلٍ كلابُنـا فقلنا : أذِئبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرعُلُ
فلـم يك إلاّ نبـــأَةٌ ثمَّ هوَّمَتْ فقلنا : قَطاةٌ رِيعَ أم رِيع أجْدَلُ
فإن يكُ من جنّ لأبـرحَ طارقـا ....) البيت

قوله : « وليلة نحس » الواو واو ربَّ ، وأراد بالنحس البرد ، ولهذا يَصطلِى بالقَوسِ والسِّهامِ صاحبُها لشدَّةِ البرد .

وقوله : « دعست » إلخ دعست : دفعت دفعاً بإسراعٍ وعجلة ، وهو جوابُ رُبَّ . والغَطْش : الظُّلمة . والبَغْش : المطر الخفيف . وجملة وصحبتى إلخ حال من التاء . والسُّعار بالضم : حَرٌّ يجده الإنسان فى جوفه من شدَّة الجوع والبرد . وإرزيزٌ بالكسر : صوتُ أحشائه من الشِّدَّة . والوَجْر ، بالجيم والراء المهملة : الخوف . والأفكَلُ : الرِّعدة .

و « أيَّمتُ نِسواناً » أى جعلتهنَّ أَيامَى بقتْلِ أزواجهنّ . و « أيتمتُ إلدةً » أى جعلت الأوْلاد أيتاماً بقتل آبائهم .

وشرح هذه الأبياتِ الثلاثة تقدَّم بالاستيفاء فى الشاهد الثامن بعد الثمانمائة [١] .

وقوله : « وأصبحَ عنىّ » إلخ الغُميصاء بضم الغين المعجمة وفتح الميم وبعد المثناة التحتية صاد مهملة ، قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : موضع فى ديار بنى جَذيمة من بنى كنانة . وقال الشُّرَّاح : موضع بنجد . وجملة أصبح معطوفة على عُدْت . والجالس : اسم فاعل من جَلس الرجلُ ، إذا أتى الجَلَس ، بفتحتين [٢] ، وهو اسم نَجْد ، كما يقال أتهم الرجلُ ، إذا أتى تِهَامة .

قال الزّمخشرى (فى شرحه) : أصبح تستعمل ناقصة وتامّة ، والوجهان محتملان . أمّا كونها تامّةً فيحتمل أنّه أخبر عن الفريقين بأنَّهما دخلا فى الصَّباح فى هذه الحال ، وفريقان الفاعل وجالساً حال وبالغميصاء حالٌ من الضمير فى جالس ، أى أصبح جالساً وهو بالغميصاء . والوجه الآخر : أن تكون ناقصة وفريقان اسمها ، وجالسا خبرها ، والواجب أنْ يطابق الخبر الاسم فى التثنية والجمع ، ولكن اكتفى بالواحد عن الاثنين ، وقد جاء ذلك ، فمنه قوله :

وكأنَّ فى العينين حَبَّ قَرَنفُلٍ أو سُنْبُلاً كُحِلت به فانهلَّتِ [٣]

فأفرد كُحِلت وهو يريد كحلتا . وكذلك فانهلَّت أى فانهلَّتا . وأمّا « عَنِّى » فالعامل فيه فعلٌ محذوف يفسِّره يسأل ، تقديره أصبح يسأل فريقان ٥٤٣

(١) الخزانة ١٠ : ٣٤ – ٤٠ .

(٢) كذا فى النسختين ، والمعروف أنه بفتحة واحدة ، كما فى اللسان والقاموس ومعجم ياقوت . ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

فإن سكَنَتْ بالغور حنَّ صبابة إلى الغور ، أو بالجلس حنّ إلى الجلس

وقول بعض الأعراب :

وكنت امرأ بالغور منّى زمانةٌ وبالجَلْس أُخرَى ما تعيد وما تبدى

(٣) لسلمى بن ربيعة كما فى الحماسة ٥٤٧ بشرح المرزوقى . وانظر معجم الشواهد .

عَنِّى . والداعى إلى هذا التقدير أنَّ يسأل ومسؤل صفة لفريقان ، فلو عمل واحد منهما فى عَنّى لأعملت الصفة فيما قبلها ، ولا تعملُ فيما قبلها ، لأنَّها نازلة منزلة الصلة مع الموصول ، فكما أنَّ الصِّلَة لا تعمل فى الموصول ولا فيما قبله ، فكذلك الصِّفة . ويجوز أن يكون « عَنِّى » صفة لجالس فلما قدِّم صار حالاً . وبالغميصاء ظرف ، والعامل فيه جالس ، أى جالساً بالغميصاء ، ولا يعمل فيه ما هو صفةٌ لفريقان لما ذكرنا قبل . ويجوز أن يكون خبر أصبح ، أى أصبح فريقان مستقِرَّينِ بالغميصاء . فعلى هذا يكون جالساً حالا من الضمير المستقرّ . ولم تثنَّ الحالُ لما ذكرنا قبل من الاكتفاء بالواحد . ويجوز أن يكون حالا من فريقان ، لأنّه وإن كان نكرةً فقد وُصِف . ويجوز أن يكون جالساً صفة لفريقين ، وإنّما أُفرِد لما تقدَّم ، فلّما قُدِّم جالسا نُصب على الحال . ومسئول خبر مبتدأ محذوف ، أى أحدهما مسئولٌ والآخر يسأل . وقال شَيْخنا محبُّ الدين : الجيِّد أن تقدّر المبتدأ ، هما فريق مسؤل وآخر يسأل . انتهى كلامه .

وقوله : « وقالوا لقد هَرَّت » إلخ قال الزمخشرى : هرير الكلب : صوته ونُباحه من قلَّة صبرِهِ على البرد . وهَرّ الكلب يَهِرُّ هريرًا . والعَسُّ : الطَّوْف بالليل . وعَسّ الكلبُ ، إذا طاف وطلب ، ومنه سُمِّى العَسَس . والفُرعل بضمّتى الفاء والعين المهملة : ولد الضبع . والفاء رابطة لما بعدها بما قبلها ، واللام فى لقد جواب قسم محذوف ، أى والله لقد . وبليلٍ ظرف لهرَّت ، ويجوز جعله حالاً من كلابنا ، وموضع هذه الجملة نصبٌ بِقالوا . وقوله : « أذئبٌ » يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أى أهو ذئب عَسّ ، فعسَّ على هذا صفة ذئب ، أى عاسٌّ . ويجوز أن يكون مرفوعاً بفعل يفسره عَسّ ، وعلى هذا لا يكون لعسّ محلٌّ لأنّه مفسِّر . وأم معادِلة لهمزة الاستفهام متّصلة ، لأنّه يصح أن يقدر بأيُّهما فيقال أيّهما عَسّ . وقيل منقطعة ، لأنّ كل واحدٍ من الاسمين وهما ذئب وفرعل قد اختصَّ بخبرٍ أسنِد إليه . انتهى .

وقوله : « فلم يك إلاّ نبأةٌ » إلخ قال الزمخشرى : أصله يكون ، حذفت حركة النون بالجازم فحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، ثم حذفت النون لكثرة استعمال هذه الكلمة . ولا يقاس عليها . وكان هنا تامّة ، لأنّها بمعنى الوِجْدان ، ونبأة فاعلها . والنبأة : الصَّوت . والتَّهويم : النَّوم . وفاعل هوّمت ضمير الكلاب . وثُمَّ عطفَتْ جملة هوّمت على جملة لم يك . وريع : أُفزِع . والرَّوع : الإفزاع والأجدل : الصَّقْر . والمعنى أنّه لم يوجد من الأصوات [إلاَّ نبأة [1]] ، فزال نوم الكلاب كما يزول نوم القطاةِ والأجدلِ بأدنى حركة أو صوت . والكلام فى رفع قطاة وأم كما تقدَّم . وترك التأنيث فى ريعت شاذٌّ كقوله :

* ولا أرضَ أبقل إبقالَها [2] *

وقيل إنّ القطاة طائرٌ ، والطائر اسم جنس فلم تلحق التاء حَمْلاً على الجنس ، فكأنّه قال : أطائر ريع . انتهى .

وقوله : « فإن يك مِن جنٍّ » إلخ اسم يك ضمير يعود على الطارق المفهوم من المقام . والطارق : الذى يأتى ليلا . ومِن جِنٍّ خبره . وقال الزمخشرى : اسم يك مضمَر فيها ، أى إن كان المرء.ومن جنّ خبره ، أى جنّيًّا . واللام فى لأبرحَ جواب قسم محذوف ، أى والله لأبرحَ ، وجوابه أغنى عن جواب الشرط . والبَرْح : الشِّدَّة . وطارقاً تمييز ، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير فى أبرحَ ، وهو الطارق . والكاف يجوز أن تكون اسماً فموضعها نصبٌ بتفعل ، أى ما تفعل الإنس مثلَها . والضمير عائد إلى الفَعْلة التى وُجِدت . والإنس مبتدأ وتفعل خبره . انتهى .

٥٤٤

ودخول الكاف على الضمير ضرورة ، والضمير عائد إلى المفهوم من المقام ، أى ما تفعل الإنسُ مثلَ هذه الفَعْلة التى فَعلَها هذا الطارق .

---

(١) بمثلها يلتئم الكلام .

(٢) لعامر بن جُوَين الطائى . وهو من شواهد الخزانة ١ : ٤٥ وسيبويه ١ : ٢٤٠ .

وقال التبريزى فى شرحه : أبرحَ بمعنى كَرُمَ وعظُم ، ويجوز أن يكون حكى عن القوم ، فيريد أنّه كان يأتى بالبُرَحاء وهى الداهية . وقال فيه بعض اللغويين : أبرحَ : أتى بالبَرْح وهى الشدة . انتهى .

وترجمة الشنفرى تقدَّمت فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين [١] مع شرح أبيات من هذه القصيدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد التسعمائة [٢] :

٩٣٧ (فإنْ تبتئسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسطَلٍ   لمَا اغتبطتْ بالشَّنفرَى قبلُ أطوَلُ)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّ وقوع المضارع شرطاً لإن التى لا جوابَ لها فى الظاهر ضرورةٌ ، والقياس فإن ابتأست ، فإنّ جملة « لَمَا اغتبطت » إلخ جوابُ قسم مقدَّر ، ولامُ التوطئة قبل إن مقدّرة ، والتقدير : فوالله لئن لم تبتئس . وجواب الشرط محذوفٌ وجوباً مدلول عليه بجواب القسم .

و (تبتئس) : تفتعل من البؤس بالضم وسكون الهمزة ، ويجوز تخفيفها . يقال بئسَ بالكسر ، إذا نزلَ به الضُّرُّ ، فهو بائس . وابتأسَ : لَقِىَ بُؤسا وحُزنا . والباء سببية أى بسبب [٢] فراقِ الشَّنفرَى ، وهو صاحب هذه القصيدة الشهيرة بلاميَّة العرب . وهذا البيت منها ، والذى قبله أيضاً .

و (الشَّنْفَرَى) بالقصر ، قال التِّبريزى (فى شرح الحماسة) قال أبو العلاء : تكلَّم بعضُ الناس فى اشتقاق هذا الاسم ، فزعم قومٌ أنّه يراد به

(١) الشاهد من لامية العرب . وانظر أمالى القالى ٣ : ٢٠٥ .

(٢) ط : « سبب » ، صوابه فى ش .

الأسد ، وقيل الجَمل الكثير الشَّعر ، ويجب أن يكون من قولهم شِنفارة ، إذا كان حادًّا . وإن كان النون زائداً فيجوز أن يكون من قولهم : أذنٌ شُفاريّةٌ إذا كانت كثيرة الشعر والوبَر . وقالوا:ضَبٌّ شُفاريٌّ إذا كان طويلا ضخما . وقالوا شَفَر الرجلُ ، إذا أقلَّ العطية . وشَفَر المالُ ، إذا قَلّ . انتهى . وقال فى شرح القصيدة : قال أبو العباس ثعلب : الشَّنفرَى : البعير الضخم ، وقال : الشَّنفرَى : العظيم الشَّفتين . انتهى .

وتقدَّمت ترجمته مع شرح أبيات من أولها فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) .

والقَسْطَل : الغُبار . وأمُّ قُسطل : كنية الحرب ، سمِّيت به لأنّها تثير الغبار وتولِّدُه . و (اغتبطت) فاعله ضمير أمّ قسطل . واغتبط : مطاوع غبَطْتُه من الغِبطة ، يقال غبطت الرجل أغبِطُه غَبْطا من باب ضرب ، والاسم الغِبْطة بالكسر ، إذا اشتهيتَ أن يكون لك مِثلُ مالَهُ ، وأنْ يدوم عليه ما هو فيه . وحَسَدته أحسُده حَسَداً ، إذا اشتهيتَ أن يكون لك ما لَهُ وأن يزول عنه ما هو فيه . فغبطْتُهُ : تمنَّيت أن أكون مثله . واغتُبطَ صار مغبوطا . والباء للسببيّة ، و (قبْلُ) بالبناء على الضمِّ ، أى قبل موته ، وما مصدريَّة مؤوّلة مع الفعل بالمبتدأ ، بتقدير مضاف و (أطوَلُ) خبره ، والتقدير : لزَمَنُ اغتباطِها بالشَّنفرى قبل موته أطولُ من زمن بُؤسها بموته . وقال شُرّاح القصيدة : ما بمعنى الذى ، وهو مبتدأ ، وأطول خبره . ويجوز أن تكون ما مصدريَّة . فإذا كانت بمعنى الذى كان العائد محذوفا تقديره : للذى اغتبطت به من الشَّنفرى وبِسببه . هذا كلامهم ، ولا يخفى تكلُّفه . ٥٤٥

---

(١) الخزانة ٣ : ٣٤٣ – ٣٤٥ .

وقال المعرب : لَمَا اغتبطتْ جواب قسم محذوف ، وهذا الجواب أغنَى عن جواب الشرط ، والشرط هنا موطِّىء للقسم ، وأكثر ما يأتى باللام ، وقد جاء بغير لام . قال تعالى : ﴿ وإنْ لم ينْتَهُوا عَمّا يَقُولونَ ليمسَّنَّ الذين كفروا (١) ﴾ . انتهى .

ولم يتعرَّض أحدٌ منهم لِمَا تعرَّض له الشارح المحقّق .

* * *

وأنشد بعده :

(لئن تكُ قد ضاقَتْ عليكمْ بُيوتُكُمْ   لَيَعَلُم رَبِّى أنَّ بيتِىَ واسعُ)

على أنَّ فعلَ الشرط المحذوفَ جوابه قد جاء مضارعاً فى ضرورة الشعر ، والقياس : لئن كانت .

وتقدم شرحُه فى الشاهد الرابع عشر بعد الثمانمائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد التسعمائة (٣) :

٩٣٨ (إمَّا تَرَيْنا حُفاةً لا نِعالَ لنا   إنّا كذلِكِ ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ)

على أنّ مجىء الشرط فيه مضارعاً كالأبيات التى قبله ضرورةٌ ، والقياس إمَّا رأيتنا .

و (إمّا) أصله إن الشرطيّة وما الزائدة ، ولام التوطئة مقدَّرَةٌ قبل إنْ ، وجملة (إنّا كذلك) إلخ جواب القسم المقدّر ، وهو دليل جواب الشرط . والذى دلَّنا

---

(١) الآية ٧٣ من سورة المائدة .

(٢) الخزانة ١٠ : ٦٨ - ٧١ .

(٣) الأزهية ٧٧ ، ١٥٢ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٦ ، ٣٤٥ والمغنى ٣١٤ وديوان الأعشى ٤٥ .

على أنَّ هذه الجملةَ جوابُ القسم عدمُ اقترانها بالفاء . ولا يحسُن جعلها جوابَ الشَّرط بادِّعاء حذْفها ، لأنَّ حذفَها خاصٌّ بالشعر كما يأتى فى الشَّرحِ قريبا .

ولم يصب التِّبريزى وشارحُ جمهرة الأشعارِ فى قولهما : حذف الفاء لعلم السامع ، والتقدير : فإنّا كذلك نحفى وننتعل . انتهى .

وأشارَ إلى أنَّ ما الثانية زائدة أيضا .

ورُوى بدلها : « قد نحفَى وننتعل » . و (ترينا) خطابٌ لامرأة . وحُفاة : جمع حافٍ ، وهو الذى يمشى بلا نعل . وجملة (لا نِعالَ لنا) صفة كاشفة لحفاة . قال الشارحان : المعنى إن ترينا نتبذّل مرّةً ونتنعم أخرى ، فكذلك سبيلُنا . وقيل : المعنى إن تَرَينا نستغنى مرّةً ونفتقر مرّة . وقيل : المعنى إن ترينا نميل إلى النساء مرّة ونتركهنّ أخرى . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأعشى مشهورة ، قد أُلحقت بالمعلَّقات ، وتقدَّم شرح أبياتٍ منها . وقبله :

(قالت هُريرةُ لمّا جئت زائرها ... ويلى عليكَ وويلى مِنكَ يا رجلُ)

قالوا : هذا البيت أخنثُ بيتٍ قالته العرب . و « زائرها » حال من التاء بتقدير زائرًا لها . وإنمّا قالت له كذا لسوء حاله . وقولها : « ويلى عليك » لفقْرِك ، و « ويلى منك » لعدم استفادتى شيئاً منك . ثم أخذَ فى تبيين سبب سُوء حاله بأنّه قد أفنى مالَه فى ملاذّ نفسِه وشَهَواتها ، فقال مجيباً لها بقولِه : إمّا ترَينا حفاةً ، إلخ ، وهو بتقدير القول ، أى فقلت لها : إمّا ترينا إلخ . وبعده :

أبيات الشاهد

(وقد أُخالسُ ربَّ البيتِ غَفلتَه ... وقد يُحاذِر منّى ثم ما يَئِلُ
وقد أقودُ الصِّبا يوماً فيتبعنى ... وقد يصاحبنى ذو الشِّرَّةِ الغزِلُ
وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُنى ... شاوٍ مِشَلٌّ شلول شُلشُلٌ شوِلُ

٥٤٦

في فتيةٍ كسيُوف الهند قد عَلموا أنْ هالكٌ كلُّ مَن يحفَى وينتعلُ
نازعْتُهمْ قُضُبَ الرَّيحانِ مُتّكِئاً وقهــوةً مُزّةً راووقهــا خَضِلِ
لا يستَفيقونَ منها وهى راهنةٌ إلاَّ بهاتِ وإنْ عَلُّوا وإنْ نَهلوا
يَسعَى بها ذو زُجاجاتٍ له نَطَفٌ مُقَلّصٌ أسفلَ السِّربالِ مُعتمِلُ
ومستجيبٌ تخال الصَّنْج يسمعه إذا ترجِّع فيه القَينـةُ الـفُضُلُ
والسّاحباتُ ذُيولَ الخزِّ آونـةً والرافلاتُ على أعجازها العِجَلُ
مِن كلِّ ذلك يومٌ قد لهوتُ به وفى التجارب طُولُ اللّهو والغزَلُ)

قوله : « وقد أخالس رَبّ البيت » إلخ أُسارق ، ويروى « أراقب » ، وغفلتَه بالنصب بدل اشتمالٍ من رَبِّ البيت . وإنّما يراقب غفلته ليلهوَ بامرأته . وهذا ممَّا يقتضى بذلَ المال لها حتّى توافقه . وقوله « ما يَئِل » أى ما ينجو منّى ولا يخلص . ووأل يَئِل بمعنى نجا ينجو ، والموئل : موضع النجاة .

وقوله : « وقد أقود » إلخ الصِّبا اسمٌ من صبا يصبو صَبوة ، أى مال إلى الجهل والفتوَّة . وفيه قلبٌ ، أى يقودنى الصبا فأتبعه . والشِّرَّة بالكسر هى شِرَّةُ الشَّباب ، وهو حِرصُه ونشاطه . ويروى بدله : « ذو الشّارة » وهى الهيئة الحسَنة . والغَزِل بكسر الزاى ، وهو الذى يحبُّ الغزل بفتحتين ، وهو محادثة النساء . وهذا أيضاً مما يوجب بذل الأموال .

وقوله : « وقد غدَوت » إلخ أى ذهبت غُدوة . والحانوت : بيت الخَمَّار . والشّاوى : الذى يشوى اللحم . والمِشَلّ بكسر الميم وفتح الشين : الخفيف فى الحاجة . والشُّلشُل ، بضم الشينين : المتحرّك والشَّوِل بفتح أوّله وكسر ثانيه : الذى يَحمِل الشىء ، يقال شلت به وأشلته . وقيل هو من قولهم : فلانٌ يَشُول فى حاجته ، أى يُعنَى بها ويتحرَّك فيها . ومن رواه « شُوَل » بضم ففتح فهو معناه ، إلاّ أنّه للتكثير . وهذا أيضاً يحمل على الإسراف فى المال .

وقوله : « فى فتية » إلخ أى مَعَ فتية . وشبَّههم بالسيوف فى الصَّرامة والمضاء . وقوله : « قد علموا » إلخ هذا عذرُهم فى إتلاف المال فى اللذات (١) .

وعدم ادِّخارهم شيئاً لأنّه لا وجه لادِّخارهم ، مع علمهم أنّه لا ينجو شريفٌ ولا وضيع من الموت ، ولا غنىٌّ ولا فقير . وروى بدله :

.... قد علموا أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الحِيَلُ

أى قد علموا أنّ ما قُدِّرَ عليهم فلابد أن يكون . يريد أنّ الفتيان قد علموا أنّ الموت يعم الناسَ جميعاً ، فهم يُبادِرُون إلى اللذاتِ ، قبل حلول الموتِ فيهم .

وهذا البيت من شواهد كتاب سيبويه والمفصَّل وغيره ، وهو تخفيف أنَّ المفتوحة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف . قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الأعرج وغيره : ﴿ أنْ لعنةُ اللهِ ﴾ و ﴿ أن غَضَبُ اللهِ ﴾ : من خَفّف ورفع فأنْ عنده مخفّفة واسمُها ضمير الشأن محذوف ، ولم يكن من إضماره بدٌّ لأنّ المفتوحة إذا خفّفت لم تصر حرفَ ابتداء ، إنمّا تلك إنّ المكسورة ، وعليه قول الشاعر (٢) :

* قد علموا أنْ هالك * .....البيت

أى بأنّه هالك كلُّ من يحفى وينتعل . وسبب ذلك أنّ اتصال المكسورة باسمها وخبرها اتصالُ العامل بالمعمول فيه ، واتصال المفتوحة باسمها وخبرها اتصالانِ : أحدهما اتصال العامل بالمعمول فيه ، والآخر اتصال الصّلة

---

(١) الكلام من هنا إلى « اللذات » التالية ساقط من ش .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٤٥ . وهو بتمامه :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل

وانظر المحتسب ١ : ٣٠٨ / ٢ : ١٠٢ – ١٠٣ .

بالموصول . ألا ترى أنّ ما بعد المفتوحة صِلةٌ ، فلمّا قوى مع الفتح اتصالُ أنَّ بما بعدها لم يكن لها بدٌّ من اسم مقدّر محذوف تعمل فيه ، ولمّا ضعف اتصال المكسورة بما بعدها جاز إذا خفّفت أن تفارق العملَ وتخلُصَ حرفَ ابتداء . انتهى .

وقال السيرافى : وفى كتاب مَبْرُمان : هذا البيت معمولٌ . والبيت :

* أن ليس يَدفعُ عن ذى الحِيلة الحِيَلُ *

قال : والشاهد فى كلتا الروايتين واحد ، لأنه فى إضمار الهاء ، وتقديره أنَّه هالك وأنّه ليس . ٥٤٧

قال ابن المستوفي : والذى ذكره السِّيرافى صحيح ، ولا شكّ أن النحويِّين غيَّروه ليقع الاسم بعد أَن المخففة مرفوعا ، وحكمه أنْ يقع بعد أنَّ المثقلة منصوباً ، فلما تغيَّر اللفظ تغيَّر الحكم . وقال سيبويه : أن هالك الرفع فيه على إضمار الهاء . انتهى .

وقوله : « نازعتهم قُضُب الرَّيحان » إلخ نازعْتُهم : جاذبتهم . وقُضُب : جمع قضيب ، يريد : تناولت منهم قُضُب الريحانِ عند التحِيَّة ، فإنّهم يُناوِلون الرّيحانَ عند ما يحيِّى بعضُهم بعضا . وقال الأصمعى : هذا تمثيل ، يريد نازعتهم حَسَن الأحاديث وطرائفَها . والقهوةُ : الخمر . والمُزّة بالضم : المُزَّاء التى فيها مزازة . والرَّاووق : إناء الخمر ، قاله ابن حبيب . وقال أبو عبيدة : الراووق والنّاجود : ما يخرُج من ثَقْب الدَّنّ والمعروف من الكرابيس [1] يروِّق فيه الخمر . والخَضِل ، بفتح فكسر : الدائم النّدَى .

(١) فى اللسان : « والكرباس : راوق الخمر » .

وقوله : « لا يستفيقون » إلخ أى شربُهم دائم ليس لهم وقتٌ معلوم يشربون فيه . والرَّاهنة ، بالنون : الدائمة ، وقيل المُعَدَّة . والراهية بالمثناة التحتيَّة : الساكنة (١) . وقوله : « إلاَّ بهاتِ » ، أى بقولهم : هاتِ ، أى إذا ابطأ عنهم قالوا : هاتِ . وقوله « إنْ عَلُّوا » أى إن شربوا مرّة بعد مرة . والعَلَل : الشُّرب الثانى . وقوله : « نهِلوا » أى شربوا مرة واحدة .

وقوله : « يسعى بها » أى بالقهوة . والنَّطَف ، بفتحتين : القِرَطة ، والواحدة نَطَفةٌ ، وقيل اللؤلؤ العظام . ومُقلِّص بكسر اللام : مشمِّر ، وهو صفة ذو زجاجات . والسِّربال : القميص . والمعتمِل : الذى يعمل ، وهو النشيط . وقيل النُّطَف : التُّبَّان بلغة أهل اليمن ، من جلدٍ أحمر .

وقوله : « ومستجيب » إلخ أى وعندنا مستجيب ، وأراد به العُود ، أى إنّه يجيب الصّنج ، فكأنَّ الصَّنج دعاه فأجابه . قال أبو عمرو : يعنى بالمستجيب العودَ شبَّه صوته بصوت الصَّنج ، فكأنَّ الصنج دعاه فأجابه . وروى بالجر فيكون معطوفا على فتيةٍ قبله بأربعة أبيات . ويَسمَعه روى بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول ، والقينة فاعل ترجِّع ، وهى عند العرب الأمَة مغنّيةً كانت أم غير مغنِّية . والفُضُل ، بضمتين ، قال أبو عبيدة : هى التى عليها ثوبٌ بلا درع . وقال أبو عمرو : هى التى لبست فضول ثيابها ، وهى ثياب الخِدمة .

وقوله : « والسَّاحِبات » بالرفع والجر كالذى قبله . والرافلات : النساء اللواتى يرفُلْن بثيابهنّ أى يُجرِّرنها . والعِجَل بكسر ففتح ، هو جمع عِجْلةٍ ، وهى مَزادةٌ كالإداوة . قال أبو عُبيدة : شبّه أعجازهنّ لضِخمها بالعِجَل . وقال الأصمعى : أراد أنّهن يخدُمنهُ معَهنَّ العِجَل فيهنّ الخمر .

---

(١) إشارة إلى رواية « راهبية » ، وهما روايتان ، كما فى اللسان (رها ٦٣) .

وقوله : « مِن كل ذلك » إلخ خبره مقدّم ، ويومٌ مبتدأ مؤخر ، وقد لهوت به صفته ، وفى التجارب خبر مقدم : جمع تجرِبَة ، وطول مبتدأ والغَزَل معطوف عليه . يقول : لهوت فى تجاربى وغازلت النساء .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(لئن مُنِيتَ بنا)

تمامه :

.... عن غِبٍّ معَرَكةٍ لا تُلفِنا عن دماء القوم نَنْتفِلُ)

وتقدم شرحه قريبا [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(مَنْ يفعل الحسناتِ اللهُ يشكُرُها)

تمامه :

(والشرُّ بالشرِّ عند الله مثلانِ)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى والتسعين بعد الستمائة [٣] . ٥٤٨

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .
(٢) هو الشاهد ٩٣٣ فى ص ٣٢٧ .
(٣) الخزانة ٩ : ٤٩ – ٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد التسعمائة [١] :

٩٣٩ (فإن عَثَرْتُ بَعْدَهَا إنْ وألَتْ نفسىَ مِنْ هاتا فقُولاَ لا لَعَا)

على أنَّه إن دخل الشرط على شرط بدون فاء كانَ الجواب للشرَّط الأوّل ، وكان الشرطُ الأوّلُ مع جوابه جوابَ الشرط الثانى . والتقدير : إن وألت نفسى فإن عثرت بعْدَها فقولا : لا لعا .

وهذا البيت من مقصورة ابن دريد المشهورة ، وهو من المولَّدِين ، فكان الأَوْلَى الاستشهاد بكلامِ مَن يوثق به ، كقوله :

إن تستغيثوا بنا إنْ تُذعَرُوا تَجِدُوا مِنَّا معاقلَ عَزٍّ زانها كرمُ [٢]

أى إن تُذعَروا فإن تستغيثوا بنا تَجِدُوا إلخ . وفيه ضرورة ، وهو وقوع الشَّرط الثانى المحذوفِ جوابُه مضارعاً ، والقياس مُضِيُّه كما تقدّم .

ونقل شُرَّاح التسهيل عن ابن مالك أنّ الشرطَ الثانىَ مقيِّد للأوّل بمثابة الحال ، فكأنّه قيل فى البيت : إن تستغيثوا بنا مذعورين .

وجعله بعضُهم مؤخَّرا فى التقدير ، فكأنه قال : إن تستغيثوا بنا تجدوا معاقل عِزٍّ إن تذعروا ، وما قبله الجوابُ ، فهو على هذا مقدَّم فى المعنى .

قال ابن عقيل : والصَّحيح فى مسألة توالى الشروط أنَّ الجواب للأوّل ، وجواب الثانى محذوفٌ لدلالة الشرط الأوّل وجوابِهِ عليه ، وجواب الثالث محذوفٌ لدلالة الشرط الثانى وجوابِهِ عليه . فإذا قلت : إنْ دخلتُ الدارَ إنْ كلّمت زيدا إن

(١) مقصورة ابن دريد والمغنى ٦١٤ .

(٢) سقطت كلمة « منا » من ط . والبيت ، وهو مجهول القائل ، من شواهد المغنى ٤١٦ والعينى ٤ : ٤٥٢ والتصريح ٢ : ٢٥٤ والأشباه والنظائر ٤ : ٣٤ والأشمونى ٤ : ٣١ .

جاء إليك فأنت حرٌّ ، فقولك : فأنت حُرٌّ جوابُ إن دخلْتَ ، وإنْ دخلتَ وجوابُه دليلُ جوابِ إنْ كلّمت ، وجوابُه دليل جواب إن جاء . والدليل على الجواب جوابٌ فى المعنى ، والجواب متأخّر ، فالشرط الثالث مقدَّم ، وكذا الباقى ، وكأنّه قيل : إن جاء فإن كلمت فإنْ دخلت فأنت حُرٌّ. فلا يَعتِقُ إلاّ اذا وقعت هكذا : مجىءٌ ، ثم كلامٌ ، ثم دخول . والسَّماع يشهد لهذا القول ، قال : « إن تستَغيثُوا بنا » البيت . وعليه عملُ فصحاءِ المولَّدين ، وقال ابن دريد :

* فإنْ عثرتُ بعدها إنْ وألَتْ * البيت

وقال بعض الفقهاء : الجواب للأخير ، والشرط الأخير وجوابهُ جواب الثانى ، والشرط الثانى وجوابه جواب الأوَّل . وعلى هذا لا يعتِقُ حتّى يوجد كذلك دخولٌ ثم كلامٌ ثم مجىء . وقال بعضهم : إذا اجتمعت حصل العتق تقدَّم المتأخر أوْ لا . وما ذُكِر محمولٌ على ما إذا كان التوالى بلا عاطف ، فإن عُطِف أحد الشرطين على الآخر فإن كان العطف بأوْ فالجواب لأحدهما من الأوّل والثانى دون تعيين ، نحو : إن جئتنى أو إنْ أكرمتَ زيداً أحسِنْ إليك . وقالوا فيما إذا دخلت الفاء على أداةِ شرطٍ بعد أخرى ، نحو : إن جئتنى فإن أحسنتَ إلىّ جئتك : إنّ الجوابَ للثانى ، وما دخلت عليه الفاء من الشرط وجوابه جوابُ الأوّل . وهذا فيه إخراجُ الفاء عن العطف وجعلُها لربط جملة الجزاء بالشرط .

وقال ابن مالك (فى شرح الكافية):إذا اجتمع شرطانِ بعطفٍ فالجوابُ لهما ، كقوله تعالى : ﴿ وإنْ تؤمنوا وتتَّقوا يُؤْتِكم أجورَكم ولا يَسئَلكُمْ أمْوالَكُم إنْ يَسْئلْكُموها فيُحْفِكُم تبخلوا ويُخرِجْ أضغانَكُمْ (١) ﴾ . وهذا على مقتضى ما سبق فيما إذا كان العطف بالواو وإن تكرَّرت أداة الشرط ، وفيما إذا كان

(١) الآية ٣٧ من سورة محمد .

العطف بالفاء . وإنما تكرر الشّرط بلا أداة فى المكرّر . وأمَّا المعطوف بأوْ فلا يدخل فى هذا ، لما عُلِم من أنَّ أوْ لأحد الشيئين أو الأشياء ، فليس المقصود مجموعَ الشرطين بل أحدَهما . وهذا بخلاف ما نحنُ فيه ؛ فإنّ المقصودَ المجموعُ ، فالتوالى على الجواب لم يتحقَّق فى العطف بالواو والفاء .

قال ابن عقيل : وثبت فى نسخة من التسهيل عليها خطّه بعد قوله : « وإنْ توالى شرطان أو قسم وشرط استُغنَى بجواب سابِقِهما » ما نصُّه : « وثانى الشرطين [لفظًا [1]] أوّلُهما معنىً فى نحو : إن تتُبْ إنْ تذنب تُرحَم » . وظاهر هذا الكلام يقتضى أنّه إنّما يرى تقديم المؤخّر فيما كان نحو هذا ، وهو ما يكون فيه الأوّل مترتّبا على الثانى وقوعاً عادة ، فهو موافقٌ للقول الأوّل الصحيح من وجهٍ ومخالفُهُ من وجه . فالموافقة فى اعتقاد التَّقديم من تأخيره ، والمخالفة فى الإشعار بالتفصيل ، إذْ قَضِيّتُه أنّهما إذا لم يكونا كذلك فكلٌّ منهما واقعٌ موقعَه ، نحو : إن جئتَنى أن أحسنتَ إلىّ أكرمتك . وأصحاب القول الأوّل لا يَفرِقون بين المرتبة وغيرها . فالمتأخّر عندهم متقدّم مطلقًا . انتهى .

وبيت ابن دريد قبلَه :

أبيات الشاهد

(ما كنتُ أدرى والزّمانُ مُولَعٌ بشَتِّ مَلموعٍ وتنكيثِ قُوَى
أَنَّ القضاءَ قاذِفِي فى هُوّةٍ لا تَستبِلُّ نفسُ مَنْ فيها هوَى)

وبعده :

(وإن تكن مُدّتها موصولةً بالحَتْفِ سلّطْتُ الأُسى على الأَسَى)

وقوله : « ما كنت أدرِى إلخ ، المولَع : مِنْ أولع بالشىء على مالم يُسمَّ فاعله ، فهو مُولَع بفتح اللام ، أى مُغرَمٌ به ، والباء متعلّقة به.والشَّتُّ : مصدر

---

(١) التكملة من ش .

شتّ الأمرُ يَشِتُّ بالكسر شتًّا وشتاتا ، أى تفرَّق . وجملة « والزمان مولَعٌ » إلى آخر البيت اعتراضٌ بين أدرى وبين ما سدّ مسدّ مفعوليها ، وهو : « أنّ القضاء » البيت الآتى . والملموم : المجتمع . والتنكيث : النقض . والقُوَى : جمع قُوّة ، وهى فى الأصل إحدى طاقات الحبل ، ثم استُعير . ويكتب بالألف عند البصريين لأنّ ألفه منقلبة عن واو . وبالياء عند الكوفيِّين لانضمام أوّله . وهذا المعنى مأخوذٌ من قول جرير :

لا يأمنَنَّ قوىٌّ نقْضَ مِرَّته إنِّى أرى الدهر ذا نقضٍ وإمرارِ (١)

وقوله : « أنَّ القضاء » إلخ أنّ بفتح الهمزة مع معمولها سدَّت مَسَدَّ المفعولين لأدرى فى البيت السابق . والقاذف : الرامى ، وهو مضاف إلى ياء المتكلم . والهُوّة بضم الهاء : حفرة يَضِيق أعلاها ويتَّسع أسفلُها . ولا تَستبِلُّ : لا تبرأ، مِنْ بَلَّ من مرضه وأبَلَّ ، إذا بَرأ منه . وكان حقّه أن يقول : لا تنجو ولا تخلص ونحوهما . وجملة لا تستبلّ إلخ صفةُ هوّة . وهَوَى : سَقَط ، يكتب بالياء . وهذا المعنى مأخوذٌ من قول الأفوه الأودىّ (٢) :

فصروفُ الدهر فى أطباقِهِ خِلفةٌ فيها ارتفاعٌ وانحدارُ (٣)
بينما الناسُ على عَليائها إذ هَوَوْا فى هُوّةٍ منها فغارُوا

وقوله : (فإن عَثَرتُ) إلخ عثرت : سقطت ، ومصدره العِثار . وأمَّا العثور فهو مصدر عَثَرَت عليه بمعنى اطَّلعت عليه . و (وألت) : نجت وخَلصت ، وفعله وأل يَئِل وَأْلا من باب ضرب . والموئل : موضع النَّجاة . والضمير فى بعدها

(١) ديوانه ٣١٠ من قصيدة مطلعها :

حيُّوا المَقام وحيُّوا ساكن الدار ما كدتَ تَعرِف إلاّ بعد إنكار

(٢) ديوان الأفوه ١١ من الطرائف الأدبية .

(٣) الأطباق : جمع طبق ، وهو الحال . وفى التنزيل العزيز : « لتركبُنَّ طبَقًا عن طبَق » .

راجعٌ إلى الهُوّة ، وقيل راجع إلى العَثْرة المفهومة من عَثرت . ونفسى فاعل وألت .
هاتا (١) بمعنى هذه ، والمشار إليه الهُوّة . وها حرف تنبيه . وتا : اسم إشارة للمؤنث ، وهى ستعمل على أربعة أضرب : إما أنْ تستعمل مفردةً وليس معها ها تنبيهٍ ولا حرفُ خطاب ، كقولك : تا ، وهذا أخصَر ما يكون . وإمّا أن يكون معها حرف التنبيه مثل هاتا . وإمّا أن يكون خطابٌ وتنبيه مثل ها تاكَ ، أو خطاب بلا تنبيه مثل تاك .

وقوله : (لالعاً) قال الخليل : لعاً كلمةٌ تقال عند العثرة . وقال ابن سيده : لعاً كَلمةٌ يدعى بها للعاثر ، معناها الارتفاع . وقال أبو محمد بن السِّيد : لعا من أسماءِ الفعل مبنىٌّ على السكون ، والتنوينُ فيه علامة التنكير كالتنوين فى صهٍ ومهٍ . وهى كلمة يراد بها الانجبار والارتفاع . وقد بيَّن أبو عثمان سعيدُ بن عثمان القَزّاز الفِعلَ الذى لعاً اسمُه فقال : يقال لَعَا لكَ الله ، أى نعَشَكَ الله ورفَعَك . فلعا اسمٌ لنَعَش ، كما أنّ هيهات اسمٌ لبَعُد ، وصَه اسمُ لاسكُتْ . ولا فى قوله لا لعا : نفىٌ للدُّعاء . ولعا تكتب بالألف ، لأنَّها منقلبة عن واو ، ولذلك أدخلها الخليل وغيره فى باب العين واللام والواو .

وحكى أبو عُبيدٍ (فى الأمثال) : « ومن دعائهم لا لعاً لفلان ، أىْ لا أقامه الله » .

فجعلَ لعا اسما لِأَقامَهُ الله . وهو قريبٌ من القول الأوَّل ، لأنّه إذا أقامه فقد رفَعه ، وإذا رفَعَه فقد نَعَشه .

وقد ردَّ عليه ذلك أبو عُبيدٍ البكرىّ وقال : هذا ما قاله أحد ، وإنّما قال

---

(١) ش : « وهاتا » مع كتابه الواو بخط مغاير .

اللُّغويون : لعاً : كلمة تقال للعاثر فى معنى اسْلَم ، وكذلك دَعْدَع (١) . وقد روى فى حديث مرفوع « أنّه كره أنْ يقال للعاثر دَعْدَع ، وليقل له : اللَّهُمَّ ارفَعْ وانْفع » . وقال الأعشى ميمون :

بذاتِ لَوْثٍ عَفَرناةٍ إذا عثَرتْ فالتَّعسُ أدنى لها مِنْ أن يُقالَ لَعا (٢)

ومعنى البيت ينظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يُلدَغ المؤمنُ من جُحرٍ مرَّتين (٣) » ، وتأويله : أنّه ينبغى له إذا نُكب من وجهٍ أن لا يعود لمثله . فابن دريد يقول : إن عثرتُ بعد أن نجَتْ نفسى من هذه فحقٌّ أن يقال لى : لالعاً ، لأنّى خالفتُ قول النبى ﷺ .

وقوله : « وإن تكن مُدَّتُها » إلخ أى مُدّة النكبة ، المفهومةِ من قوله :

* أنَّ القضاءَ قاذِفِى فى هُوّة *

وموصولة : متّصلة . والحتف : الموت ، يقال مات فلانٌ حتفَ أنفِه وحتف أنفَيْه ، إذا مات على فراشه من غير قَتْل . والإِسى الأوّل بكسر الهمزة وضمها والقصر ، جمع إسوة بكسر الهمزة وضمها ، وهو القُدوةُ وما يأتَسِى به الحزين ، أى يتعزَّى ويتسلَّى ، يكتب بالياء على مذهب الكوفيِّين وبالألف عند البصريِّين ، لأنّ ألفه منقلبة عن الواو . والأسَى الثانى بفتح الهمزة والقصر ، هو الحُزْن ويكتب بهما ، لأنَّ التثنية أَسَيانِ وأسَوَان . وأما الإِساء بكسر الهمزة والمدّ

---

(١) ش : « دغدغ » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ط وفصل المقال للبكرى : ١٠١ . وفى القاموس : « ودعْ ودعْدَعْ مبنيين على السكون ، كانت تقال للعاثر ، كدعدعاً ودعاً منوّنتين . أو لم يستعمل إلا كذلك » .

(٢) ديوان الأعشى ٨٣ . والمحتسب ١ : ١٤١ .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد ، من حديث أبى هريرة . الجامع الصغير ٩٩٨٥ .

فهو الدَّواء . واسم الفاعل الآسى كالقاضى ، وهو المُداوِى والطَّبِيب ، وجمْعُهُ الإساءُ ، كراعٍ ورِعاء ، ويجمع على أُساة أيضاً ، كرام ورُماة .

ومعنى البيت مأخوذٌ من قول الخنساء :

وما يبكون مثلَ أخى ولكن أُعزِّى النفس عنه بالتأسِّى [1]

وقال الشَّمردَل [2] بن شريك ، وقيل غيره :

ولولا الأُسَى ما عِشت فى الناس ساعةً ولكنْ إذا ما شئت جاوَبَنى مِثْلِي [3]

٥٥١ وترجمة ابن دريد تقدمت مع شرح أبياتٍ من هذه المقصورة فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة (٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد التسعمائة [5] :

٩٤٠ (فأمَّا الصُّدورُ لا صُدُورَ لجعفرٍ)

على أنّه لا تحذف (الفاء) من جواب (أمَّا) إلاَّ فى الضرورة كما هنا ، فإنَّ التقدير : فلا صدور لجعفر .

والصُّدور مبتدأ ، وجملة « لا صدُور لجعفر » من اسم لا النافية للجنس وخبرها فى محلِّ رفع خبر المبتدأ . وهذا كقوله :

---

(١) ديوان الخنساء ٨٥ .

(٢) ش : « الشمرذل » مع طمس نقطة الذال بجعلها فتحة ، والصواب ما فى ط . والشمردل بن شريك : شاعر من شعراء الدولة الأموية ترجم له فى الشعراء ٧٠٤ والأغانى ١٢ : ١١٦ – ١١٧ والمؤتلف ١٣٩ . وهو من شعراء الحماسة .

(٣) نسبه فى اللسان (أسا ٣٨) إلى حريث بن زيد الخيل .

(٤) الخزانة ٣ : ١١٩ – ١٢١ .

(٥) ابن يعيش ٧ : ١٣٤ / ٩ : ١٢ .

* فأمَّا القتالُ لا قتالَ لديكُمُ (١) *

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد السادس والسبعين من أوائل الكتاب .
ورابط الجملة بالمبتدأ هو العموم المستفادُ من النفى ، فإنّ قوله « لا صدور » عامٌّ يشمل الصدور المتقدِّمة وغيرَها ، فصار بمنزلة الذِّكر العائد . وقد بيِّن هناك .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(ولكنَّ أعجازاً شديداً ضَرِيرُها)

هكذا أنشده جماعةٌ من النحويِّين ، منهم أبو على (فى التذكرة وغيرها) ، وابن جنى (فى سر الصِّناعة وغيره) ، وابن يعيش وابن خلف وغيرهم . ووقع فى نسخ الشرح : (لديكُم) بدل (لجعفر) . وهو تخليطٌ من النُّسَّاخ . وقبله :

(تُزاحِمُنا عند المكارم جَعفرٌ بأُعجازها إذْ أسْلَمْتَها صدورُها)

كذا أنشدهما يعقوب بن السكيتَ عن المفضَّل ، لرجلٍ من الضِّباب (فى كتاب أبيات المعانى) ، وقال : يقول : بنو جعفرٍ ضعفاءُ عن حربنا ، استعانوا بالنِّساء . وذلك أن قُطَيَّة بنتَ الحارث تزوَّجها بشرُ بن الوليد بن عبد الملك بن مَرْوان ، فكان بين الضِّباب وجعفرٍ حرب ، فأعانت بنو أميّة بنى جعفر على الضِّباب . انتهى كلامه .

وجعفر : أبو قبيلة ، وهو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقوله : « بأعجازها » متعلِّق بتُزاحِمُنا . والأعجاز : جمع عَجُز . والعجز من كلِّ شئ : مؤخَّره . والعجز من الرجلِ والمرأة : ما بين الوركين . وأراد

(١) الخزانة ١ : ٤٥٢ – ٤٥٤ . وعجزه :

* ولكنّ سيرًا فى عِراض المواكبِ *

بالأعجاز هنا النِّساء ، لأنَّهن متأخِّرات عن الرجال . وأسلمَتْها : خَذَلَتْها وما أعانتها . و (الصُّدور) : جمع صدر ، وهو من الإنسان وغيره فوقَ البَطْن . وأراد بالصّدور هنا أكابرَهم وأشرافَهم . و (الضَّرير) بالضاد المعجمة : المضَارَّة ، وأكثر ما يستعمل فى الغَيْرة ، يقال ما أشدَّ ضرِيرَه عليها . والضَّرير أيضاً : التحمُّل والصَّبر ، يقال إنّه لذو ضريرٍ على الشئ ، إذا كان ذا صبرٍ عليهِ ومقاساةٍ له . وناقةٌ ذات ضرير ، إذا كانت بطيئة التَّعب . والضَّرير أيضا : حرف الوادى ، يقال : نزل فلانٌ على أحد ضريرَى الوادى ، أى على أحد جانبيه . يقول : إنَّ بنى جعفر لا رجالَ فيهم ، فهُمْ كالنِّساء ، وأمَّا نساؤهم فهنَّ شديدات الضَّرَر ، فهُنَّ كالرِّجال فى المقاومة والمدافعة وإيصال الضَّرر .

وقطَيَّة بنت الحارث على لفظ مصغَّر القطاة . والضِّباب بكسر الضاد المعجمة ، هو أخو جعفر بن كلاب المذكور ، واسمه معاوية . وأُمُّهما ذؤيبة بنت عمرو بن مُرّة بن صعصعة . وهو أبو قبيلةٍ أيضا ، سمِّىَ الضِّبابَ بأسماء أولاد ابنه عمرو ، فإنَّ ابنه عمراً وُلِدَ له ضبٌّ ، ومُضِبّ ، وضِباب ، وحِسْلٌ ، وحُسَيل . وبهذه الأسماء سُمُّو الضِّباب .

وقائل البيتين شاعرٌ إسلامّى . والله أعلم .

* * *

٥٥٢ وأنشد بعده :

(لا أرى الموتَ يَسبقُ الموتَ شئٌ)

وتمامه :

(نَغَّصَ الموتَ ذا الغِنَى والفقيرا)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الستين من أوائل الكتاب فى باب المبتدأ والخبر (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وقائلةٍ خَولان فانكِحْ فتاتَهُمْ)

وتمامه :

(وأُكرومةُ الحيَّيْنِ خِلْوٌ كما هيا)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والسبعين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد التسعمائة (٣) :

٩٤١ (رأتْ رجُلاً أيْمَا إذا الشَّمسُ عارضَتْ
فيَضْحَى وأيْما بالعشىِّ فيَخْصَرُ)

على أنَّ ابن خروف قال : قد يبدل الميم الأول من أمَّا ياءً كما فى البيت .

أقول : أورده أبو العباس المبرد (فى الكامل) فى ثلاثة مواضع ، فرواه فى أول الثلث الثالث بالإبدال فى الأوّل فقط ، ورواه فى الثلث الأوّل على الأصل فى الموضعين بلا إبدال . ورواه فى أوائله بالإبدال فى الموضعين ، فإنّه أورد بعضَ أبياتٍ لجميل بن مَعْمَر ، منها فى وصف قوس :

---

(١) الخزانة ١ : ٣٧٩ – ٣٨٦ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ – ٤٥٧ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ١٩٤ والكامل ٤٣ ، ١٦٦ ، ٥٧١ والمحتسب ١ : ٢٨٤ والأزهية ١٥٧ والممتع ٣٧٥ والمغنى ٥٦ والهمع ٢ : ٦٧ والأشمونى ٤ : ٤٩ وديوان عمر ٨٦ .

على نبعةٍ زوراءَ أيْما خِطامُها فمَتْنٌ وأيْما عُودُها فعتيـقُ [(١)]

وقال : قوله : « أيْما » يريد أمّا ، واستثقل التضعيف فأبدل الياء من أحد الميمين . ويُنشَد بيت ابن أبى ربيعة :

رأت رجلاً أيمْا إذا الشَّمسُ عارضَتْ فيَضْحَى وأيْما بالـعَشىِّ فيـخصَرُ

وهذا يقع ، وإنمّا بابه أن يكون قبل المضاعف كسرةٌ فيما يكون على فِعَّال ، فيكرهون التضعيف والكسرة ، فيبدلون من المضعَّف الأول ياءً للكسرة ، وذلك قولهم : دينار وقيراط وديوان ، وما أشبه ذلك . فإن زالت الكسرة وانفصَل أحد الحرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت : دنانير ، وقراريط ، ودواوين . وكذلك إنْ صغّرت فقلت : قريريط ، ودنينير . انتهى كلامه .

وقوله : « وهذا يقع » ، يريد أنّه نادر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لعمر بن أبى ربيعة ، وقد سقناها برُمَّتها مع شرح أبياتٍ منها فى الشاهد التسعين بعد الثلثمائة (٢) ، وشَرح أبياتٍ أُخر منها فى باب العدد (٣) .

قال المبرد فى الموضع الثانى : ومما يُستظرَف (٤) فى النَّحافة قول ابن أبى ربيعة :

أبيات الشاهد

رأتْ رجلاً أمَّا إذا الشَّمْسُ عارضَتْ فيَضْحَى وأما بالـعشىِّ فيَـخصَرُ
أخا سَفَرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذَفتْ به فَلَـواتٌ فهْـوَ أشعثُ أغبَــرُ
قليـلاً على ظهـر المطيَّـةِ ظِلُّــه سوى ما نَفَى عنه الرِّداءُ المحبَّرُ

---

(١) الكامل ٤٢ وديوان جميل ١٥١ .
(٢) الخزانة ٥ : ٣١٢ – ٣٢٢ .
(٣) الخزانة ٧ : ٣٩٤ – ٤٠٠ .
(٤) وكذا فى الكامل بالظاء المعجمة .

ومن أعجب ما قيل فى النحافة قولُ مجنونِ بنى عامر :

ألاَ إنمّـا غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدًى أينما تذهَبْ به الرِّيحُ يذهبِ (١)

ومن الإفراط فيه قولُ آخر :

فلو أنَّ ما أبقَيْتِ مِنِّى معلَّقٌ بعُودِ ثُمامٍ ما تأوَّدَ عودُها (٢) . انتهى

٥٥٣ قوله : (رأتْ رجُلا) إلخ فاعل رأت ضمير نُعْم أو أسماءَ ، فى بيتٍ قبله :

(قفى فانظرِى يا أسمَ هل تعرفِينه أهذا المُغِيرىُّ الذى كان يُذْكَرُ

فقالت : نَعْمَ لا شكَّ غيَّرَ لونَه سُرَى اللّيلِ يُحيِى نَصَّه والتهجُّرُ)

والقائلة « قفى » محبوبته نُعم . والمُغِيرىُّ : نسبة إلى جدِّه المُغيرة بن عبد الله ، وتقدَّم شرحُهما هناك . وجملة « أيما إذا الشُّمس » إلخ صفة لرجلا ، والأصل رجلاً يضحَى وقتَ معارضة الشمس إيّاه ويخصَر بالعشىّ ، فهو أخو سفرٍ يَصلى الحرَّ والبرد بلا ساتر ، فجىء بأيْما للتَّفصيل . و(إذا) ظرفٌ ليَضْحَى ، قُدِّم عليه لوجوب الفصل بين أمّا والفاء . والشّمس فاعل فعلٍ محذوف يفسِّره ما بعدها . و (عارضت) : قابلَتْ ، والمفعول محذوف أى عارضته . ومعارضة الشمس : ارتفاعُها حتّى تصير فى حِيال الرأس . قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : عارَضت : صارتْ قُبالةَ العيون فى القِبْلة . قال صاحب الصحاح : وضَحِيتُ بالكسر ضَحىً : عَرِقْت . وضَحِيت أيضاً للشمس ضَحَاء بالمّد ، إذا برزْتَ . وضَحَيت بالفتح مثله . والمستقبل أَضْحَى فى اللغتين جميعا . انتهى .

وحاصله أنّه جاء من باب فرح ومنع .

---

(١) ديوان المجنون ٨٠ .

(٢) لأبى العوام بن كعب بن زهير ، أو الحُسَين بن مطير ، أو كثيِّر عزة ، كما فى العينى ٤ : ٤٥٧ .

وقال المبرد فى الثلث الثالث : قوله يَضْحَى : يَظهر للشمس . وقوله « فيَخْصَرَ » يقول فى البرَدين . وإذا ذكر العشىُّ فقد دل على عَقِيب العشىّ . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأَنَّكَ لا تَظمَأُ فيها ولا تَضْحَى [١] ﴾ . انتهى .

وقال الفراء فى تفسيره : قوله تعالى (ولا تَضحَى) : لا تصيبك شمسٌ مؤذية . وفى بعض التفسير [٢] : ولا تضحَى : لا تعرَق . والأوّل أشبَه بالصَّواب . قال الشاعر :

رأتْ رجلا أمَّا إذا الشمسُ ... البيت

فقد بيَّن [٣] . انتهى .

وقوله : (وأيْما بالعشىّ فيخصَر) الظرف متعلّق بما بعده ، وقُدِّم عليه وجوبا للفصل بين أمّا والفاء . والعَشِىّ والعِشيّة من صلاة المغرب إلى العَتَمة . كذا فى الصحاح . ويقابله الغَداة . ويقال لهما البَرْدانِ والأبردانِ . وإذا بَرَد الرجلُ فى العشىِّ فمن الضرورة أن يبرُدَ بالغداة ، فهو يُريدهما لاستلزام أحدِهما للآخر كما أشار إليه المبرِّد . ويَخصَر بالخاء المعجمة والصاد المهملة ، قال صاحب الصحاح : الخَصَر بالتحريك : البرد . يقال قد خَصِرَ الرجلُ ، إذا آلمه البَردُ فى أطرافه . يقال خَصِرت يدى . وخَصِر يومُنا : اشتدَّ بردُه ، وماءٌ خَصِرٌ : بارد . انتهى .

وقوله : « أخا سفر » صفة أخرى لرجلا . والجَوّاب : صفة مبالغة من جَابَ الأرضَ يجوبها جَوْبا ، إذا قَطَعها بالسَّير . والتقاذف : الترامِى . والفلاة :

---

(١) الآية ١١٩ من سورة طه .

(٢) وكذا فى معانى الفراء . وفى ش : « التفاسير » .

(٣) بعده فى معانى الفراء : « ويقال ضَحِيتُ » .

الأرض التى لا ماء فيها . والأشعث وصفٌ من شَعِثَ الشَعَر شَعَثاً ، فهو شَعِث من باب تَعِبَ ، أى تغيَّر وتلبَّد لقلّة تعهُّده بالدُّهن . ورجلٌ أشعث وامرأة شعثاء . والشَّعَث أيضا : الوسَخ ، ورجل شَعِثٌ : وسِخ الجسَد . وشَعِث الرأسُ أيضاً ، وهو أشعث أغبر ، أى من غير استحدادٍ ولا تنظُّف . والشَّعَث أيضا : الانتشار والتفرُّق كما يتشعَّث رأس المسواك . وفى الدعاء : لَمّ اللهُ شَعَثَكم ، أى جمع أمركم . كذا فى المصباح .

وقوله : « قليلا على ظهر المطيَّةِ » إلخ هذا وصفٌ آخر لرجلا . ومعنى النحافة التى ذكرها المبرد فى هذا البيت وبيانُها أنّ العرب تستعمل القِلّة بمعنى الحقارة ، فيقولون لكلِّ شيءٍ حقير قليل ، ويجعلون القِلَّةَ أيضا بمعنى النَّفْى ، فيقولون : قلّ رجُلٌ يقول ذلك إلاّ زيد . ويقال لِشَخْص كلِّ شيء ظِلّ . فالمعنى أنّه لا شخصَ له من النَّحافة ، إلاّ أنّ رداءه المحبَّر يعظِّم جسمَه فينفى عنه بعضَ النحافة . وهو مثل قول الآخر :

فانظر إلى جسمى الذى مَوَّهْتُهُ ‍ ‍ ‍ ‍ للنّاظرِيـــنَ بكثرةِ الأثـــوابِ

وهذا نحو قول المتنبى :

رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مثل الخِلال إذا ‍ ‍ ‍ ‍ أطارتِ الريحُ عنه الثوبَ لم يَبِنِ (١)

وقد يجوز أيضا أن يريد الظلّ بعينه ، أى لولا ظلّ ثوبه لم يكن لِظِلِّ جسمه ظلٌّ يُرَىَ . وقيل معنى ظِلّه استظلاله ، أى لا يأوى إلى ظلّ فلا ينفى عنه حَرّ الشمس إلاّ ما كان من ردائه . والرِّداء : ما يلبس على النصف الأعلى . والإزار :

---

(١) ديوان المتنبى ٢ : ٤٠١ .

ما يُلبَس فى النصف الأسفل . وهما إذا كانا من جنسٍ واحد حُلّة . والمحبَّر ، بالحاء المهملة : المزيَّن والمنقَّش . يقال : حَبَرت الشيء حَبْراً من باب قتَل ، إذا زيَّنته . وحَبّرته بالتشديد مبالغة .

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدمت فى الشاهد السابع والثماني من أوائل الكتاب [1] .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ – ٣٣ .

تاء التأنيث الساكنة

أنشد فيها :

(بحَوْران يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أقارِبُه)

وتقدَّم شرحه والكلامُ عليه فى الشاهد السادس والسبعين بعد الثلثمائة من باب العلم (١) ومر فى باب التأنيث أيضا (٢) .

(١) الخزانة ٥ : ٢٣٤ - ٢٤١ .

(٢) الصواب أنه ذكره فى باب العَلَم . انظر الخزانة ٧ : ٣٤٦ . ولم يذكره فى باب المذكر والمؤنث إلا سردا بدون تعليق . الخزانة ٧ : ٤٤٦ .

التنوين

أنشد فيه :

(وقولى إنْ أَصَبْتُ لقد أصَابَنْ)

وتقدَّم شرحه مفصلاً فى الشاهد الرابع من باب الإعراب من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتم الطائىُّ وَهَّابُ المِئى)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة فى باب العدد [٢] وفى باب الجمع أيضا [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

٩٤٢ (فألفَيتُه غَيْـرَ مُسْتَعـتِبٍ ولا ذاكِـرَ اللهَ إلاّ قليـلا)

---

(١) الخزانة ١ : ٦٩ – ٧٨ .

(٢) الخزانة ٧ : ٣٧٥ – ٣٧٨ .

(٣) الخزانة ٨ : ٣٠ .

(٤) فى كتابه ١ : ٨٥ . وانظر معجم الشواهد .

على أنّ حذف التنوين من (ذاكر الله) لضرورة الشعر ، فإنّ ذاكراً بالنصب والتنوين معطوف على غير ، ولفظ الجلالة منصوب بذاكراً ، ولو كان مضافا إلى الجلالة لكان حذف التنوين واجباً ولا ضرورة . وإنّما آثر حذف التنوين للضرورة على حذفه للإضافة لإرادة تماثل المتعاطِفَين فى التنكير . والتنوين يُحذفُ وجوباً للإضافة ، نحو غلامك ، ولشِبهها نحو : لا مال لزيد ، إذا لم تُقَدَّر اللام مقحمة . فإن قدِّرت فهو مضاف . ولدخول أل كالرجل ، ولمانع الصّرف نحو فاطمة ، وللوقف فى غير النصب ، وللاتصال بالضّمير نحو ضاربك فيمن قال إنّه غير مضاف ، وللبناء فى النِّداء وغيره نحو يا رجلُ ، ولا رجلَ ، ولكونِ الاسم علماً موصوفا بابن كما فى الشرح . وحذفُه فى غير ذلك فإنَّما سببه مجرد التقاء الساكنين ، وهو غير جائز إلاّ فى الشِّعر . وقد نصَّ سيبويه عليه فى الباب الذى ترجمتُه (بابٌ من اسم الفاعل جَرى مجرى الفعل المضارع فى المفعول فى المعنى) ، قال : وزعم عيسى أن بعض العرب يُنشد هذا البيت :   ٥٥٥

* فألفيتُه غير مستعتبٍ * .... البيت

لم يَحذِف التنوينَ استخفافاً ليعاقب المجرور ، ولكنّه حذفه لالتقاء الساكنين . وهذا اضطرار . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه حذف التنوين من ذاكراً لِالتقاءِ الساكنين ونصبُ ما بعده وإن كان الوجه إضافتَه . وفى حذف تنوينه لالتقاء الساكنين وجهان : أحدهما أن يشبَّه بحذف النون الخفيفة إذا لقيَها ساكن ، كقولك اضربَ الرجل ، يريد اضربَنْ الرجل . والوجه الثانى : أن يشبَّه بما حذف تنوينه من الأسماء الأعلام إذا وصف بابن مضافٍ إلى علم . وأحسن ما يكون حذفُ التنوين للضرورة فى مثل قولك : هذا زيدٌ الطويل ، لأنّ النعت والمنعوت كالشىء الواحد ، يشبه المضافَ والمضافَ إليه . انتهى .

وقال ابن خلف : تحريك التنوين لالتقاء الساكنين أجود من حذفه ، إذ هو حرفٌ يحتمل التحريك ، والذى يَحذِفه يشبِّهه بحروف المدّ واللين . قال المبرد : قد قرأت القُرّاء : ﴿ قل هُوَ الله أحدُ اللهُ الصَّمَد ﴾ وليس الوجه حذفَ التنوين لالتقاء الساكنين ، إنمّا يُحذف من الحروف لالتقاء الساكنين حروف المدّ واللين ، ويجوز هذا فى التنوين تشبيهاً بهنّ . وقال أبو الحسن : سمعت محمد بن يزيد المبَرِّد يقول : سمعت عُمارةَ يقرأ : ﴿ ولا اللَّيْلُ سابقُ النَّهارَ ﴾ . قال أبو الحسن : والأوْلَى : ﴿ سابقُ النهارِ ﴾ ولا ذاكرَ اللهِ . وإنمَّا الضرورة قوله :

* عمرُو الذى هشم الثريدَ لقومه (١) *

وهو فى النعت أسهل منه فى الخبَرِ كزيدُ الظريفُ قائم . انتهى .

وحذف التنوين فى الاثنين لا شكّ فى شذوذه كما قال الشارح المحقِّق . وجعل ابن هشام (فى المغنى) حذف التنوين لالتقاء الساكنين من القِلّة ، وأورد البيت والآيتين . وهو فى هذا مخالفٌ لسيبويه والجمهورِ . وممّن تبع سيبويه ابنُ الشجرى ، قال (فى أماليه) : ومن حذف التنوين لالتقاء الساكنين ما رُوِى عن أبى عمرٍو فى بعض طُرقِه : ﴿ قل هو الله أحَدُ اللهُ الصَّمَد ﴾ وحذفه على هذا الوجه متَّسع فى الشعر ، وكقوله :

حُميدُ الذى أَمَجٌ دارُهُ أخو الخمرِ ذو الشَّيبةِ الأصلعُ (٢)

وكقول الآخر :

حَيدُة خالى ولقيطٌ وعَلِى وحاتمُ الطائىُّ وهّابُ المِئِى (٣)

---

(١) لعبد الله بن الزبعرى ، أو مطرود الخزاعى ، كما فى معجم الشواهد . وعمرو هذا هو هاشم بن عبد المطلب .

(٢) لحميد الأمجى ، أو مالك بن حريم ، أو مالك بن عمرو ، كما فى معجم الشواهد . وانظر معجم البلدان (أمج) وابن الشجرى ١ : ٣٨٢ / ٢ : ١٨٢ .

(٣) لامرأة من العرب . وانظر معجم الشواهد فى فصل الياء الساكنة من الأرجاز .

وقال عبد الله بن قيس الرقَيّات :

كيفَ نومى على الفِراش ولَمَّا تَشمَلِ الشامَ غارةٌ شَعْواءُ (١)

تُذهِل الشَّيخَ عن بنيه وتُبدِى عن خِدامِ العقيلةُ العـــذراءُ

أراد : وتبدى العقيلةُ العذراء لها عَن خِدامٍ . والخِدام : الخَلْخال . أى ترفع المرأة الكريمة ثوبَها للهرب فيبدو خَلخالُها . والجملة التى هى « تبدى العقيلة » موضعها رفع بالعطف على جملة تذهل الواقعةِ نعتاً لغارةٌ ، والعائد إلى الموصوف من الجملة المعطوفة محذوف ، تقديره : وتبدى العقيلة العذراء لها عن خِدام ، أى لأجْلها . والشَّعواء : المتفرِّقة . وحُكى عن القاضى أبى سعيد السيرافى أنّه قال : حضرتُ فى مجلس أبى بكر بن دُريد ولم أكن قبلَ ذلك رأيته ، فجلست فى ذيله (٢) ، فأنشد أحدُ الحاضرين بيتين يُعْزَيانِ إلى آدمَ عليه السلام ، قالهما لمّا قَتَلَ ابنُه قابيلُ هابيلَ ، وهما :

٥٥٦

تغيَّـرت البـلادُ ومَـنْ عليها فوجـهُ الأرضِ مغبـرٌّ قبيـحُ

تغيَّر كلُّ ذى حُسْنٍ وطيبٍ وقلّ بشاشةُ الوجـهِ المليـحِ

فقال أبو بكر : هذا شعرٌ قد قيل فى صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء . فقلت : إنّ له وجهاً يُخرجه من الإقواء ، فقال : ما هو ؟ قلت : نصب بشاشةَ وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين لا للإضافة ، فتكون بهذا التقدير نكرةً منتصبة على التمييز ، ثم رفع الوجه وصفته بإسناد قلّ إليه ، فيصير اللفظ وقَلَّ بشاشَةَ الوجهُ المليح . فقال : ارتفِعْ . فرفعَنى حتّى أقعدنى إلى جنبه . انتهى كلام ابن الشجرى .

---

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ٩٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) أى ذيل المجلس . وفى ش : « فى ذيل » .

أقول : وتوجيه السيرافى فيه تخلّص من ضرورة إلى ضرورة .

وقد استشهد بالبيت الشاهدِ الزمخشريُّ والبيضاوىّ ، عند قراءة الأعمش : ﴿ كُلُّ نفسٍ ذائقةُ المَوْتَ ﴾ ، بترك التنوين ونصب الموت .

وأورده الفراء قبلهما عند هذه الآية (١) قال : لو نَوَّنتَ ذائقةٌ ونصبت الموتَ كان صوابا . وأكثر ما يختار العرب التنوين والنصب فى المستقبل ، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلاَّ بالإضافة ، ويختارون أيضا التنوين إذا كان مع الجحد . من ذلك قولهم : ما هو بتاركٍ حقَّه ، لا يكادون يتركون التنوين ، وتركه كثير جائز ، وينشدون قول أبى الأسود :

فألفيتُه غير مستعتبٍ ولا ذاكرَ اللهَ إلاّ قليلاَ

فمَنْ حذَف النون ونصب قال : النية التنوين مع الجحد ، ولكنّى أسقطت النون للساكن وأعملت معناها . ومن خفض أضاف .

هذا كلامه ، وهو صريحٌ فى جوازه فى الكلام . والصحيح مذهب سيبويه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لأبى الأسود الدئلى .

وروى الأصبهانى (فى كتاب الأغانى) بسنده عن أبى عَوانة قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فناءِ امرأةٍ بالبصرة فيتحدَّث إليها ، وكانت جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك أنْ أتزوَّجَك فإنِّى صَناع الكفِّ حسنة التدبير ، قانعةٌ بالميسور ؟ قال : نعم . فجمعتْ أهلَها وتزوَّجتْه ، فوجدها بخلافِ ما قالت ، وأسرعَتْ فى ماله ، ومدَّتْ يدها إلى جِبايته (٢) ، وأفشتْ سِرَّه . فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إيّاها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا فقال لهم :

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنبياء . وانظر معانى القرآن للفراء ٢ : ٢٠٢ .

(٢) فى الأغانى ١١ : ١٠٧ : « إلى خيانته » .

أَرَيْتَ امرأً كنتُ لم أبلُهُ　　أتانى فقال اتَّخِذْنى خليلا
فخاللتُــــه ثم أكرمْتُــــه　　فلم أستفِدْ من لديه فَتِيلا
وألفيتُــــه حين جرَّبْتُــــه　　كذوبَ الحديث سَروقاً بخيلا
فذكَّرتـــــه ثم عاتبتُـــــه　　عِتاباً رفيقاً وقولاً جميلا (١)
فألفيتـه غيـــرَ مستعـــتبٍ　　ولا ذاكـرَ اللهَ إلاّ قليـلا
ألستُ حقيقـــاً بتوديعـــهِ　　وإتباعِ ذلك صُرْماً طويـلا

٥٥٧

فقالوا له : والله يا أبا الأسود . فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلَّقتُها ، وأنا أحبُّ أن أستُر ما أنكرتُه من أمرها . فانصرفَتْ معهم . انتهى .

وقد أورد ابن السيرافى (فى شرح أبيات الكتاب) سببا لهذه الأبيات لا يلائمها ، وتبعه ابن خلف وابن المستوفِى وغيرُهما ، وهو ممَّا لا يكاد يُقضَى منه العجب ، قال :

سبب هذا الشعر أنّ رجلا من بنى سُلَيم يقال له نُسَيب بن حُمَيد ، كان يَغشَى أبا الأسود ويُظهر له محبّةً شديدة ، ثم إنّ نُسَيبا قال لأبى الأسود : قد أصبتُ مُستُقةً أصبهانِيّة (٢) ، وهى جُبَّة فراءٍ طويلةُ الكمَّين ، فقال له أبو الأسود : أرسِلْ بها إلىَّ حتى أنظرَ إليها . فأرسَلَ بها فأعجبتْه فقال لنُسيب : بِعنِيها

---

(١) رفيقا ، بالفاء بعد الراء فى ط والأغانى ، وفيما سيورده البغدادى فى الشرح . وفى ش : « رقيقا » وهى رواية أخرى . وانظر ديوان أبى الأسود ١٢٢ فى الملحقات .

(٢) فى اللسان : « أصلها بالفارسية : مُشْتَه » وكذا فى المعرب للجواليقى ٣٠٨ . وقد روى كل منهما حديث أنس بن مالك : « أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله ﷺ مُستقةً من سندس ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فكأنى أنظر إلى يديها تَذَبذَبان ، فبعث إلى جعفر ، فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشى » . والحديث رواه أحمد فى مسنده ، كما رواه أبو داود فى سننه . وانظر حواشى المعرب . فالكلمة معربة قديما ، وهى بضم التاء وفتحها .

بقيمتها . فقال لا بل أكسوُكَها . فأبى أبو الأسود يقبلُها [(١)] إلاَّ بشراء ، فقال له : أرِهَا لمن يُبصِرُها ثم هات قيمتها . فأراها أبو الأسود فقيل [له : هي [(٢)]] ثمنُ مائتى درهم . فذكر ذلك لنُسيب فأبى أن يبيعه [(٣)] فزاده أبو الأسود حتَّى بلغ بالثمن مائتى درهم وخمسين درهما ، فأبى نسيب أن يبيعها [(٤)] وقال : خُذْها إذَنْ هبَةً . فيقول : ذكرَّته ما بيننا من المودّة فألفيته ، أى وجدته ، غير مستعتب ، أى غير راجعٍ بالعتاب عن قبيحِ ما يفعل . هذا كلامه .

وقوله « أريْتَ امرأً » إلخ سلك أبو الأسود بهذا الكلام طريقَ التَّعمِيَة على مخاطَبه ليتم ما يريد ، ولو نسب هذه العيوب إليها مصرِّحاً بها لربمَّا دافعوا عنها . وأريْتَ بمعنى أخبِرْنى ، وأصله الهمزة فيه للاستفهام ، ورَيْت أصله رأيت ، حُذِفت الهمزة وهى عين الفِعل تخفيفاً .

قال صاحب الصِّحاح : وربَّما جاء ماضيه بلا همزة ، قال الشاعر :

صاح هل رَيْتَ أو سمعتَ براعٍ ... رَدَّ فى الضَّرع ما قَرَى فى الحِلابِ[(٥)]

وكذلك قالوا فى : أرأيتَ ، وأرأيتَكَ ، وأرَيْتك بلا همزة . قال أبو الأسود :

---

(١) كذا فى النسختين بدخول الفعل على الفعل بتقدير حذف (أن) . انظر لهذا الضرائر لابن عصفور ٢٦٣ – ٢٦٥ . وفى شرح الأبيات لابن السيرافى ١ : ٩١ : « فأبى أبو الأسود أن يقبلها » .

(٢) الكلمة الأولى من هذه التكملة من شرح ابن السيرافى للأبيات ، والآخرة من ش وشرح الأبيات .

(٣) وكذا عند السيرافى فى هذا الموضع ، بتذكير الضمير . وفى الموضع التالى بالتأنيث . فالتذكير بجعل الضمير للمشترى ، وفى اللسان : « يقال باعه الشئَ ، وباعه منه » ، يتعدى إلى اثنين بنفسه وبالحرف أيضا . وقد يكون تذكير الضمير لتأويله بالثوب ، أما التأنيث التالى فللفظ المستقة » .

(٤) انظر الحاشية السابقة .

(٥) ويروى : « فى العلاب » . والبيت لإسماعيل بن يسار ، كما فى معجم الشواهد . والعلاب : جمع عُلبة ، وهى قدح من خشب يُحتلب فيه ، أو جفنة يحلب فيها . أما الحلاب بالحاء فهو الإناء يحلب فيه اللبن .

* أريتَ امرأً كنتُ لم أبْلُه * البيت

وقال الكرمانى (فى شرح البخارى) : أرأيت بمعنى أخبِرْنى ، وفيه تجوُّز إطلاق الرؤية وإرادة الإخبار ، لأنّ الرؤية سببُ الإخبار . وجُعل الاستفهام بمعنى الأمر ، بجامع الطلب . انتهى .

والرؤية هنا منقولة من رؤية البصر ، ولهذا تعدَّت إلى مفعولٍ واحد . وزعم ابن هشام (فى المغنى) أنَّ أرأيتَك منقولٌ عن الرؤية العِلْمية ، فتقتضى مفعولين ، فيقدَّر الثانى إذا لم يوجد . وهو تكلُّف . وأبلُه من بلاه يبلوهُ بَلْواً ، إذا جرَّبه واختبره . وخاللته : اتَّخذته خليلا . والفتيل : الشىء الحقير ، وأصله ما يوجد فى بطن النَّواة . والرَّفِيق من الرِّفْق : ضدّ العنف .

وقوله : (فألفيته غير مُستعتبٍ) ألفى بمعنى وجد ، يتعدَّى لمفعولين كما تقدَّم ، وعند بعضهم المفعول الثانى حال . ومستعتب : اسم فاعل الراجع بالإعتاب [1] . واستعتب وأعتب بمعنىً ، وعتب عليه عَتْبا من بابى ضرب وقتل ، إذا لامه فى تسخُّط . وأعتب : أزال الشَّكوى ، فالهمزة للسلب . واستعتب : طلب الإعتاب . والعُتْبَى اسمٌ للإعتاب . والمعنى ذكَّرته ما كان بيننا من العُهود ، وعاتبته على تركها ، فوجدتُه غير طالبٍ رضائى . وقوله (ولا ذاكر الله) روى بنصب ذاكر وجرّه ، فالنصب للعطف على غير . وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : نصب ذاكرًا على أنّ لا بمعنى غير ، وقد تعذّر فيها الاعراب فأعرب ما بعدها ، كما فى نحو : جاءنى رجلٌ لا عالمٌ ولا عاقل . انتهى .

٥٥٨

(١) ط : « بالعتاب » ، صوابه ما فى ش مع أثر تصحيح .

والجر للعطف على مستعتب ، ولا لتأكيد النفى المستفاد من غير . وعلى هذه الرواية اقتصر ابن الشجرى فقال : عطف نكرة على نكرة مجرورة بإضافة غير إليها ، وانتصاب غير على الحال . انتهى .

والتوديع ، هنا : الفراق . والصُّرم ، بالضم [1] : الهَجْر .

وترجمة أبى الأسود تقدمت فى الشاهد الأربعين من أوائل الكتاب [2] .

---

(١) الحق أنه يقال بالضم وبالفتح أيضا .

(٢) الخزانة ١ : ٢٨١ – ٢٨٦ .

نـون التـوكيـد

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٩٤٣ (أفَبعدَ كِندةَ تمدحَنَّ قبيلاَ)

على أنّه أكّد الفعلَ ، وهو تمدح بالنون ، لوقوعه بعد الاستفهام وهو الهمزة .

قال سيبويه : ومن مواضعها الأفعال غيرُ الواجبة التى تكون بعد حروف الاستفهام ، وذلك لأنّك تريد أعلِمْني إذا استفهمت . وهى أفعالٌ غير واجبة ، فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهى ، فإنْ شِئْتَ أقحمت النون وإن شئت تركت ، كما فعلت ذلك فى الأمر والنهى . وذلك قولك : هل تقولَنّ ، وأتقولَنّ ذاك ؟ وكم تمكُثَنَّ ؟ وانظر متى تفعلَنَّ . وكذلك جميعُ حروف الاستفهام . وقال الأعشى :

فهـل يمنعنِّـى ارتيـادى البـلا   دَ من حَذَرِ الموتِ أن يأتِيَنْ [(٢)]

وقال :

فأقِبلْ على رَهطى ورَهْطِكَ نَبتحِثْ   مَسَاعِيَنا حتّى ترى كيف تفعلا [(٣)]

فهذه الخفيفة . وقال :

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥١ . وهو لامرئ القيس فى ديوانه ٣٥٨ . وانظر التصريح ٢ : ٢٠٤ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢١٤ .

(٢) ديوان الأعشى ١٤ : وانظر معجم الشواهد .

(٣) هو الشاهد التالى .

* أفبعدَ كِنَدة تمدحَنَّ قبيلا (١) *

وقال :

* هل تحلِفَنْ يا نُعْمَ لا تدينُها (٢) *

هذه الخفيفة . انتهى .

قال الأعلم فى البيت الأوَّل : الشاهد فيه توكيد يمنعنى بالنون الثقيلة ، لأنّه مستفهَمٌ عنه غير واجب كالأمر ، فيؤكّد كما يؤكّد الأمر . والارتياد : المجىء والذَّهاب ، أى لا يمنع من الموت التحوُّل فى آفاق الأرض حذراً منه ، ولا الإقامةُ فى الديار تقرِّبه قبل وقته . فاستعمال السفر أجمل ، لأنّ الموت بأجَل .

وقال فى الثالث : الشاهد فى قوله تمدحَنّ بالنون الثقيلة . وكندة : قبيلةٌ من اليمن من كهلان بن سبأ . والقبيل : الجماعة من قومٍ مختلفين . والقبيلة : بنو أبٍ واحد . وأراد بالقبيل هنا القبيلةَ لتقاربُ المعنى فيهما . انتهى .

والبيت الرابع ساقطٌ من روايته ، ورواه النحاس قال : قال أبو الحسن : نُعم ترخيم نعمان . انتهى .

وبعد ظرف يتعلّق بتمدح محذوفاً لا بتمدحنّ ، لأن المؤكد بالنون لا يتقدَّم معموله عليه . وقيل إذا كان ظرفاً يجوز . وقد علَّقه به العينى .

وهذا الشعر من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعَرف لها قائل . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « تفعلا » ، صوابه فى ط وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ : ٢٥١ حيث نسبه إلى النابغة الجعدى . وليس فى ديوانه .

(٢) ط : « تدنيها » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٣٣٧/ ٢ : ١٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٤٤ (وأقبلْ على رَهطِى ورَهْطِكَ نبتحثْ
مَسَاعيَنا حتّى ترى كيف يَفْعلا [٢])

على أنّه أكد الفعل وهو يفعل بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً للوقف ، لوقوعه بعد اسمِ استفهام ، وهو كيف . وتقدَّم قبله نصٌّ سيبويه . ٥٥٩

و (أقبلْ) بفتح الهمزة وكسر الموحدة : فعل أمرٌ من الإقبال . ورهط الرجل : قومه وقبيلتُه الأقربون . والرَّهط بالإضافة فى تعيينه خلافٌ ، قيل هو ما دون عشرةٍ من الرجال ليس فيهم امرأة ، وقيل من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر . وقال أبو زيد : الرهط والنَّفَر : ما دون العشرة من الرجال . وقال ثعلب : الرَّهط ، والنَّفر ، والقَوم ، والمعشَر ، والعشيرة معناهُم الجمع ، لا واحدَ له من لفظه [٣] ، وهو للرجال دونَ النساء . وقال الأصمعى : الرَّهط : ما فوق العشرة إلى الأربعين [٤] . كذا فى المصباح .

وقوله (نبتحثْ) مجزوم فى جواب الأمر ، وهو على نفتعل من البَحْث . قال الجوهرى : بحثت عن الشيء وابتحثت عنه ، أى فتَّشت عنه واستقصيت ، فيكون (مساعيَنا) منصوباً [٥] بنزع الخافض . والمساعى : جمع مَسعاةٍ ، والأصل

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥١ . وقد سبق التعليق عليه فى الشاهد السالف . وانظر العينى ٤ : ٣٢٥ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢١٤ .

(٢) ط : « نفعلا » ، صوابه فى ش .

(٣) فى المصباح : « لا واحد لهم من لفظهم » .

(٤) الذى فى المصباح : « قاله الأصمعى فى كتاب الضاد والظاء » . وهو نص غريب .

(٥) ط : « منصوب » ، صوابه فى ش .

مَسعَية ، مفعَلة من السَّعى . قال صاحب المصباح : أصل السعى التصرُّف فى كلِّ عمل . قال الحَرَّانىّ (١) : السعى:الإسراع فى الأمر حِسًّا أو معنًى . وفى المفردات : السَّعْى : المشى السريعُ دونَ العَدْو ، ويستعمل للجِدّ فى الأمر خيراً كان أو شرًّا . وقال صاحب الصحاح : « المسعاة : واحدةُ المساعى فى الكرَم والجود » . والمراد بها المناقب والمآثر التى حَصَلَتْ بسعيهم . قال الشاعر :

ولو قُدِّرت مَسعاتكمْ يا بَنِى الخَنَا   على قابِ شبر قَصَّرتْ عن مَدَى الشِّبْرِ (٢)

وحَتّى هنا بمعنى كى التعليلية . وتَرَى بمعنى تنظر بالخطاب . وقال العينى : حتّى بمعنى إلى . وترى من الرأى ، وهو الاجتهاد . انتهى . ويَفْعَلَنْ بالمثناة التحتية (٣) كما يظهر من كلام الأعلم فإنه قال : يقول لمن فاخره : أقبلْ على ذكر مفاخر قومك ، وأُقبلُ على مثل ذلك من مفاخر قومى ، ونبحث عن مساعيهما حتَّى يتبَّينَ فَضلُ بعضهما على بعض ، وترى فِعلى فى مفاخرتك ، وفعلك فى مفاخرتى . انتهى . وزعم ابن الطَّراوة أن النون فى يفعلا هى نون الترنم ، أُبدِلَتْ ألفاً فى الوقف . ورُدّ عليه أن نون الترنم لا تغيِّر حركةَ ما قبلها ، وقد غيِّرت آخره هنا بالفتح . وهذا لا يكون إلاّ لِنُونِ التوكيد .

وهذا البيت أيضا من الأبيات الخمسين التى ما عُرِف أصحابها . والله أعلم .

* * *

(١) فى النسختين : « الحرالى » باللام ، صوابه ما أثبت إن شاء الله ، وفى اللغويين القدماء : أبو شعيب الحرَّانى ، ذكره الأزهرى فى مقدمة التهذيب ٢٣ . وروى عن أبى الفضل المنذرى قال : « سمعت الحرَّانى يقول : كتبت عن يعقوب بن السكيت من سنة خمس وعشرين إلى أن قتل » . وكان مقتل ابن السكيت سنة ٢٤٤ . وفى المشتبه للذهبى ١٥٧ : « وأبو شعيب عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب الحرَّانى ، وأبوه وجده » .

(٢) ط : « يا ابنى الخنا » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٣) هذا وهم من البغدادى رحمه الله ، حمله على ذلك قول الشنتمرى : « حتى يتبيّن فضل بعضهما على بعض » ، وفهم أن المقام مقام تثنية ، وفاته أن التثنية تقتضى نون الإعراب . وانظر ما سبق فى الحواشى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٤٥ (فمهما تَشأْ منهُ فَزارةُ تُعطِكُمْ ومهما تَشَأْ منه فَزارةُ تَمنعا)

على أنّه يجوز أن تدخل نون التوكيد اختياراً في جواب الشرط إذا كان الشرطُ مما يجوز دخولُها فيه . وهو أقلُّ من دخولها فى الشرط ، وقوله « تمنعا » جواب الشَّرط ، وقد أُكّد دون الشرط بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً للوقف .

وقوله : « إذا كان الشرط ممَّا يجوز » إلخ احترز به عما إذا كان الشرطُ ماضياً أو مضارعاً بمعنى الحال ، وحينئذ لا يؤكّد جوابه .

وقوله : « اختيارا » مع قوله : « وهو أقلُّ من دخولها فى الشرط » مذهبُ ابن مالك ، وهو مخالفٌ لقول سيبويه : إنّه ضرورة .

قال سيبويه : وقد تدخل النون بغير ما فى الجزاء ، وذلك قليلٌ فى الشعر ، فشبّهوه بالنهى حين كان مجزوماً غير واجب . وقال الشاعر :

* نبتُّم نباتَ الخيزُرانىِّ [٢] * البيت .

٥٦٠

وقال ابن الخَرِع :

* فمهما تشأ منه فزارة * البيت .

وقال :

* من يُثْقفَنْ منهم فليسَ بآيبٍ [٣] * البيت .

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر معانى الفراء ١ : ١٦٢ والضرائر ٣٠ والعينى ٤ : ٣٣٠ والتصريح ٢ : ١٠٦ والهمع ٢ : ٧٩ والأشمونى ٢ : ٢٠٠ .

(٢) هو الشاهد التالى لشاهدنا هذا .

(٣) هو الشاهد ٩٤٧ الذى بعد الشاهد التالى . وتمامه :

من يُثقَفَنْ منهم فليس بآئب أبداً وقتل بنى قُتيبة شافى

وقال :

* يحسبه الجاهلُ ما لم يعلما [(١)] * البيت .

شبَّهه بالجزاء حيث كان مجزوماً وكان غير واجب . وهذا لا يجوز إلاّ فى اضطرارٍ ، وهى فى الجزاء أقوى . انتهى .

وكذا قال الفراء إنّه ضرورة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ابعَثْ لنا مَلِكاً نقاتِلْ فى سَبِيل الله [(٢)] ﴾ ما نصُّه : فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يأيُّها النَّملُ ادخُلوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحطِمَنَّكم [(٣)] ﴾ المعنى والله أعلم : إن لم تدْخُلْنَ حُطِّمْتُنَّ . وهو نهىٌ محض ، لأنّه لو كان جزاءً لم تدخله النُون الشديدة ولا الخفيفة . ألا ترى أنّك لا تقول : إنْ تضربنى أضربَنّك ، إلاّ فى ضرورة شعر ، كقوله :

* فمهما تشأ منه فزارة * البيت . انتهى .

وكذا (فى المفصل) قال : فإن دخلت فى الجزاء بغير ما ففى الشعر ، تشبيهاً للجزاء بالنهى .

وكذا (فى كتاب الضرائر لابن عصفور) .

وخالف ابن مالك فأجازه فى الكلام ، قال (فى التسهيل) : وقد تلحق جوابَ الشرط اختيارا . وقال قبله : « وتلحق الشرط مجرَّداً من ما » . وكذا قال (فى الألفية) .

قال الشاطبى : فإذا قلت إن تقومنّ أكرمْتك ، ومهما تَطلبَّن أُعطك ، ومهما تأتِينِّى أكرمْك ، وحيثما تكونَنَّ أذهبْ إليك ، وكذلك سائر أدوات الشرط ،

---

(١) هو الشاهد ٩٤٩ فيما سيأتى .

(٢) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء .

(٣) الآية ١٨ من سورة النمل .

فهو جائز ، ولكنّه قليل . ويحتمل أنّ كلام الناظم أَنَّ أدوات الشرط مسوِّغة لدخول النون مطلقاً ، سواء أكان الفعل معها فى جملة الشرط ، أو فى جملة الجزاء . إذْ لم يقيِّد ذلك بفعل الشرط . فيجوز على هذا أن تقول : إن تكرمَنَّنى أكرمنَّك . انتهى .

وقوله : (فمَهْما تَشَأْ) إلخ قال الأعلم : أراد مهما تشأ فزارة إعطاءه تُعطِكم ومهما تشأ منعَه تمنعْكم . فحذف الفعل لعلم السامع . وإدخال النون الخفيفة على تَمنعا وهو جواب الشرط ضرورة ، وليس من مواضع النون ، لأنّه خبر يجوز فيه الصِّدقُ والكذب ، إلاّ أنّ الشاعر إذا اضُطّر أكّده بالنون تشبيهاً بالفعل فى الاستفهام ، لأنّه مستقبل مثله . انتهى .

والبيت غير موجود فى ديوان ابن الخرِع [١] وإنمّا هو من قصيدةٍ للكميت بن ثعلبة ، أوردها أبو محمدٍ الأعرابىّ (فى ضالَّة الأديب) ، وهى :

(مَن مبلغٌ عُليَا معدٍّ وطيِّئاً ... وكِندةَ مَنْ أصغَى لها وتسمَّعا
يَمَانِيَّهــــمْ مَنْ حَلَّ نجرانَ منهمُ ... ومَن حَلَّ أطرافَ الغَطاط فلَعْلَعا
ألم يأتِهمْ أنَّ الفزارىّ قد أبَى ... وإنْ ظلموه أن يُتَلَّ فيُصرعا
ولمَّا رأى أنَّ الحياةَ ذميمةٌ ... وأنّ حَكِيَّ الموتِ أدركَ تُبّعا
شَرَى نفسَه مجدَ الحياةِ بضربةٍ ... ليرحَضَ خِزْياً أو ليطلُعَ مَطلَعا [٢]
أبَتْ أمُّ دينارٍ فأصبح فرجُها ... حَصاناً وقلِّدتمْ قلائدَ بَوْزَعا
فيا راكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ ... سُحَيماً وأبلغ باعثاً والمرقّعا
خُذوا العقلَ إن أعطاكمُ العقلَ قومُكم ... وكونوا كَم سِيمَ الهوانَ فأرتَعا

(١) ط : « أبى الخزع » ، صوابه فى ش .

(٢) فى اللسان أن المصدر الميمى لطلع يجوز فيه فتح اللام وهو القياس ، وكسرها وهو الأشهر .

ولا تُكثِروا فيها الضّجاج فإنّه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعَا [١]
وأقبلَ أقوامٌ بحرّ وجوههم وأدبر أقوامٌ بلَطمةٍ أسْفَعا
فمهما تشأْ منه فزارةُ تُعطِكُمْ ومهما تشأ منه فَزارةُ تمنعا
٥٦١ فزارةُ عوفٌ لا عزيزَ بأرضه ويمنع عوفٌ ما أراد ليمنعا
فإن مات زمِلٌ فالإله حسيبُهُ وإن عاش زِمْلٌ فاسقياهُ المشعشَعا)

قوله : « ألم يأتهم أنّ الفزاريَّ » إلخ أراد بالفزاريّ هنا زُمَيل بن أُبير ، أحد بنى عبد الله بن عبد مناف . ويقال لأمّ زُميل : أمُّ دينار ، كان سالم بن دارة الغطفانى هجاه ، بقصيدة منها :

بلِّغ فزارةَ أنّى لنْ أسالمها حتّى ينيكَ زميلٌ أُمَّ دينارِ

وهجا بنى فزارة بقصائد تقدّم بعضها فى الشاهد الخامس بعد المائة [٢] ، وبعض آخر فى الشاهد السابع بعد المائتين [٣] .

فحلف زميلٌ أن لا يأكل لحماً ، ولا يغسل رأسه ، ولا يأتىَ امرأة حتّى يقتله . ثم بعد مدّة لقيه زُمَيل فضربَه بالسَّيف ضربة كانت سببَ موته ، وافتخر بتخلُّصه من العار بقتله ، وقال :

أنا زميلٌ قاتل ابنِ داره وغاسلُ المَخْزاةِ عن فزارهْ

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس بعد المائة [٤] .

فحكى الكميت هذه الحكايةَ وتهكَّمَ بغطفان .

---

(١) الضجاج بفتح الضاد وضمها : الضجيج والصياح والمشاغبة والمجادلة . وهو مصدر ضج يضج . ويقال أيضا ضاجّه يضاجّه مضاجّة وضِجاجا ، إذا شاغبه وشارّه . ففى الضاد لغات ثلاث .
(٢) الخزانة ٢ : ١٣٩ – ١٥٠ .
(٣) الخزانة ٣ : ٢٦٦ .
(٤) الخزانة ٢ : ١٣٩ – ١٥٠ .

وقوله : « أنْ يتَل فيُصرَعا » كلاهما بالبناء للمفعول . والتلُّ : الإلقاء على الوجه . والصَّرع : القتل .

وقوله : « وإنّ حَكِيَّ الموت » بالحاء المهملة ، فعيل بمعنى مفعول ، من أحكيت العُقدة ، إذا قوَّيتها وشدَّتها .

وقوله : « شرَى نفسَه » أى اشترى لنفسه مَجدَ الحياة ، أى شرفها . وقوله : « ليرحض خِزْيا » أى ليغسل عاراً . والرَّحض بالراء والحاء المهملتين والضاد المعجمة ، هو الغَسْل . والخِزْى بالكسر : المذَلّة والعار .

والحَصَان بفتح المهملة : العفيف . وقوله « وقُلِّدتُم » بالبناء للمفعول ، والخطاب لبنى غطفان . وبْوزَع بفتح الموحدة والزاى ، قال الأسود أبو محمد الأعرابىّ (فى ضالّة الاديب) : بَوزع هى أمُّ زياد بن الحارث، وهى « ذات القلائد » وكانت أوّلَ من نَصبت رايةً فى بنى مُسلِية ، وفيها تضرب العرب الأمثال فى قولهم : « قلائد بوزع . وقال مَوْءلةُ بن الحارث جدّ المحجّل بن حزن بن مَوءَلة :

من تك أُمُّه زانتْه يوماً ... فقد شانتك أُمُّك يا زيادُ
عجوزُك بوزعٌ كسبَتكَ عاراً ... فليس برائم حَتّى التنادِى
فلستَ إلى بنى عُلَة بنِ جَلْدٍ ... ولا سعدٍ ولا حيَّىْ مرادِ

وقال آخر :

قلائد بوزعٍ جرَّت عليكمْ ... مواسمَ مثل أطواقِ الحمام (١)

وقد أخطأ أبو عبد الله بنُ الأعرابىّ فى هذا الشعر من جهتين : أولاَهما أنّه نسب هذا الشعر إلى الكميت بن معروف ، وهو للكميت بن ثعلبة . والكميت ابن ثعلبة مُخضَرم وجدُّ كميت بن مَعروف .

---

(١) المواسم : جمع ميسم ، بكسر الميم ، وهى المكواة التى يوسم بها الدواب ، ويطلق الميسم أيضا على أثر الوسم .

وأخراهما : أنّه صحف فى قوله بوزع بالباء ، فقال قوزع بالقاف وفسَّره على التخمين بالخزى والعار .

انتهى كلام أبى محمد ، وما ادَّعاه من التحريف حقّ لا شبهة فيه . والأبيات التى أنشدها تشهد لما قاله من أنّ بوزع امرأة ، لكنّه لم يشرحْ قلائدها ولم يبيِّنْ وجه كسبِها للعار لابنها . وقد راجعت كتب الأمثال فلم أظفر فيها بشئ ، ولعلَّ الله يُطْلعنى على شَرحها فأُلحقَهُ هنا . ٥٦٢

وما نقله عن ابن الأعرابىّ موجودٌ (فى نوادره) ، وقد نقله عنه أرباب اللغة خلفٌ بعد سلف ، ولم يطَّلعوا على ما قاله أبو محمد الأعرابى ، ولو اطَّلعوا عليه لحكَوه . قال الصاغانى (فى العباب) فى فصل القاف من باب العين : قال ابن الأعرابىّ : يقال « قُلِّدتم قلائدَ قَوزعٍ يا هذا ، ولأُقلِّدنّك قلائد قَوَزع » ومعناه طُوِّقْتم أطواقاً لا تُفارِقكم أبداً . وأنشد :

قلائد قوزعٍ جَرّت عليكم مَواسِمَ مثل أطواقِ الحمام

وقال مَرّة « قلائد بَوْزع » ثم رجع إلى القاف . انتهى .

ولخّصَ من هنا صاحبُ القاموس فقال : وقلدتم قلائد قَوزع :طُوِّقتم أطواقا [1] لا تفارقُكم أبدا .

ونقله العينى أيضاً .

وقال محمد بنُ المكرَّمِ فى لسان العرب : قوزع اسمُ الخِزى والعار ، عن ثعلب . وقال ابن الأعرابى : « قَلَّدته قلائدَ قَوزع » ، يعنى الفضائح . وأنشد للكميت بن معروف :

---

(١) ط : « طوقا » ، صوابه فى ش والقاموس .

أبت أمُّ دينارٍ فأصبح فرجُها حَصاناً وقُلِّدتم قَلائدَ قَوزعا

وقال مَرّةً : قلائد بوزع ، ثم رجع إلى الفاف [1] . انتهى .

ولو كان اسما للخزى لكان مصروفاً ، ولا وجه لمنعه إلاّ أن يُدَّعَى أنّه علَمُ جنسٍ ، كزوبر علم للكلبة . انتهى .

ولم يتعرَّض الجوهرى لهذه الكلمة بشيء . وأوردها ابن برى (فى أماليه على صحاحه) فقال : قوزع اسم الخزى ، عن ابن الأعرابىّ . وأنشد بيت الكميت .

وقوله : « فيا راكبا إمّا عرَضْت » أى أتيت العَروض ، وهى مكة زادَها الله شرفا . قال أبو محمد : سُحيم وباعث والمرقّع [2] كلّهم من بنى عبد الله بن غَطَفان .

وقوله : « خذوا العقلَ إن أعطاكم العَقلَ قومُكم » هذا تهكُّم بهم . والعَقْل : الدِّيَة . وإنَّما قال قومُكم لأنّ فزارة هو ابن ذبيان بن بَغيض بن ريث بن غطفان ، وبنو عبد الله هم بنو عبد العُزّى بن غطفان . ولما وفد عبد الله على النبى ﷺ فقال : من أنتم ؟ قالوا : بنو عَبد العُزّى . قال : « أنتم بنو عبدِ الله » . فلزمهم هذا الاسم .

وقوله : « وكونوا كمن سِيمَ الهوان فأرتعا » سِيمَ : مجهولُ سامه الشيء يَسُومُه سَوما ، أى كلَّفه إيّاه . والهَوَان : الذّل . وأرتعا من أرتع إبله ، وقومٌ مُرتِعُون أى تَرتع إبلُهم. يقال رَتَعت الماشية ترتعُ رتوعا ، أى أكلت ما شاءت .

---

(١) هنا ينتهى نص ابن منظور ، وقد نص البغدادى على نهايته . أما النص بعده والتعليق عليه بعلامة الانتهاء فليس مصدره واضحاً .

(٢) ط : « المرفع » صوابه بالقاف ، كما فى ش .

وقوله : « ولا تُكثروا فيها الضّجاج » أى لا تكثروا فى هذه القضيّة ، وهى قتل سالم بن دارة . قال الجوهرى : وضاجَّهُ مضاجّة وضِجاجاً : شاغَبَه وشارَّهُ ، والاسم الضَّجاج بالفتح (١) . وقوله : « محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا » أورده الزمخشريُّ فى أمثاله (٢) قال : هو سالم بن دارة الغَطَفانى ، هجا بعضَ بنى فزارة بقوله :

أبلِغ فزارَة أنّى لا أُصالحها حتّى ينيكَ زُميلٌ أُمَّ دينار

فقتلَهُ زُميلٌ الفزارى ، فقال الكميت ذلك ، يريد أنّ الفعل أفضل من القول ، وإنمّا قلتَ أنتَ وفعلنا نحنُ . يضرب للجبان يتوعَّد ولا يفعل . انتهى .

وقوله : « وأقبل أقوامٌ بِحُرٍّ وجوههم » هم قوم زُمَيلٍ الفزارى ، وما بعده قومُ ابن دارة . وقوله : « بلطْمةِ أسفعا » ، أى بلطمة خدّ أسفع ، أىْ لُطِموا على خدودهم حتَّى اسودَّت . والسُّفعة بالضم : سوادٌ يخالطه حمرة . والأسفع هو المتَّصف بالسُّفعة .

وقوله (فمهما تشأْمنه فزارةُ) إلخ معناهُ : كلُّ شيءٍ شاءت منه فزارة أعطَتْ ، وكلُّ شيء شاءت منعت . مفعول تَشَأ محذوف كما تقدَّم ، ومنه متعلِّقٌ بتُعطِكم ، ومنه الثانى متعلّق بتمنع محذوفاً لا بالمذكور ، لأنّ المؤكَّد بالنون لا يتقدَّم معموله عليه . ويجوز أن يتعلَّق به بناءً على أنّه يُتوسَّع فى الظروف مالا يُتوسَّع فى غيرها . والضمير فى الموضعين راجعٌ إلى مهما ، وقال العينى : راجع إلى ابن دارة ، ومفعول تمنعا محذوف ، أى تمنعكم : يعنى إنْ أرادت فزارةُ إعطاءَ شيء من الدِّية أعْطَت ، وإن أرادت منْعكم من الدِّية فعلَتْ ، لأنّكم أذلاَّءُ معهم ، ٥٦٣

(١) انظر ما سبق فى الحواشى ص ٣٨٩ .
(٢) المستقصى ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢ .

لا تقدِرون على أخْذ قَوَد ، ولا طلَب دِيَة . وقوله : « فزارة عوفٌ » مبتدأ وخبر ، والعَوف ، بالفتح : الأسَد واسم الذّئب أيضا . وعَوفٌ الثانى هو عَوْف بن هلال ابن شَمخ ، بفتح المعجمة وسكون الميم بعدها خاء معجمة ، ابن فزارة .

وقوله : « فإنْ ماتِ زِمْل » بكسر الزاى ، هو زُميل قاتل ابن دارة ، بالتصغير . والمشعشَع : الشراب الممزوج بالماء . قال أبو محمد الأعرابىّ : كانت هذه القضيّة فى زمن عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه ، ثم حدثَ فى زمن عبد الملك شرٌّ بين بنى رِياب وبين بنى الكميت بن ثعلبة ، فقَتل ذيّالُ بن مقاعسٍ الرِّيابىُّ عبيدَ الله بن صخر ، أخا المَيْدان ، فعرض ذيّالٌ الدية على بنى الكميت فقَبلوا ، فقال فى ذلك عبد الرحمن بن دارة يعيِّر آل الكميت :

ألم تر أنَّ الله لا شئَ بعده   شَفانىَ من آل الكُميت فأسرعا
وأصبح ذيَّالٌ يَذِيل وقد سَقَى   بكفّيه صَدْرَ الرُّمح حتّى تضلَّعا [1]
خُذوا العقل يا آل الكُمَيت وأقبِلوا   بأنف وإنْ وافَى المواسمَ أجدعا

وترجمة الكميت بن ثعلبة تقدَّمت فى الشاهد السبعين بعد الخمسمائة [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [3] :

٩٤٦ (نَبتُّم نباتَ الخَيزُرانىِّ فى الثَّرى   حَدِيثاً متَى ما يأتِكَ الخيرُ يَنْفَعا)

---

(١) ط : « يديل » ، صوابه فى ش . وذال الرجل يذيل ذيلا : تبختر فجرَّ ذيله . قال طرفة :

فذالت كما ذالت وليدة مجلس   تُرى ربَّها أذيال سحل ممدد

(٢) الخزانة ٧ : ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٣) فى كتابه ٢ : ١٥٢ وشرح أبياته للسيرافى ٢ : ٣٠٨ والضرائر لابن عصفور ٣٠ والعينى ٣ : ٣٤٤ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢٢٠ . وانظر العقد ٥ : ٣٩١ .

لما تقدَّم قبله من جواز دخول نون التوكيد اختيارا فى جواب الشرط ، فإنّ ينفعا جواب الشرط ، وقد أُكِّد بالنون المنقلبة ألفا .

وتقدَّم فيما قبله نقلُ كلام سيبويه ، وأنّه مخالف له .

وهذا البيت كذا رواه سيبويه ، وتبعه من جاء بعده ، ولم يذكر خدَمةُ كتابه تتمته ، ولا شرَحُوه شرحا وافياً بمعناه ، وإنّما قال الأعلم : هجا قوماً فوصفهم بحدثان النِّعمة . والخيزرانى : كل نبت ناعم ، وأراد بالخير المال .

هذا كلامه بحروفه . وقد رواهُ غير سيبويه بكسر العين مِنْ (ينفع) . على أنّه جوابٌ مجزوم . وكذا رواه الأصمعىّ بلفظ : « متى ما يدرك الخير ينفع » ، وقال : يقول : نميتم نماءً حسنا كما ينبت الخيزُران فى نَعْمته ولينِه ، أى وإنْ كنتم نبتُّم بأُخَرَةٍ فإنّ الخيزران متى يدركْ ينفعْ . انتهى .

وهذا يقتضى أنّ الخير بمعنى الخيزُران . وهذا غير معهود بهذا المعنى ، وأمّا استعمالُه فى المال فكثير ، قال تعالى : ﴿ إنْ تَرَكَ خيرًا [1] ﴾ أى مالا . وقال تعالى : ﴿ لا يَسأَم الإنسانُ مِن دُعاءِ الخَيْر [2] ﴾ أى لا يفتُر من طلب المالِ . وإن كانت الرواية « متى يدرك الخيزَ » بالزاى المعجمة لغة فى الخيزُران فما قاله صحيح ، لكنّى لم أرها فى كتب اللغة . وممّن رواه كالأصمعىِّ الجاحظُ [3] نقله عنه ابن عبد ربِّه قال (فى كتابه العقد الفريد) فى باب ما غُلِطَ فيه على الشُّعراء : وأكثر ما أُدرِكَ على الشُّعراء له مجازٌ وتوجيهٌ حسن ، ولكنّ أصحاب اللغة لا ينصِفونهم ، وربمّا غَلِطُوا عليهم وتأوّلوا غير معانيهم التى ذهبوا إليها . فمن

---

(١) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٤٩ من سورة فصلت .

(٣) وذلك فى كتابه (فخر قحطان على عدنان) ، كما سيأتى .

ذلك قول سيبويه ، واستشهَد ببيتٍ فى كتابه فى إعراب الشئ على المعنى لا على اللفظ ، وهو :

مُعاوِى إنّنا بشرٌ فأسجِحْ فلسنا بالجبالِ ولا الحديدَا

كذا رواه بالنصب ، وزعم أنّ اعرابه بالعطف على خبر ليس ، وإنّما قاله الشاعر بالخفض ، والشعر كلُّه مخفوض .

ونظير هذا البيت ما ذكره أيضاً فى كتابه ، واحتجّ به فى باب النون الخفيفة :

نبتُّم نباتَ الخَيزُرانىِّ فى الثّرى حديثاً متى ما يأتِكَ الخيرُ ينفَعا

وهذا البيتُ للنَّجاشى ، وقد ذكره عمرو بن بحر الجاحظ (فى فخر قحطان على عدنان) فى شعرٍ كلُّه مخفوضٌ ، وهو قوله :

يا راكباً إمَّا عرضْتَ فبلِّغَنْ بنى عامر عَنِّى وأبناءَ صعصعِ
نبتُّم نباتَ الخيزُرانةِ فى الثّرى حديثاً متى ما يأتك الخيرُ ينفعِ(١)

انتهى كلام ابن عبد ربه .

وقد تقدَّم فى الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة (١) أن البيت الأوّل من أبياتٍ منصوبة القوافى . وكذا يمكن أنْ يكون هذا البيتُ من أبيات منصوبة القوافِى وإنْ جاء من أبياتٍ مجرورة القوافى ، كما جاء فى ذلك البيت كذلك . ولهما نظائر أوردناها فى مواضعَ من هذا الكتاب ، فإنّ البيت الواحدَ قد يجئ فى شعرين لشاعرين فى أحدهما مجرور ، وفى الآخَر مرفوع أو منصوب ، كما تقدَّم فى الشاهد الخامس بعد الخمسمائة من باب الظروف (٢) . وسيبويه إمامٌ ثقة راوية ، لم يُورِدْ

---

(١) فى الخزانة ٢ : ٢٦٢ - ٢٦٤ .

(٢) الخزانة ٧ : ٢٥ - ٣٨ .

فى كتابه شيئاً إلاّ ما يعرفه حَقَّ المعرفة ، ولكنّا لقُصورنا ولعدم المساعدة قد لا نطَّلع على بعض ذلك . والله أعلم بحقائق الأمور .

وقوله : « إمّا عرضت » أى إن أتيت العَرُوض ، وهى مكة زادها الله شرفا . وصعصع : مرخم صعصَعَة للضَّرورة ، وعامر هو ابنه ، وإنما فصَله عن أبنائه لشهرة مَنْ سواه من أولاده بالأبناء . قال ابنُ الأعرابىّ : الأبناء ولد صعصعة ما خلا عامرًا ، وله ستّةَ عشرَ ولدًا ذكرا .

وقوله : (نبتُّم نباتَ) إلخ نبت نَبْتا من باب قتل ، والاسم النَّبات . والمعنى : نبتُّم كما ينبت الخيزُرانىّ . والخيزُران بفتح الخاء وضم الزاى ، قال الصاغانى (فى العباب) : هو شجرةٌ وليس من نباتِ أرضِ العرب ، وإنمّا ينبُت ببلاد الهند . وهو عروقٌ ممتدَّة فى الأرض.وقد يقال لكلِّ طريٍّ من النبت ناعمٍ خيزُران . انتهى . ولكونه عُروقا قال (فى الثرى) . و (حديثاً) حال من الخيزرانىّ ، ومعناه القريب : يقال هو حديثُ عهدٍ بكذا . والحديث أيضا : ضدُّ القديم . والحديث أيضاً : الحادث ، يقال حَدَث الشيء بعد أن لم يكن ، أى وُجد . والحديث أيضاً : الطرِىّ . وهذه المعانى كلّها مناسبة . يقول : لستم بأربابِ نعمةٍ قديمة ، وإنَّما حدثت فيكم عَن قُرب ، فقد نَمَيتُم كما ينَمِى الخيزُران بنعومةٍ وطراوة ، فإنَّ المال متى ما جاء نفع . وعلى هذا طريقةُ إرسال المثل . وقال العينى : حديثاً منصوب بفعل محذوف ، تقديره : حدَث حديثا . هذا كلامه .

وتقدمت ترجمة النجاشى فى الشاهد الخامس والسبعين بعد الثمانمائة [١] .

* * *

(١) الخزانة ١٠ : ٤٢٠ – ٤٢٢ .

٥٦٥ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٩٤٧ (مَنْ نَثقَفَنْ منهمْ فليسَ بآيبٍ أبداً ، وقتلُ بنى قُتيبة شافِى)

على أنّه ربمّا دخلت النون فى الشرط بلا تقدُّمِ ما الزائدة .

وتقدَّم قبله أنّ هذا التوكيد عند سيبويه ضرورة . وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : إنّه ضرورة .

قال الأعلم : الشاهد فى إدخال النون على فعل الشرط ، وليس من مواضعها إلاّ أن يوصل حرف الشرط بِما المؤكِّدة . يقول : من ظفِرْنا بهِ من آل قتيبة بن مُسْلِم فليس بآيبٍ إلى أهله ، لما فى قتلهمْ من شفاء النفوس . يصف قتلَه وانتقالَ دولته وإظهارَ الشَّماتة به . انتهى .

وليس قتيبة ما ذكره ، ولو اطَّلَع على الشعر ما قاله .

صاحب الشاهد

والبيت أحد أبياتٍ ثلاثة لبنت مُرّة بن عاهانَ الحارثى ، رواها أبو عبد الله محمد بن عِمران المرزُبانى (فى كتاب أشعار النساء) قال : كتب إلىَّ أحمد بن عبد العزيز ، قال : أخبرنا عمر بن شَبّة قال : قالت بنت مُرّة بن عاهان أبى الحُصَين ، لمّا قتلته باهلة :

(إنّا وباهلَةَ بنَ أعْصَر بيننا داءُ الضَّرائـر : بِغْضةٌ وتَقافِـى
من نثقفن منهمْ فليس بآيبٍ أبداً وقتـلُ بنَـى قُتيبـةَ شافى
ذهبَتْ قتيبةُ فى اللِّقاء بفارسٍ لا طائشٍ رعِشٍ ولا وَقّافِ)

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ٢ : ٢٦٣ والمقتضب ٣ : ١٤ . والمقرب ٢ : ٧٤ والضرائر ٣٠ والعينى ٤ : ٣٣٠ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والهمع ٢ : ٧٩ والأشمونى ٢ : ٣/٣١٠ : ٢٢٠ .

وحدثني أحمد بن محمد الجوهريّ قال : حدثنا العَنزيُّ قال : حدَّثنا التَّوَّزيُّ قال : حدثنا أبو عُبيدة قال : كان المنتشر بن وهبٍ الباهليُّ يُغاور أهلَ اليمن ، فقتَلَ مُرّة بن عاهان الحارثي ، فقالت نائحته :

يا عينُ بَكِّي لمرّة بن عاهانا لو كان قاتله من غير مَنْ كانا (١)
لو كان قاتلُه قوماً ذوِي حسب لكنّ قاتلَه بَهْلُ بن بَهلانا

قال أبو عبيدة : ما هُجُوا بمثله ، لأنّها صغَّرتْ بهم ، وإنمّا أرادت باهلة . انتهى .

وكذا رواها الأسود أبو محمد الأعرابي (فى فُرحة الأديب) .

قوله : « إنا وباهلةَ بن أعصر » أُريد بباهلة القبيلة المنسوبة إليها ثمّ إلى أعصُر ، لأنّ باهلة هى بنت صَعب بن سعد العشيرة من مَذحِج ، تزوَّجها مالك ابن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، فولدت باهلةُ من مالك سَعدَ مناة . ثم تزوَّجها ابن زوجِها معنُ بن مالك بن أعصُر ، فولدت باهلةُ من معنٍ أوْدًا ، وجِئاوة (٢) . وكان لمعن بن مالك أولادٌ من غيرها ، وهم : شيبان ، وزيد ، ووائل ، والحارث ، وحرب ، ووُهَيبة ، وعَمرو ، وأمّهم أرنب بنت شَمْخ بن فزارة . وقتيبة ، وقعنب ، وأمُّهُما سَودة بنت عَمرو بن تميم . فحضنت باهِلة هؤلاء التسعة فغلبَتْ عليهم ، فانتسبوا إليها .

فقتيبة فى هذا الشعر هو ابن زوج باهلة ، وهو قتيبة بن مَعْن بن مالك بن أعصُر . وما ذكره الأعلم باهليٌّ أيضا ، وهو من ولد وائل ، فإنّه قتيبة بن مسلم بن

(١) كذا ورد صدره مضطرب الوزن ، وهما من البحر البسيط .

(٢) فى النسختين : « جعاوة » ، صوابه فى الاشتقاق ٢٧١ ، ٢٧٤ والمعارف ٣٦ وجمهرة ابن حزم ٢٤٥ .

عمرو بن حُصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قُضاعىّ بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل .

فانظر ما بينهما . ولكنْ حصل للأعلم اشتباهٌ من تشارك الاسمين .

وكان قتيبة بن مسلم أمير خراسان لعبد الملك بن مروان ، والمنتشر بن وهبٍ كان من ولد وائلٍ أيضا ، فإنّه ابن وهب بن عَجلان بن سلمة بن كَرَاثَة بن هلال المذكور .

٥٦٦

وكان المنتشر ممن كان يعدُو أشدَّ من عَدو الظّبى ، هو وأوفى بن مَطر المازنى ، وسُلَيك بن السُّلَكة ، وتأبّط شرًّا ، والشَّنفَرَى .

وقوله : « كان يُغاور أهلَ اليمن » أى يُغير عليهم . وبالآخرةِ قتله بنو الحارث ابن كعب ، كما تقدَّم فى ترجمته فى الشاهد السابع والعشرين من أول الكتاب [١] .

والأصمعىّ العالم الراوية المشهور باهلىٌّ أيضا . وهو من ولد قُتيبة بن معن ، واسمه : عبدُ الملك بن قُرَيبٍ ، بالتصغير ، ابن علىّ بن أصمع بن مُظَهِّر [٢] بن رِياح بن عَبد شمس بن أعيا بن سَعد بن عبد بن غَنْم بن قتيبة .

وكان الأصمعىّ يقول : لست من باهلة ، لأنّ أمَّ قتيبة بن معن تميميَّة ، ولكنْ حضنتْه فغلبت عليه . وإنما تبرَّأ منها لأنّ باهلة قبيلةٌ مذمومة فى العرب .

وقوله : « بيننا داء الضرائر » جمع ضَرّة بالفتح . وضَرّة المرأة : امرأة زوجها . وهذا الجمع نادرٌ لا يكاد يُوجَد له نظير ، فإنّ فعائل يكون جمع فعيلة لا فَعْلةٍ . وداء الضرائر هو التّباغُض والتضاربُ ، وهو معروف ، فيكون قولها :

(١) الخزانة ١ : ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) ط : « مطهر » ، صوابه فى ش ووفيات الأعيان والقاموس ، بالظاء المعجمة وكسر الهاء المشددة .

« بِغضةٌ وتَقَافى » تفسيراً للداء [١] . وبغضةٌ إمّا بدلٌ من داءُ ، أو خبر لمبتدأ محذوف . والبغضة بالكسر والبغضاء بالمدّ : شدّة البُغض . والتَّقافى : تفاعلٌ من قَفَيته أقفيه قَفْياً ، إذا ضربتَ قَفاه . وروى « نِقاف » بكسر النون ، وهو مصدر ناقَفَه . قال الليث : المناقفة هى المضاربة بالسيوف على الرءوس . وعلى هذا يكون بغضة بالجرّ بدلاً من الضرائر .

وقولها : (من نثقفن منهم) إلخ بنون المتكلّم مع الغير ، يقال ثَقِفْتُ الرجلَ فى الحرب : أدركته . وثَقِفته : ظفِرت به . وثَقِفته : أخذته . وثَقِفت الحديث : فهمتُه بسُرعة . والكلُّ من باب تعب . و (آئب [٢]) : راجع ، مِنْ آب من سفره ، يؤوب أوباً : رجَع . والإياب : اسم منه ، أى من نظفر به مِن باهلَة نقتلُه ولا ندعُه يرجع إلى أهله سالماً . فمن مبتدأ ، وجملة الشرط والجزاء خبره ، وجملة ليس بآئب هو الجزاء ، واسم ليس ضمير مَنْ ، والباء زائدةٌ فى خبرها . وروى : (من تثْقَفَنْ مِنّا) بالمثناة الفوقية للتأنيث ، فيكون فاعله ضمير باهلة . وروى أبو محمد الأعرابىّ (فى فرحة الأديب) : « من يثقَفُوا مِنّا فليسَ بوائل » . والوائل : الملتجئ ، من وأل يئل وَأْلاً [٣] ، إذا لجأ . والمَوئل : الملجأ . ولا تناسب هاتان الروايتان ما بعدَهما ولا المقام [٤] .

وقولها : « ذهبت قتيبة فى اللقاء » ، هو الحرب . والطائش : المتحيِّر . والرَّعِش : المرتعش من الخوف . والوقّاف : الذى لا يبارز العدوَّ وجُبنا .

---

(١) ط : « ونقاف » ش : « وتقا فى تفسير » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ش : « وبآيب » .

(٣) يقال وأل يئل وألا ووُءولاً ووَئيلاً .

(٤) فى النسختين : « ولا بالمقام » .

ومُرّة بن عاهان بن الشَّيطَان بن أبى ربيعة بن خيْثمة بن ربيعة بن كعب ابن الحارث بن كعب : أحد قبائل اليمن . وكان عاهان شريفاً عظيما بينهم ، ويقال له هاعان أيضاً . وهو جاهلٌى قديم .

والعينىُّ لم يأت فى شرح هذا البيت بشىء . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(ومن عِضَةٍ ما ينبُتنَّ شكيرُها)

على أنّه يجوز فى الاختيار بقلّة تأكيد الفعل المستقبَل فى غير الشرط ، إذا كان فى أوّله ما الزائدة .

قال سيبويه : ومن مواضعها أفعالُ غير الواجب ، التى فى قولك : بجهدٍ ما تبلغنَّ ، وأشباهِه . وإنما كانَ ذلك لمكان ما . وتصديقُ ذلك قولُهم فى مَثَل :

* ومِن عِضةٍ ما ينبتنَّ شكيرها *

وفى مثل آخر : « بألمٍ ما تُخْتَتِنَنَّه » وقالوا : « بعينٍ ما أرينَّك » . فما ههنا بمنزلتها فى الجزاء . انتهى .

وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى والخمسين بعد المائتين [1] .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٢٢ – ٢٣ .

٥٦٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٤٨ (رُبَّما أوفَيْتُ فى عَلَمٍ   تَرفَعَنْ ثوبِى شِمالاتُ)

على أنَّ توكيدَ ترفعُ بالنون الخفيفة ضرورة . وإنمّا حسَّن التوكيدَ زيادةُ ما فى ربَّ ، ووقوعُ ترفع فى حيِّز رُبَّما .

قال سيبويه بعد إنشاد البيت للضَّرورة : وزعم يونسُ أنّهم يقولون : رُبمَّا تقولنّ ذاك ، وأكثر ما تقولنَّ [٢] ذاك . انتهى .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ لملك الحِيرةِ جَذيمةَ الأبرش . قال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : جذيمة الأبرش الملكُ كان شاعراً ، وكان أبوه مالك بن فهم ملكاً على العرب بالعراق عِشرين سنة ، وكان يقال لجذيمة الأبرشِ:الوضّاح ، لبرصٍ كان به . وملَكَ بعد أبيه ستِّين سنة . وكان ينزل الأنبار ، وهو القائل :

(رُبمّا أوفَيْتُ فى عَلَم   ترفَعَنْ ثوبِى شِمالاتُ
فى فُتُوٍ أنا كالئُهمْ   فى بلايا عَورةٍ باتُوا
ثم أُبنَا غانِمِينَ معاً   وأناسٌ بعدَنا ماتوا
ليت شعرى ما أماتَهمُ   نحنُ أدلجنا وهمْ باتوا)

فى أبياتٍ . ولجذيمة (فى كتاب الأزد) أشعار . انتهى .

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٣ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ٢ : ٢٨١ ونوادر أبى زيد ٢١٠ والمقتضب ٢ : ١٥ والمؤتلف ٣٤ والأزهية ٩٢ ، ٢٧٥ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ والمرتجل ٢٣٢ وابن يعيش ٩ : ٤٠ والمقرب ٢ : ٧٤ والضرائر ٢٩ ورصف المبانى ٣٣٥ والمغنى ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٣٠٩ والتصريح ٢ : ٢٢ ، ٢٠٦ ، والهمع ٢ : ٣٨ ، ٧٨ والأشمونى ٢ : ٢٣١ / ٣ : ٢١٧ .

(٢) ط : « يقولن » ، صوابه فى ش وكتاب سيبويه .

يصف سرِيَّة أسرى بها ، أو انقطاعاً عرضَ له من جيشِه فى بعض مغازِيه ، فكان ربيئةً لهم ، ولم يكِلْ ذلك إلى أحدٍ أخذًا بالحزم والثِّقة . قال الأعلم : وصف أنّه يحفظ أصحابَه فى رأسٍ جبل إذا خافوا من عدوّ فيكون طليعةً لهم . والعرب تفخر بهذا ، لأنّه دالٌّ على شهامة النَّفْس وحدّة النظر . والعَلَم : الجَبل . والشّمالات : جمع الشَّمال من الرياح ، وخصَّها لأنّها تهبُّ بشدّةٍ فى أكثر أحوالها . وجعلها ترفع ثوبَه لإشراف المرقَبة التى يَربأ فيها لأصحابه . انتهى كلامه .

وليس فى أبياته ما يدلُّ على أنّ أصحابه فى رأس جبل يخافون عدوًّا ، وهذا ذمٌّ . وإنّما المعنى : أنا أنظر لهم وأصعد على موضعٍ عال أرقُبهم ، وأنظرُ مَن يأتيهم .وقوله : « لأنّها تهب بشدّة » يكفى عنه قوله : ترفع ثوبَه ، لإشراف المرقبة ، إذ الرِّيح ولو أنّها الصَّبا إذا هبت على ثوبٍ من مكانٍ عال رفعَتْه . كذا قال ابن المستوفِي . وفى الأوّل نظَر .

و (أوفيت) على الشيء : أشرفتُ عليه ، ففى بمعنى على ، ويجوز أن تكون بمعناها على تقدير أوفيت على مكانٍ عال فى جبل . وقال ابنُ الأعرابّى : يقال أوفيت رأسَ الجبل . قال ابن يَسعون : فعلى هذا فى البيت حذف مفعولٍ تقديرُه ربمَّا أوفيت مرقبةً أو شرَفاً فى رأس علم . والعلم بفتحتين : الجَبلُ . والشّمال ، بالفتح ويجوز الكسر بقلّة ، وهى الرِّيح التى تهبُّ من ناحية القُطْب . وفيها لُغاتٌ : شَمل بسكون الميم وفتحها ، وشمأل بالهمز كجعفر ، وقد يشدّد لامه ، وشَأْمَل مقلوب منه ، وشَيْمل كصَيقل ، وشَوْمل كجوهر ، وشَمُول كصبور ، وشميل كأمير . وجمع الأوّل شِمالات وبه أنشده الجوهرىّ . ويجمع على شمائل أيضاً بخلاف القياس .

وفى قوله : (ترفعن) إلخ إشارةٌ إلى أنّ قميصه لا يلصَق بجلده لخَمصه . وهذا مدحٌ عندهم ، لا سيَّما مَن كان مثلَه من أهل النَّعمة . قال ابن المُلاَّ :

وجملة ترفَعَنْ إلخ حال من تاء أوفيت ، أو صفة لعَلَم ، والعائد محذوف أى فيه .

٥٦٨ واقتصر العينى على الأخير . وفى الأوّل نظر ، فإنَّهم قالوا : يجب تجرُّد الجملة الحاليَّة من عَلَم الاستقبال ، ولهذا غلط من أعرب جملة (سيَهْدِين) حالاً من قوله تعالى : ﴿ إنِّى ذاهبٌ إلى ربِّى سَيْهدِين (١) ﴾

قال شارح أبيات الإيضاح للفارسى (٢) : ترفعَن كلام منقطع مما قبله ، كأنه استأنف الحديث . وليس فى موضع حال ، لأنّ هذه النون لا تدخل على الحال . انتهى .

واستشهد به الفارسىُّ (فى الإيضاح) على وقوع الماضى بعد ربّ إذا كُفّت بما قال : وربَّ موضوعةٌ للإخبار عما مضى ، وهذا موضعٌ التكثيرُ به أولى من التقليل ، لأنّه المناسب للمدح .

وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) : إنّه مسوقٌ للافتخار ، ولا يناسبه التقليل .

قال شارح أبيات الايضاح : يحتمل بقاء ربَّ على معناها من التقليل ، لأنّ جَذيمة ملكٌ جليل لا يحتاج مثلُه إلى أنْ يُبتَذَل فى الطلائع ، لكنّه قد يطرأ على الملوك خلافُ العادة فيفخَرون بما ظهر منهم عند ذلك من الصَّبر والجلادة .

وأُورِدَ على ابن هشام بأنّ الافتخار بالقليل قد يقع لا من حيث قلّته ، بل من كونه عزيزَ المنال لا يُوصَل إليه إلاّ بشِقّ الأنفس ، فالظَّفَرُ به مع هذه الحالة يناسب الافتخار .

---

(١) الآية ٩٩ من سورة الصافات .

(٢) فى النسختين : « الفارسى » .

وأجيب بأنّه لم يدَّعِ عدمَ مناسبة القليل ، بل التقليل ، وهو غير مناسب للافتخار ، وإنْ كان القليل قد يناسبه بغير جهة قلَّته .

وروى صاحب الأغانى البيتَ كذا « ترفع أثوابى شِمالاتُ » ، ورواه أيضا : ترفع الأثوابَ شمالات [١] » .

وقوله : « فى فُتُوٍّ أنا كالئُهم » فى متعلقة بأوفيت ، وفُتُوّ : جمع فتًى ، وهى السخيُّ الكريم ، والشابُّ أيضا ، جمع على فعول . وكالئهم : اسم فاعل مِن كلأهُ اللّٰه يكلؤه مهموز بفتحتين ، أى حفِظه وحَرَسه . والبلايا : جمع بليَّة . والعَورة ، بفتح العين المهملة : موضع خللٍ يُتخَوَّف منه فى ثغر أو حرب . وباتوا : ماضى يَبيتَ مبيتا ومَباتاً . وله معنيان أشهرهما اختصاصُ ذلك الفعل باللَّيل ، كما اختصّ الفعل فى ظَلَّ بالنهار . فإذا قلت : بات يفعل كذا ، فمعناه فَعَله بالليل ، ولا يكون إلاّ مع سهر الليل . والثانى بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار ، سواء كان بليلٍ أو نهار . وعليه قوله ﷺ : « فإنّه لا يدرى أين باتت يُده » . والمعنيان هنا محتملان . وروى صاحب الأغانى هذا البيت كذا :

فى شبابٍ أنا رابئُهمْ ... هُمْ لدى العَورات صُمَّاتُ

ورابئ : اسم فاعل من ربأت القوم بالهمزة رَبْئًا وارتبأتهم ، أى رَقَبتهم ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوقَ شَرَف . والربئ والربيئة على فعيل وفعيلة : الطَّليعة . والمربأة على مفعلة ، وكذلك المربأ : المرقبة . والعَوْرة تقدّم شرحها . وصُمَّات : جمع صامت ، وصَمْتُهم للحراسة [٢] . وروى الجوهرى :

---

(١) الذى فى الأغانى ١٤ : ٧٣ وهو الموضع الوحيد : « ترفعن ثوبى شمالات » ؛ فقد تكون تلك الروايات فى نسخ أخرى .

(٢) كذا أورد البغدادى شرحه وضبطه . وأراها صِمّات بكسر الميم ، جمع صِمّة بالكسر ، وهو الرجل الشجاع ، ومنه تسمية دريد بن الصمة .

في فُتوٍّ أنـا رابئُهـم من كَلال غزوةٍ ماتـوا

والكَلال ، بالفتح : التعب . وهو مضاف إلى غزوة . والغَزْوة بمعجمتين . وجملة ماتُوا صفة ثانية لفُتُوٍّ . وأراد بالموت مقاساةَ الأهوال والشدائد .

وقوله : « ثم أُبنا غانمين » من آب يَئوبُ ، إذا رجع . ورواه صاحب الأغاني كذا :

ثم أُبنا غانِمِيـنَ وكَـمْ منْ أُنـاس قبلنـا ماتـوا (١)

وقوله : نحن أدْلجنا ، يُقالُ : أدلج إدْلاجاً ، إذا سار اللّيلَ كلَّه . وباتوا بالموحَّدة . وروى صاحب الأغاني المصراع الأوّل كذا :

* ليت شعرى ما أطافَ بهم *

وروى غيره :

* ليت شعرى ما أصابهُمُ *

٥٦٩ جذيمة الأبرش

وجذيمة الأبرش بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ، قال الجاحظ (فى البيان والتبيين) : عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبى ، أنّ جذيمة الوضّاح هو الأبرش التنوخى الأزدى ، وهو آخر ملوك قُضاعة بالحِيرة ، وهو أوّل من حَذَا النِّعالَ واتَّخذ المَنجنيقَ ووضعَه على الحصون ، وأوّل من أدلج من الملوك ، وأوّل من رُفِع له الشَّمع (٢) .

وكان جَذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدِهمْ مُغاراً ، وأشدِّهم نِكاية ، وأظهرِهم حَزْما . وهو أوّل من استجمع له المُلك بأرض العراق وضمّ إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برص ، وكانت العرب تكنى عن أن تسمِّيه به وتنسبه إليه ،

---

(١) الذى فى الأغانى : « وكم كرَّ ناس قبلنا » .

(٢) هنا ينتهى نص البيان والتبيين . أما بقية النص فقد أخذ البغدادى طرفا منه من الأغانى .

إعظاماً له فَقيل له جَذِيمة الوضّاح ، وجذيمة الأبرش . وكانت منازلُه فيما بين الحِيرة والأنبار وبَقّة ، وهِيت وناحيتها ، وعين التّمر وأطراف البرّ ، وتُجبَى إليه الأموالُ وتَفِدُ عليه الوفود . وكان غزا طسماً وجديسا فى منازلهما من جَوٍّ وماحوله . وجَوّ هى اليمامة ، فوافق خُيولَ حسّان بن أسعد أبى كرب قد أغارتْ على طَسم وجديس ، فانكفأ جَذيمةُ راجعاً . انتهى .

وتقدم ذكرُ مقتله فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الخمسمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٩٤٩ (يَحسَبُه الجاهلُ ما لم يَعْلما شيخاً على كُرسيِّهِ مُعَمَّما)

على أنّ نون التوكيد تدخل بعد لم تشبيهاً لها بلا النهي عند سيبويه . وأنشَدَ هذا الشعر .

وتقدّم نقلُ كلامه قبل أربعة أبيات ، وأنّه عنده ضرورة ، وأصله ما لم يعلمَنْ ، فقلبت النون ألفاً للوقف .

قال ابن الأنباريّ (فى مسائل الخلاف) : يدلُّ على أنّ النون الخفيفة ليست مخفّفة من الثقيلة أنّها تتغيَّر فى الوقف ، ويُوقَف عليها بالألف ، قال تعالى :

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٩٣ — ٢٩٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر نوادر أبى زيد ١٣ ومجالس ثعلب ٦٢٠ والأصول لابن السراج ٢ : ١٧٩ ، ٢٠٩ والاقتضاب ٣٤٥ وابن الشجرى ١ : ٣٨٤ والإنصاف ٦٥٣ وابن يعيش ٩ : ٤٢ والمقرب ٢ : ٧٤ والضرائر ٢٩ ، ٤٨ ورصف المبانى ٣٣ ، ٣٣٥ والعيون الغامزة ٢٤١ ، ٢٤٢ والمغنى ٣٢٩ والعينى ٤ : ٣٢٩ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢١٨ والدمنهورى ٨٩ .

﴿ لنسفعاً بالنَّاصية [١] ﴾ وقال تعالى : ﴿ ليُسْجَنَنَّ وليكوناً من الصَّاغرين [٢] ﴾ أجمع القراء على أنّ الوقف فيهما [٣] بالألف لا غير . وقال الشاعر :

* يحسَبُهُ الجاهلُ ما لم يعلما *

ولا يجوز أن يكون ههنا بالنون لمكان قوله « معمَّما » بالألف ، لأنَّ النون لا تكون وصلا مع الألف فى لغة مَنْ يجعلها وصلا ، ولا رَوِيًّا مع الميم إلاّ فى الاكفاء ، وهو عيبٌ فى قوافى الشعر . ولو جاز أنْ تقع رويًّا معها لما جاز ههنا ، لأنّ النون مقيَّدة والميم مُطلقة ، فإنْ أُتِىَ بتنوين الإطلاق على لغة بعض العرب فقال مُعَمَّمَنْ جاز أن يقول : يعلمن ، لأنَّهم يجعلون فى القافية مكان الألف والواو والياء تنويناً ، ولا فرق عندهم فى ذلك بين أن تكون هذه الأحرفُ أصليَّة أو منقلبةً أو زائدة ، فى اسمٍ أو فعل كقوله : « والعِتَابَنْ » ، و « لقد أصابن [٤] » ، ونحو ذلك . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر من قصيدة مرجّزة ، أوردها الأسود أبو محمدٍ الأعرابىّ (فى ضالة الأديب) ، وهى :

أبيات الشاهد

(عَبسيَّة لم تَرْعَ قُفًّا أدْرَما ... ولم تعجِّم عُرُفطاً معجَّما

كأنَّ صوتَ شَخْبِها إذا هَمَى ... بين أكُفِّ الحالبَيْنِ كُلَّما

شَدَا عليْهنّ البنانَ المحْكَما ... سَحيفُ أفعًى فى خَشيٍّ أعشَما [٥]

وقد حَلَبْنَ حيثُ كانت قُيَّما ... مَثْنَى الوِطاب والوطَابَ الزُّمَّما

(١) الآية ١٥ من سورة العلق .

(٢) الآية ٣٢ من سورة يوسف .

(٣) أى فى « لنسفعاً » و « ليكونا » .

(٤) انظر الشاهد الرابع من الخزانة ١ : ٦٩ . وهو لجرير .

(٥) ط : « شد » ، صوابه فى ش . والضمير للحالَبَيْن . وفى ش : « سخيف أفعى » ، صوابه بالمهملة كما فى ط والتفسير التالى .

٥٧٠

وقِمَعاً يُكسَى ثِمالاً قَشْعما يحسبُه الجاهلُ ما لم يعلما
شيخاً على كُرسيِّه مُعمَّما لو أنّه أبَانَ أو تكلَّما
لكان إيّاهُ ولكنْ أعجما أتْعَبنَ ذا ضَبْعيَّةٍ ملوَّما (١)
عند كرامٍ لم يكنْ مكرَّما عَذَّبه اللهُ بها وأغْرَما
وُليِّداً حتّى عسا واعْرَنْزَما قد سالم الحياتُ منه القدمَا
الأُفْعُوَانَ والشُّجاعَ الشَّجعَما وذاتَ قَرْنينِ ضَروساً ضِرزِما (٢)
يَبِتْن عند عَقِبَيْهِ جُثَّما (٣) حَتّى غدون وغَدَا مسلَّما
يَتبع منها الدُّلَّحاتِ الرُّوَّما يَعرِفنَ منه الرِّزَّ والتكلُّما)

قوله : « عبسيَّة » أى هذه الإبلُ عبسيّة ، أو لنا إبلٌ عَبْسية ، منسوبة إلى عَبْسٍ ، أبو قبيلة . ولم تَرْعَ ، من الرَّعى . والقُفّ ، بضم القاف وتشديد الفاء : ما ارتفعَ من الأرض وغلُظ ولم يبلغ أن يكون جبلاً . وقُفًّا : ظرفٌ لِقوله : لم ترع . والأدرم ، فى القاموس ، هو المستوى . وقال العينى : الذى لا نباتَ فيه .

وقوله : « لم تعجِّم » بالتشديد ، من عجمَت العود أعجُمه بالضم عَجْما ، إذا عَضِضتَه لتعرفَ صلابته من خَوَره . والمراد لم تمضُع . والمعجَّم : المعضّض . والعُرفط كقنفذ : شجرٌ من أشجار البادية . قال أبو حنيفة الدينَوريُّ (فى كتاب النبات) : العُرفط من العِضاه ، وهو مفترشٌ على الأرضِ لا يذهب فى السماء ، وله ورقةٌ عريضة وشوكةٌ حَجْناء ، وهو ما يلتحى لحاؤهُ ويُصنَع منه الأرشية ، ويخرج فى بَرَمِهِ غُلْفةٌ كأنّه الباقِلّى ، تأكله الإبل والغنم . وهو خبيث الريح ، وبذلك يُخبث ريحَ راعيتِهِ وأنفاسَها ، حتّى تتنحَّى عنها . وهو من أخبث المراعى . انتهى .

---

(١) ط : « مكوما » صوابه فى ش .
(٢) ط : « ضروس » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « جسما » ، صوابه فى ش .

وقال الأزهريّ : العُرفط : شجرة قصيرة متدانية الأغصان ، ذاتُ شوكٍ كثير ، تنبُت فى الجبال . انتهى .

وقوله : « كأنَّ صوتَ شَخْبها » وصف حَلب الناقة وشبه صوت دِرّتها بصوت أفاعٍ فى خِشيّ . والشَّخْب ، بفتح الشين وسكون الخاء المعجمتين : مصدر شخَبَ اللبنُ يشخَب بفتحهما ، ويشخُب بالضم ، إذا خرج من الضَّرع . والأشخوب بالضم : صوت الدِّرَّة . وهَمَى يَهمِى ، إذا سال .

وقوله : « شدَا عليهنَّ » إلخ شَدَا ، بالشين المعجمة والدال المهملة ، بمعنى غَنّى ، وفاعله الشَّخب ، والبنان مفعوله بتقدير اللام ، وضمير عليهنَّ للأكفّ . يقال شَدَا شعراً أو غِناءً ، إذا غنَّى به أو ترنَّم به [1] .

وقوله:« سحيفُ أفعى » هو خبر كأنّ . والسَّحيف بمهملتين ، كأمير : الصَّوت ، جعله للأفعى ، وأصله صوت الشَّخب . قال الصَّغانى : السحيف : صوت الشَّخب . وقال أبو مالك : ناقةٌ أسحوف الأحاليل ، إذا كانت كثيرة اللَّبن ، كأنّه يسمع لصوت شخبها سَحفة ، وهى سحيفها . وأنشد الأصمعىّ :

حَسبت أنّ شَخْبها وسَحَفَهْ   أفعًى وأفعًى طافياً بِنشَفَه

والنَّشفة : الحجارة المُحْرقَة من حجارة الحَرّة . ويقال أيضا سمعت حفيف الرحى وسحَيفَها ، أى صوتَها إذا طحنت . انتهى .

والأفعى : الحيّة ، والخَشيّ بالخاء المعجمة والمهملة كأمير : الشيء اليابس . وفى القاموس : الخشيُّ بالمعجمتين : يابس النبت . والأعشم ، بإهمالِ

(١) كذا أنشده البغدادى وفسره . وأنا أقرؤه : « شَدًّا عَليهنَّ البنان » أىّ شد الحالبان على تلك الإبل البنان المحكم حينما يحتلبانها » . أما السحيف فى الشطر التالى فهو خبر كأنّ ، شبَّهَ صوت الشخب بصوت سحيف الأفعى . وفى ط : « شد » فى الموضعين السابقين ، صوابه فى ش .

العين وإعجام الشين : اليابس من الحُمَّاض ، ويقال العَيْشوم أيضا . وفى القاموس : الأعشم : الشجر اليابس ، وكلُّ شجرة يابسُها أكثر من رَطْبها . ٥٧١ وروى بدله :

* صوت الأفاعى فى خَشِىٍّ أخشما *

[والأخشم [١]] والأشخم : الذى ابيضَّ بعد خُضرته . ومثله قولُ الآخر :

كأنَّ صوتَ شَخْبِها المرفضِّ كشيشُ أفعًى أجمعَتْ لعضٍّ [٢]

* فهى تحكُّ بعضَها ببعض *

شبَّه صوت شَخْبها بكشيش الأفعى إذا همّت [٣] بأنْ تثِبَ للعضّ . والمرفَضّ : المتفرّق لكثرته . وأجمعَتْ : عزمت . وقوله « قُيَّما » : جمع قائمة ، والقياس قوَّم .

وقوله : « مثْنَى الوِطاب » هو مفعول حَلبن ، على حذف مضاف ، أى ملء مَثْنَى الوِطاب . والمثنَى هنا بمعنى المكرَّرة ، كما فى قولهم : مَثْنَى الأيادى ، أى يُعِيد معروفَه مرّتين أو ثلاثا . قال أبو عبيدة : مثنى الأيادى : الأنصباء التى كانت تفضُل من الجزورِ فى الميسِر ، فكان الرجلُ الجوادُ يشتريها فيُطعِمُها الفقراء . وقال أبو عمرو : هى أنْ يأخذ القِسْمَ مرّة بعد مرّة . والوطاب : جمع وَطْب ، وهو سِقاء اللَّبنِ خاصّة . قال ابن السكيت : هو جلد الجَذَع فما فوقَه ، وجمعه فى الكثير أوطابٌ ، وفى القليل أوطُب . والزُّمَّم : بضم الزاء وتشديد الميم : جمع زامٍّ ، من زَمّ . قال صاحب القاموس : زمَّ القِربة : ملأها .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) الرجز فى أدب الكاتب ١٣٥ والاقتضاب ٣٤٥ والجواليقى ٢٣٣ والمخصص ٨ : ١١٥ واللسان (كشش) .

(٣) ط : « إذ همت » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « وقِمَعا » ، وروى بدله : « وقِصَعاً يُكسَى » إلخ ، بكسر القاف وفتح الميم : آلة تُجعَل فى فم السقاء ونحوِه ، ويُصَبُّ فيها اللبن ونحوُه . وقَمعْتُ الوَطْب ، أى وضعتُ فى رأسه القِمَع . والثُّمال ، بضم المثلثة ، قال صاحب العباب : هى الرِّغوة ، والقطعة ثُمالة . قال أبو زيد (فى نوادره) : كلُّ شئ يكون ضخما فهو قَشْعَم . وأنشد :

* وقِصَعاً تُكسَى ثُمالاً قَشْعما (١) *

والثُّمَال : الرِّغوة . انتهى . ولم أر القشعم بهذا المعنى إلاّ فيها .

وقوله : « يحسبه » أى يحسب الثُّمال . وما مصدريّة ظرفيّة . ويعلم هنا بمعنى يَعرِف ، ومفعوله محذوف ، وهو ضمير الثمال . و « شيخاً » هو المفعول الثانى ليحسبه ، وما بعده صِفتان له . شبّه الرِّغوة التى تعلو القِمَع بشيخ معمَّم جالس على كرسىّ . وهذا تشبيهٌ ظريف جيّد . ولم يصب الأعلم فى قوله : وصف جبلاً قد عمّه الخصب وحَفَّه النباتُ وعَلاَه ، فجعله كشيخ مزمَّل فى ثيابه ، معصَّب بعمامته ، وخَصّ الشيخ لوَقارَتِهِ فى مجلسه (٢) ، وحاجته إلى الاستكثار من الناس . هذا كلامه ، وكأنّه لم يقفْ على هذه الأبيات .

وقوله : « لو أنّه أبان » أى لو أنّ ذلك الثّمالَ الذى يشبه الشيخ . وأبان ، أى جاء بالبيان ، وهو الإفصاحُ عمَّا فى الضمير . وقوله : « لكان إيّاه » ، أى لكان الثمال ذلك الشيخَ . والأعجم : مَن لا يقدر على الكلام أصلاً . والأعجم أيضا : الذى لا يفصح ولا يُبين كلامَه ، وإن كان من العرب . والأعجم أيضاً : الذى فى لسانه عُجمةٌ وإن أفصح بالعجميَّة ، والمراد هنا الأوّل .

---

(١) ط : « إذ همت » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ش : « لوقاره » ، والوقارة والوقار سيان ، وكذلك القِرة كعِدة ، وهى الحلم والرزانة

وقوله : « أَتَعْبَن ذا ضَبْعيَّة » ، أى أتعبت هذه الإبل راعياً ذا ضَبْعيَّةٍ ، أى ذا قوّة ضَبْعيّة ، نسبة إلى الضَّبْع بفتح الضاد المعجمة وسكون الموحدة ، وهو العضد . والملوَّم : الذى يُلام لوماً كثيراً ، لسوءِ ما يأتى .

وقوله : « عِند كرام » ، بالنون ، وروى أيضاً : « عَبْد كرام » ، بالموحَّدة .

وقوله : « عذّبهُ الله بها » ، أى بخدمة هذه الإبل ، والجملة خبريّة أو دعائية . وأُغْرِم من أغرمه الله ، أى جعله الله ذا غَرَام ، فهو مُغْرَم . والغرام : الشَّرُّ الدائم .

وقوله : « وليِّدا » إلخ هو مصغّر وليد ، كأمير . صغّره تحقيراً له . وعَسا هنا من عسا الشيء يعُسو عسُوًّا ، أى يبِس وصلُب . قال الأخفش [1] : عسَتْ يده تَعْسُو : غلُظت من العمل . واعرنزم ، بالعين والراء المهملتين بعدهما نون وزاى ، أى اجتمع واشتدَّ .

٥٧٢

وقوله : « قد سالم الحيّاتُ » إلخ أنشده سيبويه إلى قوله : « ضموزا ضرزما » برفع الحيات ونصب الأفعوانَ وما بعده ، وقال : فإنمّا نصب الأفعوان والشُّجاع لأنّه قد علم أنّ القدم ههنا مُسالِمة كما أنّها مسالَمة ، فحَمَل الكلامَ ، على أنها مسالِمة . انتهى . فيكون الأفعوان وما بعده منصوباً بإضمار فعل ، كأنّه قال : وسالمت القدمُ الأفعوانَ والشّجاعَ . فالمسالمة واقعة منهما . قال ابن السيد (فى أبيات المعانى ، وفى شرح أبيات الجمل) : كان القياس رفعَ الأفعوان وما بعده على البدل من الحيات ، لكنّه حمله على فعل مضمر يدلُّ عليه سالَمَ ، لأنّ المسالمة إنمّا تكون من اثنين فصاعدا ، فلما اضطُرّ إلى النصب حمل الكلام على المعنى . وقال الفراء : الحيات بالنصب مفعول بها ، والفاعل القدمان ، وهو مثنًّى فحذف نونه للضرورة . انتهى .

---

(١) ش : « قال الأحمر » .

وقال ابن هشام (فى آخر المغنى) : نصبُ الحيات هو على الفاعليّة ، فإنّه قد يُنَصب الفاعل عند أمْنِ اللَّبس . وأقول : الفراء إنّما رواه كسيبويه ، قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ الأغلالُ فى أعْنَاقِهِمْ والسَّلاسِلُ يُسحَبُون [١] ﴾ ، تَرفَعُ الأغلال والسلاسل ، ولو نصبت السلاسل تريد : يسحبون سلاسلَهم فى جهنَّم . وذكر الكلبى عن [أبى صالح عن [٢]] ابن عباس أنّه قال : وهُمْ فى السلاسل يُسحَبون ، فلا يجوز خفض السلاسل والخافض مضمر ، ولكن لو أنّ متوهِّماً قال : إنما المعنى إذْ أعناقهم فى الأغلال وفى السلاسل يسحبون ، جاز الخفض فى السلاسل على هذا المذهب . ومثله مما رُدّ إلى المعنى قولُ الشاعر :

قد سالم الحياتُ منه القدَما الأفعوان .... إلخ

فنصب الشجاعَ ، والحيّاتُ قبل ذلك مرفوعة ، لأنّ المعنى قد سالمت رجلُه الحيات وسالمتها ، فلما احتاج إلى نصب القافية جعل الفعل من القدم واقعاً [على الحيّات [٣]] . انتهى كلامه .

وعزا ابن جنى (فى الخصائص) رواية نصب الحيّات إلى الكوفيِّين ، ونسبها بعضُهم إلى البغداديِّين . والله أعلم .

وقد رجّحه اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) قال : ويروى بنصب الحيات ، فتكون القدم فاعلَه . وأراد القدمان ، فحذف النون ضرورة . ومما يدلُّ على أن القدمين قد حُذف نونه للضرورة قولُه بعد هذا :

هَمَمْن فى رجلَيهِ حتى هوَّما ثم اغتدَيْنَ واغتدى مُسلَّما

---

(١) الآية ٧١ من سورة غافر ، أو المؤمن . وانظر معانى الفراء ٣ : ١١ .

(٢) التكملة من ش بخط الشنقيطى ومعانى الفراء .

(٣) التكملة من ش بخط الشنقيطى ومعانى الفراء . وكتب الشنقيطى مع هذا : « لأنه تمام كلام الفراء وانتهاؤه » .

فقوله : « همَمْن فى رجليه » دليلٌ على أنّ القَدَما تثنية . وقوله : « ثم اغتدين » إلخ دليلٌ على أنّ بعضها قد سالم بعضا . وقوله « واغتدى » إخبار عن صاحب القدمين لا عن القدم ، لأنّه إذا سلمتْ قدماه فهو مُسَلَّم . ومعنى هَمَمْنَ : دَبَبْنَ . هذا كلامه .

والأفعوان بالضَّمّ : الذكر من الأفاعى . والشُّجاع : الذكر من الحيّات . والشَّجعم : الجرىء ، وقيل الطويل مع عِظَم جسم ، والميم فيه زائدة .

وقوله : « وذاتَ قَرْنين » ، هى الأفعى القَرْناء ، وضربٌ من الأفاعى يكون له قرون من جلِده ، وليست كالقرونِ المعروفة . قال اللَّخميّ : ذات قرنين : حيّة لها قرنان ، وهما لحمتان فى رأسها مِن عَنْ يمينٍ وشِمال ، وقيل يعنى العقرب . والضَّروس : فعول من الضَّرْس ، وهو العضّ الشديد بالأضراس . وروى بدله : « الضموز » بالمعجمتين ، كصبور ، وهى الحيّة المطْرِقة التى لا تَصفِر لخُبْثها فإذا عَرَض لها إنسانٌ ساورته وثْبا . والضِّرزم ، بكسر المعجمتين بينهما راء مهملة ساكنة : الحيّة المسِنّة ، وهو أخبث لها وأكثر لسُمّها . وقيل : هى الشّديدة النّهش . وصفه بغلظ القدمين وصلابتهما لطول الحفَى ، فذكر أنّه يَطَأُ على الحيّات والعقارب فيقتلها ، فقد سالمت قدميه فما تُقدِم أن تدخلَ تحتها ، كما سالمت القدمان الحيّاتِ فاغتدين مسلَّماتٍ واغتدى الرجلُ سالمَ القدمين .

٥٧٣

وقوله : « يبتن عند عطفيه » ، أى تبيت الحيّات عند قدميه . وروى بدله :

همَمْن فى رجليه ثُمَّ هوّما ثم اغتدين .... إلخ

فى الصحاح : الهميم : الدبيب ، وقد هممت أهِمّ بالكسر ، هَمِيما . وهوّم الرجلُ ، إذا هزّ رأسه من النعاس .

وقوله : « يتبع منها » إلخ . رجع إلى ذكر الإبل . وضمير منها للإبل . ودُلّح : جمع دالحة بالحاء المهملة ، من دلح الرجل إذا مشى بحِمله غيرَ منبسطِ

الخَطْو [1] لثقله عليه . والرُّوَّم : جمع رائمة ، من رئمت الناقة ولدها رِئمانا ، إذا أحبَّته . والرِّزّ ، بكسر الراء المهملة وتشديد الزاى : الصوت . قال الجوهرىّ : تقول سمعت رِزّ الرَّعدِ وغيره .

وقد تحرَّفت هذه الكلمة على العينى فقال : الزَّرّ بفتح الزاى المعجمة وتشديد الراء ، وهو العضّ . انتهى . وهذا لا وجه له هنا .

صاحب الشاهد

وقد روى الحُلوانىّ (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمَّهاتهم) الأبيات الأخيرة ، من قوله :

* عَبْد كرام لم يكن مكرَّما *

إلى آخرها باختلافٍ فى بعض الألفاظ ، ونسب الشعرَ إلى ابن جُبَابة ، بضم الجيم وبعدها موحّدتان خفيفتان . وهو شاعرٌ جاهلىّ لص . قال : وهو من بنى سعد ، ثمَّ بنى عوف بن سعد بن جُبابة ، وهى أمُّه ، واسمُه المِغْوار بن الأعْنَق ، واسم الأعنق حَيدة بن كعب ، وكان لصًّا . انتهى .

ونسب ابن السِّيد واللخمى هذا الشعر إلى مُساورٍ العبسى ، ونسبه بعضُهم إلى العّجاج .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنَّف) : للعجَّاج قصيدةٌ يشبه أن تكون هذه الأبيات منها ، والرواية تختلف ، وأبيات العجاج فى صفة فحل من فحول الإبل . انتهى .

وقال العينى : قال ابن هشام : هو لأبى حيَّان الفقعسىّ . وقال السيرافى : قائله الدُّبيرى . وقال الصَّاغانى : قائله عبد بنى عبس . انتهى .

---

(١) ط : « غير متبسط المشى » .

مساور بن هند العبسيّ

ومساورٌ العبسيُّ هو مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جَذيمة العبسى ، شاعرٌ شريف فارس ، مخضرمٌ إسلاميّ ، ذكره ابن حجر (فى الإصابة ، فيمن أدرك النبى ﷺ ولم يجتمع به) ، وكان جدُّه قيس مشهوراً فى الجاهلّية ، وهو صاحب حَرب داحسٍ والغبراء . وروى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنّه قال : حدَّثنى من رأى مُساور بنَ هند أنّه ولد فى حرب داحسٍ قبل الإسلام بخمسين عاما . وذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) ، وذكر له قصّة مع عبد الملك ، وكان أعور . وهو من المتقدِّمين فى الإسلام ، وهو وأبوه وجده أشرافٌ شعراءُ فُرسان . انتهى ما ذكره ابن حجر .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [١]) : مساور بن هند كنيته أبو الصَّمعاء ، وجدّه قيسٌ هو صاحب الحرب بين فزارة وعبس ، وهى حرب داحسٍ والغبراء . وكان المساور يهاجى المرَّار الفقعَسىَّ ، ويهجو بنى أسد ، قال :

ما سرَّنى أنّ أُمِّى من بنى أسدٍ وأنّ ربِّىَ يُنجينى من النارِ
وأنَّهمْ زوَّجونى من بناتِهِم وأنّ لى كلَّ يوم ألفَ دينارِ

٥٧٤

و [قال [٢]] المرار يجيبه :

لستَ إلى الأُمِّ من عَبْسٍ ومن أسدٍ وإنّما أنتَ دينارُ بنُ دينارِ
وإنْ تكن أنتَ من عبسٍ وأمِّهمُ فأمُّ عَبْسِكُم من جارةِ الجارِ

وفيه يقول الشاعر :

شَقِيتْ بنو أسد بشعر مساورٍ إنَّ الشقىَّ بكلِّ حبلٍ يُخنَق

وقال له الحجاج : لِم تَقولُ الشعرَ بعد الكِبَر ؟ قال : أُسقَى به الماءَ ، وأُرعى به الكلأ ، وتُقضَى لى به الحاجة ، فإنْ كفيتَنى ذلك تركتُه . انتهى .

---

(١) الشعر والشعراء ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) التكملة من ش . والذى فى الشعراء : « فقال له المرار » .

وهو من المعمَّرين ، ولم يذكره أبو حاتم السجستانى (فى المعمرين)

ومن هجوه لبنى أسد قوله :

زعــمتم أنّ إخوتَكــم قريشٌ لهم إلفٌ وليس لكم إلافُ [1]

أولـئك أُومِنُـوا جُوعـاً وخَوفـاً وقد جاءَتْ بنو أسد وخافوا

واستشهد بالبيت الأوّل لقراءة أبى جعفر : ﴿ لإلْفِ قريش ﴾ ، من أَلِفَ يألفُ إلفا . والبيت قد جمع القراءتين [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد التسعمائة [3] :

٩٥٠ (أرَيتَ إنْ جئتُ به أُملودا مُرجَّـلا ويلـبسُ البُـرودَا)

* أقائلُنَّ أحضِرِي الشُّهودا *

على أنَّ نون التوكيد قد تلحق اسم الفاعل ضرورة ، تشبيها له بالمضار ع .

قال ابن جنى (فى باب الاستحسان من كتاب الخصائص) : الاستحسانُ علّتهُ ضعيفة غير مستحكِمة ، إلاّ أنَّ فيه ضربا من الاتِّساع والتصرُّف ، ومن ذلك :

* أريتَ إن جئتُ به أُمْلُودا * إلخ

---

(١) دلائل الإعجاز ١٥٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ٩٥ والحماسة بشرح المرزوقى ١٤٤٩ واللسان (ألف) وتفسير أبى حيان ٨ : ٥١٤ .

(٢) انظر كشاف الزمخشرى ٢ : ٤٤٤ وتفسير أبى حيان وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٤ .

(٣) المحتسب لابن جنى ١ : ١٩٣ والخصائص ١ : ١٣٦ والضرائر ٣١ والمغنى ٣٣٩ والعينى ١ : ١١٨ / ٣ : ٦٤٨ / ٤ : ٣٣٤ والتصريح ١ : ٤٢ ويسّ ١ : ٤٢ وشرح السكرى ٦٥١ وملحقات ديوان رؤبة ١٤٣ واللسان .

فألحق نون التوكيد اسمَ الفاعل تشبيها له بالفعل المضارع ، فهذا استحسانٌ لا عن قوّة علّة ، ولا عن استمرار عادة . أَلاَتراك لا تقول : أقائمنَّ يا زيدون ، ولا أمنطلقُنَّ يا رجال [1] ، إنمّا تقوله بحيث سمعته ، وتعتذر له ، وتَنْسُبه إلى أنّه استحسان مِنهم على ضعفٍ منه ، واحتمالٍ بالشّبهة له . انتهى .

وقال أيضا (فى سر الصناعة) : وشبَّه بعض العرب اسمَ الفاعل بالفعل ، فألحقه النونَ توكيداً ، فقال :

* أريتَ إن جئتُ به أُملودا *

إلى آخر الشعر . يريد : أقائلون ، فأجراه مجرى أتقولون . وقال الآخر :

ياليت شعرى عنكُمُ حنيفَا أشاهرُنَّ بعدنَا السُّيوفا [2] . انتهى

وهذا من رجز أورده السكّرى فى أشعار هذيلٍ لرجلٍ منهم بلفظ : « أقائلون » ، قال : وقال رجلٌ من هذيل :

أريتَ إن جاءت به أُملودا مُرجَّلا ويلبس البُرودا

— أى إن جاءت به مَلِكًا أُملودًا أملس —

* ولا تَرى مالاً له معدودا *

— أى لا يَعُدُّ مالَه من جوده —

أقائلون أعجِلِى الشهودا فظَلْتَ فى شرٍّ من اللَّذْ كِيدَا

* كاللَّذْ تزبَّى صائداً فصِيدَا *

ويروى : « فاصطيدا ». تزبَّى زُبيةً : حَفَر زُبْيةً . واللَّذْ ، يريد الذى ، يقول : ٥٧٥

(١) ط : « أمنطلق يا رجال » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٢) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٧٩ وهو الشاهد التالى برقم ٩٥١ .

أرأيت إن ولدَتْ هذه المرأةَ رجلاً هذه صفتُه أيقال لها أقيمى البيِّـنة أنّك لم تأتيِ [١] به من غيره . انتهى .

وكذا أورده ابن دريد (فى أماليه) بدون :

* ولا ترى مالاً له معدودا *

قال : أخبرنا أبو عثمان التَّوَّزىُّ عن أبى عُبيدة قال : أتى رجلٌ من العرب أمَةً له ، فلما حَبِلت جَحدها ، فانشأت تقول :

* أريتَ إن جاءت به [٢] * إلى آخره .

وعلى هذا فلم تلحق النون اسم الفاعل ، فلا ضرورة فيه . وعلى رواية النون فقوله أقائُلنّ جمع ، وأصلُه أقائلون ، كما ورد به الرواية ، وصرَّح به ابن جنى . ويلزم منه أنْ تكون لامه مضمومة ، فلمّا أُكِّد وصار أقائلونَنّ حذفت نون الجمع لتوالى الأمثال ، وحذفت الواو أيضاً لاجتماعها ساكنة مع نون التأكيد ، وبقيت الضمة دليلاً عليها . ولا يجوزُ أنْ يكون أصله : أقائلٌ إنّا ، لأنّه مقام الخطاب لا مقام التكلّم .

وبما نقلنا يُردُّ على الدمامينى قوله (فى الحاشية الهندية ، وفى شرح التسهيل) : ولقائل أن يقول : لا نسلم أنّ فى قوله أقائلُنّ توكيداً ، لاحتمال أن يكون أصله أقائلٌ إنّا فحُذفت الهمزة اعتباطاً ، ثم أدغم التنوين فى نون إنّا على حَدِّ : ﴿ لكنَّا هو اللهُ ربِّى [٣] ﴾ كما قيل فيه . انتهى .

وهو فى هذا مسبوقٌ بقول المَرَاكشى : يمنع أنّه تأكيد بجعل الأصل أقائلٌ

---

(١) ط : « لم تأت به » ، صوابه فى ش وشرح السكرى ٦٥١ .

(٢) كذا فى النسختين ، والوجه : « إن جئتُ » .

(٣) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

إنّا ، ففُعِل كما فى قوله تعالى : ﴿ لكنّا هو الله رَبِّى ﴾ . ورُدّ عليه بأنّه لو كان كذلك لكان البيت أقائلونّا بألف بعد النون .

وقد ردّ الشيخ خالد (فى التصريح) على الدماميني بما ذكرنا وبهذا ، فقال : وعليه اعتراضٌ من وجهين :

أحدهما : أنّه يعتبر فى المقيس أن يكون على وزان المقيس عليه ، وهنا ليس كذلك ، لأنّ الألف الثانيةَ فى المقيس عليه مذكورةٌ ، وفى المقيس محذوفة .

والثانى : أنّ هذا الاحتمال إنمّا يتمشى حيث كان المعنى أقائلٌ إنّا ، على التكلم ، إما إذا كان المعنى على الخطاب أى أنت قائل ، كما تعطيه السوابق واللواحق فلا . انتهى .

واعترض على هذا الشَّنوانى بأنّ فى إعطاء ما ذكر نظراً ، لجواز أنّ المتكلم جَرّد من نفسه نفساً خاطبها . انتهى .

ولا يخفى أن التجريد لا مساغ له هنا كما يعلم ممَّا نقلنا عن ابن دريد .

واعترض على الأوّل أيضا بوجهين :

الأوّل : أنّه يعتبر فى المقيس أن يكون على وزان المقيس عليه فى علّة الحكم لا فى غيرها .

الثانى : سلمنا ما ذكره ، لكن نقول إنّ الألف الثانية فى المقيس عليه محذوفة ، فى قراءة غير ابن عامر ؛ لأنّ ابن عامر قرأ بإثبات الألف وصلا ووَقفاً ، والباقون بحذفها وصلا وبإثباتها وقفا . وكفى ذلك فى كون المقيس على وزن المقيس عليه . انتهى .

وفى كلّ منهما نظر ، أمَّا أوّلا فلأنّ الألف الثانية إذا حذفت لم يبق دليل على أنّ النون بقيّة أنا حتَّى تقاس على غيرها فى الإدغام . وأمَّا ثانيا فلأن من قرأ

بحذف الألف من لكنَّا وصلاً لا يحذفها خطًّا ، والخطّ يدل عليها . ولو وقف الدمامينيُّ على رواية الشعر وعلى كلام سرِّ الصناعة لم يقل ذاك ، ولا قولَه : سمعت شيوخنا ينشدونه بضم اللام من أقائلُنّ . ولم أقف عليه مضبوطا كذلك فى كتاب معتمد . انتهى .

فإنّ ضمَّ اللام مِن لازِم جمعِه بالواو والنوَن .

ثم قوله : « فإن ثبتت رواية الضم فيه عُلم أنّ العربىّ لا يبنيه عند إلحاق هذه النون المتّصلة به ، لكن يُسأل حينئذٍ : لم أُعرِبَ مع قيام الشّبَه المقتضى للبناء » . انتهى .

٥٧٦

يريد بالشبه شبَه اسم الفاعل المتّصلة به النون بفعل الأمر ، كما صرَّح به .

وهذا السؤال واهٍ جدًّا ناشئٌ عن غفلة ، فإنَّ مشابهة الاسم للفعل إنَّما تقتضى منعهُ من الصرف لا بناءَه . وتلك المشابهة إنّما تكون فى علّتين من العلل التِّسع ، لا فى مطلق المشابهة . والشَّبَه المقتضِى للبناء إنّما يكون لمشابهته للحروف . على أنّ النون غير متّصلة باللام للفصل بالواو [١] . والفعلُ المؤكّد بها مع فصل ضمير بارز لا يبنى على الصحيح ، فكيف الاسم ؟

وأغربُ من هذا قول الشيخ خالد بعد اعترافه بأنّ اللام مضمومة : يُسلَك بالوصف مع نون التوكيد مَسلكُ الفعل ، من البناء على الفتح مع المفرد ، وعلى الضم مع جماعة الذكور . ولم أقف على نصّ فى ذلك . انتهى . مع أنّ الدمامينى صرّح فى أنّه عند ضم اللام لا يكون مبنيًّا جَزْماً ، إلاّ أنّه غفل من عدم اتصال النون باللام . وغاية ما أجاب الشُّمُنّىُّ عن عدم البناء ، بأنّ النون إنَّما دخل

---

(١) ط : « للفصل بين الواو » ، صوابه فى ش .

الوصف لشبهه بالمضارع لفظاً ومعنىً ، والأصل فى الأسماء الإعراب ، فيبقى على أصله ، مع أنّه لا ضرورة فى بنائه ، بل فى لحاق النون به . هذا كلامه .

وقد اعترض الشنوانىُّ على الشيخ خالد بأنّ بناء الفعل المؤكّد بالنون على الضم مع واو الجماعة الذكور لم أقفْ على نصٍّ فى ذلك ، فإنّ الذى وقفنا عليه بناؤه مع نون التوكيد وإنْ لم تُباشره . وأما أنّ بناءَه [(١)] على الضم مع الواو وعلى الكسر مع الياء ، فلم نره فى شىءٍ مما وقفنا عليه . فإن كان هو اطّلع على نقلٍ فى ذلك فسمعاً وطاعةً ، وإلاّ فهو محلّ توقُّف . انتهى .

وهذا نقدٌ جيِّد ، وعُلم معنى الشعر ممَّا نقلناه [(٢)] عن ابن دُريد ، وعن السكرى .

وقولُ الدمامينى فى معناه : « يقول [(٣)] : أخبِرنى إنْ جاءت هذه المرأة بشابٍّ يتزوّجها رَجِلِ الشعر ، حَسَنِ اللبّاس ، كالغصن الناعم ، أتأمر بإحضار الشهود لعقد نِكاحها عليه ؟!ينكر وقوعَ ذلك منه » . اهـ شرحٌ من عنده بالتخمين ، مخالفٌ للمنقول . وقد تبعه عليه الشيخ خالد ، وابن الملا (فى شرح المغنى) حتّى قال الزُّرقانى (فيما كتبه على التصريح) : قوله : ينكر وقوع ذلك منه ، أى ينكر وقوع إحضار الشهود ، وذلك لأنّ الاستفهام فى أقائلُنَّ إنكارىٌّ ، ووجه إنكار ذلك أنّ من كان على الصفة المذكورة كان من أهل الحَضَر ، وذلك لا يُصاهِرهم . قاله بعضُ شيوخنا . انتهى .

وقوله : (أرَيْت) أصله أرأيت ، بمعنى أخبِرْنى ، حذفت الهمزة تخفيفاً . قال الشارح (فى شرح الشافية) : تحذف الهمزة فى رأيت مع ألف الاستفهام ،

(١) ط : « بناؤه » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « ما نقلناه » ، صوابه فى ش .
(٣) ش : « تقول » .

فيقال أريت ، وهو قراءة الكسائى فى جميع ما أوّله همزة الاستفهام من رأى المتصل به التاء أو النون . وإنّما كثر ذلك فى رأيتَ وأخواته لكثرة الاستعمال . انتهى .

وقوله:(إن جئتُ) بالتكلّم عن لسان المرأة ، وهى رواية ابن جنى (فى سر الصناعة ، والخصائص ، والمحتسب) . هذا إذا كان القائل غيرَها ، فإن كانت هى القائلة فهو على مقتضى الظاهر . ورواه السكرى وابن دريد : « إنْ جاءت » فهو على رواية السكرى يكون على لسانها ، وعلى رواية ابن دريد يكون كلامَها ، نزّلت نفسها منزلة الغائب فأخبَرتْ عنها . والأملود ، بالضم ، قال صاحب الصحاح : غصنٌ أُملودٌ أى ناعم ، ورجل أملود وامرأة أُملودةٌ ، عن يعقوب . وشابٌّ أملدُ وجاريةٌ مَلْداء بيِّنا المَلَد ، أى النُّعومة . و (المرجَّل) بفتح الجيم المشددة : اسم مفعول من رجَّل شعره ترجيلاً ، أى سرَّحه . وفى النهاية لابن الأثير : الترجُّل والترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه . وفى المصباح : ورَجَّلت الشعر ترجيلا : سرَّحته ، سواء كان شَعرك أو شعرَ غيرك . وترجَّلتُ ، إذا كان شَعَر نفسِك . وقال الدماميني : المرجَّل : الذى شعره بين الجُعودة والسُّبوطة . انتهى .

٥٧٧

ولا يخفى أن المستعمَلَ بهذا المعنى إنما هو رَجِل الشّعْرُ رَجَلاً من تعب ، فهو رَجْلٌ بالكسر ، والسكونُ تخفيفٌ ، أى ليس شديد الجعودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما . كذا (فى العباب ، والنهاية ، والمصباح ، وغيرها) . وقال العينى : وضبطه بعضهم بالحاء المهملة ، وهو بُردٌ يصوَّر عليه الرِّحال . ويقال المرجَّل بالجيم : ثوبٌ فيه صُور الرجال ، والمرحَّل بالحاء : ثوب فيه صُورٌ تشبه الرِّحال . انتهى .

وتبعه السيوطى وغيره .

وهذا الضبط بالاختلاف إنما أورده عند قول امرئ القيس فى معلقته :

* أذيال مِرطٍ مرجّلِ [١] *

وأمّا ما هنا فليس فى شئ مما نقله . وسياقُه يوهم أنّ هذا الاختلاف هنا .

و (البرود) : جمع بُرد بالضم ، قال صاحب النهاية : البُرْدُ : نوعٌ من الثياب معروف ، والجمع أبراد ، وبُرود . والبُرْدة : الشَّمْلة المخطَّطة ، وقيل: كساء أسود مربّع فيه [خطوط [٢]] صُفرٌ تلبسه الأعراب ، وجمعها بُرَدٌ .

وقوله : « ولا ترى مالاً له معدودا » معناه عندى : لا يمكن عدُّ مالِه لكثرته ، وهذا كلُّه على سبيل التفاؤل .

وقوله : (أقائلُنّ) خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أفأنتم قائلُنّ . والجملة جواب الشرط ، والخطاب لسيِّدها ومَنْ يقول بقوله . وقوله : (أحضرى) خطاب للمرأة ، أمرٌ من أحضره إحضارا . ورواه العينى : « أحضِرُوا » بواو الجمع ، ولا وجهَ له ، كما لا وجه لنسبة الشعر إلى رؤبة بن العجاج . والله أعلم .

وشرحُ بقيَّة الشعر تقدَّم فى الشاهد الحادى والعشرين بعد الأربعمائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد التسعمائة [٤] :

٩٥١ (يا ليتَ شِعْرِى عَنْكُمُ حَنِيفا أشاهِرُنَّ بَعْدَنا السُّيوفا)

---

(١) فى قول امرئ القيس فى معلقته :

خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرجل

(٢) هذه التكملة للشنقيطى بقلمه فى نسخته .

(٣) الخزانة ٦ : ٥ – ٦ .

(٤) العينى ١ : ١٢٢ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٢٩ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

لما تقدَّم قبله ، وأصله : أشاهرونَنَّ ، ففُعِل به مثلُ ما تقدَّم .

وهو من رجز أورده ابن دريد (فى الجمهرة) كذا :

(يا ليت شِعْرى عنكمُ حنيفا وقد جَدَعْنا منكُم الأُنوفا
أتحملـون بعدنـا السُّيوفـا أم تَغزِلون الخُرفُعَ المندوفا)

قوله : (يا ليت شعرى) إلخ يا الداخلة على ليت حرف تنبيه ، قال الشارح المحقق : والتُزِم حذف الخبر فى ليت شعرى مردَفاً باستفهام ، وهذا الاستفهام مفعول شعرى ، أى ليت علمى بما يُسأل عنه بهذا الاستفهام حاصلٌ .

وعند ابن الحاجب : الاستفهام قائمٌ مقام الخبر . وردّه الشارح .

و (عنكم) متعلق بشعرى ، وعن بمعنى الباء ، لأنّه يقال شعرت به . و (حنيفا) بلا تنوين : منادى مرخّم من حنيفة ، وحرف النداء محذوف ، والألف للأطلاق . وحنيفة : أبو قبيلة ، وهو حَنيفة بن لُجَيم ، بضم اللام وفتح الجيم ، ابن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل .

٥٧٨ وجملة « وقد جدعنا » إلخ ، حالٌ من شِعرى ، لأنّه مفعولٌ فى المعنى . وجَدَع أنفَه جَدْعاً بالجيم والدال المهملة ، من باب نفع ، أى قطعه . وكذا الأُذُن واليدُ والشَّفَة . والأنوف : جمع أنف . وجملة « أتحمِلون » إلخ فى موضع المفعول لشعرى . وكذا على رواية « أشاهِرُنَّ » بتقدير مبتدأ ، أى أأنتم شاهرُنَّ ، مِنْ شهرَ الرجلُ سيفَه ، من باب نفع ، أى سَلَّه وأبرزَه مُنِ غمده ، والخُرفُع ، بضم الخاء المعجة وسكون الراء المهملة بعدها فاء مضمومة وعين مهملة ، قال ابن دريد : هو قُطن البَرْدِىّ . وقال صاحب العُباب : هو القطن الذى يَفسُد فى براعيمه ، أى فى أكامه ، قبل أن تنفتق . وقال أبو مِسْحَل : القطن يقال له الخِرفِع بالكسر كزبرج . وقد أورد العينى هنا ما يُتعجَّب منه ، قال : الحنيف هو المُسلِم ههنا ، وله معانٍ أُخَر . ويا فى مثل هذا الموضع تكون لمجرَّد التنبيه ، وقد يقال إنّها على

أصلها . والمنادى محذوف تقديره : يا قوم ليت شعرى ، أى ليتنى أشعر ، فأشعُر هو الخبر ، وناب شعرى عن أشعُر ، ونابت الياء عن اسم ليت . وأشعُر فعلٌ متعدٍّ معلّق عن العمل ، فيكون موضع الاستفهام وما بعدَه نصباً بالمصدر . وحنيفا نصْبٌ على أنّه مفعول المصدر المضاف إلى فاعله ، ومنكم فى محل النصب على أنّه صفة لحنيفا ، والتقدير : ليتنى أشعر حنيفا كائناً منكم . وشاهِرُنّ : اسم فاعل فى معنى المستقبل ، لأنّ تقدير الكلام ليتنى أشعُر حنيفاً مُسلِما منكم يَشْهَر بعدنا السُّيوفا .

هذا كلامُه ، وليته لم يسطِّره .

صاحب الشاهد

وهذا الرجز لم أقفْ على قائله ، ونسبه العينى إلى رؤبة بن العجاج . ولم أره فى ديوانه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلَنى إلاّ ابنُ حَمَّالِ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين [1] .

* * *

وأنشد بعده :

(لَيَعْلَمُ ربِّى أنَّ بيتىَ واسعٌ)

هو عجزٌ ، وصدره :

(لئن تَكُ قد ضَاقَتْ عليكمْ بُيوتُكمْ)

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٦٥ – ٢٦٩ .

على أنّ عدم توكيد لَيعلم بالنون شاذٌ عند البصريِّين . وهذا يخالف ما ذكره في حروف القسم ، من أنّ المضارع إذا كان للحال يجب الاكتفاء باللام ، ولا تأتى بالنون . وأنشد هذا البيت هناك .

وأمّا الشُّذوذ ففى المضارع المستقبل إذا جاء باللام دون النون . فهذا الذى نقله عن البصريِّين هناك . وتقدَّم شرح البيت فى الشاهد الرابع عشر بعد الثمانمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٩٥٢ (فإمّا تَرَيْنِى ولى لِمَّةٌ فإنَّ الحوادثَ أودَى بِها)

على أنّ إن الشرطيَّة المقرونَة بما الزائدة ، يلزم توكيدُ شرطها بالنون عند الزَّجاج . وتركُ توكيده جيِّد عند غيره .

وهذا البيت يدلُّ لغير الزَّجّاج ، فإنّه لم يؤكِّدْ فعْلُ الشرط فيه .

قال ابن الناظم : وأمَّا الشرط بإمّا فتوكيده بالنون جائز ، قال تعالى : ﴿ فإمّا تثقفنَّهُمْ فى الحرب [٣] ﴾ ، و ﴿ إمَّا تَخَافَنَّ مِن قومٍ خِيانة [٤] ﴾.وقد تخلو من التوكيد بها ، كما فى قوله :

---

(١) الخزانة ١٠ : ٦٨ – ٧١ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٣٩ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ١ : ٤٧٧ والأصول ٢ : ٤٣٦ وابن الشجرى ٢ : ٣٤٥ والإنصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٥ : ٩٥ / ٩ : ٦ ، ٤١ ورصف المبانى ١٠٣ ، ٣١٦ والعينى ٢ : ٤٦٦ / ٤ : ٣٢٧ والتصريح ١ : ٢٧٨ والأشمونى ٢ : ٥٤ / ٣ : ١٦ وديوان الأعشى ١٢٠ برواية : « ألوى بها » .

(٣) الآية ٥٧ من سورة الأنفال .

(٤) الآية ٥٨ من سورة الأنفال .

* فإمّا تريْني ولى لمّةٌ * ... البيت .

وقولِ الآخر :

يا صاحِ إمّا تجدْنى غيرَ ذى جِدَةٍ فما التَّخلّى عن الخُلاَّنِ من شِيمى[(١)]

انتهى .

٥٧٩ وقال ابن هشام (فى المغنى) : يقرُب التوكيد من الوجوب بعد إمّا . وذكر ابن جنّى أنّه قُرِئ [(٢)] : ﴿ فإمّا تَرَيْنَ [(٣)] ﴾ بياءٍ ساكنة بعدها نون الرفع [(٤)] على حدِّ قوله :

* لم يُوفُونَ بالجار [(٥)] *

ففيها شذوذان : ترك نون التوكيد ، وإثبات نون الرفع مع الجازم . انتهى .

وقد استشهد به سيبويه على حذف التاء من أودَتْ ، فإنّ فاعله ضمير الحوادث ، وفى مثله يجب التأنيث ، فتركهُ الشاعرُ لضرورة الشعر . قال الأعلم : دعاهُ إلى حذفها أنّ القافية مُرْدَفة بالألف ، وسوَّغ له حذفَها أنّ تأنيث الحوادث غير حقيقّى ، وهى فى معنى الحِدْثان . وقال ابن خلف : ذكَّر أودى وفيه ضمير الحوادث ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما أنْ يكون حمل الحوادث على معنى الحِدثان فذكّر ، أو على حذف مضاف ، كأنّه قال : فإنَّ مَرَّ الحوادثِ أودى

---

(١) العينى ٤ : ٣٣٩ والتصريح ٢ : ٢٠٤ والأشمونى ٣ : ٢١٦ .

(٢) ط : « قرأ » صوابه فى ش والمغنى ٣٣٩ .

(٣) الآية ٢٦ من سورة مريم .

(٤) هى قراءة طلحة كما فى المحتسب لابن جنى ٢ : ٤٢ . وذكر أبو حيان فى تفسيره ٦ : ١٨٥ أنها قراءة طلحة ، وأبى جعفر ، وشيبة .

(٥) البيت من شواهد الخزانة ٩ : ٣ . وانظر معجم الشواهد . وهو بتمامه :

لولا فوارس من ذهل وأسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

بها . والوجه الأوّل أجود فى القياس . فإن قيل : فهلاً قال : أودت بها ؟ وما الضرورة إلى ذلك ؟ فالجواب أنَّ القوافَى مُرْدَفة بالألف ، فلو قال أودت لذهب الرِّدْف وهو الألف ، وذهبت القافية . ورُوى أيضا :

* فإنْ تنكرِى لامرئٍ لمّةً *

وروى :

* فإمّا تَرَىْ لِمَّتي بُدِّلَتْ *

وروى أيضا :

* فإنْ تعهدِيني ولى لمّةٌ *

يريد أنّ القافية مؤسَّسة . والتأسيس هو الألف الواقعُ قبلَ حرف الروىّ وهو الباء هنا .

و (اللِّمّة) بالكسر : الشَّعر الذى يُلِمُّ بالمَنكِب . و (الحوادث) : جمع حادثة . و (أودى بها) : ذهب بها ، والمراد ذهب بمعظمها ، لأنّ قوله : « ولى لمّةٌ » حال من الياء ، ومحال أن تكون له لمّةٌ فى حالٍ قد ذهب الحوادثُ بجميعها . ومعنى (أودى بها) : ذهب ببهجتها وحُسْنها . ومعنى بُدِّلت : ذهب بعضُها بالصَّلَع وشاب بقيَّتُها ، فإنَّ حوادثَ الدهر أهلكَتْها . يعنى أنَّ مرور الدَّهرِ يغيِّر كلَّ شيء .

وقال العينى : لم يقل أودت لأنَّ تأنيث الحوادث مجازىّ لأنّه جمع ، واسم الجمع واسم الجنس كلُّها تأنيثها مجازىّ ، لأنّهنَّ فى معنى الجماعة ، والجماعة مؤنّث مجازىّ . ولأجل هذا جاز التأنيث فى قوله تعالى : ﴿ كذَّبَتْ قبلَهم قومُ نُوحٍ [1] ﴾ والتذكيرُ أيضاً ، نحو : ﴿ وكَذَّبَ به قَومُك [2] ﴾ . هذا كلامه ، وكأنّه

(١) الآية ١٢ من سورة ص و ٥ من غافر و ١٢ من قٓ ، و ٩ من القمر .
(٢) الآية ٦٦ من سورة الأنعام .

لم يعرف الفرق بين الإسناد إلى مجازىّ التأنيث الظاهر ، وبين الإسناد إلى ضميره .
والرؤية هنا بصريَّة .

وقوله : و « ولى لمّة » أى لمّة مغيَّرة . وقوله : « فإنَّ الحوادث » إلخ هذا علّة الجواب المحذوف ، والتقدير : فلا عجبَ ، فإنّ الحوادثَ إلخ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، مدح بها أساقفةَ نَجْران ، وقبله :

(لِجَارتنا إذْ رأت لِمَّتـِي تقول : لك الويلُ أنَّى بها [(١)]
بما قد تُرَى كجَناحِ الغُدا فِ ترنو الكَعَاب لإعجابِها)

فإمَّا ترينى . إلخ .

وجارة الرجل : زوجته . وقوله : « أنَّى بها » أى كيف صَنَعْتَ بها حتَّى تغيَّرتْ كذا .

وقوله : « بما قد تُرى » الخ الباء سببيّة متعلقة بترنو ، وهى مكفوفة بما ، وتُرَى بالبناء للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير اللِّمَّه . والغُداف بضم الغين المعجمةُ : الغُراب الأسود . وترنو : نديم النظر . والكَعاب ، بفتح الكاف : الجارية التى نهدَ ثديُها وارتفع ، ويقال الكاعب أيضا . والإعجاب : مصدر أعجبَهُ الشيءُ ، أى استحسنَه .

ومن أبياتها يخاطب ناقتَه :

(فكعبة نجرانَ حتمٌ عليـ ـكِ حَتّى تُناخِى بأبوابها
تزورِى يزيدَ وعبدَ المسيح وقيساً ، همُ خير أربابِها [(٢)])

٥٨٠

---

(١) قبله فى الديوان ١٢٠ ، وهو مطلع القصيدة :

ألم تنه نفسَكَ عمَّـا بها بلىَ عادَها بعضُ أطرابها

(٢) فى الأغانى ٦ : ٧٠ فى تفسير هذا البيت : « هؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقب والسيد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومى » .

وكَعبة نَجرانَ هى ذو الخَلَصة ، وهدمها جرير بن عبد الله ، بأمرِ رسولِ الله ﷺ : ويزيد هو ابن عبد المَدَان الحارثيّ . وقيس هو ابن مَعدِيكربَ الكِنْدى .

ومن أبياتها :

(وكأسٍ شربْتُ على لَذّةٍ وأخرى تداويتُ منها بِهـا
لكى يعلَمَ الناس أنّى امروٌ أتيتُ المعيشَةَ من بابها)

وهو أوّل من ابتكر هذا المعنى ، وأخذه قيس بن ذَرِيح فقال :

تداويتُ من ليلى بليلَى من الهَوَى كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ

وأخذه أبو نواس أيضا فأحسَنَ وقال :

دعْ عنك لومى فإنّ اللّومَ إغراءُ وداوِنى بالتى كانت هى الداءُ (١)

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد التسعمائة (٣) :

٩٥٣ (إذا قال قَطْنِى قلتُ باللهِ حِلفةً لَتُغْنِنَّ عنّى ذا إنائِكَ أجمَعَا)

على أنّ الفراء نقل عن طيّئ أنّهم يحذفون الياء الذى هو لامٌ فى الواحد المذكّر بعد الكسر والفتح ، فى المعرب والمبنىّ .

---

(١) ديوان أبى نواس ٢٣٤ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧١ .

(٣) مجالس ثعلب ٦٠٦ وابن يعيش ٣ : ٨ والمقرب ٢ : ٧٧ والمغنى ٢١٠ ، ٤٠٩ والعينى ١ : ٣٥٤/ ٣ : ٣٦٠ والهمع ٢ : ٤١ .

والمعرب هو المضارع ، وهو معربٌ قبل اتصال النون به . ويكون ما قبله الياء فيه مكسوراً ، نحو : ليَرْمِنَّ زيد ، وكقول الشاعر :

* لتغنِنَّ عنّى * ... البيت .

ومفتوحاً نحو : ليخشَنَّ زيد . والأصل وهو الكثير الاستعمال ليرمِيَنَّ ولتغنِيَنّ وليخشَيَنَّ ، فحذفوا الياء وبقيت الكسرة والفتحة على حالهما .

والمبنى هو الأمر ، وكذلك يكون ما قبل الياء فيه مكسوراً نحو : ارمِنَّ ، وكقول الشاعر :

وابْكِنَّ عيشاً تقَضَّى بعد جِدَّتِه طابتْ أصائلهُ فى ذلك البلَدِ (١)

ومفتوحاً نحو : اخشَنّ يا زيد ، والأصل ارمِيَنّ ، وابكِيَنَّ ، واخشَيَنَّ ، فحذفت الياء كذلك .

وغير طيىء يُبقون الياء أيضاً على حالها .

هذا تقرير كلامه . وأراد بفعل الواحد المذكّر أن لا يتّصل به ضمير مؤنّث ، فيدخل فيه : لتَخْشَنَّ الجماعة (٢) وإن أُنّث بالتاء من أوله . ولم يستشهد لمفتوح الياء فيهما بشيء . وقد جاء فى الحديث وهو قوله ﷺ : « لتؤَدُّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة ، حتّى يقادُ للشّاة الجلحاء من الشّاة القرناء تنطحها » ، رواه أحمد فى مسنده ، والبخارى فى الأدب ، والتِّرمذى (٣) .

قال التُّوربُشتى (٤) : هو على بناء المفعول ، والحقوق مرفوع . هذه هى

(١) المغنى ٢١١ والهمع ٢ : ٧٩ والسبع الطوال ٣٨٣ .

(٢) ط : « لجماعة » ، صوابه فى ش .

(٣) هو من حديث أبى هريرة ، كما فى الجامع الصغير ٧٢٢٢ .

(٤) هو شهاب الدين أبو عبد الله ، فضل الله بن حسن التُّوربشتى الحنفى المتوفى سنة ٦٦١ . وكتابه هو « الميسّر » شرح مصابيح السنة للبغوى الشافعى حسين بن مسعود المتوفى سنة ٥١٦ . كشف الظنون فى رسم (مصابيح السنة) ، و (مطلب الناسك ، فى علم المناسك) ، و (المعتمد فى المعتقد) و (الميسر) . والكتب الثلاثة الأخيرة من تأليفه .

الرواية المعتدّ بها . ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوقِ ، والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به . والصحيح الأوّل . قال الطِّيبىّ (١) : إن كان الردّ لأجل الرِّواية فلا مَقال ، وإن كان بحسب الدِّراية فإنّ باب التغليب واسعٌ ، فيكون قد غلَّب العقلاء على غيرهم ، وجعل حتَّى غايةً بحسب التغليب . انتهى .

وقد أنكر ابن مالك الرواية الأولى ، وقال : لا تصحُّ فى العربية ، وكان الواجب لتؤدَّينَّ الحقوق بإثبات الياء . وهو فى هذا معذور ، فإنّ لغة طيِّىء فى حذف الياء إذا كانت لام الفعل فى الواحد المذكَّر غير مشهورة ، ولم أر نقلَها عن الفرَّاء عنهم إلاّ من الشارح المحقق ، وهو ثقةٌ فيما ينقله . وإنَّما المشهور عن الفرَّاء عنهم حذف ياء الضمير بعد الفتحة . قال ابن مالك (فى التسهيل) : وحذف آخر الفعل إن كان ياءً لغةٌ فزاريَّة . ثم قال : وحذف ياء الضمير بعد الفتحة طائيّة .

٥٨١

قال شُرَّاحه فى الأول : المشهور فى لسان العرب فتح آخر الفعل صحيحاً كان أو معتلاًّ إلاّ فَزارة فإنّهم يحذفونها إذا تلَتْ كسرةً ، فإنَّهم يقولون : ارْمِنَّ وليرمِنّ زيد ، وغيرهم : ارمِيَنَّ وليرمِيَنَّ .

وقالوا فى الثانى : لغة العرب الياء بعد الفتحة تثبت متحرِّكة بالكسرِ ولا تحذف ، فيقولون : هل تخشَينَّ يا هند . ونقل الفراء عن طيِّىءٍ أنّهم يحذفونها فيقولون اخْشِنَّ يا هند .

---

(١) هو شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد ، أو الحسين بن محمد بن عبد الله كما سمى نفسه . وهو من أهل توربشت من عراق العجم . ويحتمل أن تكون نسبته إلى بيع الطيب ، أو إلى بلدة بين واسط وخوزستان تسمى الطيب . وكتابه هو « شرح مشكاة المصابيح » . و « مشكاة المصابيح » تكملة لمصابيح السنة للبغوى ، والتكملة لأبى عبد الله الخطيب . فرغ من جمعها فى رمضان سنة ٧٣٧ . الدرر الكامنة ٢ : ١٥٦ وكشف الظنون فى (مصابيح السنة) .

قال السمين (فى شرحه) : لم يتعرَّض المصنف لحركة ما قبلها حين حَذْفها هل تبقى الفتحة أو تكسر دلالةً على الياء ؟ وهذا الذى ينبغى . انتهى .

وما نسبه ابن مالك إلى فَزارة نسبَه ثعلب [١] إلى طيىء . قال ثعلب (فى الجزء الحادى عشر من أماليه) بعد ما روى البيت « لتُغنِىَ » : ويروى : لتُغْنِنَّ ، وهذا إنَّما يكون للمرأة ، إلاّ أنَّه فى لغة طيىء جائز ، وفى لغة غيرهم : لتُغْنِينَّ [٢] واللام لام الأمر أدخلَها فى المخاطبة ، والكلام : أغْنِنَّ عنّى . انتهى كلامه .

والرواية الأولى « لِتُغْنَى » بكسر اللام وآخره ياء مفتوحة . والثانية لَتُغنِنَّ بفتح اللام وكسر النون الأولى وتشديد الثانية . وقوله : وفى لغة غيرهم : لتُغْنِيَنَّ [٣] إلخ ، يعنى أنّ الياء لا تحذف فى غير لغة طيىء إلا إذا كان أمراً للأنثى ، وإذا كان أمراً لها فالفصيح أَغنِنّ عنّى ، بصيغة الأمر لا بلام الأمر ، وذلك بفتح الهمزة [٤] وكسر النون الأولى وبعدها نون التوكيد .

وقد نقل أبو على الفارسىُّ كلام ثعلب بُرّمته (فى المسائل البَصْرِيات) ، ونقله غيره أيضاً . وقد نقل أبو على (فى كتاب الشعر) أيضاً أنّ ثعلبا روى لَتُغنِنَّ بفتح اللام وكسر النون الأولى . وكذا روى العسكرىُّ (فى كتاب التصحيف) عن المعْمَرى عن ثعلب .

والبيت الثانى أيضاً خطابٌ لمذكّر ، بدليل ما قبله :

يا عَمْرُو أحسِنْ نَمَاكَ اللهُ بالرَّشَدِ واقرأْ سلاماً على الأنقاء والثَّمَدِ

(١) ط : « فنسبه » ، صوابه فى ش .
(٢) فى النسختين : « لتغنّ » ، صوابه فى مجالس ثعلب ٦٠٧ .
(٣) فى النسختين : « لتغنن » . وانظر التنبيه السابق .
(٤) فى النسختين : « بضم الهمزة » ، والوجه ما أثبت .

كذا أنشدهما ابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) . وبه يردّ على الدَّمامينى (فى الحاشية الهندية) فى زعمه أنّ قوله وابكِنَّ خطاب لامرأة ، مع أنّ سياق كلام المغنى يأباه ، فإنّه بعد أن روى : لتُغِنَّن ، قال : وذلك على لغة فزارة فى حذف آخر الفعل لأجل النون ، إذا كان ياءً تلى كسرة . وأنشد البيت. فإنّه إذا كان الخطاب به مع امرأة كان المحذوف ضميراً ، لا آخرَ الفعل . فإنّك إذا قلت ابْكِى يا هند [1] ، كانت الياء ضمير المخاطبة ، وأما لام الكلمة فهو محذوف لالتقاء الساكنين وأصله تبكِيينَ على وزن تَفْعِلين تحرَّكت الياء الأولى وهى لام الفعل وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، وحذفت لالتقاء الساكنين [2] .

وأما الرواية الأولى لثعلب ، وهى « لِتغنِىَ عَنّى » بكسر اللام وفتح الياء بدون توكيد ، فقد نسبها الجمهور إلى أبى الحسن الأخفش ، منهم أبو على (فى كتاب الشعر وغيره) . واختلُف فى لام كى ، فمنهم من أجاز أن يُتلقَّى بها القسم ، ومنهم من منع .

قال ابن عصفور (فى شرح الجمل) : زعم أبو الحسن أنّ جواب القسم قد يكون لام كى مع الفعل ، نحو : تاللهِ ليقوم زيد . قال : فعلى هذا يكون الجواب من قبيل المفرد ، لأنَّ لام كى إنمّا تنصب بإضمار أنْ ، وأنْ وما بعدها يُتأوَّل بالمصدر ، فكأنّك قلت: تالله للقيام [3] . إلاّ أنَّ العرب أجرَت ذلك مجرى الجملة ، لجريان الجُملة بالذكر بعد لام كى ، فوضعت لذلك لِتفعلَ موضع لتفعلنّ .

٥٨٢

(١) فى النسختين : « ابكين ياهند » ، تحريف .

(٢) كذا فى النسختين . وإنما يصح هذا التصريف إذا كانت الكلمة : بكَتْ ، وأصلها : بكَيَتْ . وأما تصريف تبكين فإنّ أصلها تبكِيِين ، استثقلت الكسرة على الياء فحذفت الكسرة والتقى ساكنان فحذفت الياء الأولى التى هى لام الفعل .

(٣) ش : « للقيام » ، تحريف .

وقال (فى شرح الإيضاح) : زعم أبو الحسن أنّ العرب قد تتلقى القسم بلام كى ، وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يحلفون بالله لَكُمْ لِيُرضُوكم (١) ﴾ . واستدل أبو على (فى العسكريَّات) على صحة ما ذهب إليه بقوله :

* لِتُغْنِى عَنّى ذا إنائك أجمعا *

قال أبو على : فإنْ قيل إنّ المقسم به إنمّا يكون جملة ، وليس هذا بجملة ، لأنّ أن والفعل فى تقدير اسمٍ مفرد . قيل : إنّ ذلك لا يمنع من وقوعه موقعَ الجملة التى يُقَسم عليها وإنْ كان مفردا ، وذلك أنَّ الفعل والفاعل اللذين جَرَيا فى الصلة يسدَّان مَسدّ الجملة . لكن رجع أبو على عن ذلك (فى التذكرة ، والبَصْريّات) وقال : إنَّ ذلك لم يَرِدْ فى كلام العرب . وأما قوله تعالى : ﴿ يَحلِفُون بالله ﴾ الآية فاللام متعلِّقة بيحلفون ، وليس القسم بمرادٍ ، إنمّا المراد الإخبارُ عنهم بأنّهم يحلفون أنّهم ما فعلوا ذلك ليُرضوا بحَلِفهم المؤمنين . وكذا البيت يحتمل أنْ يكون لِتُغنِىَ متعلّقا بآليت على ما رواه أبو على (فى البَصْريات) ، ولم يُرِدِ القسَم ، إنَّما أراد أن يخبر مخاطَبَه أنّه قد آلى كى يشربَ جميع ما فى إنائه .

ورواه أبو على : « قلت بالله حَلفة » ، ولا حجة فيه أيضاً ، لاحتمال أنْ يكون بالله متعلقا بفعلٍ مضمر لا يراد به القسم ، بل الإخبار ، ويكون قوله لِتُغنِىَ عنّى ، متعلّقا به ، والتقدير : حلفت بالله حلفة كى تُغنىَ عنّى . ويجوز أيضاً أن يكون المقسَم عليه محذوفاً لدلالة الحال عليه ، تقديره : لَتشرَبَنَّ لِتُغنِىَ عنّى . وعلى هذا حمله أبو على (فى التذكرة) . انتهى كلام ابن عصفور .

وكأنّ ابن هشام لم يطّلع على كلام أبى على (فى التذكرة والبَصريّات) على رجوعه (٢) عن موافقة الأخفش ، فحكى عنه القول الأوّل (فى المغنى) وقال :

---

(١) الآية ٦٢ من سورة التوبة .

(٢) ش : « عن رجوعه » .

أجاز أبو الحسن أن يُتلقَّى القسم بلام كى ، وجعل منه : ﴿ يحلِفُون باللهِ لكم لِيُرضوكم ﴾ ، يقال : المعنى لَيُرضُنّكم . قال أبو على : وهذا عندى أولى من أن يكون متعلّقا بيحلفون والمقسم عليه محذوفا . انتهى .

وفى : « لتغْنِىَ عنّى » رواية أخرى ، وهى فتح اللام والياء على إرادة النون الخفيفة ، ونسبها ابن يعيش (فى شرح المفصَّل) إلى الأخفش ، ولم أر مَنْ نسبها إليه غيره ، والمنسوبة إليه هى الرواية بكسر اللام وفتح الياء على المشهور . قال ابن يعيش : أنشده أبو الحسن بفتح اللام للقسم ، وفتح آخر الفعل على إرادة نون التوكيد وحذفها ضرورة . انتهى .

وكذا قال بعض أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) . وعلى هذه الرواية صدَّر كلامَه السِّيدُ (فى شرح المفتاح) ثم ذكر رواية كسر اللام .

وفى البيت شواهد أخر :

(أحدها) : قوله قَطْنى وفى روايةٍ « قدنى » ، وبه استشهد ابن الناظم بنون الوقاية لحفظ السكون عند البصريِّين ، ومعناها عندهم حَسْب ، أو لأنَّها اسم فعلٍ عند الكوفيِّين ومعناها يكفى .

(ثانيها) : أنّ ذا بمعنى صاحب ، وبه استشهد صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إنّه عليمٌ بذات الصُّدور [1] ﴾ من سورة الملائكة على أنّ ذات مؤنث ذو ، وهو موضوع لمعنى الصُّحبة ، لأنّ اللَّبَن يصحب الإناء ، والمضمرات تصحب الصدور . قال : ذات الصدور : مضمراتها ، وهى تأنيث

---

(١) الآية ٣٨ من سورة فاطر ، وهى التى تسمى أيضا « سورة الملائكة » كما سيأتى . وانظر الإتقان ١ : ١٥٧ . وانظر أيضا كشاف الزمخشرى حيث سماها « سورة الملائكة » ، واستشهد بقول أبى بكر وبالبيت الشاهد فى ٢ : ٢٤٥ .

ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه : « ذو بطن [بنت [1]] خارجة جارية » ، وقوله :

* لتغنيَ عنى ذا إنائك أجمعا *

المعنى ما فى بطنها من الحبل ، وما فى إنائك من الشَّراب ؛ لأنّ الحَبَل والشَّراب يصَحبان البطنَ والإناء . ألا ترى إلى قولهم : مَعَها حَبَل . وكذلك المضمراتُ تصحب الصُّدور ، وهي معها . وذو موضوعٌ لمعنى الصحبة . انتهى .

(ثالثها) : إضافة إناء إلى ضمير المخاطب للملابسة ، قال الزمخشرى (فى المفصل) : ويضاف الشيء إلى غيره بأدنَى ملابسة بينهما . وأنشد البيت وغيره . قال ابن يعيش : الشاهد فيه أنّه اضاف الإناء إلى المخاطب لملابسته إيّاه وقتَ أكلِه منهُ ، أو شُرْبِه ما فيه من اللَّبن . وذو الإناء : ما فيه من لبنٍ أو مأكول . انتهى . وفيه تقصيرٌ حيث قصرَ الملابسة على إضافة الإناء مع أنّها جارية فى إضافة ذا أيضا . وقد نبّه عليهما السيِّد (فى شرح المفتاح) قال : فيه استشهادان : أحدهما أنّ الإناء للمُضِيف وقد أضافه إلى الضَّيف لملابسته إيّاه فى شربه منه ، وفى جعل هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص المِلْكّى مبالغةٌ فى إكرام الضيف واللَّطَف [2] . والثانى : أنّ ذا بمعنى صاحب [3] وأُريد به اللبن ، وأُضيف إلى الإناء لملابسته إيّاه لكونه فيه . فهذه أيضاً إضافةٌ لأدنَى ملابَسَة . انتهى .

---

(١) التكملة من العثمانية للجاحظ ٨٧ – ٨٨ والحيوان ٦ : ٥١ حيث خبر أبى بكر إذْ يقول : « إنه القىَ فى روُعى أن ذا بَطنٍ بنت خارجة جارية » . وبنت خارجة هذه هى « حُبيبة » ، تزوجها أبو بكر فى الإسلام وتركها نَسْئاً ، أى حاملا ، فولدت له بعد وفاته جارية سميت « أم كلثوم » . تاريخ الطبرى ٣ : ٤٢٦ والإصابة ٢٧١ من قسم النساء . وأبوها « خارجة بن زيد الأنصارى الخزرجى » ، شهد بدراً والعقبة ، وقتل يوم أحد ، ويقال إن النبى ﷺ آخى بينه وبين أبى بكر . الاشتقاق ٤٥٧ والإصابة .

(٢) ش : « ولطف » .

(٣) ش : « الصاحب » .

(رابعها) : التأكيدُ بأجمع ، مع أنّه لم يُسبَق بكّل ، وهو تأكيد لقوله : ذا إناء ، بمعنى اللبن .

وقوله : (إذا قال) فاعله ضمير الغلام القُلَيعىّ ، وهو الضَّيف فى بيت قبله كما يأتى . وقوله : (قلتُ) المتكلم هو الشاعر ، وهو المُضِيف [١] وأورده جماعةٌ : « إذا قال قَطْنى قال » ، منهم الزمخشرى (فى المفصل) ، وتبعه السيّد فقال : أى إذا قال الضيف حَسْبِى ما شربت قال المضيف . انتهى .

وهذا على أنّ الشاعر مخبرٌ حاكٍ عنْ شخصين ، فهو لا ضَيف ولا مُضيف . وأورد بعضٌ آخر : « إذا قلتُ قَطْنى » ، قال : فيكون الشاعر هو الضَّيف . والصَّواب ماشرحناه أوّلاً كما يظهر من سياق القصيدة .

وقوله : (لتغنىَ عَنّى) قال ابن يعيش : العرب تقول : أغنِ عنِّى وَجْهَك ، أى اجعلْه بحيث يكون غنيًّا عنّى لا يحتاج إلى رؤيتى . يقول له الضيف : حسبى ما شربت ، فيقول له المضيف : اشربْ جميع ما فى الإناء ولا تردَّه علىَّ . وقال السِّيد : أى لَتُبعدنَّ ذا إنائك عَنىّ ، ولتجعَلْه فى غِنًى منّى ، كأنَّ الطعام محتاجٌ إلى مَن يطعَمه .

وقد نقل العينى فى شرح البيت جميع كلام ابن هشام من غير زيادةٍ عليه ، ولم يَعْزُه إليه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لحُرَيث بن عَنّاب الطائى ، أوردها ثعلب (فى أماليه) ، وهى :

(عَوَى ثمّ نادى هل أحَسْتُمْ قلائصاً ... وُسِمْنَ على الأفخاد بالأمسِ أربعَا

غلامٌ قُلَيعىٌّ يَحُفُّ سِبالَه ... ولحيتُه طارت شَعاعاً مقزَّعا

---

(١) ط : « المضياف » .

غلامٌ أضلّتْهُ النُّبوحُ فلم يَجِدْ ... بما بين خَبْتٍ فالهَباءةِ أجمعا
أُناساً سوانا ، فاستَمَانا فلم يُرَى ... أخا دلجٍ أهدى بليلٍ وأسمَعا (١)
فقلتُ أجِرًّا ناقةَ الضَّيفِ إنّنى ... جديرٌ بأنْ تَلَقى إنائى مُتْرَعا
فما برِحَت سَحْواءَ حتَّى كأنما ... تغادر بالزِّيزاء بَرساً مقطّعا (٢)
كلا قادِمَيها يفضُل الكفَّ نِصفُه ... كجلد الحُبارى ريشُه قد تزلَّعا
دفعت إليه رَسْلَ كوماءَ جَلدةٍ ... وأغضَيتُ عنه الطَّرفَ حتَّى تضلّعا
إذا قال قَطْنى قلت آليتُ حَلفةً ... لِتُغْنِيَ عنّى ذا إنائك أجمَعا
يُدافِعُ حَيزومَيْهِ سُخْنُ صريحِها ... وحَلقاً تراه للثُّمالة مُقْنَعا
إذا عمّ خِرشاءُ الثُّمالة أنفَهُ ... تقاصَرَ منّا للصَّريح وأقمَعا)

هذا آخر ما أورده ثعلب .

٥٨٤

وقوله : « عوى ثم نادى » إلخ فاعل عوى هو غلامٌ فى أول البيت الذى بعده . يريد أنّ هذا الغلام شردَتْ له قلائصُ أربعٌ ، فخرجَ فى طلبها حتّى أظلم عليه اللَّيلُ فضلَّ عن الطريق ، فَعوَى حتّى سمعت الكلابُ صوتَه فنبحَتْه ، فاستدلَّ بصوتها علينا ، فجاء فسأل عن قلائصه .

قال السيد المرتضى رحمه الله (فى أماليه (٣)) : إنّ العرب تزعم أنّ سارىَ اللَّيلِ إذا أظلم عليه فلم يستبْن محَجَّة ، ولم يدرأين الحِلّة ، أى القوم النزُّول ، وضع وجهَه مع الأرض وعوى عُواءَ الكلب ، لتسمع ذلك الصوتَ الكلابُ إن كان الحيُّ قريباً منه ، فتجيبه فيقصِد الأبيات . قال الفرزدق :

(١) مجالس ثعلب ٦٠٥ : « فلم نرى » بالنون .

(٢) سحواء ، كذا بالحاء المهملة فى النسختين ، وفيما يلى من الشرح حيث قيدّت بالحاء المهملة ، على حين قد وردت فى المجالس بالجيم وكذا فى اللسان (سجا ٩٢) حيث أنشد البيت . ولم أجد السحواء بالمهملة فى معجم .

(٣) أمالى المرتضى ٢ : ١١٤ — ١١٦ .

وداعٍ بلحنِ الكلبِ يدعو ودونه من اللّيلِ سَجْفَا ظُلمةٍ وغيومُها (١)
دعا وهو يرجُو أن ينبِّه إذْ دعا فتًى كابن ليلى حين غارَتْ نجومُها
بَعثتُ له دهماءَ ليست بلِقْحةٍ تدرّ إذا ما هبَّ نحساً عقيمُها

ابن ليلى هو أبو الفرزدق . ومعنى بعثت له دهماء ، أى رفعتها على أثافيّها . ويعنى بالدهماء القِدْر . واللِّقْحة : الناقة . أراد أن قدره تدرّ إذا هبت الريح عقيماً لا مطر فيها . وما أحسن قول ابن هَرْمة :

ومُستَنْبِحٍ يَستكْشِطُ الرِّيحُ ثوبَه ليَسقُطَ عنه وهو بالثَّوبِ مُعْصِمُ (٢)
عَوَى فى سواد الليل بعد اعتسافه لِيَنْبَحَ كلبٌ أو ليفزعَ نُوَّمُ
فجاوبَه مُستسمِع الصَّوتِ للقِرَى له معَ إتيان المُهِبِّين مَطعمُ
يكاد إذا ما أبصرَ الضَّيفَ مُقْبِلاً يكلِّمه من حُبِّه وهو أعجمُ

يقال : فزعت لفلان ، إذا أغثته . والمُهِبُّون : الموقظون له ولأهله ، وهم الأضياف . وإنما كان له معهم مطعم لأنّهم ينحر لهم ما يُصيب منه . وأراد بقوله : « يكلِّمه من حُبِّه » إلخ بصبصتَه وتحريكَه ذنبه . ومثله قوله أيضا :

وإذا أتانا طارقٌ متنوِّر نبحَتْ فدلَّتهْ علىّ كلابى (٣)
وفرِحْن إذْ أبصرنه [فلقِينَهُ] يَضرِبنَه بشرَاشرِ الأذنابِ (٤)

يقال : شرشر الكلبُ ، إذا ضرب بذنبه وحرّكه للأُنس . وأمّا قول الأخطل :

---

(١) ديوان الفرزدق ٨٠٣ . والبيت فيه برواية مخالفة .

(٢) ديوان ابن هرمة ٢٠٨ – ٢٠٩ والحماسة بشرح المرزقى ٥٨٠ والتبريزى ٤ : ١٣٦ – ١٣٧ والحيوان ١ : ٣٧٧ والفاضل للمبرد ٣٧ – ٣٨ ، بدون عزو ، وسمط اللآلى ٥٠٠ وديوان المعانى ١ : ٣٣ والحماسة البصرية ٢ : ٢٤٤ .

(٣) ملحقات ديوان ابن هرمة ٢٥٧ والحماسة البصرية ٢ : ٢٤٤ والأغانى ٥ : ٤٧ والحيوان ١ : ٣٨٤ .

(٤) فلقينه ، ساقطة من ط وأثبتها الشنقيطى فى نسخته . وانظر أساس البلاغة (شرر) وبقية المراجع .

دعانى بصوتَىْ واحـدٍ فأجابـه ... منادٍ بلا صوتٍ وآخرُ صَيِّتُ (١)

فمعناه أنَّ ضيفاً عوى باللَّيل والصَّدَى من الجبل يُجيبه ، فذلك معنى قوله : « بصوتَىْ واحد (٢) » . وقوله : « فأجابه منادٍ بلا صوت » أى نارٌ رفَعَها له فرأى سَناهَا فقَصَدها . والآخر الصَّيِّت : الكلب ، لأنّه أجاب عواءه (٣) .

وقوله : « هل أحَسْتُم قلائص » قال ثعلب : يريد أحسَسْتم . انتهى . قال الجوهرى : وربَّما قالوا : ما أحَسْتُ منهم أحداً ، فألقَوْا أحد السِّينين استثقالا ، وهو من شواذّ التخفيف . انتهى . وهو مِنْ أحسّ الرجلُ الشىءَ إحساساً : علم به ، يتعدَّى بنفسه مع الألف ، وربمَّا زيدت الباء فقيل : أحَسَّ به ، على معنى شَعَر به . كذا فى المصباح .

٥٨٥

والقلائص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابّة . وجملة « وسِمنْ على الأفخاذ » صفة قلائص ، من الوَسْم ، وهو العلامة بكَىٍّ حديدةٍ مُحماة . وأربعاً : صفة ثانية لقلائص .

وقوله : « غلام قُلَيعَى » الغلام يطلق على الرجل مجازاً باسم ما كان عليه ، كما يقال للصَّغير شيخ مجازاً باسم ما يؤُول إليه . كذا فى المصباح . وقُلَيعىٌّ منسوب إلى قُلَيع بضم القاف وفتح اللام ، وهى قبيلة ، أو هو منسوب إلى القُلَيعة مصغر قَلعة ، وهى موضعٌ فى طرف الحجاز ، واسم مواضعَ أُخَر . وقوله : « يحفُّ سبالَه » بالحاء المهملة ، يقال حفّ الرجل شاربَه حَفًّا من باب قتل ، إذا أحفاه ، أى بالغ

(١) البيت لم يرد فى ديوان الأخطل ، ولا فى التكملة لشعر الأخطل . وفى أمالى المرتضى ٢ : ١١٥ : « دعانى بصوتٍ واحد » ، لكن تعليق المرتضى على الشعر يقتضى رواية : « بصوتَىْ واحدٍ » .

(٢) هذا هو الصواب ، لكن فى نص المرتضى : « بصوت واحد » ، وهذا تحريف .

(٣) فى أمالى المرتضى : « أجاب دعواه » . هذا . وقد فات البغدادى أن ينبه على أن هذا هو نهاية نقله عن الأمالى كعادته .

فى قصِّه . والسبَّال ، بالكسر : الشارب . والشَّعاع ، بالفتح : المتفرّق ، يستوى فيه المذكّر والمؤنث . والمقزَّع ، بالقاف وفتح الزاى المشددة : المفتول . يعنى أنّ لحيته من الهواء والبرد تفرَّقت وصارت كالفتائل . وهو من القَزَع بفتحتين . قال الأزهرىّ : وكلُّ شيء يكون قطعاً متفرّقة فهو قَزَعٌ . ونُهِى عن القَزَع ، وهو حَلْق بعض الرأس دونَ بعض .

وقوله : « غلام أضلّتهُ النُّبوح » أى هو غلام . وأضلّته : أضاعتْه . والنُّبوح بضم النون والموحدة وحاء مهملة : ضجَّة الحىّ وأصواتُ كلابهم : وخَبْت ، بفتح الخاء المعجمة وسكون الموحدة : اسمُ ماءٍ لكلب ، وقيل لكِنْدة ، وموضع آخر . والهباءة ، بفتح الهاء الموحدة وبالمدّ : موضعٌ فى أطراف الرَّبذة خارجَ المدينة المنوَّرة ، وكانت فيه حربٌ من حروبِ داحسٍ لعبس على ذبيان .

وقوله : « أناساً » هو مفعول قوله « فلم يَجِدْ » ، وسوانا : صفته ، أى غيرنا . وقوله : « فاستمانا » قال ثعلب : أى تصيَّدَنا . والمُسْتَمِى : المتصيِّد . والمِسمَاة : جوربٌ يلبسه الصائد فى الحرِّ . انتهى . يريد أنّه ظفِر بنا كما يظفر بالصَّيد . وهذا تمثيلٌ لشدّة احتياجه مِن هَولِ ما قاساه فى اللَّيل من الظلام ، والبَرد والضَّلال ، فلمَّا وجَدَنا فكأنمّا ظفر بخزائن قارون . وهو من السُّموّ ، وهو العلوُّ والرفعة . قال الصحاح : والسُّمَاة : الصَّيَّادون ، مثل الرُّماة . وقد سَمَوْا واستَمَوْا ، إذا خرجُوا للصيد . وقوله « فلم يُرَى » هذه الألف نشأت من إشباع فتحة الراء ، وهو بالبناء للمفعول بمعنى يُعَلم ، والضَّمير فيه للغلام . وأخا بمعنى صاحب مفعوله الثانى . والدَّلَج بفتحتين : اسم مصدرٍ من أدلج إدلاجا ، كأكرمَ إكراما ، أى سار اللَّيلَ كلَّه . فإنْ خرج آخرَ الليل فقد ادّلج بتشديد الدال . كذا فى المصباح . وأهدى : أفعل تفضيل من الاهتداء إلى الطريق . قال صاحب الصحاح : هدِي واهتدى بمعنىً . وكذا أسمع : أفعل تفضيل ، والمفضَّل عليه محذوف ، أى منه .

وقوله : « فقلت أجرًا » هذا خطابٌ لخادَمَيه . وأجِرًا بفتح الهمزة وكسر الجيم : أمرٌ من أجررته رَسَنَه ، إذا تركتَه يَصنع ما شاء . يعنى خذُوا رَسَنها ودَعُوها تأكل ما شاءت . وناقة الضَّيف : الناقة التى جاء راكباً عليها . وهذا من أخلاق الكرام ، فإنّ إكرامَ دابّة الضيف غايةُ الإكرام عند الضَّيف . وقوله : « إنّنى جدير » إلخ قال ثعلب : أى من عادتى هذا . انتهى . وفاعل تلقى ضمير ناقة الضيف ، و « إنائى » بالمدِّ والإضافة إلى الياء . والإناء : الوعاء . ومُتَرَّع من تَرّعت الإناء بالتشديد ، وأترعته ، أى ملأتُه . وهذا كنايةٌ عن الخصب والكثرة .

وقوله : « فما برِحَتْ » أى ناقة الضيف . وسَحْواء بالنصب خبر برح ، وسحواء بالمهملتين والمدّ ، قال ثعلب : أى ساكنةٌ عند الحلب [١] . وتُغادِر تترك . والزِّيزاء بكسر الزاى الأولى والمدّ : الموضع الصُّلب من الأرض . والبِرْس بكسر الموحدة [٢] وإهمال الراء والسين : القُطن ، شبَّه ما سقط من اللَّبن به . انتهى . يعنى ما زالت ناقةُ الضيف ترعَى وتأكل ما تشاء ، حتّى كثُر اللَّبن فى ضُروعها ، فصار ما تقاطر من لبنها فى الأراضى الصُّلبة التى لم تتشرَّب النَّداوة ، كالقُطن المندوف .

وقوله : « كلا قادِمَيْها يفضُل الكفّ » مفعول مقدّم ، نصفه فاعل مؤخّر . والقادمان والقادمتان : الخِلفان المتقدِّمان من أخلاف الناقة اللذان يَليان السُّرَّة . يعنى أنَّ خِلفًا من قادميها يفضُل الكف ولا يسعُه ، لحَفْله باللبن . وقوله : « كجلد الحُبارَى » بضم المهملة بعدها موحدة وبالقصر : طائرٌ على شكل الإوزّة ، برأسه وبطنه غُبرة ، ولون ظهره وجناحَيه كلون السُّمانَى غالباً . كذا فى المصباح . وقوله « تَزلَّعا » بالزاى واللام ، قال ثعلب : تزلَّع : تقلَّع . انتهى .

---

(١) انظر ما أسلفت من القول على كلمة « سحواء » فى ص ٤٤٣ .

(٢) هو بكسر الباء ، وبضمها أيضا كما فى اللسان والقاموس .

وفى الصحاح : تزلَّعت يدُه : تشقَّقت . يريد أنَّ جلد ضروعها تشقَّق من حَفْل اللبن ، كجلد الحبارى إذا تساقَطَ ريشُه . وخَصّ الحُبارَى لأنَّ اللون يجمعهما . ٥٨٧

وقوله : « دفعْت إليه » إلخ أى إلى الغلام الضيف . ذكر إكرام ناقته أوّلاً ، ثم ذكر إكرامه . والرِّسْل ، بكسر الراء قال ثعلب : هو اللَّبن . انتهى . والكوماء ، بفتح الكاف والمد : الناقة العظيمة السَّنام . والجَلْدة ، بفتح الجيم وسكون اللام قال صاحب الصحاح : هى أدسم الإبل لبناً ، والجمع الجِلاد بالكسر . وقوله : « وأغضيت » يقال أغضى الرجل عينَه ، أى قارب بين جفنَيْها . يقول : أغَمضْتُ عينى عِند شربه لئلا يستحىَ أن يشرب رِيًا . وهذا أيضاً من أخلاق الكرام . والطَّرْف : العين . ونضلَّع ، قال ثعلب : أى امتلأ ما بين أضلاعه .

وقوله : (إذا قال قَطنى) إلخ قال ثعلب : قَطْنِى حسبى ، أى قلت قد حلفتُ أن تشربَ جميع ما فى إنائك . انتهى .

وقوله : « يدافع حَيْزُومَيْه » قال ثعلب : حَيزُوماهُ : ما اكتنف حُلقومه من جانَبِي الصَّدر . انتهى . والسُّخْن : الحارّ . والصريح : اللبن الذى ذهبَتْ رِغوته . والثمالة بضم المثلثة ، قال ثعلب : هى رغوة اللَّبن . يريد أنَّه يرفع حَلْقَه لاستيفاء اللبن . انتهى . ومُقْنَع : اسم مفعول من أقنعَ رأسَه ، إذا رفعه . كذا فى الصحاح .

وقوله : « إذا عَمّ خِرشاءَ » إلخ الخرشاء بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها شين معجمة . قال صاحب الصِّحاح : الخرشاء كالحِرباء : كلُّ شيءٍ فيه انتفاخٌ وتفتُّق وخروق (١) . قال مزرِّد :

إذا مَسَّ خِرشاءُ الثُّمالِة أنفَه ثَنَى مِشفَرَيه للصَّريح فأقْنَعا (٢)

---

(١) نص الصحاح : « والخرشاء ، مثل الحرباء : جلد الحية ، وقشرة البيضة العليا بعد أن تكسر ويخرج ما فيها ، ثم يشبه به كل شيء فيه انتفاخ وتفتق وخروق » .

(٢) ديوان مزرد ٨٠ عن أمالى القالى ١ : ١٨ واللسان (ثمل) . قلت : وانظر أيضا اللسان (خرش) .

يعنى بها الرغوة . انتهى . وكذا فى العباب . فإنْ صحَّ أنّ هذا البيت لمزّرد يكون ابنُ عَنَّاب الطائى أخذه منه .

ولم يتعرّض له ابنُ برّىّ ولا الصَّفَدىُّ (فيما كتباه على الصحاح) بشىء . والله أعلم .

و « عَمَّ » بمعنى شَمِل . وخِرشاء فاعل ، وأنفه مفعول . و « تقاصَرَ منها للصَّريح » : أى تراجع من الثمالة إلى الصَّريح فشربَه كلَّه . يقال أَقمعْتُ ما فى السِّقاء ، أى شربتُه كلَّه . كذا فى العباب عن الأموىّ .

وأقنعا فى بيت مزرّد بمعنى رفع رأسَه كما تقدَّم . والمِشفران : الشَّفتان . وثَنَى : عطف .

حُريث بن عَنَّاب

هذا وحُريث بن عَنَّاب بضم الحاء المهملة وآخره ثاء مثلثة . وعَنّاب بفتح العين المهملة وتشديد النون ، كذا ضبطه العسكرى (فى كتاب التصحيف [1]) عن المَعمْرىّ [2] عن ثعلب ، والجوهرىّ (فى الصحاح) ، والصَّاغانىّ (فى العباب) . قال الأصفهانى فى الأغانى [3] : هو حُرَيث بن عَنّاب النَّبْهانى ، وهو نَبْهان بن عمرو بن الغَوث بن طيِّىء ، وهو شاعر إسلامىٌّ من شعراء الدَّولة الأمويّة . وليس بمذكورٍ فى الشعراء ، لأنّه كان بدويًّا مقلاًّ غير متصدٍّ بشعرٍ للنّاس فى مدحٍ ولا هجاء ، ولا كان يعدو بشعرِهِ أمرَ ما لا يخصُّه . ثم أورَدَ له أشعاراً وحكايات .

٥٨٨

* * *

(١) التصحيف للعسكرى ٤٠١ . وانظر أيضا ٣٨٦ .

(٢) الذى ذكروه فى تلاميذ ثعلب هو « المعبدى » ، لكن كذا ورد فى التصحيف فى هذا الموضع ، وكذا فى ص ٣٣٩ ، ٣٦٩ يقول فى جميعها : « أنشدنى المعمرى . ونجد أيضا رواية السكرى عنه فى أمالى القالى ٣ : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ . والمعبدى هذا هو أحمد بن عبد الله النحوى ، من ولد معبد بن عباس بن عبد المطلب . انظر ترجمته ومراجعها فى إنباه الرواة ١ : ٨٣ .

(٣) الأغانى ١٣ : ٩٨ — ١٠٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد التسعمائة [١]

٩٥٤ (لا تُهِينَ الفقيرَ عَلَّكَ أنْ تركعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَهْ)

على أنَّ نونَ التوكيد الخفيفة تحذف لالتقاء الساكنين ، والأصل : لا تهينَنْ الفقير فحذفت النون وبقيت الفتحة دليلاً عليها ، لكونها مع المفرد المذكر (٢) . فإن لم تلاقِ النّونُ ساكناً فلا تَحذفُ إلاّ للضرورة .

ورواه الجاحظ (فى البيان) : « لا تحقرنَّ الفقير » ورواه غيره : « ولا تعادِ الفقير » ، فلا شاهد فِيه .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : وذلك نَحو ما أنشده أبو زيد (فى نوادره) :

اضربَ عنك الهمـــومَ طارقَهـــا ضَـرْبَكَ بالسَّيف قونسَ الفرسِ (٣)

قال ابن خروف : إنَّما جاز ذلك على التقديم والتأخير ، فتوُهِّم اتّصال النون من اضربن بالساكن بعده . والصَّحيح أنّه حذفها تخفيفاً لمَّا كان حذفُها لا يُخلُّ بالمعنى ، وكانت الفتحة التى فى الحرف قبلها دليلةً عليها . ويدل على صحَّة ذلك قولُ الشاعر ، أنشده الجاحظ (فى البيان له) :

---

(١) البيان ٣ : ٣٤١ والمعمرين ٨ والشعراء ٣٨٣ والأغانى ١٦ : ١٥٤ والقالى ١ : ١٠٨ وابن الشجرى ١ : ٣٨٥ وحماسته ١٣٧ والإنصاف ٢٢١ والحماسة البصرية ٢ : ٣ وابن يعيش ٩ : ٤٣ ، ٤٤ والمقرب ٢ : ١٨ والخزانة ٤ : ٥٨٨ وشرح شواهد الشافية ٩٦٠ ورصف المبانى ٩٦٠ والمغنى ١٥٥ ، ٦٤٢ والعينى ٤ : ٣٣٤ والتصريح ٢ : ٢٠٨ والهمع ١ : ١٣٤ / ٢ : ٧٩ والأشمونى ٣ : ٢٢٥ وشرح الحماسة للمرزوقى ١١٥١ .

(٢) الكلام بعده إلى « للضرورة » موضعه فى ط بعد عبارة « فلا شاهد فيه » . وهو خلل فى ترتيب الكلام ، صوابه فى ش .

(٣) نوادر أبى زيد ١٣ . والبيت لطرفة وليس فى ديوانه . وانظر تخريجه فى معجم الشواهد

خلافاً لقولى من فَيالةِ رأيه   كما قيل قَبْلَ اليوم خالفَ تُذْكرا (١)

يريد : خالِفَنْ . وقول الآخر ، أنشده الفارسى :

إنّ ابن أحوصَ مغرورٌ فبلِّغَهُ   فى ساعديه إذا رام العُلاَ قِصَرُ (٢)

يريد : فَبلِّغَنْه . وقول الآخر :

ياراكبـاً بلِّـغَ إخوانَنـا   مَنْ كان من كندةَ أو وائلِ (٣)

يريد : بلِّغَنْ إخواننا . ألا ترى أنّ النون مِن خالفَنْ وبلّغَنْه وبَلِّغَنْ لا يمكن أن يقال إنّها حُذِفت على توهُّم اتّصالها بساكن . ومثل ذلك ما أنشده أبو زيد (فى نوادره) :

٥٨٩

فى أىِّ يومَىَّ من الموتِ أَفِرّْ   أيومَ لم يُقْدَرَ أم يَوْمَ قُدِرْ (٤)

يريد : لم يُقْدَرَنْ ، ودخلت النون على الفعل المنفى بلم كما دخلت عليه فى قول الآخر :

* يَحسَبه الجاهلُ ما لم يعلما (٥) *

---

(١) البيان ٣ : ١٨٧ والحيوان ٧ : ٨٤ والضرائر ١١١ والعينى ٤ : ٣٤٥ والأشمونى ٣ : ٢٢٧ ورواية « خالفَ تذكرا » هى رواية كتب النحو . وأما رواية الجاحظ فهى فى أصل الحيوان « خالف تذكر » بدون ألف بعد الراء . وفى البيان فى نسخة واحدة : « خالف لتذكرا » وفى سائر نسخه: « خالف فتذكرا » ، وهى الرواية التى أبقيت عليها فى البيان والحيوان . وانظر المثل : « خالف تذكر » عند الميدانى . والفيالة ، بالفتح : ضعف الرأى .

(٢) المحتسب ١ : ١٩٦ برواية : « معروفا فبلِّغُهُ » وقال : أراد فبلِّغْهُ ثم نقل الضمة من الهاء إلى الغين فصار بَلِّغُهْ ، ثم حرك الهاء بالضم وأقر ضمة الغين عليها بحالها فقال « فبلِّغُهُ » . وعلى هذا القول يكون الشاهد لأمر آخر .

(٣) لامرىء القيس فى ديوانه ٢٥٨ والضرائر ١١٢ .

(٤) لعلى بن أبى طالب فى ديوانه ٥٤ . وانظر نوادر أبى زيد ١٣ وحماسة البحترى ٨٥ والعقد ١ : ١٠٥ والخصائص ٣ : ٩٤ ، ٢٢١ والمحتسب ٢ : ٣٦٦ وسر الصناعة ١ : ٨٥ والضرائر ١١٢ .

(٥) هو الشاهد ٩٤٩ . وقد سبق فى ص ٤٠٩ .

ولا يجوز مثل هذا فى سَعة الكلام إلاّ شاذًا ، نحو قراءة أبى جعفر المنصور : ﴿ ألم نشرَحَ لك صَدْرَك ﴾ بفتح الحاء .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للأضبَطِ بن قُرَيع السّعدِىّ ، أوردها القالى (فى أماليه) عن ابن دُريد عن ابن الأنبارى عن ثعلب . قال ثعلب : بلغنى أنّها قيلت قبلَ الإسلام بدهرٍ طويل [١] . وهى :

(لكلّ همّ من الهُمومِ سَعَهْ ... والمُسْىُ والصُّبحُ لا فلاحَ مَعَهْ
ما بالُ من سَرَّه مصابُك لو ... يَملِكُ شيئاً من أمرِهِ وزعَه [٢]
أذودُ عن حوضِه ويدفعُنـــى ... يا قومِ مَنْ عاذرِى من الخُدَعه [٣]
حتَّى إذا ما انجلَتْ عَمَايتُه ... أقبلَ يَلحَى ، وغَيُّه فَجَعَه
قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِه ... ويأكُلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمعَه
فاقبَلْ من الدَّهر ما أتاكَ به ... مَنْ قَرَّ عيناً بعيشِه نفعَه
وصِلْ حبال البعيد إنْ وصل الـ ... ـحَبْل وأقصِ القريبَ إن قطعَه
ولا تُعادِ الفـــقير عَلّكَ أنْ ... تركَعَ يوما والدّهرُ قد رفعَه [٤]) انتهى

ورواها أيضا ابن الأعرابى ، والجاحظ ، وصاحب الحماسة البصرية ، والشريف (فى حماسته) ، وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، وصاحب الأغانى وغيرُهم ، بتقديم بعضها على بعض وطرحِ أبياتٍ منها .

---

(١) فى مجالس ثعلب ٤٨٠ بعد إنشاد البيت الثالث والسابع من المقطوعة التالية : « هكذا سمعت هذا البيت . قال – يعنى الأصمعى – : وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة . قال : وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير » .

(٢) فى الأمالى : « لا يملك » .

(٣) الخدعة هنا : بطن من تميم ، كما سيأتى فى الشرح .

(٤) وكذا عند القالى وابن الشجرى . وفى الأغانى : « لا تحقرن الفقير » ، وفى الحماسة البصرية : « فلا تهين الكريم » ، وفى سائر المراجع : « ولا تهين الفقير » .

قال الجوهري : المُسْى بضم الميم وكسرها وسكون السين : اسمٌ من الإمساء . والصُّبح : اسمٌ من الإصباح . وأنشد هذا البيت . والفَلاح : البقاء . وروى به أيضا (١) .

وقوله : « ما بالُ من سَرَّهُ مصابُك » إلخ المصاب بالضم : المصيبة . ورُوِىَ أيضا : « ما بال من غيُّه مُصيبُك » . والغَىّ : الخَيبةُ والحرمان . يقال غوَى من باب رمى . قال المرقّش :

فمن يلقَ خيراً يحمَد الناسُ أمرَهُ ومن يَغوِ لا يعدَمْ على الغيِّ لائما (٢) ٥٩٠

وجملة « لو يملك » من الشَّرط والجزاءِ حاليّة . ويروى « لا » موضع « لو » وهو غير صحيح . ووزعَهُ يَزَعُه وَزْعا : كفَّه ومنَعَه ، بالزاى المعجمة . يقول : ما بال من تتألم لخيبته وفقره ، فإذا وجد شيئاً من الخير كفَّه عنك .

وقوله : « أذود عن حوضه » هذا مثلٌ للحمايةِ ودفع المكروه عنه . والخُدَعة ، بضم الخاء المعجمة وفتح الدال : بطن من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهم قومُه . قاله صاحب الأغانى وغيره .

والعَماية ، بفتح العين المهملة : الشِّدَّة التى تلتبس منها الأمور . يقال عَمِىَ عليه الأمر ، إذا التبس . وأقبَلَ : شرَع . ويَلحَى : يلوم . وغيُّه : ضَلالُه . وفجَعه : أصابه بمكروه .

وقوله : « وصِلْ حبالَ البعيد » ، يعنى تقرَّبْ إلى البعيد من النَّسب إذا طلب قُربَك ، واهجر القريبَ مِن نَسَبِك إذا هجَرك . وما قاله تمثيلٌ لما قلنا .

(١) هى رواية الحماسة البصرية : « لا بقاء معه » .

(٢) من المفضلية ٥٦ للمرقش الأصغر ٢٤٧ .

وقوله : (لا تُهِينَ الفَقير) إلخ ، الإهانة الإيقاع فى الهُون بالضم ، والهَوَانِ بالفتح ، وهما بمعنى الذلّ والحقارة . و (عَلّ) بفتح اللام وكسرها : لغة فى لَعَلّ ، وهى هنا بمعنى عسى . ومثله فى المعنى قولُ الآخر :

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعتَه   من اليوم سُؤْلا أن يكونَ له غدُ[1]

واستُشهِد بهذا البيت فى التفسير عند قوله تعالى : ﴿ وارْكَعُوا مع الرَّاكِعِينَ [2] ﴾ على أنَّ الركوع هو الخضوع والانقياد ، كما فى البيت .

وجملة (والدهر قد رفعَه) حال من ضمير تركع . وقال العيْنىّ : الركوع : الانحناء والميْل ، مِن ركعت النخلةُ إذا انحنَتْ ومالت . أراد به الانحطاط من المرتبة ، والسُّقوطَ من المنزلة . انتهى .

ونقل الشيخ خالد فى التصريح أنّ هذا الشعر قيل قبل الإسلام بخمسمائة عام [3] .

وكان سبب هذا الشعر على ما فى الأغانى عن أبى محلِّم ، أنّ أمَّ الأضبط كانت عجيبة [4] بنت دارِم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطَّموح [5] بنت دارم ، فحارب بنو الطَّموح [6] قوما من بنى سَعد ، فجعل الأضبط يدسُّ إليهم الخيلَ والسلاح ولا يصرِّح بنصرهم ، خوفاً من أن يتحزَّب قومُه حزبين معه وعليه ،

---

(١) وكذا ورد بدون نسبة فى الحماسة ١١٥١ بشرح المرزوقى .

(٢) الآية ٤٣ من سورة البقرة .

(٣) انظر ما سبق فى الحواشى ص ٤٥٢ .

(٤) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ١٦ : ١٥٤ : « عجبة » .

(٥) فى الأغانى : « الطم » .

(٦) فى الأغانى : « بنو الطم » .

وكان يشِير عليهم بالرأى فإذا أبرمَه نَقضُوه (١) وخالفُوا عليه ، وأرَوْه مع ذلك أنّهم على رأيه ، فقال فى ذلك هذه الأبياتَ .

الأضبط بن قُريع ٥٩١

وهو الأضبط بن قريع بن عَوف بن كعب بن سعد بن زيدِ مَناةَ بن تميم . وقُرَيع بضم القاف وفتح الراء ، هو أبو جَعفر ، الملقّب بأنف الناقة أيضا .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : الأضبط بن قريع السعدىُّ هو من عوف بن كعب بن سعد رهطِ الزِّبرقان بن بدر ، ورهطِ بنى أنف الناقة . وكان قومه أساءوا مجاورته ، فانتقل منهم إلى غيرهم ، فأساءُوا مجاورتَه أيضاً ، فرجَعَ إلى قومه وقال : « بكلِّ وادٍ بنو سعد » . وهو جاهلىٌّ قديم . وكان أغار على بنى الحارث ابن كعب فقتَل منهم وأسَر وجَدَع وخَصَى ، ثم بنى أُطُماً ، وبَنَتِ الملوكُ حول ذلك الأطمِ مدينه صنعاء ، فهى اليوم قَصَبتُها . وهو القائل :

* يا قوم مَنْ عاذِرِى من الخُدَعَهْ *

وأوَّل الشعر :

* لكلِّ ضيق من الأمور سَعَه *

مع أربعةِ أبياتٍ أُخر . انتهى .

وزعم خضرٌ الموصلى أنّ أوّلَ هذا الشعر عند ابن قتيبة هو المصراع المتقدّم . وليس كذلك كما ترى .

قال صاحب الأغانى : كان الأضبط بن قريع مفركّا، بتشديد الراء المفتوحة ، وهو الذى تُبغضه زوجته . وكان فى الحرب يتقدَّم أمام الصَّفّ ويقول :

أنا الفتى تفرُكه حلائلُهْ ألاَ فتىً معشَّقٌ أنازلُه

---

(١) وكذا فى الأغانى . لكن فى ش : « وكان لما يشير عليهم بالرأى نقضوه » ، نقص وتحريف .

واجتمع نساؤه ليلةً يتسامَرْن ، فتعاقدن على أن يصدُقْنَ الخبر عن فَرْك الأضبط ، فأجمعْنَ أنّ ذلك لأنّه بارد الكمرَة ، فقالت لإحداهنّ خالتُها : أفتعجِزُ إحداكّن إذا كانت ليلتُها أنْ تسخِّن كمرته بشيءٍ من دُهن . فلمّا سمع قولَها صاح : يا آل عوفٍ ! فثار الناس وظنّوا أنّه قد أُتِيَ [1] فتسارعوا إليه ، فقالوا : ما بالُك ؟ فقال : أوصيكم أنْ تسخِّنوا الكَمَر ، فإنّه لا حُظوةَ لبارد الكمَرة . فانصرفوا ضاحكين ، وقالوا : تبًّا لك ، ألهذا دعوتَنا . انتهى .

ونقل السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) عن (الحماسة البصرية) أنّ الأضبط بن قُريعٍ السعدىَّ من شعراء الدولة الأمويَّة . ولم يتعقَّبْه بشيء . وهذا عجيبٌ منه .

والأضبط معناه فى اللغة : الذى يعمل بكِلتا يديه . والمرأة ضَبْطاء . يقال ضَبِط الرجُل بالكسر ، يَضْبَطُ بالفتح ضَبْطا بالسكون .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتم الطائىُّ وَهَّابُ المِئِي)

٥٩٢ وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة [2] وفى غيره أيضا .

---

(١) وكذا فى الأغانى . لكن فى ش : « أن قد أُتُوا » .

(٢) الخزانة ٧ : ٣٧٥ — ٣٧٩ .

هاء السكت

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد التسعمائة [١] :

٩٥٥ (يا مَرْحَباهُ بحمارِ عَفْراءْ)

على أنّ هاء السكت فيه قد روى بالوجهين بالضم والكسر .

وظاهر كلامه أنَّ تحريكها بما ذُكر فى إثباتها وصلاً بعد الألف لغة . وتقدَّم منه فى باب الندبة أنَّ ثبوتها فى الوصل مكسورةً أو مضمومةً ضرورةٌ عند البصريين ، وجائزٌ عند الكوفيِّين . وزاد هنا أنَّها بعد الواو أيضاً تكسر وتضمُّ ، وأنَّها بعد الألف تفتح أيضا .

وذكر فى باب العَلَم أنَّ جواز تحريكها بالضم والكسر فى السَّعة إنَّما هو فى : يا هناه وأخواته . فوجب أن يُحمَل ما هنا على ما تقدَّم من كلامَيْه ليوافق كلامُه فى جميع المواضع مذهبَ البصريِّين . وكان ينبغى أنْ يقدِّم الكسر على الضم فإنّه الأُصل فى التخلُّص من التقاء الساكنين ، وأمَّا التحريك بالضم تشبيهاً بهاء الضمير فهو أرْدَأ الوجهين . وتقدَّم فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة [٢] توجيه تحريكها فى الوصل (من الخصائص لابن جِنّى) ، بأنَّه منزلة بين منزلتى الوَقِف والوصل .

وذهب ابن جنى فى بعض كتبه (وهو شرح ديوان المتنبى) [إلى [٣]] أنّ

---

(١) إصلاح المنطق ١٠٥ والمنصف ٣ : ١٤٢ ونظام الغريب ١٦٢ وابن يعيش ٩ : ٤٦ والضرائر ٥١ . وروايته فى نظام الغريب : « عفرا » ، « بما شا » ، « والما » بالقصر فى القوافى كلها .
(٢) الخزانة ٢ : ٣٨٨ .
(٣) التكملة من ش .

تحريكها شاذٌّ ضعيف عند البصريين ، لا يُثبتونه فى الرواية ، ولا يحفَظونه فى القياس ، من جهةِ أنّه لا يخلو من أنْ تجرىَ الكلمة على حدِّ الوقف أو على حدِّ الوصل . فإن أجراها على حدِّ الوصل فسبيله أنْ يحذف الهاء وصلاً لاستغنائه عنها . وإن كان على حدِّ الوقف فقد خالف ذلك بإثباته إيّاها متحرِّكة ، وهى فى الوقف بلا خلافٍ ساكنة ، ولا يعلم هنا منزلةٌ بين الوصل والوقف يُرجَع إليها ، وتُجرَى هذه الكلمة عليها . فلهذا كان إثبات الهاء متحرّكةً خطأً عندنا . انتهى .

وقد رجع عن هذا (فى الخصائص) كما نقلناه هناك .

٥٩٣ وقوله : « إثبات الهاء متحرّكة خطأ » ، تبعه فيه الزمخشرى (فى المفصَّل) ، قال : وتحريكها لحن .

وكذا قال صاحب اللُّباب . وهذا ممَّا لا ينْبغى ، فإنَّ العربَ معصومون عن الخطأ واللحنِ فى الألفاظ ، حتّى قيل : إنَّ البدوىَّ لا يطاوعُه لسانه فى ذلك .

صاحب الشاهد والبيت الشاهد لعُروة بن حِزامٍ العُذْرىّ ، وهو من صميم العرب فى صدر الإسلام . ومن شعره أيضا قوله :

يارَبِّ يا ربَّاهُ إيَّاكَ أسَلْ عَفراءَ يا ربَّاهُ من قبلِ الأجلَ (١)

وكذا قال المجنون قيسٌ العامرىّ ، وهو من اللِّسان بمكان :

فقلت أيا ربَّاهُ أوَّلُ سؤلتى لنفِسىَ ليلَى ، ثم أَنتَ حسيبُها

ومثل هذا ممَّا يقع نظماً لا نثراً ضرورةٌ .

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ وإصلاح المنطق ٩٣ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وشرح شواهد الشافية ٢٢٨ . وقد سبق الشاهد فى ٧ : ٢٧٠ — ٢٧٤ .

(٢) ديوان المجنون ٦٧٠ وهمع الهوامع ٢ : ١٥٧ .

وقوله :

* يا مرحباهُ بحمار عفراءْ *

بعده :

إذا أتَى قرّبتُه لما شاءْ   من الشَّعير والحشيشِ والماءْ

عَفراء هى محبوبةُ عروة بن حزامٍ العُذْرىّ . قال عيسى بن إبراهيم الرَّبَعى [١] (فى نظام الغريب [٢]) ، وهو تأليفٌ قديم فى اللغة : ولدُ الظبية ، سمِّى بذلك لأنَّ لونه لون العَفَر ، وهو التراب ، ولذلك قيل : ظبىٌ أعفرُ ، وظبيةٌ عفراء ، وبه سمِّيت المرأة عفراء . وأنشدَ هذه الأبياتَ الثلاثة .

وقال ابن يعيش : كان عُروة يحبُّ عفراء ، وفيها يقول :

* يا ربّ يا ربَّاهُ إيَّاكَ أسَلْ *

ثم خرج فلقىَ حماراً عليه امرأة فقيل له : هذا حمار عفراء . فقال :

* يا مرحباهُ بحمارِ عفراء * إلخ

فرحَّب بحمارها لمحبَّته لها ، وأعدَّله الشعير والحشيش والماء . ونظير معناه قول الآخر :

أُحِبُّ لحبِّها السُّودانَ حتَّى   أحبُّ لحبِّها سودَ الكِلاب [٣]انتهى .

(١) أبو محمد عيسى بن إبراهيم الربعى لغوى كان عليه المعوّل فى اليمن . توفى سنة ٤٠٨ . بغية الوعاة ٣٦٨ .

(٢) نشره المستشرق بولس برونله فى مطبعة هندية سنة ١٩١٣ . وانظر المستشرقون ٢ : ٨٠١ . والنص التالى فى نظام الغريب ١٦٢ .

(٣) جمل الزجاجى ١٩٥ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وعيون الأخبار ٤ : ٣٣ . وقد سبق فى ٧ : ٢٧٣ .

ولم أجدْ هذا الرجز فى ديوان عروة ، ولعلّه ثابتٌ فيه من روايةٍ أخرى .
وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة [١] .

وقالوا فى هذه الأبيات : يجوز أن تروى بالمد والقصر ، فإذا مُدَّت كانت من الضرب الخامس من السريع المشطورِ المخبون الموقوف : فعولانْ أو مفاعيلْ . ومثله :

يمتسكون من حِذار الإلقاءْ بتَلعاتٍ كجذوع الصِّيصاءْ [٢]

واذا قُصِرت كانت من الضرب السادس من مشطور السريع المخبون .

وأمّا قوله :

* يا ربّ يا ربّاه إيّاك أَسَلْ *

فقد تقدّم شرحه فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد الخمسمائة [٣] . وأما قول الآخر :

يا مَرحباهُ بحمارِ ناجيَهْ إذا دنا قرَّبته للسّانيَه

فقد تقدَّم شرحه فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة [٤] .

---

(١) الخزانة ٣ : ٢١٥ – ٢١٨ .
(٢) الرجز فى الخصائص ١ : ٢٨٠ والمنصف ٢ : ١٧١ والأشباه والنظائر ٣ : ١٦٨ .
(٣) الخزانة ٧ : ٢٧٠ – ٢٧٤ .
(٤) الخزانة ٢ : ٣٨٧ – ٣٨٩ .

شين الكشكشة

أنشد فيه ، وهو ا لشاهد السادس والخمسون بعد التسعمائة [١] : ٥٩٤

٩٥٦ (تَضحَكُ منِّى أنْ رأتنى أَحترِشْ ولو حَرشْتِ لكشفتِ عن حِرِشْ)

على أنَّ ناساً من تميم ومن أسد يجعلون مكان الكاف المؤنث شيناً فى الوقف ، كما فى حِرِش ، وأصله حِرِكْ .

قال المبرد (فى الكامل [٢]) : بنو عمرو بن تميم إذا ذكَرتْ كاف المؤنَّث فوقفت عليها أبدلَتْ منه شيناً ، لقرب الشين من الكاف فى المخرج ، فإنَّها مهموسةٌ مثلها ، فأرادوا البيان فى الوقف ، لأنَّ فى الشين تفشّيا ، فيقولون للمرأة : جعل الله البركَة فى دارِشْ . والتى يُدْرجونها يَدَعونها كافاً . انتهى .

وربمَّا فعلوا هذا فى الكاف الأصلية المكسورة ، أنشد ثعلبٌ (فى أماليه) عن ابن الأعرابىّ [٣] :

علىَّ فيما أبتَغِى أُبغيشِ بيضاءَ تُرضينى ولا تُرضيشِ
وتطلبى وُدّ بنى أبيشِ إذا دَنوتِ جعلَتْ تُنئيشِ
وإن نأيتِ جعلت تُدنيشِ وإن تكلَّمتِ حَثَتْ فى فيشِ
* حتّى تَنِقِّى كنقيق الدِّيشِ *

قال ثعلب : يجعلون مكان الكاف الشين ، وربمَّا جعلوا بعد الكاف

---

(١) شرح شواهد الشافية ٤١٩ وملحقات أمالى الزجاجى ٢٣٥ .
(٢) الكامل ٣٦٥ فى نص مسهب .
(٣) مجالس ثعلب ١٤١ . وانظر كذلك مجالس ثعلب ص ١٠٠ .

الشين والسين ، يقولون : إنّكشْ وإنّكس ، وهى الكاف المكسورة لا غير ، يفعلون هذا توكيداً لكسر الكاف بالشين والسين ، كما يقولون : ضربتِيه وضربتِه ، لقرب مخرجها منها . انتهى .

والشاهد فى قوله : « كنقيق الدِّيش » ، فإنّ أصله الدِّيك ، وكافه أصلية ، وفى جميع ما عداه الشين بدلٌ من كاف المخاطبة .

والبيت الشاهد أنشده ابنُ الأعرابىّ (فى نوادره) كما هنا .

وقوله : (أن رأتنى) إلخ بدلُ اشتمالٍ من الياء المجرورة بمَن . والاحتراش : صيد الضّبّ خاصة ، والعرب تأكله . قال صاحب العباب : احترش الضبَّ : اصطاده . وعن ثابت بن زيدٍ [١] الأنصارى ، أنّه أتى النبىَّ ﷺ رجلٌ بضِبابٍ قد احترشَها فقال : « أمّةٌ مُسِخَت من بنى إسرائيل دوابَّ » . فقال : « لا أدرى أىُّ الدوابِّ هى ؟ » ، فلم يأكلْها ولم ينهَ عنها . انتهى .

ويقال أيضا : حَرَشَ الضب يَحرِشه حرشاً ، من باب ضرب ، أى صاده ، فهو حارش الضِّباب . وهو أن يحرِّك يده على جُحر ليظنّه حَيَّة ، فيخرج ذنبَه ليضربَها ، فيأخذه .

وقال المفضل بن سَلَمة (فى كتاب الفاخر [٢]) : الحرش أن يُؤتى إلى باب جحر الضبّ بأسود الحيات ، فيحرِّك عند فم الجُحر ، فإذا سمع الضبُّ حِسّ الأسود خرج إليه ليقاتله ، فيصاد . انتهى .

---

(١) هو ثابت بن زيد ، أو ابن يزيد ، بن وديعة . انظر الإصابة ٨٨٣ ، ٩١٢ . والحديث أخرجه أبو داود فى (الأطعمة) ، والنسائى وابن ماجه فى (الصيد) .

(٢) الفاخر للمفضل ٢٤٢ ، ٢٨٩ .

والمشهور الأوّل . ومما تَحكى العرب عن الضبّ من أكاذيبهم ، أنّه إذا وُلد للضبّ ولدٌ قال : يا بنىَّ اتَّقِ الحَرْش . قال : وما الحَرْش ؟ قال : إذا سمعتَ حركةً بباب الجُحر فلا تخرجْ . فسمِع يوماً صوتَ فأس يُحفَر به جُحرهُما ، فقال : يا أبتِ أهذا الحرش ؟ فقال : « هذا أجَلُّ من الحَرْش » ، فصار مثلاً يُضرَب لمن يخاف شيئاً فيقع فى أشدَّ منه . ٥٩٥

وإنَّما ضحكت منه استخفافاً به لمَّا رأته يصيد الضب ، لأنّه صيدُ العَجَزة والضُّعفاء .

ورواه الزجاجى (فى أماليه الوسطى) كذا :

* تعجَّبتْ لمّا رأتنى أحترِشْ *

وقوله : (ولو حرشتِ) التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . يعنى لو كنت تصيدين الضبَّ لأدخلتِه فى فرجك دون فمك إعجاباً به ، وإعظاماً للذّته . والحِرُ بالكسر للمهملة : فرج المرأة ، وأصله حِرْح بسكون الراء ، فحذفت الحاء الأخيرة منه ، واستُعمل استعمالَ يدٍ ودم. ويدلُّ على أصله تصغيرُه وجمعُه ، فإنّه يقال حُريح وأحراح . وقد يعوَّض من المحذوف راء فيقال ، حِرّ بتشديد الراء .

ولم أقف على قائله ولا على تتمته . [والله أعلم [1]] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد التسعمائة ، وهو آخر الشواهد [2] :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) الكامل ٥٠٩ والقالى ٣ : ٦٣ والخصائص ٢ : ٤٦٠ وسر الصناعة ١ : ٢١٦ ودرة الغواص ١١٠ وابن يعيش ٨ : ٩/٧٩ : ١٠/٤٨ : ٨ والمقرب ٢ : ١٨٢ والممتع ٤١١ وديوان المجنون ٢٠٧ .

٩٥٧ (فعيناشِ عيناها وجِيدُشِ جيدُها   سِوَى أنَّ عظمَ الساقِ مِنْشِ دَقيقُ)

على أنّه كان القياس فى هذه الشين المبدلة من كاف المخاطبة أن تحذف فى الدَّرْج ، لكنَّها أُجريت فى حالة الوصل مُجرى حالة الوقف .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : ومن العرب من يبدل كافَ المؤنث فى الوقف شيناً ، حِرصاً على البيان ، لأنّ الكسرة الدالّة على التأنيث فيها تَخْفى فى الوقف ، فاحتاطوا للبيان بأنْ أبدلوها شيناً فقالوا : عَلَيْشْ ، ومِنْشْ ، ومررت بِشْ . وتحذف فى الوصل . ومنهم من يجرى الوصل مُجرى الوقف فيُبدِل فيه أيضا . وأنشدوا للمجنون :

* فعيناشِ عيناها وجيدُشِ جيدُها *

.... البيت . انتهى .

قال الفالى [(١)] (فى شرح اللُّباب) : وإنمّا سمِّيت هذه اللغة أعنى إلحاق الشين بالكاف الكِشكِشةَ لاجتماع الكاف والشين فيها . وإنما كسرت الكافان فى لفظ الكِشْكِشة لحكاية الكسر ، لكون الكاف للمؤنَّث . ومنهم من يفتحُهما على حدِّ قولهم فى التعبير عن بسم الله بالبَسْملة . وكذلك الكَسكَسة بالوجهين .

قال المبرد (فى الكامل [(٢)]) : حدَّثنى مَن لا أُحصِى من أصحابنا ، عن الأصمعىّ عن شُعبة عن قتادة قال : قال معاوية يوماً : من أفصحُ الناس ؟ فقام رجلٌ من السِّماط فقال : قومٌ تباعدوا عن فُراتِيَّة العراق ، وتيامَنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طُمطُمانية حِمير . فقال له معاوية : مَنْ أولئك ؟ فقال : قومُك يا أمير المؤمنين . فقال له معاوية : من أنت ؟ قال : رجلٌ من جَرْم . قال الأصمعى : وجرمٌ من فصحاء الناس . قوله : « تيامنوا عن كشكشة تميم » ، فإنَّ بنى

---

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، وهو تحريف نبهت عليه فى أكثر من موضع .

(٢) الكامل للمبرد ٣٦٤ – ٣٦٥ .

عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئا ، لقرب الشين من الكاف فى المخرج ، وأنّها مهموسة مثلها ، فأرادوا البيان فى الوقف ، لأنّ فى الشين تفشّياً . فيقولون للمرأة : جعلَ الله لكِ البركة فى دارِشْ ، وويحكِ مالَشْ . فالتى يدرجونها يَدَعونها كافاً ، والتى يقفون عليها يبدلونها شِيناً . وأمّا بكر فتختلف فى الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون من الكاف سِيناً كما فعل التميميون [1] فى الشين ، وهم أقلُّهم . وقومٌ يَبيِّنُونَ حركةَ كاف المؤنث فى الوقف بالشّين [2] فيزيدونها بعدها ، فيقولون : أعطيتكِشْ [3] . وأمّا الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره ، لأنّه صوتٌ لا يفهمُ تقطيعُ حروفه . والطَّمطمة : أن يكون الكلام مُشبِهاً لكلام العجم . انتهى .

٥٩٦

وكذا أورده الزمخشرى (فى المفصل) .

والسِّماط بالكسر : الصفُّ من الناسِ ، والجانبُ .

قال ابن يعيش ، قال : جَرْمٌ بطنان من العرب : أحدُهما فى قضاعة ، وهى جَرْم بن زَبَّان . والآخر فى طيِّيء ، يوصفون بالفصاحة . والفراتيَّة : لغة أهل الفرات الذى هو نهر أهلِ الكوفة . والفراتان : الفرات ودُجيل . ويروى : « لخلخانيَّة العراق » واللَّخلخانيَّة : العُجمة فى المنطق ، يقال رجلٌ لخلخانيٌّ أذا كان لا يُفصح . والغمغمة : أن لا يتبيَّنَ الكلامُ ، وأصله أصوات الثِّيران عند الذُّعر ، وأصواتُ الأبطال عند القتال . وقُضاعة : أبو حيٍّ من اليمن ، وهو قضاعة ابن مالك بن سبأ . والطُّمطمانية بضم الطاءين : أنْ يكون الكلام مشبهاً لكلام

---

(١) الكامل : « كما يفعل التميميون » .

(٢) ش : « بالسين » صوابه فى ط والكامل وسر الصناعة ١ : ٢١٤ .

(٣) ش : « أعطيتكس » بالسين ، صوابه فى ط والكامل .

العجم [١] ، يقال رجل طِمطِمٌ بكسر الطاءين ، أى فى لسانه عُجمة لا يفصح . والطُّمطمانىُّ مثله . وحِمْير : أبو قبيلةٍ ، وهو حِمْير بن سبأ بن يشجُب بن يَعرُبَ بن قحطان . ومنهم كانت الملوكُ الأُوَل . وصف هذا الجرمىُّ قومَه بالفصاحة وعدم اللُّكنة ، والتباعدِ عن هذه اللغات المستهجنة . انتهى .

وأورد الحريرى (فى درة الغوَّاص) هذا الخبر عن الأصمعىّ كذا فقال : قومٌ تباعدوا عن عنعنة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة بَكر ؛ ليس فيهم غمغمة قُضاعة إلخ .

قال : وأراد بعنعنة تميم أنَّ تميما يبدلون من الهمزة عينا ، كما قال ذو الرمة :

* أعَنْ تَرَسَّمت من خرقاء منزلةً [٢] *

يريد : أأنْ ترسَّمت . وأمَّا تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة فيقولون : أنت تِعْلَم . وحدّثنى أحدُ شيوخى أنّ ليلى الأخيليَّة ممَّن كانت تتكلم بهذه اللغة ، وأنّها استأذنت ذاتَ يوم على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشَّعبىُّ فقال له : أتأْذنُ لى يأميرَ المؤمنين فى أن أُضحِكَكَ منها [٣] ؟ قال : افعلْ . فلما استقرَّ بها المجلس قال لها الشعبى : يا ليلى ما بالُ قومِكِ لا يكتنون ؟ فقالت له : ويحك أما نِكْتَنى ؟ فقال : لا والله ، ولو فعلتُ لاغتسلتُ . فخجلتْ عند ذلك واستغرَبَ عبد الملك فى الضَّحك . انتهى المقصود منه .

ورأيت (فى أمالى ثعلب [٤]) : ارتفعت قريشٌ فى الفصاحة عن عنعنة

---

(١) ش : « بكلام العجم » .

(٢) تمامه كما فى ديوان ذى الرمة ٥٦٧ والخزانة ١٠ : ٢٩٢ :

* ماء الصبابة من عينيك مسجوم *

(٣) فى درة الغواص ١١٥ : « أن أضحك منها » .

(٤) مجالس ثعلب ١٠٠ .

تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجُّع قيس ، وعجرفيّة ضَبة . فأمَّا عنعنة تميم فإنّ تميما تقول فى موضع أنّ : عنّ ، تقول : عَنَّ عبدَ الله قائم . وأما تلتلة بهراء فإنّها تقول : تِعلمون وتِفْعَلون وتِصنَعون بكسر أوائل الحروف . انتهى .

رجَعْنا إلى البيت الشاهد . قال المبرد (فى الكامل [(١)]) . عين الإنسان مشبَّهة بعين البقرة ، فى كلامهم المنثور ، وشعرهم المنظوم . قال المجنون :

٥٩٧

فعيناكِ عيناهـا وجِيـدُكِ جيدُهـا ولكنَّ عظمَ السَّاقِ مِنْكِ دقيقُ [(٢)]

وقال الآخر [(٣)] :

فلم تر عَينى مِثْلَ سِربٍ رأيته خَرجنَ علينا من زُقاق ابنِ واقِفِ

طَلَعن بأعناق الظباءِ وأعين الـ ـجآ ذِرِ وامتدَّت لهنّ الروادفُ [(٤)] انتهى .

فروىَ البيتَ على الأصل من غير إبدال ، وهو المشهور فى الرواية . وكذا القالى (فى ذيل أماليه) بسنده ، قال : كان مجنون بنى عامر فى بعض مجالسه ، وكان يُكثر الوَحدة والتوحُّش ، فمرَّ به أخوه وابنُ عمِّه قد قنصا ظبيةً فهى مَعَهُما ، فقال :

يا أخويَّ اللذين [اليَوْمَ] قد أخذا شِبْهًـا لليلى بحبـلٍ ثم غَلاَّها [(٥)]

(١) كامل المبرد ٥٠٩ – ٥١٠ .

(٢) ط : « رقيق » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .

(٣) هو عمر بن أبى ربيعة كما فى الكامل ٩١ وملحقات ديوان عمر ٤٨٨ .

(٤) فى الكامل ٥١٠ : « بهن الروادف » . وفى البيت إقواء .

(٥) سقطت كلمة « اليوم » من النسختين فصار البيت غير مستقيم الوزن ، وتنبه لذلك محقق طبعة بولاق ، وكتب : « هذا الشطر غير مستقيم الوزن فليحرر » . وقد أثبت هذه الكلمة الشنقيطى غفر الله له فى حواشى نسخته ، وهى ثابتة أيضا فى ذيل الأمالى ٣ : ٦٣ . غَلاَّها : وضعا عليها الغل ، بالضم ، وهو القيد .

إنّى أرى اليومَ فى أعطاف شاتِكما مَشَابهاً أُشبهتْ ليلى فَحُلاَّها (١)

فامتنعا بها منه ، فهمَّ بهما ، وكان جَلْداً قبل ما أصيب به (٢) ، فخافاه فدفَعَاهَا إليه ، فأرسلها فولَّت تفِرّ ثم أقبلَتْ تنظر إليه ، فقال :

أيا شِبْه ليلى لا تُراعِى فإنّنى لكِ اليومَ مِن وحشيّة لَصديقُ
تفرُّ وقد أطلقْتُها من وَثَاقِها فأنتِ لليلَى إنْ شَكْرت طليقُ (٣)
فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ولكن عظمَ الساقِ منك دقيق (٤) انتهى .

وقريبٌ منه قول ذى الرمة :

أرىَ فيك مِن خرقاءَ يا ظبيةَ اللِّوى مَشَابهَ جُنِّبْتِ اعتلاقَ الحبائِلِ (٥)
فعينـاكِ عيناهـا ولـونُك لونها وجيدُكِ ، إلاّ أنّها غير عاطل (٦)

وتقدمت ترجمة المجنون فى الشاهد التسعين بعد المائتين (٧) .

* * *

وهذا آخر الكلام على شرح الشواهد ، الغزيرة الفوائد ، والناظم للنُّكت الفرائد ، والحاوى للطارف والتالد ، والجامع بين الشوارد والأوابد ، والحمدُ لله مِنَ البدء إلى الختام ، على توفيق هذا النظام ، والتيسير إلى الإتمام ، والبلوغ إلى المَرَام . وأفضلُ الصّلاة والسَّلام ، على محمدٍ خيرِ الأنام ، وأفضلِ الرسل

---

(١) أى فكا عنها القيد ودَعاها طليقاً .
(٢) أى بالجنون والهيام . وفى الأمالى : « وكان نجداً قبل ما أصيب » .
(٣) فى الأمالى : « فأنت لليلى ما حييت عتيق » .
(٤) ط فقط : « رقيق » ، والوجه ما أثبت من ش وسائر المراجع .
(٥) ديوان ذى الرمة ٤٩٥ من قصيدته التى أولها :

خليلى عوجا من صدور الرواحل بجمهور حُزْوَى فابكيا فى المنازل

(٦) العاطل : التى لا حلى عليها .
(٧) الخزانة ٤ : ٢٢٩ — ٢٣٣ .

الكرام ، وآلِه السادةِ الأعلام ، وصَحبِهِ قادةِ الإسلام على تعاقب الليالى والأيام ، وترادُف الشُّهور والأعوام .

وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غُرّة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف ، وانتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين ، فيكون مدَّة التأليف ستَّ سنين مع [ما (١)] تخلَّل فى أثنائها من العُطْلة بالرِّحلة ؛ فإنِّى لمّا وصلتُ إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستمائة سافرت إلى قُسْطَنْطينية ، فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين ، ولم يتَّفق لى أن أشرح شيئاً إلى أنْ دخلت مصر المحروسة ، فى اليوم السابع من ربيع الأوّل من العام القابل ، ثم شرعت فى ربيع الآخِر وقد يسَّر الله التمام ، وحسنَ الختام . ٥٩٨

فله الحمد والمِنَّة ، وأسأله أن ينفع به ، وأن يختم عملى بكلِّ خير ، ويدْرأ عنِّى كلَّ ضَير ، وأن يفعل كذلك بجميع أحبّائى ، وسائر أوِدَّائى ، إنّه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

قاله بفمه ، وزبَرَه بقلمه ، مؤلِّفه الفقير إلى الله فى جميع أحواله :

عبدُ القادر بن عمر البغدادى ، لطفَ الله به

وبأسلافه ، وأولاده وأحبَّائه ،

وجميع المسلمين .

آمين

* * *

ويقول محقق الخزانة بعد سجوده شكراً لله وحمداً له على جزيل نعمائه :

---

(١) التكملة من ش . وهذه خاتمة التعليقات .

وكان الفراغ من تحقيقى للخِزانة ، وفَسْرِ غوامضها ، ورَبْطِ أطرافها ، وإلباسِها حُلّة هذا العصر ، فى تمام الساعة الثامنة من صباح الجمعة المباركة بمنزلى فى مصر الجديدة ، فى الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١٤٠٢ وهو الثالث من سبتمبر سنة ١٩٨٢ .

كما كان البدء فى تحقيقها لأول مرة فى سنة ١٣٤٧ الهجرية الموافقة لسنة ١٩٢٨ الميلاديّة قبيل التحاقى بدار العلوم . حيث أصدرت أربع مجلدات منها بتاريخ تخرجى فى الدار سنة ١٣٥١ الموافقة لسنة ١٩٣٢ .

أما هذه الطبعة الثانية لى فقد بدأْتُ بعد ذلك فى سنة ١٣٨٧ الهجرية الموافقة لسنة ١٩٦٧ الميلادية . واستغرق إخراجها وطبعها نحو خمس عشرة سنة فى كفاح بالغ ، ومغالبةٍ لعَقَبات النشر ، التى عاوننى فى التغلب عليها ولدى البار المخلص السيد / محمد أمين الخانجى مدير مكتبة الخانجى ، كتب الله له التوفيق وألهمه دوام السداد .

والحمد لله كلَّ الحمد على ما أنعم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلّم .

عبد السلام محمد هارون

الفهـارس

(ا) فهـرس التراجم

(ب) فهـرس الشواهد

ا – فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

ب - فهرس الشواهد

الحروف العاطفة

حروف الإيجاب

حروف الزيادة

حرفا التفسير

حروف المصدر

حروف التحضيض

حرف التوقع

حرفا الاستفهام

حروف الشرط

التنوين

نون التوكيد
